صـــــلاح

العيوب فى جهد الرسول ﷺ

بقلم

محمد على محمد إمام

الجزء الأول

دار الكتب والوثائق القومية
بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

إمام / محمد على محمد
صلاح البيوت فى جهد الرسول
الجزء الأول
بقلم / محمد على محمد إمام ... ميت غمر
الطبعة الثانية ٢٠١٣
عدد الصفحات (٥٨٨)
المقاس (١٨ × ٢٤ سم)
رقم الإيداع : (٧٠٦٢)
تاريخ الإيداع: ١٤ / ٣ / ٢٠١٣
الترقيم الدولي: ٩ - ٠٤٩٦ - ٩٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
البريد الا لكتروني emam٢٠٣٠@gmail.com
ت : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦
ت: ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨

مُقَدِّمَة

الطبعة الثانية

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونصلي ونسلم علي خير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:

أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة.. مع الجزء الرابع من السلسلة:

صلاح البيوت

في جهد الرسول صلي الله عليه وسلم

الجزء الأول

بفضل الله تعالي قد نفدت الطبعة الأولي من كتاب صلاح البيوت في جهد الرسول صلي الله عليه وسلم، وقد قمت بتنقيح الكتاب، وإضافة بعض القصص علي أبوابه، وأضفت عليه عدة مواضيع جديدة، وبعض المذاكرات لمشايخنا الكرام في جهد النساء.

والذي يتصفح الكتاب يشعر بأنه في واحة تشتمل علي الصالحات من نساء الأنبياء السابقين ونساء النبي ﷺ، ونساء هذه الأمة واللاتي أسهمن في إقامة هذا الدين ونشره.

وقد اجتهدت في البحث في المراجع عن حياة النساء المجتهدات، وهذا غيض من فيض من حياة النساء الصالحات من هذه الأمة، والكتب والمراجع ممتلئة بالكثير والكثير، والذي أبهم الله صالحهن كثير وكثير ولكن هذا الذي توفر لدي.

ولما كبر حجمة جعلته في جزءين كبيرين، فمن اطلع علي الطبعة الأولي يحتاج إلي مطالعة الطبعة الثانية.. وبهذا يصبح الكتاب: موسوعة للأحباب في جهد النساء.

وما كان في هذا الكتاب من خير ونفع فهو من توفيق الله جل وعلا وما كان فيه من نقص وخلل فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

ورجائي لكل من قرأ هذه الموسوعة أن يدعو لي وبأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذه السلسلة الدعوية المباركة وجميع المسلمين أجمعين.

أخوكم

محمد علي محمد إ مام

إهـــداء

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده، وبعد:

أهدي كتابي هذا إلى: كل (**أم.. أخت.. بنت**) مؤمنة تريد أن تحيا الحياة الطيبة التي وعد الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (١)

أهدي كتابي: إلي كل مؤمنة تحب الله ورسوله وتريد أن تهتدي بهديهما وتسير علي نهجهما لتنال شرف الدنيا وكرامة الآخرة .

أهدي كتابي: إلي كل مؤمنة تُحب أن تحشر مع أمهات المؤمنين ونساء الصحابة (رضي الله عنهن) أجمعين.

وقد ذكرت لكِ من أخبارهن وصلاحهن ما يأخذ بقلبك وروحك إلي الاقتداء بهن والسير علي نهجهن.

فذكر الصالحين والصالحات يُزيد الإيمان، ويرفع الهمم، وحادي يحدو القلوب إلي حب الرب المعبود، وحادي يحدو الأرواح إلي بلاد الأفراح.

ولقد منَّ الله عز وجل عليَّ وجمعت لكِ هذا الكتاب الطيب المبارك، المملوء بصفات، وأفعال، وأحوال النساء الأُول: نساء القرن، الذي مدحه النبي ﷺ وبين

---

١) سورة النحل – الآية ٩٧.

خيريته، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (ﷺ)، أَنّ النَّبِيَّ (ﷺ)، قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ " متفق عليه (١).

فكما أن رجال هذه القرون خير رجال، فكذلك نساءهم كن خير النساء.. وهم نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة (رضي الله عنهن) والتابعين وهن النسخة الأصلية التي وجب عليكن يا نساء القرن الحادي والعشرين أن تصححن حياتكن على حياتهن.. فقد رضي الله عن حياتهن، ومن تبعهن بإحسان فقال : ﴿ وَالسّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالّذِينَ اتّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فيها أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

وفى قوله " اتّبَعُوهُم " دليل رضا الله عز وجل وجوب الأتباع لهن .. وإلا، لا يرضا الله ﷻ عن حياة إلا الحياة المماثلة لحياتهن، ولهذا بدأ لله ﷻ في كثير من الأحكام بذكرهن أولا لأنهن قدوة لمن أتى بعدهن فقال: ﴿ يا نِسَآءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مّنَ النّسَآءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مّعْرُوفاً﴾(٣).

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب مناقب الصحابة ١٦٩٥/١ .
٢) سورة التوبة – الآية ١٠٠.
٣) سورة الأحزاب – الآية ٣٢.

وفى آية الحجاب قال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً﴾ (١).

وعندما تقرأ في تاريخ الإسلام وتتصفح سير المؤمنات عبر القرون تجد عجيبٌ أمر هذه الأمَّة؛ كما أخرجت رجالاً لا يُعرف لهم مثيلٌ في تاريخ الأمم، أخرجت أيضًا النّساء الفُضْليَات القدوات التي لا تطاولهن نساء أمة من الأمم.

وقد كتبتُ في كتابي هذا لكثير من فضليات الأمة ما تيسر لي أن أذكره ، وإلا فمنهم الكثيرات والكثيرات ، مما لم يطلعني الله عليهن .

وقد سميت هذا الكتاب: (بصلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ) وأعنى بجهد الرسول ﷺ: كل قول أو فعل قام به الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاما، فإذا قامت به الأمة نساءً ورجالاً، لأصبحت بيوتهم تحيا حياة السعادة والراحة والطمأنينة والاستقرار والبركة.

فالمرأة وحدها هي الجو الإنساني لبيت زوجها، فمنهن من تدخل الدار تجعله روضة نضرة متروحة ساكنة، وإن كانت الدار قحطة ليس فيها كبير شيء، ومنهن من تدخل الدار فتجعله مثل الصحراء، برمالها وقيظها وعواصفها، وإن كانت الدار في رياشها ومتاعها كالجنة السندسية.. وصلاح المرأة بصلاح دينها.

أخوكم

محمد على محمد إمام

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٥٩.

مقصد خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١].

أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَازَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمِنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، بَلْ هُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُم، قال تعالى: ﴿ يا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٢].

والعبودية في هذه الأمة علي قسمين :

١) أن نَعبد الله عز وجل.

٢) أن نُعَبد غيرنا لله تعالي، ويشترك في ذلك الرجال والنساء، قال تعالى :{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣).

وبهذه الآية يتبين لنا أن مسئولية النساء عن الدعوة مثل مسئولية الرجال.

وبقيام النساء علي الدعوة يقوم الدين، فلو نظرنا في سيرة الأنبياء لوجدنا النبي الذي قامت معه زوجته علي الدين، نشر الله الدين علي يديه، وكثر أتباعه، وما

---

١) سورة الذاريات – الآية ٥٦ .

٢) سورة الحجرات – الآية ١٣.

٣) سورة التوبة – الآية ٧٢.

أرسل الله نبي من بعده إلا من ذريته مثل إبراهيم عليه السلام فكانت زوجتيه هاجر، وسارة موافقتان له وتقومان معه علي الجهد، فكان بيته من خير بيوت الأرض.

ولما كانت أزواج النبي محمد(ﷺ) موافقات له، ويقمن معه علي جهد الدين، نشر الله دينه، وجعله أكثر تابعا يوم القيامة، ففي الحديث عن ابْنُ عَبَّاسٍ(رضي الله عنهما) ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:" **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ،**

فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ ؟، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ (١).

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، قَالَ: أُرَاهُ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ: ثَمَانُونَ مِنْهَا أُمَّتِي ، وَأَرْبَعُونَ سَائِرُ النَّاسِ " (٢).

ولكن الأنبياء الذين لم تؤمن نساؤهم، ولم يقوموا معهم علي الدين والدعوة، لم يؤمن بهم إلا قليل وعذب الله أقوامهم، مثل نوح وإبراهيم عليهما السلام، وضرب الله بزوجاتهما المثل في الكفر، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (٣).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

١) صحيح مسلم « كِتَاب الإِيمَانِ « بَاب الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الجنة بلا حساب ولا عذاب _ رقم الحديث(٣٢٨).

٢) سنن الدارمي« كِتَاب الصَّلَاةِ «أَبْوَابُ الْعِيدَيْنِ _ رقم الحديث(٢٧٤٧)، ورواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وابن شيبة في مصنفه، وابن ماجة في سننه، والترمذي في جامعه، وأبو يعلي في معجمه، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني.

٣) سورة التحريم – الآية ١٠.

أول من آمن بالله ورسوله

من هذه الأمة

(خديجة بنت خويلد رضي الله عنها)

فعن ابن بريدة عن أبيه ﷺ قال: خديجة أول من أسلم مع رسول الله ﷺ . رواه الطبراني .

وعن قتادة بن دعامة ﷺ قال: توفيت خديجة (رضي الله عنها) قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي أول من آمن بالنبي ﷺ من النساء والرجال. رواه الطبراني.

وقال ابن شهاب: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة " المعجم الكبير للطبراني .

وقال أبو عمر بن عبد البر: اتفقوا علي أن خديجة (رضي الله عنها) أول من آمن.

وقال أبو الحسن بن الأثير: خديجة أول خلق الله إسلاما بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة " في كتابه الكامل وأقره الحافظ الناقد أبو عبد الله الذهبي(١).

قال ابن إسحاق: وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له ،

---

١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . باب بعض فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .

فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى(١) .

وهي أُولى زوجات النبي ﷺ، وأمّ أولاده، وخيرة نسائه، وأول من آمن به وصدقه، أم هند، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، وأمها فاطمة بنت زائدة العامرية ، قرشية من بني عامر بن لؤي.

قال الزبير بن بكار : كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة.

ولدت خديجة رضي الله عنها بمكة، ونشأت في بيت شرف ووجاهة ، وقد مات والدها يوم حرب الفجَار .

وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها ، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ، ويبالغ في تعظيمها ، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة ، من كثرة ذكر النبي ﷺ لها .

تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ باثنين من سادات العرب، هما: أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي، وجاءت منه بهند وهالة، وأما الثاني فهو عتيق بن عائذ بن عمر بن مخزوم، وجاءت منه بهند بنت عتيق، ثم بعده النبي ﷺ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة.

ومن دوافع زواجها بالنبي (ﷺ): ما رواه سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ نِسَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ احْتَفَلْنَ فِي عِيدٍ كَانَ لَهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَلَمْ يَتْرُكْنَ

---

١) السيرة النبوية لابن هشام _ باب إسلام خديجة ووقوفها بجانب النب صلي الله عليه وسلم..

شَيْئًا مِنْ إِكْبَارِ ذَلِكَ الْعِيدِ إِلا أَتَيْنَهُ ، فَبَيْنَا هُنَّ عُكُوفٌ عِنْدَ وَثَنٍ مُثِّلَ لَهُنَّ كَرَجُلٍ فِي هَيْئَةِ رَجُلٍ حَتَّى صَارَ مِنْهُنَّ قَرِيبًا، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا نِسَاءَ تَيْمَاءَ، إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي بَلْدَتِكُنَّ نَبِيٌّ، يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ، يُبْعَثُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ، فَأَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكُونَ لَهُ زَوْجًا فَلْتَفْعَلْ، فَحَصَبَتْهُ النِّسَاءُ، وَقَبَّحْنَهُ، وَأَغْلَظْنَ لَهُ، وَأَغَضَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى قَوْلِهِ، وَلَمْ تَعْتَرِضْ لَهُ فِيمَا عَرَضَ فِيهِ النِّسَاءُ (١).

فبسعة عقلها وكرم أخلاقها ما فعلت مثلهن بل تمنت أن تكون زوجة ذلك النبي.

وكان لخديجة رضي الله عنها حظٌ وافر من التجارة ، فكانت قوافلها لا تنقطع بين مكّة والمدينة، لتضيف إلى شرف مكانتها وعلوّ منزلتها الثروة والجاه، حتى عُدت من تجّار مكّة المعدودين .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : تَتَابَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَصَائِبُ بِهَلَاكِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ .

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ وَزِيرَةَ صِدْقٍ . وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى قُصَيٍّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ، وَكَانَتْ مُتَمَوِّلَةً ، فَعَرَضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالِهَا إِلَى الشَّامِ ، فَخَرَجَ مَعَ مَوْلَاهَا مَيْسَرَةَ، فَلَمَّا قَدِمَ أخبرها الغلام بما رآه من أخلاق الرسول ﷺ وما لمسه من أمانته وطهره، وما أجراه الله على يديه من البركة، وبَاعَتْ خَدِيجَةُ مَا جَاءَ بِهِ، فَأَضْعَفَ، فَرَغِبَتْ فِيهِ، فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا، وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً .

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد « طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ « تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ وَالْمُهَاجِرَاتِ ... « ذِكْرُ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ _ رقم ٩٥٨٥.

وتمّ الزواج قبل البعثة بخمس عشرة سنة وللنبي ﷺ ٢٥ سنة، بينما كان عمرها ٤٠سنة، وعاش الزوجان حياة كريمة هانئة، وقد رزقهما الله بستة من الأولاد: القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين.

وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

وكانت خديجة رضي الله عنها تحب النبي ﷺ حبّاً شديداً، وتعمل على نيل رضاه والتقرّب منه، حتى إنها أهدته غلامها زيد بن حارثة لما رأت من ميله إليه.

وعند البعثة كان لها دورٌ مهم في تثبيت النبي ﷺ والوقوف معه، بما آتاها الله من رجحان عقل وقوّة الشخصيّة، فقد أُصيب عليه الصلاة والسلام بالرعب حين رأى جبريل أوّل مرّة ، ودخل على خديجة فطمأنته، كما في حديث البخاري:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِيغَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:" اقْرَأْ " فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ

أَرْسَلَنِي فَقَالَ:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ "فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ:" زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ:" لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ: لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ: لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ، قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ(١) .

ولما علمت – رضي الله عنها – بنبوته لم تتردّد لحظةً في قبول دعوته ، لتكون أول من آمن برسول الله وصدّقه ، ثم قامت معه تسانده في دعوته ، وتؤانسه في وحشته ، وتذلّل له المصاعب ، فكان الجزاء من جنس العمل ، بشارة الله لها:

---

١) صحيح البخاري» كتاب بدء الوحي_ رقم الحديث:(٤).

((أَتَاني جِبرِيلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَد أَتَتكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَو طَعَامٌ أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ قَد أَتَتكَ فَاقرَأْ عليها السلام مِن رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ)).رواه البخاري ومسلم .

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها، فحزن لفقدها حزناً شديداً، ولم يزل يذكرها ويُبالغ في تعظيمها والثناء عليها، ويعترف بحبّها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين فيقول:" **إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا** " رواه مسلم.

وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ ، أَثْنَى عَلَيْهَا ، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ ، قَالَتْ : فَغِرْتُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ: (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ) رواه أحمد(١) .

حتى غارت منها أمنا عائشة رضي الله عنها غيرة شديدةً، قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكَدْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارٍ لَهَا، فَذَكَرَهَا يَوْمًا، فَحَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ، فَقُلْتُ: لَقَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ. قَالَتْ: فَرَأَيْتُهُ غَضِبَ غَضَبًا. أُسْقِطْتُ فِي خَلَدِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ إِنْ أَذْهَبْتَ غَضَبَ رَسُولِكَ عَنِّي لَمْ أَعُدْ أَذْكُرُهَا بِسُوءٍ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا لَقِيتُ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتِ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ

---

١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » سادس عشر الأنصار _ رقم الحديث:(٢٤٣٠٢).

رَفَضَنِي النَّاسُ، وَرُزِقْتُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحُرِمْتُمُوهُ مِنِّي قَالَتْ: فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا .

ومن وفائه ﷺ لها أنّه كان يصل صديقاتها بعد وفاتها ويحسن إليهنّ، وعندما جاءت جثامة المزنية لتزور النبي ﷺ أحسن استقبالها، وبالغ في الترحيب بها ، حتى قالت عائشة – رضي الله عنها – : "جَاءَت عَجُوزٌ إِلى النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ عِندِي، فَقَالَ لها رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: ((مَن أَنتِ؟)) قَالَت: أَنَا جَثَّامَةُ المُزَنِيَّةُ. فَقَالَ: ((بَل أَنتِ حَسَّانَةُ المُزَنِيَّةُ. كَيفَ أَنتُم؟ كَيفَ حَالُكُم؟ كَيفَ كُنتُم بَعدَنَا؟))، قَالَت: بِخَيرٍ بِأَبي أَنتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمَّا خَرَجَت؛ قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُقبِلُ عَلَى هَذِهِ العَجُوزِ هَذَا الإِقبَالَ؟ فَقَالَ: ((إِنَّهَا كَانَت تَأتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسنَ العَهدِ مِنَ الإِيمَانِ)) رَوَاهُ الحَاكِمُ وَغَيرُهُ وَصَحَّحَهُ الأَلبَانيُّ.

وَفي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ عَنهَا قَالَت: "مَا غِرتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِني لم أُدرِكْهَا. قَالَت: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ: ((أَرسِلُوا بها إِلى أَصدِقَاءِ خَدِيجَةَ))، قَالَت: فَأَغضَبتُهُ يَومًا فَقُلتُ: خَدِيجَةُ؟ فَقَالَ: ((إِني رُزِقتُ حُبَّهَا)).

وَفي البُخَارِيِّ عَنهَا – رضي الله عنها – قَالَت: "مَا غِرْتُ عَلَى امرَأَةٍ مَا غِرتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَد هَلَكَت قَبلَ أَن يَتَزَوَّجَني بِثَلاثِ سِنِينَ لِمَا كُنتُ أَسمَعُهُ يَذكُرُهَا، وَلَقَد أَمَرَهُ رَبُّهُ أَن يُبَشِّرَهَا بِبَيتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لَيَذبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهدِي في خُلَّتِهَا مِنهَا"،.

وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكّر صوت زوجته فيرتاح لذلك ، كما ثبت في الصحيحن .

وقَالَ – عليه الصلاة والسلام – : " خَيرُ نِسَائِهَا مَريمُ بِنتُ عِمرَانَ، وَخَيرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَقَالَ – عليه الصلاة والسلام –: " خَيرُ نِسَاءِ العَالمِينَ أَربَعٌ: مَريمُ بِنتُ عِمرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنتُ محمَّدٍ، وَآسِيَةُ امرَأَةُ فِرعَونَ " رَوَاهُ أَحمَدُ وَغَيرُهُ وَصَحَّحَهُ الأَلبَانيُّ.

وقد توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل معراج النبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالحجُون ، لترحل من الدنيا بعدما تركت سيرةً عطرة ، وحياة حافلةً، لا يُنسيها مرور الأيام والشهور، والأعوام والدهور، فرضي الله عنها وأرضاها .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

آيـات وردت في الرجال والنساء

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظّالِمِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَأَنّهُ خَلَقَ الزّوْجَيْنِ الذّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمآ تَغَشّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرّتْ بِهِ فَلَمّا أَثْقَلَتْ دّعَوَا اللّهَ رَبّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لّنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴾ (٦)

---

١) سورة البقرة – الآية ٣٥.
٢) سورة الذاريات – الآية ٥٦ .
٣) سورة النجم – الآية ٤٥.
٤) سورة الزمر – الآية ٦.
٥) سورة النساء – الآية ١.
٦) سورة الأعراف – الآية ١٨٩.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مّوَدّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالي : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيّئَةً فَلاَ يُجْزَىَ إِلاّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبّهُمْ أَنّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ فَالّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنّهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثّوَابِ ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ

---

١) سورة الروم – الآية ٢١.
٢) سورة النحل – الآية ٩٧ .
٣) سورة غافر – الآية ٤٠.
٤) سورة التوبة – الآية ٧١.
٥) سورة آل عمران – الآية ١٩٥.

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُصّدّقِينَ وَالْمُصّدّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) سورة الأحزاب – الآية ٣٥.
٢) سورة الحديد – الآية ١٢.
٣) سورة الحديد – الآية ١٨.

تكريم الله للمرأة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيّا كُلّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

الله ﷻ يصطفي ويكرم علي الدين وحمل الأمانة، ويظهر هذا جليا في قول حنة بنت فاقوذ امرأة عمران، { إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.أي أن هذا الجنين الذي في بطني نذرت أن يكونا خادما لبيتك المقدس (المسجد الأقصى).

فلما وضعتها أنثى خافت أن لا يقبلها الله تبارك وتعالى، { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }.

---

١) سورة آل عمران – الآيات من٣٣ : ٣٧.

فالذي يخدم دين الله، الله يعزه ويكرمه سواء كان رجل أو امرأة، فقبل الله نذرها ورفع وليدتها،{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيّا }.

فكان نبي الله زكريا عليه السلام يتفقدها ويرعى شئونها، فإذا به – وهو المبعوث المُرسل – يذهل كلما دخل المحراب على مريم لِيَجدها جالسة وحولها من النِعم ما لا وجود له في البلاد التي يقيم فيها،{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً هَذَا } فيسألها مندهشا:{ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنّىَ لَكِ هَذَا }؟!. فتجيبه بإيمانٍ عالٍ:{ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

فنبي الله زكريّا عليه السلام يتعلم من الصدّيقة مريم بنت عمران ويُرزق بسرّ كلماتها المضيئة.

يا الله!.. أيّ مقام وصلت إليه هذه المرأة المتبتلة؟!. إنها تُذكّر النبي بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فيدعو ساعتها زكريّا ربّه ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [١]، ويستجيب الله تعالى لدعاء نبيّه ويرزقه بالنبي يحيى عليهما وعلى مريم بنت عمران السلام ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢].

ولم تقف مريم عليها السلام عند هذا الحد من السمو والرقي والتكريم عند الله، بل ملائكة الرحمن يتحدثون معها وتراهم وترد عليهم:﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣٨.
٢) سورة آل عمران – الآية ٣٩.

مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[١].

وقال تعالي:﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[٣].

هل كانت السيدة مريم هي المرأة الوحيدة التي أجلّها القرآن وضرب بها الأمثال؟ وهل انفردت وحدها من بين النساء بالتخاطب مع ملائكة الرحمن؟

فهذه سارة زوجة إبراهيم عليه السلام.. يذكر لنا القرآن بأنها كانت ترى الملائكة وتسمع كلامهم، في بعض الأحيان عندما كانت تخاطب الملائكة إبراهيم عليه السلام، فلما جاءت الملائكة لهلاك قوم لوط، ولتبشره بالولد، فجاءوا على صورة البشر ظن إبراهيم عليه السلام أنهم بشر، فقام إلي عجل وذبحه وقاما علي خدمتهم هو وسارة، ولكن تفاجأ أنهم لا يأكلون،﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ

---

١) سورة آل عمران – الآيتان ٤٢، ٤٣.

٢) سورة آل عمران – الآيتان ٤٥، ٤٦.

٣) سورة مريم – الآيات من ١٦ : ٢١.

تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾[١].

فردت سارة في غرابة : ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[٢]، فخاطبتها الملائكة قائلة :﴿ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[٣].

وهذه أم موسى عليه السلام: الله ﷻ يوحي إلها بأن تلقي رضيعها في البحر، ويطمئنها ويطيّب خاطرها ويَعِدها بأن صغيرها سيعود إليها وسيكون مُرسلا عظيم الشأن!. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٤] وقال تعالي:﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥]ما أرحمك بعبادك يا الله!.

قرّتْ عينكِ وطابت بهبات الله لكِ يا أم كليم الله!.

ومن تكريم الله ﷻ للصديقة بنت الصديقة عائشة المبرأة من فوق سبع سموات، يُريها الروح الأمين جبريل عليه السلام بعد انتهاء غزوة الأحزاب، لما رجع رسول الله ﷺ عن الخندق، والمسلمون وقد عضهم الحصار، فرجعوا مجهودين، فوضعوا

---

١) سورة هود – الآيات من٦٩ : ٧١.
٢) سورة هود – الآية ٧٢.
٣) سورة هود – الآية ٧٣.
٤) سورة القصص – الآية ٧.
٥) سورة القصص – الآية ١٣.

السلاح، ووضعه رسول الله ﷺ ودخل بيت عائشة ودعا بماء فأخذ يغسل رأسه ، قال ابن عقبة : قد رجل أحد شقية.

فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد غسل رأسه واغتسل، ودعا بالمجمرة ليتبخر، قالت عائشة: فسلم علينا رجل ونحن في البيت. قال محمد بن عمر: وقف موضع الجنائز، فنادى عذيرك من محارب ! فقام رسول الله ﷺ فزعا فوثب وثبة شديدة، فخرج إليه، وقمت في أثره انظر من خلل الباب، فإذا هو دحية الكلبي فيما كنت أرى – وهو ينفض الغبار عن وجهه، وهو معتم، وقال ابن إسحاق: معتجر بعمامة، قال الماجشون – كما رواه أبو نعيم عنها، سوداء من استبرق، مرخ من عمامته بين كتفيه، على بغلة شهباء – وفي لفظ: فرس – عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج – قال الماجشون: أحمر – على ثناياه لأثر الغبار، وفي رواية: قد عصب رأسه الغبار، عليه لأمته، فاتكأ رسول الله ﷺ على عرف الدابة، فقال: يا رسول الله، ما أسرعتم ما حللتم، عذيرك من محارب ! عفا الله عنك، وفي لفظ غفر الله لك، أو قد وضعتم السلام قبل أن نضعه ؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم قال: فو الله ما وضعناه، وفي لفظ: ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو. وما رجعنا الآن إلا من طلب القوم حتى بلغنا حمراء الاسد – يعني الاحزاب – وقد هزمهم الله تعالى، وإن الله – تعالى – يأمرك بقتال بني قريظة، وأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة لأزلزل بهم الحصون، فأخرج الناس.

قال حميد بن هلال: فقال رسول الله ﷺ: " فإن من أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما " قال جبريل: انهض إليهم، فو الله لأدقنهم كدق البيض على الصفا لاضعضعنها، فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار.

قال أنس – رضي الله عنه – فيما رواه البخاري: كأني انظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم – موكب جبريل حين سار الى بني قريظة.

قالت عائشة: فرجعت، فلما دخل قلت: يا رسول الله! من ذاك الرجل الذي كنت تكلمه ؟ قال: " ورأيته " ؟ قلت نعم، قال: (لمن تشبهت) ؟ قُلْتُ بِدِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ قَالَ: **(ذَاكَ جِبْرِيلُ أَمَرَنِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ)** [١].

ومن تكريم الله ﷻ لأم المؤمنين أن يحمل لها لها الروح الأمين رسالة من الله تعالى فيبلغها للنبي ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ **" : أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ . " متفق عليه.** [٢].

وعن أنس (ﷺ) قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقرأ على خديجة السلام ، فقالت: إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام ، وعليه السلام ورحمة الله " [٣].

---

١) رواه الإمام أحمد والشيخان – مختصرا – والبيهقي والحاكم في صحيحه مطولا عن عائشة، وأبو نعيم، والبيهقي من وجه آخر عنها، وابن عائذ عن جابر بن عبد الله، وابن سعد عن حميد بن هلال، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى والبيهقي وابن سعد عن الماجشون، والبيهقي عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وسعيد بن جبير وابن سعد بن يزيد بن الأصم، ومحمد بن عمر شيوخة(سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد _ غزوة بني قريظة ٧/٥)

٢) مشكاة المصابيح – باب مناقب أزواج النبي ﷺ ١٧٤٣/٣ .

٣) رواه النسائي، والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة – خديجة – وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

طوبى لكِ يا أم القاسم.. طوبى لكِ.. وأول من اعتنق الإسلام على وجه الأرض امرأة.. ومن سواها " خديجة بنت خويلد " رضي الله عنها.. وأول شهيد في الإسلام كان أيضا امرأة.. إنها الشهيدة " سمية بنت الخياط " رضي الله عنها.. و" هاجر" المكرّمة زوجة أبو الأنبياء.. تسعى بمفردها في بقعة مقفرة بين الصفا والمروة.. فيجعل الله تعالى سعيها شعيرة من شعائر الحج.. وإذا بنا جميعا رجالا ونساء.. عصاة وأتقياء.. نتأسّى بما قامت به سيدتنا هاجر في مسعاها ونقتفي خطاها صعودا وهبوطا.. وهل يكون سعينا بين الصفا والمروة سوى مذكرات سطرتها لنا امرأة عظيمة إسمها هاجر؟!..

ومن تكريم الله للمرأة أن يسمي سورة من كلامه في القرآن باسم النساء، وسورة أخرى باسم امرأة وهي مريم البتول رضي الله عنها.

ومن تكريم الله للمرأة أن القرآن كان ينزل في مخدع عائشة!.

ومن تكريم الله للمرأة أن الله ينزل قرآناً في براءة امرأة، كما قالت عائشة: وبرأني الله من فوق سبع سماوات، وهي الصديقة بنت الصديق!.

ومن تكريم الله للمرأة أن يتولى الله بنفسه تزويج امرأة، وهي:" زينب بنت جحش " فكانت تفتخر على أمهات المؤمنين فتقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات!.

لقد أراد الله تعالى للمرأة مكانة التكريم والتبجيل والاحترام.. لذلك لستُ أتفاجأ أبدا حين يحفظ الله تعالى نسل خاتم الأنبياء في امرأة.. لا يُدهشني استمرار نسل الأنبياء في أبنائهم الذكور، في حين يحفظ الله تعالى نسل حبيبه المصطفى في ابنته الأنثى(فاطمة الزهراء) لا استغرب أن تكون الزهراء هي الكوثر الذي يتدفق بنسل سيد الخلق إلى قيام الساعة.. لا أتعجّب أن تكون البنت وأخواتها حجابا

للوالدين من النار إن أحسنا تربيتها، ولا أندهش أن يجعل الله تربية البنت أعظم أجرا من تربية الولد.. لا أستغرب أبدا أن تكون جنّة الأبناء وسعادتهم تحت أقدام الأمهات، فهذا الدين هو دين تكريم المرأة ومنحها حقوقها وكرامتها.

فما نعلَم دِينًا كرَّم المرأة، ورفَع شأنها، وأنصفَها، من أصحاب المِلل الأخرى، إلا الإسلام، أنزل الله أحكامًا خاصَّة بالنِّساء، وأنزل سورةً باسمها، وما ذاك إلا ليُعليَ مِن شأنِها، ويرفعَ مكانتها ويُنصفَها على أخواتها.

ما أجملَ قولَ أمير المؤمنين الفاروق عمرَ بن الخطَّاب ﷺ والله إنْ كنَّا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهنَّ ما أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم(١).

وأكمل النساء تلك التي تنظر إلى الدنيا بعين متلألئة؛ بنور الإيمان، فالمرأة الحق هي تلك التي خلقت لتكون خلف الرجل، مادة الفضيلة والصبر والإيمان تكون له إلهاماً وعزاء وقوة، وزيادة في سروره ونقصاً من آلامه، ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، وهي أن تجعل زوجها أعظم منها، فنحن لا نعرف اسم زوجة الشافعي، ولا زوجة البخاري، ولا من تكون أم سفيان الثوري، فهذه المرأة وأمثالها اختفت خلف زوجها وصنعت منه رجلاً عظيماً.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) فتح الباري ٣٠١/١٠ ط السلفية..

المرأة والمساواة

الله ﷻ خلق الرجل والمرأة من نفسٍ واحدةٍ ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لآ إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّىَ تُصْرَفُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمآ تَغَشّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرّتْ بِهِ فَلَمّآ أَثْقَلَتْ دّعَوَا اللّهَ رَبّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لّنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴾ (٣)

فالله ﷻ خلق آدم في الجنة ومع كل ما فيها من نعيم ولذة، استوحش.. وأراد الله أن يؤنسه، فلما نام آدم (٤) أخذ الله ضلعا من جانبه الأيسر وخلق منه حواء..

---

١) سورة النساء – الآية ١.

٢) سورة الزمر – الآية ٦.

٣) سورة الأعراف – الآية ١٨٩.

٤) لِم خُلقت حواء من آدم و هو نائم !!! لِم لم يخلقها الله من آدم وهو مستيقظ !! يُقال إن الرجل حين يتألم يكره، بعكس المرأة التي حين تتألم تزداد عاطفةً وحباً.

فلو خُلقت حواء من آدم عليه السلام وهو مستيقظ لشعر بألم خروجها من ضلعه وكرهها لكنها خُلقت منه وهو نائم .. حتى لا يشعر بالألم فلا يكرهها .. بينما المرأة تلد

والجانب الأيسر قريب من القلب لتكون قريبة من قلب آدم.. وكذلك من نفسه.. فالأصل واحد، ومن طينة واحدة، ومن جنب واحد، إذ الجنس إلي جنسه أكثر ميلاً.. وأنساً.. وقرباً.

فالسكون إلي الأزواج والأنس بهم مما ورثوه عن آبائهم، ولا يسكن الرجل إلي شيء كسكونه إلي زوجته المواتية، الموافقة له، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

وهي مستيقظة.. وترى الموت أمامها.. لكنها تزداد عاطفة.. وتحب مولودها.. بل تفديه بحياتها .وقيل: خلقت منه وهو نائم للستر الذي هو شأن النساء. لنعدْ إلى آدم وحواء ..خُلقت حواء من ضلعٍ أعوج، من ذاك الضلع الذي يحمي القلب .

أتعلمون السبب ؟ لأن الله خلقها لتحمي القلب .. هذه هي مهنة حواء.. حماية القلوب ..فخُلقت من المكان الذي ستتعامل معه .. بينما آدم خُلق من تراب لأنه سيتعامل مع الأرض.. سيكون مزارعاً و بنّاءً وحدّاداً ونجاراً .. لكن المرأة ستتعامل مع العاطفة .. مع القلب.. ستكون أماً حنوناً.. وأختاً رحيماً .. وبنتاً عطوفاً .. وزوجةً وفيه الضلع الذي خُلقت منه حواء أعوج!!!! .

يُثبت الطب الحديث أنه لولا ذاك الضلع لكانت أخف ضربة على القلب سببت نزيفاً، فخلق الله ذاك الضلع ليحمي القلب.. ثم جعله أعوجاً ليحمي القلب من الجهة الثانية.. فلو لم يكن أعوجاً لكانت أهون ضربة تسبب نزيفاً يؤدي – حتماً – إلى الموت .. لذا ... على حواء أن تفتخر بأنها خُلقت من ضلعٍ أعوج!!.. وعلى آدم أن لا يُحاول إصلاح ذاك الاعوجاج، لأنه و كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : إن حاول الرجل إصلاح ذاك الاعوجاج كسرها .. ويقصد بالاعوجاج هي العاطفة عند المرأة التي تغلب عاطفةالرجل ...فيا آدم لا تسخر من عاطفة حواء.. فهي خُلقت هكذا.. وهي جميلةٌ هكذا.. وأنتَ تحتاج إليها هكذا .. فروعتها في عاطفتها .. فلا تتلاعب بمشاعرها.. ويا حواء، لا تتضايقي إن نعتوكِ بناقصة= = عقل.. فهي عاطفتكِ الرائعة التي تحتاجها الدنيا كلها ... فلاتحزني أيتها الغالية : فأنتِ تكادِ تكونين المجتمع كله ، فأنتِ نصف المجتمع، الذي يبني النصف الآخر.

خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ إِذا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مّوَدّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ ﴾ (١).

فالمرأة : سكن .. ومودة.. ورحمة.. ولباس.. لزوجها، وزوجها لباس لها، قال تعالى: ﴿ هُنّ لِبَاسٌ لّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لّهُنّ ﴾ (٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجالِ** " (٣).

دل هذا الحديث علي أن النساء نظائر الرجال وأمثالهم لأنهن شققن منهم.. حيث أن المرأة خلقت من الرجل.

وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة، وليس مساواة النهار بالنهار والليل بالليل، ولكن مساواة الليل بالنهار في الأهمية، وفي عدم استغناء الحياة المثالية عنهما، كما أن اليوم الكامل لا يستغني عن النهار أو الليل.

فالرجل والمرأة يشبهان الليل والنهار اللذان يؤلفان اليوم.. ومثل: التيار الموجب والسالب اللذين يؤلفان التيار الكهربائي الذي يبعث الحياة في كثير من الجمادات(٤) ٠

---

١) سورة الروم – الآيتان ٢٠ – ٢١.

٢) سورة البقرة – الآية ١٨٧.

٣) أخرجه أحمد ٢٥٦/٦ والدرامي ٧٧١ ، ومُسْلم ١٧١/١(صـ ٦٣٥)، وأبو داود ٢٣٦ وابن ماجة ٦١٢.

٤) كتاب تساؤلات حول الإسلام وتعليقات د سعيد إسماعيل صيني – الناشر رابطة العالم الإسلامي.

ويقول د/ نعمان أبو الليل: الرجل والمرأة مثل الليل والنهار﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾(١) فلا تداخل ولا هضم حقوق، ولا تعالي نوع علي نوع بل الاثنان في تعاون وتناسق وتكامل.أ.هـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله تعالى) :وهنا يجب أن نعرف أن من الناس من يستعمل بدل العدل المساواة وهذا خطأ، لا يقال: مساواة ؛ لأن المساواة تقتضي عدم التفريق بينهما، ومن أجل هذه الدعوة الجائرة إلى التسوية صاروا يقولون: أي فرق بين الذكر والأنثى ؟ سووا بين الذكور والإناث، حتى إن الشيوعية قالت: أي فرق بين الحاكم والمحكوم؟ لا يمكن أن يكون لأحد سلطة على أحد حتى بين الوالد والولد ليس للوالد سلطة على الولد، وهلمَّ جرّاً.

لكن إذا قلنا بالعدل وهو إعطاء كل أحدٍ ما يستحقه: زال هذا المحظور، وصارت العبارة سليمة، ولهذا لم يأت في القران أبداً: " إن الله يأمر بالتسوية " لكن جاء : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾(٢)، ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ﴾(٣)، وكذب على الإسلام مَن قال : إن دين الإسلام دين المساواة ، بل دين الإسلام دين العدل وهو الجمع بين المتساوين والتفريق بين المفترقين .

أما أنه دين مساواة فهذه لا يقولها مَن يعرف دين الإسلام ، بل الذي يدلك على بطلان هذه القاعدة أن أكثر ما جاء في القرآن هو نفي المساواة: ﴿ قُلْ هَلْ

---

١) سورة الليل الآيتان ١، ٢.
٢) سورة النحل _ الآية٩٠.
٣) سورة النساء _ الآية ٥٨.

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (٢) ، ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٣)، ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٤)، ولم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً إنما يأمر بالعدل، وكلمة العدل أيضا تجدونها مقبولة لدى النفوس فأنا أشعر أن لي فضلاً على هذا الرجل بالعلم، أو بالمال، أو بالورع، أو ببذل المعروف، ثم لا أرضى بأن يكون مساوياً لي أبداً.

كل إنسان يعرف أن فيه غضاضة إذا قلنا بمساواة ذكر بأنثى (٥).

ويقول العلامة الشنقيطي: في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦) ذَكَرَ – جَلَّ وَعَلَا – فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ

---

١) سورة الزمر _ الآية ٩.
٢) سورة الرعد _ الآية ١٦.
٣) سورة الحديد _ الآية ١٠.
٤) سورة النساء _ الآية ٩٥.
٥) شرح العقيدة الواسطية ١ / ١٨٠.
٦) سورة الحجرات – الآية ١٣.

مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا كَيْفِيَّةَ خَلْقِهِ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى الْمَذْكُورَيْنِ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ خَلَقَ ذَلِكَ الذَّكَرَ الَّذِي هُوَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، وَقَدْ بَيَّنَ الْأَطْوَارَ الَّتِي مَرَّ بِهَا ذَلِكَ التُّرَابُ ، كَصَيْرُورَتِهِ طِينًا لَازِبًا وَحَمَأً مَسْنُونًا وَصَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ .

وَبَيَّنَ أَنَّهُ خَلَقَ تِلْكَ الْأُنْثَى الَّتِي هِيَ حَوَّاءُ مِنْ ذَلِكَ الذَّكَرِ الَّذِي هُوَ آدَمُ فَقَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ:﴿ يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمآ تَغَشّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرّتْ بِهِ فَلَمّآ أَثْقَلَتْ دّعَوَا اللّهَ رَبّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لّنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴾ (٢)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لآ إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّىَ تُصْرَفُونَ ﴾ (٣).

طبقات خلق الإنسان:

الْأَوَّلُ: خَلَقَهُ لَا مِنْ أُنْثَى وَلَا مِنْ ذَكَرٍ وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَالثَّانِي: خَلَقَهُ مِنْ ذَكَرٍ بِدُونِ أُنْثَى وَهُوَ حَوَّاءُ .

---

١) سورة النساء – الآية ١.

٢) سورة الأعراف – الآية ١٨٩.

٣) سورة الزمر – الآية ٦.

وَالثَّالِثُ: خَلَقَهُ مِنْ أُنْثَى بِدُونِ ذَكَرٍ وَهُوَ عِيسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

الرَّابِعُ: خَلَقَهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَهُوَ سَائِرُ الْآدَمِيِّينَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ جَلَّ وَعَلَا .

وقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ الْأُولَى كَانَ وُجُودُهَا الْأَوَّلُ مُسْتَنِدًا إِلَى وُجُودِ الرَّجُلِ وَفَرْعًا عَنْهُ .

وَهَذَا أَمْرٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ مِنَ اللَّهِ، أَنْشَأَ الْمَرْأَةَ فِي إِيجَادِهَا الْأَوَّلِ عَلَيْهِ .

وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ مِنَ اللَّهِ لِيُعْمَلَ بِهِ فِي أَرْضِهِ بِمُرَاعَاةِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ فِي حَيَاةِ الْمَرْأَةِ فِي جَمِيعِ النَّوَاحِي .

فَجَعَلَ الرَّجُلَ قَائِمًا عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُسْتَنِدَةً إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ شُئُونِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً** ﴾ [1] فَمُحَاوَلَةُ اسْتِوَاءِ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْحَيَاةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ ؛ لِأَنَّ الْفَوَارِقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ كَوْنًا وَقَدَرًا أَوَّلًا ، وَشَرْعًا مُنَزَّلًا ثَانِيًا – تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ مَنْعًا بَاتًّا .

وَلِقُوَّةِ الْفَوَارِقِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَ مِنَ النَّوْعَيْنِ بِالْآخَرِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ سَبَبَ هَذَا اللَّعْنِ هُوَ مُحَاوَلَةُ مَنْ أَرَادَ التَّشَبُّهَ مِنْهُمْ بِالْآخَرِ، لِتَحْطِيمِ هَذِهِ الْفَوَارِقِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَطَّمَ .

---

١) سورة النساء – الآية ٣٤.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ** ".

وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ بِسَنَدِهِ فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَيَّنَّا هُنَاكَ أَنَّ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مَلْعُونٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَوْ كَانَتِ الْفَوَارِقُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى يُمْكِنُ تَحْطِيمُهَا وَإِزَالَتُهَا لَمْ يَسْتَوْجِبْ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ اللَّعْنَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَلِأَجْلِ تِلْكَ الْفَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ، الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ، بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَرَّقَ اللَّه ﷻ بَيْنَهُمَا فِي الطَّلَاقِ، فَجَعَلَهُ بِيَدِ الرَّجُلِ دُونَ الْمَرْأَةِ، وَفِي الْمِيرَاثِ، وَفِي نِسْبَةِ الْأَوْلَادِ إِلَيْهِ .

وَفِي تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ دُونَ الْأَزْوَاجِ : صَرَّحَ بِأَنَّ شَهَادَةَ امْرَأَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ شَهَادَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ **وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى** ﴾ (١)، فَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمَا لَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهِمَا، وَقَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ بِقِيَامِ الرَّجُلِ مَقَامَ امْرَأَتَيْنِ فِي الشَّهَادَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:﴿ **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾ (٢) .

أَيْ غَيْرُ عَادِلَةٍ لِعَدَمِ اسْتِوَاءِ النَّصِيبَيْنِ لِفَضْلِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى، وَلِذَلِكَ وَقَعَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ فِي مُشْكِلَةٍ لَمَّا وَلَدَتْ مَرْيَمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ (٣).

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٨٢.
٢) سورة النجم – الآيتان ٢١، ٢٢.
٣) سورة آل عمران – الآية ٣٦.

فَامْرَأَةُ عِمْرَانَ تَقُولُ﴿: وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾، وَهِيَ صَادِقَةٌ فِي ذَلِكَ بِلَا شَكٍّ ، وَالْكَفَرَةُ وَأَتْبَاعُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى سَوَاءٌ .

وَلَا شَكَّ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ فِي صِدْقِ هَذِهِ السَّالِبَةِ وَكَذِبِ هَذِهِ الْمُوجَبَةِ .

وَقَدْ أَوْضَحْنَا فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى﴿: إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّتِـي هِـيَ أَقْـوَمُ ﴾ (١). وَجْـهَ الْحِكْمَـةِ فِـي جَعْلِ الطَّـلَاقِ بِيَدِ الرَّجُلِ وَتَفْضِيلِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ وَتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ، وَكَوْنِ الْوَلَدِ يُنْسَبُ إِلَى الرَّجُلِ، وَذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَلِلرِّجَـالِ عَلَـيْهِنَّ دَرَجَـةٌ ﴾ (٢)، وَبَيَّنَّا أَنَّ الْفَوَارِقَ الطَّبِيعِيَّةَ بَيْنَهُمَا كَوْنُ الذُّكُورَةِ شَرَفًا وَكَمَالًا وَقُوَّةً طَبِيعِيَّةً خُلُقِيَّةً، وَكَوْنُ الْأُنُوثَةِ بِعَكْسِ ذَلِكَ .

وَبَيَّنَّا أَنَّ الْعُقَلَاءَ جَمِيعًا مُطْبِقُونَ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِذَلِكَ، وَأَنَّ مِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي بَيَّنَهَا الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ اتِّفَاقُ الْعُقَلَاءِ عَلَى أَنَّ الْأُنْثَى مِنْ حِينِ نَشْأَتِهَا تُحَلَّى بِأَنْوَاعِ الزِّينَةِ مِنْ حُلِيٍّ وَحُلَلٍ، وَذَلِكَ لِجَبْرِ النَّقْصِ الْجِبِلِّيِّ الْخَلْقِيِّ الَّذِي هُوَ الْأُنُوثَةُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْحُلِيُّ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصَّرَا

وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى أَوْضَحَ هَذَا بِقَوْلِـهِ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّـأُ فِي الْحِلْيَـةِ وَهُـوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (٣)، فَأَنْكَرَ عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَعَ ادِّعَاءِ الْوَلَدِ لَهُ تَعَالَى جَعَلُوا لَهُ أَنْقَصَ الْوَلَدَيْنِ وَأَضْعَفَهُمَا خِلْقَةً وَجِبِلَّةً وَهُوَ الْأُنْثَى .

---

١) سورة الإسراء – الآية ٩.

٢) سورة البقرة – الآية ٢٢٨.

١) سورة الزخرف – الآية ١٨.

وَلِذَلِكَ نَشَأَتْ فِي الْحِلْيَةِ مِنْ صِغَرِهَا ، لِتَغْطِيَةِ النَّقْصِ الَّذِي هُوَ الْأُنُوثَةُ وَجَبْرِهِ بِالزِّينَةِ ، فَهُيَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ .

لِأَنَّ الْأُنْثَى لِضَعْفِهَا الْخَلْقِيِّ الطَّبِيعِيِّ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُبِينَ فِي الْخِصَامِ إِبَانَةَ الْفُحُولِ الذُّكُورِ، إِذَا اهْتُضِمَتْ وَظُلِمَتْ لِضَعْفِهَا الطَّبِيعِيِّ .

وَإِنْكَارُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَعَ ادِّعَائِهِمْ لَهُ الْوَلَدَ جَعَلُوا لَهُ أَنْقَصَ الْوَلَدَيْنِ وَأَضْعَفَهُمَا – كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى﴿: أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١)، وَقَوْلِهِ: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾(٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣)، وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

وَأَمَّا الذَّكَرُ فَإِنَّهُ لَا يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ، لِأَنَّ كَمَالَ ذُكُورَتِهِ وَشَرَفَهَا وَقُوَّتَهَا الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى التَّزَيُّنِ بِالْحِلْيَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُنْثَى ، لِكَمَالِهِ بِذُكُورَتِهِ وَنَقْصِهَا بِأُنُوثَتِهَا .

وَمِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِذَا تَعَاشَرَا الْمُعَاشَرَةَ الْبَشَرِيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي لَا بَقَاءَ لِلْبَشَرِ دُونَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَتَأَثَّرُ بِذَلِكَ تَأَثُّرًا طَبَعِيًّا كَوْنِيًّا قَدَرِيًّا مَانِعًا لَهَا مِنْ مُزَاوَلَةِ الْأَعْمَالِ كَالْحَمْلِ وَالنِّفَاسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ .

---

١) سورة الصافات – الآيتان ١٥٣، ١٥٤.

٢) سورة الإسراء _ الآية ٤٠.

٣) سورة الزمر _ الآية ٤.

بِخِلَافِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَثَّرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذِهِ الْفَوَارِقِ لَا يَتَجَرَّأُ عَلَى الْقَوْلِ بِمُسَاوَاتِهِمَا فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ إِلَّا مُكَابِرٌ فِي الْمَحْسُوسِ، فَلَا يَدْعُو إِلَى الْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ. أ.هـ.

والمرأة لها دور في الحياة تقوم به، والرجل له دور يقوم به ولا يستطيع كل منهما أن يقوم بدور الآخر ٠

وعندما تم التساوي بينهما في أمور معروفة(١) انهارت أخلاق الرجل والمرأة، وكان نتاج ذلك خروج أجيال من الطرفين في غاية الانحلال والانحطاط البشري.

لأنه عندما تم التساوي في أمور التخصص، ضاعت حقوق الأسرة الرجل والمرأة والأولاد ٠

أسباب دخول الدين في حياة الرجل، هو نفس دخول الدين في حياة المرأة، والله كرم الرجل والمرأة، قال تعالي:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢)

وقد مدحت النساء، فقال الثعالبي في استقبال مولود: أهلا وسهلا بعقيلة النساء.. وأم الأبناء.. وجالبة الأصهار.. والأولاد الأطهار.

---

١) ومن المساواة التي ينادون بها ولم يقبلها أي مسلم :

أ – أن تسوى في ولاية الزواج ، بمعنى رفع ولاية الرجل عنها .

ب – أن تسوى في الطلاق، على معنى أنه يسحب الطلاق من الرجل ويوضع لدى القاضي.

ج – المساواة في الميراث.

د – إسقاط حق الرجل في التفرد.

هـ – المساواة في الشهادة .

٢) سورة الإسراء _ الآية ٧٠.

ولو كان النســـــاء كمثل هذى لفضلت النساء علي الرجـــال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكـير فخــر للهـــلال

- والله يعرفك البركة في مطلعها، والسعيدة بموقعها.
- **الدنيا مؤنثة:** والناس يخدمونها، وذكورا يعمرونها.
- **والأرض مؤنثة:** وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان.
- **والحياة مؤنثة** : ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الأنام .
- **والجنة مؤنثة:** وبها وعد المتقون، وفيها تنعم المرسلون.

- وخرج من بطون النساء (الأنبياء والمرسلون.. والصديقون.. والشهداء والصالحون.. والعباد والزهاد).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

المساواة في التكليف

وليُعلم أنَّ إيمان النساء كإيمان الرجال سواءً بسواءٍ، وخطاب الله – تعالى – في القرآن يدلُّ على المساواة بيْن الذَّكر والأنثى في أغلبِ التكاليف الشرعيَّة، وأول تكليف لآدَم وحوَّاء على حدٍّ سواء: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وأخرَج الحميديُّ في مسنده، والتِّرمذي في السُّنن، وأبو يعلَى في مسنده، وصحَّحه الألباني مِن حديث أمِّ سلمة (رضي الله عنها): قالتْ يا رسولَ الله، لا أسمع الله ذِكْر النِّساء في الهِجرة، فأنزل الله:﴿ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (٢).

لقد سوّى الشرع بين المرأة والرجل في كثير من العبادات والمعاملات: فمن ذلك أنها تتوضأ كوضوء الرجل ، وتغتسل كغسله، وتصلي كصلاته، وتصوم كصيامه إلا أن تكون في حال حيض أو نفاس، وتزكي كما أنه يزكي، وتحج كحجه – وتخالفه في يسير من الأحكام – ويجوز البيع منها ويقبل، وكذا لو تصدقت جاز منها، ويجوز لها أن تعتق من عبيدها ما ملكت يمينها.

لكن من رحمة الله بالمرأة أنه خفف عنها التكليف في بعض التشريعات مراعاة لطبيعتها الخلقية والنفسية (٣).

---

١) سورة البقرة – الآية ٣٥.

٢) سورة آل عمران – الآية ١٩٥.

٣) مثل ترك الصلاة والصوم في الحيض والنفاس مع قضاء الصوم، وعدم قضاء الصلاة لحصول المشقة، ليس عليهن جمعة ولا جماعة.=

فالخلاصة:

أن المرأة تماثل الرجل في أمور وتفارقه في أخرى وأكثر أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق على الرجال والنساء سواء ، وما جاء من التفريق بين الجنسين ينظر إليه المسلم على أنه من رحمة الله وعلمه بخلقه، وينظر إليه الكافر المكابر على أنه ظلم، ويركب رأسه ليزعم المساواة بين الجنسين فليخبرنا كيف يحمل الرجل جنيناً ويرضعه، ويركب رأسه وهو يرى ضعف المرأة وما ينزل عليها من الدم حال الدورة الشهرية، وهكذا يظل راكباً رأسه حتى يتحطم على صخرة الواقع، ويظلّ المسلم مطمئناً بالإيمان مستسلماً لأمر الله﴿ :**أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ (١)(٢).

= وجاء في كتاب (حقوق النساء في الإسلام) للمجتهد العالم الشيخ محمد رشيد رضا (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني): النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، فتشرع لهن ولكن لا تجب عليهن تخفيفاً عليهن، وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحيض منهن بحضور اجتماع العيد في المصلى دون صلاته.

وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم، ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن مدة الإحرام، وقد شرع لهن من الأمور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك.

١) سورة الملك – الآية ١٤.

٢) هل الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة _ موقع سؤال وجواب.

المساواة في الموالاة

قال تعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

المساواة في الدماء

وساوتِ الشريعةُ بين الرجل والمرأة في الدِّماء، وقرَّرتْ أن يُقتل الرجل بالمرأة؛ قال جلَّ وعلا :﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

المساواة في الحدود والعقوبات

وإقامة الحد على المرتكب عقوبة مقررة من التشريع لصالح الجماعة والأمة، لحماية النظام العام والمجتمع، لذلك يتساوى في هذا المبدأ الرجل والمرأة – إن ارتكب أحدهما شيئاً من تلك المعاصي، وقد استوجب حداً كجنايات الزنا والقذف والسرقة.

جاءت نصوص من الشارع تؤكد إقامة الحد على المرتكب، وتبين كيفية إجرائها على الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (٣).

---

١) سورة التوبة – الآية ٧٢.
٢) سورة البقرة – الآية ١٧٨.
٣) سورة المائدة – الآية ٣٨.

وقال سبحانه: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾[١].

وعَنْ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ "، قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

المساواة في جزاء الآخرة

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٣].

---

١) سورة النور – الآية ٢.

٢) صحيح البخاري « كِتَاب الْمَغَازِي « بَاب مَقَام النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ رقم ٣٩٩٢ ، صحيح مسلم « كِتَاب الْحُدُودِ « بَاب قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ _ رقم ٣٢٠٣.

٣) سورة النحل – الآية ٩٧.

وقال تعالي:﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

فساوَى ربُّ العِزَّة – سبحانه وتعالى – بيْن الرجل والمرأة في كثيرٍ منَ الآيات في القرآن العظيم في الجزاءِ الأُخروي، وإنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ المرأة كالرجُل، مكلَّفة بالتكاليف الشرعية، مأمورةٌ بالواجبات إنْ فعلتها أُثيبت، وإنْ تركتْها عُوقِبت، فإذا احتمل الرجلُ نارَ الهجير، واصطَلَى جمرة الحرْب، وتناثرتْ أوصاله تحتَ ظلال السيوف، فليس ذلك بزائدِه مثقالَ حبَّة عنِ المرأة إذا وفتْ لبَيتها، وأخلصتْ لزوْجها، وأحسنتْ القِيام على أولادها(٢).

وعنْ أمِّ سلمة زوْج النبي ﷺ أنَّها قالتْ للنبي ﷺ ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال، قالتْ: فلم يَرْعُني – أي: يفزعني ويُفاجئني – منه يومئذٍ إلاَّ ونداؤه على المِنبر، قالت: وأنا أُسرِّح شعري فلففتُ شعري، ثم خرجتُ إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلتُ سمعي عندَ الجريد – معناه: أنها رفعت رأسَها إلى جهة الجريد الذي هو سقْف المسجد إذ ذاك لقُرْب النبيِّ ﷺ منه وهو على المِنْبر؛ لكونه غيرَ مرتفع عن المنبر كثيرًا – فإذا هو يقولُ عندَ المنبر: " **يا أيُّها الناس، إنَّ الله يقول في كتابه:** ﴿ إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٣)(٤).

---

١) سورة غافر – الآية ٤٠.

٢) عودة الحجاب (٨٢/٢).

٣) سورة الأحزاب – الآية ٣٥.

٤) رواه أحمد في مسنده (٢٦٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (٢١٩/١٠ ١١٣٤١)، والحاكم مختصرًا، وصحَّحه على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي (٤١٦/٢)

ولذا حث رسول الله أخص أقاربه من النساء علي علي العمل وترك الإتكال علي النسب، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنْزلَ الله – عزَّ وجلَّ ﴿:وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١)، قال:" **يا معشرَ قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسَكم، لا أُغْني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبدِمناف، لا أُغْني عنكم مِن الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبدالمطلب، لا أُغْني عنكَ مِن الله شيئًا، ويا صَفِيَّة عمَّة رسول الله، لا أُغني عنكِ مِن الله شيئًا، ويا فاطِمة بِنت محمَّد، سَليني ما شئتِ مِن مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا** " (٢).

الأحكام

التي يتساوى فيها الرجل والمرأة

الحقوق الكسبية والهبة والوقف والوصية والحقوق القضائية من قصاص وقتل وسرقة وحدود.

وأخلاق مثل : (الصدق.. الأمانة.. العدل.. الوفاء بالعهد والوعد.....ألخ).

والفقه في الدين، ومعرفة الأحكام الشرعية، وطلب العلم الشرعي وأحوال السلوك.

والرخص الشرعية مثل قصر الصلاة للمسافر، والجمع بين الصلاتين، والإفطار أيام الرخص والسفر.

والذمة المالية، وصحة العقود المالية والتجارية.

---

١) سورة الشعراء – الآية ٢١٤.

٢) رواه البخاري (٣٨٦/٨) في تفسير سورة الشعراء: باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾، ومسلم في الإيمان باب قوله تعالى :﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾.

أحكام تخص الرجل

١) القوامة (الصداق، والنفقة).

٢) الطلاق.

٣) الجهاد.

٤) صلاة الجمعة.

أحكام تخص المرأة

١) أحكام الحيض والنفاس.

٢) الجهاد خلف الرجال.

الأحكام المتفاوتة بين الرجل والمرأة

١) الميراث.

٢) الشهادة.

* * * * *

القوامـــــــــــة

قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣)

أي ليسوا سواء في الجسم والعقل والتكوين، بل لكل منهم طبيعته التي تهيئه للقيام علي وظيفته.

والمرأة عاطفية: وهى في حاجة إلي هذه العاطفة، في تربية أولادها، وتضميد جراح زوجها إذا رجع إليها وشكي إليها عناء السعي والعمل، فيسمع منها كلمة تكون سبباً لراحته، كما كانت تفعل أمنا خديجة رضي الله عنها مع النبي صلي الله عليه وسلم.

والرجل يغلب عقله عاطفته، وذلك ليحكم الأمور في البيت، وخارج البيت.

---

١) سورة النساء – الآية ٣٤.

٢) سورة البقرة – الآية ٢٢٨.

٣) سورة آل عمران – الآية ٣٦.

وعلي المرأة أن تفهم أن القوامة للرجل.. ومن قوامة الرجل للمرأة، أن يحافظ علي عرضها، وما لها، ودينها، وقد أشار الله إلى ذلك في كتابه قال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاّ يَعْصُونَ اللّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

يقول ابن كثير (رحمه الله) في قوله تعالي:﴿ الرّجَالُ قَوّامُونَ عَلَى النّسَآءِ ﴾ (٢) أي الرجل قيم علي المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت ٠(٣).

ويقول العلامة الشنقيطي: أشار إلي أن الرجل أفضل من المرأة، وذلك لأن الذكورة شرف وكمال، والأنوثة نقص خلقي طبيعي، لأن الأنثى يجعل لها جميع الناس أروع الزينة والحلي، وذلك إنما هو لجبر النقص الخلقي الطبيعي، ولا عبرة بنوادر النساء لأن النادر لا حكم عليه (٤).

أسباب القوامـــــــة:

١) كمال العقل والتمييز: قال الإمام القرطبي: إن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير، فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك .

٢) كمال الدين: لأن المرأة تحيض وتنفس، فلا تصلي ولا تصوم في هذه الفترة بخلاف الرجل.

---

١) سورة التحريم – الآية ٦.
٢) سورة النساء – الآية ٣٤.
٣) تفسير ابن كثير ٤٩١/١.
٤) أضواء البيان للشنقيطي ١٣٦/١

٣) بذل المال: مثل الصداق والنفقة، فهذا واجب علي الرجل دون المرأة.. ولذا قال الفقهاء: إذا امتنع الزوج عن النفقة علي المرأة، فلها الفسخ عن طريق القضاء.

والخلاصة: أن القوامة للرجل، فإذا أنفقت عليه وعلي نفسها وأولادها، فإنه يكون من الإحسان كما قال الله تعالي: ﴿ **وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا * وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾(١) (٢).

فإذا نزعت القوامة من الرجل، وأصبحت القوامة للمرأة، نزعت البركة من البيت، وكثرت المشاكل، لمخالفة سنن الله عز وجل.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) سورة النساء _ الآيتان ٤، ٥.

٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ١٨٨/٢ تفسير القرطبي١٦٩/٢ أضواء البيان للشنقيطي ١٣٦/١ أحكام القرآن لابن العربي ٥٣١/١.

نمـــــاذج

من إيمان النساء بالغيب وتكذيب المشاهد

١) زوجة عبد الله بن رواحة:

عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: "كَانَ ابْنُ رَوَاحَةَ مُضْطَجِعًا إِلَى جَنْبِ امْرَأَتِهِ، فَقَامَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ فِي نَاحِيَةِ الْحُجْرَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، وَفَزِعَتِ امْرَأَتُهُ فَلَمْ تَجِدْهُ فِي مَضْجَعِهِ، فَقَامَتْ وَخَرَجَتْ فَرَأَتْهُ عَلَى جَارِيَتِهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى الْبَيْتِ فَأَخَذَتِ الشَّفْرَةَ ثُمَّ خَرَجَتْ، وَفَرَغَ فَقَامَ فَلَقِيَهَا تَحْمِلُ الشَّفْرَةَ، فَقَالَ: مَهْيَمْ ؟ فَقَالَتْ: مَهْيَمْ، لَوْ أَدْرَكْتُكَ حَيْثُ رَأَيْتُكَ لَوَجَأْتُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ بِهَذِهِ الشَّفْرَةِ، قَالَ: وَأَيْنَ رَأَيْتِنِي ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ عَلَى الْجَارِيَةِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتِنِي، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُنَا الْقُرْآنَ وَهُوَ جُنُبٌ، قَالَتْ: فَاقْرَأْ فَقَالَ :

أَتَانَا رَسُـــولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَه ... كَمَا لاحَ مَشْهُورٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ

أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِـــــعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

فَقَالَتْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ الْبَصَرَ، ثُمَّ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١).

---

١) سنن الدارقطني» كِتَابُ الطَّهَارَةِ » بَابٌ فِي النَّهْيِ لِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ عَنْ قِرَاءَةِ ....(٣٧٩)، .

وفي رواية:عَنِ الْهَيْثَمِ ، وَهُوَ ابْنُ عَدِيٍّ، قَالَ: ذَكَرُوا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ ابْتَاعَ جَارِيَةً ، وَكَتَمَ ذَلِكَ امْرَأَتَهُ، وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهَا: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ ابْتَعْتَ جَارِيَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتُ، فَقَالَتْ : بَلَى، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ كُنْتَ عِنْدَهَا الْيَوْمَ، وَلَا أَحْسِبُكَ إِلَّا جُنُبًا، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاقْرَأْ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلَائِكَةُ الإِلَهُ مُقَرَّبِينَا

فَقَالَتْ لَهُ: أَمَا إِذْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ عَلَيْكَ . قَالَ : فَافْتَقَدَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَلَمْ تَجِدْهُ عَلَى فِرَاشِهَا فَحَبَسَتْ نَفْسَهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَطْلُبُهُ حَتَّى قَدَرَتْ عَلَيْهِ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ ، فَقَالَتْ: الْآنْ صَدَقْتَ فِيمَا بَلَغَنِي فَجَحَدَهَا ، فَقَالَتِ: اقْرَأِ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ جُنُبًا لَمْ تَقْرَأْ ، فَقَالَ: وفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا لَهُ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ وَاَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّنِي إِلَي اللَّهِ مَحْشُورٌ هُنَاكَ وَرَاجِعُ فَحَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ ، فَاسْتَضْحَكَ حَتَّى رَدَّ يَدَهُ عَلَى فِيهِ ، وَقَالَ : " هَذَا لَعَمْرِي مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَابْنَ رَوَاحَةَ ، إِنَّ خِيَارَكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِكُمْ ، فَأَخْبِرْنِي مَا الَّذِي

رَدَّتْ عَلَيْكَ حَيْثُ قُلْتَ مَا قُلْتَ ؟ " ، قَالَ : قَالَتْ لِي : اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَمَا إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَإِنِّي أَتَّهِمُ ظَنِّي وَأُصَدِّقُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " لَقَدْ وَجَدْتُهَا ذَاتَ فِقْهٍ فِي الدِّينِ "(١).

هكذا الإيمان يجعل عندهن التسليم وإن كان خلاف المشاهدة، لأن المشاهد أنها رأته فوق الجارية، فلما قرأ الأبيات وظنت أنها قرآن فصدقته وكذبت بصرها.

٢) **زوجة جابر بن عبد الله : سُهَيْلَة بِنْت مَسْعُود الْأَنْصَارِيَّة – رضي الله عنها: ولها قصة رائعة في إكرام النبي ﷺ يوم الخندق وقوة يقينها بالله ﷻ** ، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما – قَالَ لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ النَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا ، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شيء فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا . فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فراغي، وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لاَ تفضحني رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ . فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ، وَنَفَرٌ مَعَكَ . فَصَاحَ النبي ﷺ فَقَالَ « يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ ، إِنَّ جَابِراً قَدْ صَنَعَ سُورًا فحي هَلاً بِكُمْ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر» حرف العين » ذكر من اسمه عَبْد اللَّهِ _ رقم الحديث: ٢٨٢١٩ ، ٢٨٢٢٠ ، ٢٨٢٢٢ .

عَجِينَكُمْ حَتَّى أجيء » . فَجِئْتُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ . فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا، فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ « ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِك، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلاَ تُنْزِلُوهَا»، وَهُمْ أَلْفٌ ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ، وَانْحَرَفُوا ، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُو(١).

وفي رواية للبخاري أنَ قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ « أَنَا نَازِلٌ » . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ . فَقُلْتُ لامرأتي: رَأَيْتُ بالنبي ﷺ شَيْئًا ، مَا كَانَ في ذَلِكَ صَبْرٌ ، فَعِنْدَكِ شيء قَالَتْ: عندي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ . فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ في الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النبي ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ، قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لي ، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ، أَوْ رَجُلاَنِ . قَالَ « كَمْ هُوَ؟ » . فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ « كَثِيرٌ طَيِّبٌ » . قَالَ «

---

١) صحيح البخاري، برقم: (٤١٠٢)، وصحيح مسلم، برقم: (٥٤٣٦).

قُلْ لَهَا لاَ تَنْزِعُ الْبُرْمَةَ، وَلاَ الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي» . فَقَالَ « قُومُوا » . فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَنْ مَعَهُمْ . قَالَتْ هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ نَعَمْ . فَقَالَ « ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا » . فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ، وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: « كُلِي هَذَا وَأَهْدِي ، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ » [١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَا ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه ، قَالَ : عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ، غَيْرُ جِدٍّ سَمِينَةٌ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِﷺ الِانْصِرَافَ عَنْ الْخَنْدَقِ – قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا ، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ . قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ: أَنْ انْصَرِفُوا مَعَ

١) صحيح البخاري، برقم: (٤١٠١)..

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ . قَالَ: فَبَرَّكَ وَسَمَّى (اللَّهَ)، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا. [١] .

ورواه البيهقي في (الدلائل) :.....لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام، قال للمسلمين جميعاً: " قوموا إلى جابر " فقاموا، قال: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، وقلت: جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق، ودخلت على امرأتي أقول: افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا. قال: فكشفت عني غماً شديداً. قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال: ((خدمي ودعيني من اللحم)) وجعل رسول الله ﷺ يثرد، ويغرف اللحم، ويخمر هذا، ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا. ثم قال رسول الله ﷺ: ((كلي وأهدي)) فلم تزل تأكل وتهدي يومها.

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة، أو قال ثلثمائة.

---

١) السيرة النبوية لابن هشام _ غزوة الخندق _ البركة في طعام جابر.

وفي قولها لزوجها: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا. قال: فكشفت عني غماً شديداً. دلالة علي قوة إيمانها بالغيب وتكذيب المشاهدات.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: " أَتَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَغَيِّرًا، وَمَا أَحْسِبُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغَيَّرَ إِلا مِنْ جُوعٍ، فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَقُلْتُ لِلْمَرْأَةِ: وَيْحَكِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلِيَّ السَّلامَ وَوَجْهُهُ مُتَغَيِّرٌ، وَمَا أَحْسِبُ وَجْهَهُ تَغَيَّرَ إِلا مِنَ الْجُوعِ ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلا هَذَا الدَّاجِنُ وَفَضْلَةٌ مِنْ زَادٍ نُعَلِّلُ بِهَا الصِّبْيَانَ ، فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكِ أَنْ نَذْبَحَ الدَّاجِنَ وَتَصْنَعِينَ مَا كَانَ عِنْدَكِ ، ثُمَّ نَحْمِلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: أَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَذَبَحَتِ الدَّاجِنَ، وَصَنَعَتْ مَا كَانَ عِنْدَهَا، وَطَحَنَتْ وَخَبَزَتْ، وَطَبَخَتْ، ثُمَّ ثَرَدْنَا فِي جَفْنَةٍ لَنَا، فَوَضَعَتِ الدَّاجِنَ، ثُمَّ حَمَلْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْتُكَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْكَ، فَرَأَيْتُ وَجْهَكَ مُتَغَيِّرًا، فَظَنَنْتُ أَنَّ وَجْهَكَ لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلا مِنَ الْجُوعِ ، فَذَبَحْتُ دَاجِنًا كَانَتْ لَنَا ثُمَّ حَمَلْتُهَا إِلَيْكَ ، قَالَ: يَا جَابِرُ، اذْهَبْ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ، فَلَمْ أَزَلْ أَجْمَعُهُمْ فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلْتُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ الأَنْصَارُ قَدْ أُجْمِعَتْ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُمْ عَلَيَّ أَرْسَالا، فَأَدْخَلْتُهُمْ عَلَيْهِ أَرْسَالا ، فَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، فَإِذَا شَبِعَ قَوْمٌ خَرَجُوا وَدَخَلَ

آخَرُونَ ، حَتَّى أَكَلُوا جَمِيعًا ، وَفَضَلَ فِي الْجَفْنَةِ شَبِيهُ مَا كَانَ فِيهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ : كُلُوا وَلا تَكْسِرُوا عَظْمًا ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ الْعِظَامَ فِي وَسَطِ الْجَفْنَةِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلامٍ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلا أَنِّي أَرَى شَفَتَيْهِ تَتَحَرَّكَانِ ، فَإِذَا الشَّاةُ قَدْ قَامَتْ تَنْفُضُ أُذُنَيْهَا ، فَقَالَ لِي : خُذْ شَاتَكَ يَا جَابِرُ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَأَخَذْتُهَا وَمَضَيْتُ ، وَإِنَّهَا لَتُنَازِعُنِي أُذُنَهَا ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهَا الْبَيْتَ ، فَقَالَتْ لِيَ الْمَرْأَةُ : مَا هَذِهِ يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ شَاتُنَا الَّتِي ذَبَحْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، دَعَا اللَّهَ فَأَحْيَاهَا ، قَالَتْ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ[١].

وفي قولها: (أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ) دلالة علي قوة إيمانها وتصديقها بالغيب.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) دلائل النبوة لأبي نعيم _ دَلائِلُ النُّبُوَّةِ لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي._ وَالْفَصْلُ الثلاثون: فِي ذِكْرِ مُوَازَاةِ الأنْبِيَاءِ... ، البداية والنهاية – ابن كثير ٦ /١٢٠ ، سبل الهدى والرشاد – الصالحي الشامي – ١٠/ ١٤.

يقين المرأة المسلمة

١) هاجر المصرية[١]:

زوجة الخليل إبراهيم .. وأم إسماعيل عليهما السلام .. وجدة خاتم النبيين ﷺ :

جاء في البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ : دَخَلَ

---

١) هاجر: قيل: هي كلمة عبرية ، ها- جر ها (بالهيروغليفيى معناها زهرة اللوتس وكلمة (جر) معناها أرض جب بالمعنى التوراتى (مصر) أي اسمها زهرة اللوتس وكنايتها المصرية .

وقيل: أنها من مدينة منف – مدينة مصرية قديمة.

وقيل: أنها من قرية الفرما – وهى بورسعيد حالياً.

وقيل: أنها نوبية فهنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين قي شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل نوبية، ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات منها: أولا: اسم هاجر يقابله نفس النطق قي النوبية كلمة هاقجر التي تعنى الجالس أو المتروك قي إشارة ربما لعملية تركها وحيدة في مكة والمعنى المباشر للكلمة هو: سوف اجلس.

ثانيا: من الثابت أيضا قي القصة أن السيدة هاجر كانت تلبس ثوبا طويلا فضفاضا ليخفى آثار أقدامها من السيدة سارة، وهذا الوصف ينطبق على الجرجار اللباس النسائى النوبى المعروف والمستخدم حتى اليوم.

ثالثا: كلمة زم زم، يعتقد بأنها أيضا كلمة نوبية نطقت بها السيدة هاجر عندما انفجر الماء ويقابلها قي اللغة النوبية : سم، والتي تعنى بالعربية فعل الأمر جف، فقد كررتها مرارا وهى تدعو الماء للتوقف : سم سم، وتحور النطق لتصبح زمزم.

رابعا: كان ابنها إسماعيل عليه السلام راميا بارعا للسهام، وهذا أحد أهم مميزات النوبيين القدماء الذين عرفوا تاريخيا باسم رماة الحدق. في حروبهم مع الأشوريين والفرس والرومان وحتى مع العرب لاحقا قي ٤١ هجرية.

وقيل: أن هاجر كانت جارية، وذكر ابن كثير أنها كانت أميرة من العماليق وقيل الكنعانيون الذين حكموا مصر قبل الفراعنة، وأنها بنت زعيمهم الذي قتله الفراعنه، ومن ثم تبناها فرعون.

إِبْرَاهِيمُ اللَّيْلَةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ ؟، قَالَ: هَذِهِ أُخْتِي ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ:لا تُكَذِّبِينِي، فَإِنِّي قَدْ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، فَوَاللَّهِ! إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ أَرْسِلْ بِهَا، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْه، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، تَقُولُ :اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلا عَلَى زَوْجِي، فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، قَالَ:فَغَطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلَيْهِ "، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: إِنَّهَا قَالَتِ: إِنَّهُ إِنْ يَمُتْ يُقَلْ : هِيَ قَتَلَتْهُ ، فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَامَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلا عَلَى زَوْجِي ، فَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، قَالَ: فَغَطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلَيْهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّهَا قَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَلْ : هِيَ قَتَلَتْهُ ، قَالَ فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ أَوِ الثَّالِثَةِ ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا هَاجَرَ، قَالَ: فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ رَدَّ كَيْدَ الْكَافِرِ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً ؟[1]. فأهدى إليها الأميرة القبطية المصرية التي اسمها هاجر إكراماً لها وليس خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم.

---

١) صحيح البخاري: باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان كاتب وكان حرا فظلموه وباعوه وسبي عمار وصهيب وبلال وقال الله تعالى { والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحد ون _ رقم الحديث: ٢١٠٤.

فآثرت سارة أن يتزوجها إبراهيم، لأنها كانت تعلم أن إبراهيم كان يريد أن يكون له ذرية، فتزوجها.

وهكذا حقق الله دعوة إبراهيم (عليه السلام) وحملت هاجر { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }[1]، هو إسماعيل عليه السلام.

وولدت هاجر إسماعيل (عليه السلام) وإبراهيم (عليه السلام) في السادسة والثمانين من العمر، وساره قد بلغت سن اليأس من الإنجاب، فتعاظمت غيرة سارة، وبات إبراهيم عليه السلام في حيرة من أمره، كيف يستطيع التوفيق بينهما وهو في هذا العمر شيخ كبير.

وبدأ إبراهيم (عليه السلام) يناجي ربه، ويطلب أن يعينه ويساعده، فبشره الله (سبحانه وتعالى) بولد آخر تنجبه ساره: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيب * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [2].

بعد خمس سنوات من ولادة إسماعيل (عليه السلام) أنجبت سارة إسحاق (عليه السلام) وهكذا صار لإبراهيم ولدان: إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة. ولحكمة أرادها الله، وتحاشياً لما قد يقع بين الزوجتين وولديهما من الخلاف والمشاحنات أمر الله سبحانه خليله إبراهيم أن يخرج بإسماعيل وأمه هاجر، ويبتعد بهما عن ساره، التي اغتمت كثيراً وثقل عليها أمر هاجر وولدها إسماعيل، بعد أن صار لها ولداً.

---

١) سورة الصافات الآية ١٠١.

٢) سورة هود – الآيات من ٧١ : ٧٣.

.

أذعن إبراهيم (عليه السلام) لأمر ربه، فخرج بهاجر وابنها إسماعيل، وهو لا يدري إلى أين يأخذهما، فكان كل ما مرّ بمكانٍ أعجبه فيه شجر ونخل وزرع قال: إلى ههنا يا ربّ؟ فيجيبه جبرائيل (عليه السلام) : امض يا إبراهيم.

وظلَّ هو وهاجر سائرين، ومعهما ولدهما إسماعيل حتى وصلوا إلى مكة، حيث لا زرع هناك ولا ماء الا حرِّ الشمس.

أراد إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وولدها إسماعيل، في ذلك المكان القاحل المقفر، حيث لا دار ولا طعام فيه ولا شراب، إلاّ كيس من التمر وقربة صغيرة فيها قليل من الماء.

فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(رضي الله عنهما) أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ.

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْالْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا

فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَإِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍفَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ

فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيل ُيَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ وَتُعِينُنِي قَالَ وَأُعِينُكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[1].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى لَمَّا

---

١) صحيح البخاري _ كتاب أحاديث الأنبياء _ باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا _ رقم ٣١٨٤ .

بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا، قَالَ: إِلَى اللَّهِ ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى لَمَّا فَنِيَ الْمَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا فَلَمَّا بَلَغَتِ الْوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتْ الْمَرْوَةَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ تَعْنِي الصَّبِيَّ فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا ، فَقَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ: بِعَقِبِهِ هَكَذَا وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ: فَانْبَثَقَ الْمَاءُ فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تَحْفِرُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (ﷺ): " : لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا، قَالَ : فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ ، وَقَالُوا : مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَأَتَوْا إِلَيْهَا ، فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ: لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي ، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ ؟، فَقَالَتْ: امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ، قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ ؟ ،

فَقَالَتْ: امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ ؟ ، قَالَتْ: وَشَرَابُنَا الْمَاءُ : طَعَامُنَا اللَّحْمُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (ﷺ): بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ (ﷺ)، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ : لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ: فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١) ، قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَلَى نَقْلِ الْحِجَارَةِ فَقَامَ عَلَى حَجَرِ الْمَقَامِ فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " . (٢)

أتدرين أختي المسلمة:

كم سنة صحبت هاجر إبراهيم(عليه السلام) حتى تتحصل علي هذا اليقين ؟!!

وأين كانت تعيش هاجر كانت في بيئة كافرة حتى أخدمها جبار مصر لسارة عليها السلام؟.

وأنت كم صحبت والديك المسلمين؟ ، ثم انتقلت من صحبة والديك.. إلى زوجك المسلم أيضاً.. فكم جاء عندك من اليقين؟.

---

١) سورة البقرة _ الآية ١٢٧.

٢) صحيح البخاري _ كِتَاب الْحَجِّ _ أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ رقم الحديث: ٣١٣٨.

وازني بين يقينك، ويقين هاجر عليها السلام.. تصوري لو أنك مكانها.. على الحال التي كانت عليها حين تركها الخليل إبراهيم، كما وصف ابن عباس رضي الله عنهما، وتركك زوجك وذهب في سبيل الله.. فكيف تفعلين وماذا تقولين؟.

٢) يقـــين الصديقة مريم (عليها السلام) :

قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىَ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

قال ابن جريج : (في قوله): ﴿ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾ قال: نبتت في غذاء الله . (٢)

و أجمع المفسرون مثل:" مجاهد.. ابن عباس .. ابن جريج ، في قال تعالى: ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً ﴾ أنه وجد عندها فاكهة الجنة (الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد .. فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف) .

فقال زكريا عليه السلام : ﴿ أَنَّىَ لَكِ هَذَا ﴾ يعني: من أين لك هذا ؟ ومن أتى لك بهذا في غير حينه ؟ ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

فالذي يقوم على جهد الدعوة إلى الله عز وجل ويلزم بيوت الله عز وجل.. فالله عز وجل يرزقه اليقين الذي رزقه لمريم عليها السلام ، التي تربت في بيت الله (المسجد الأقصى) فهكذا الله عز وجل يربي أولياءه وأحبابه رجالا ونساء.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣٧.

٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ /١٨٥ .

٣) يقين أم موسي (عليها السلام) :

قال تعالي : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ يُوسُفَ وَهَلَكَ الْمَلِكُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ وَتَوَارَثَتِ الْفَرَاعِنَةُ مُلْكَ مِصْرَ وَنَشَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَحْتَ يَدِ الْفَرَاعِنَةِ وَهُمْ عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِهِمْ مِمَّا كَانَ يُوسُفُ، وَيَعْقُوبُ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ شَرَعُوا فِيهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ مُوسَى، وَكَانَ أَعْتَاهُمْ عَلَى اللَّهِ وَأَعْظَمَهُمْ قَوْلًا وَأَطْوَلَهُمْ عُمُرًا ، وَاسْمُهُ فِيمَا ذُكِرَ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ، وَكَانَ سَيِّئَ الْمَلَكَةِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُعَذِّبُهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ خَوَلًا وَيَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

---

١) سورة القصص _ الآيات من ٧ : ١٣ .

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهُمْ بَلَغَ مُوسَى الْأَشُدَّ وَأُعْطِيَ الرِّسَالَةَ، وَكَانَ شَأْنُ فِرْعَوْنَ قَبْلَ وِلَادَةِ مُوسَى أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ نَارًا أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى اشْتَمَلَتْ عَلَى بُيُوتِ مِصْرَ فَأَحْرَقَتِ الْقِبْطَ وَتَرَكَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَخْرَبَتْ بُيُوتَ مِصْرَ ، فَدَعَا السَّحَرَةَ ، وَالْحُزَاةَ ، وَالْكَهَنَةَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رُؤْيَاهُ ، فَقَالُوا : يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ ، يَعْنُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، الَّذِي جَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهُ ، رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ هَلَاكُ مِصْرَ ، فَأَمَرَ أَنْ لَا يُولَدَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَوْلُودٌ إِلَّا ذُبِحَ وَيُتْرَكَ الْجَوَارِي .

وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا تَقَارَبَ زَمَانُ مُوسَى أَتَى مُنَجِّمُو فِرْعَوْنَ وَحُزَاتُهُ إِلَيْهِ فَقَالُوا : اعْلَمْ أَنَّا نَجِدُ فِي عِلْمِنَا أَنَّ مَوْلُودًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُهُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ يَسْلُبُكَ مُلْكَكَ وَيَغْلِبُكَ عَلَى سُلْطَانِكَ ، وَيُبَدِّلُ دِينَكَ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وقَالَ تَعَالَى : { وَنُرِيد أَنْ نَمُنّ عَلَى الَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْض – إِلَى قَوْله – وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ }وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْم الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ – إِلَى قَوْله – يَعْرِشُونَ } وَقَالَ تَعَالَى : { كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيل } أَرَادَ فِرْعَوْن بِحَوْلِهِ وَقُوَّته أَنْ يَنْجُو مِنْ مُوسَى فَمَا نَفَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ قُدْرَة الْمَلِك الْعَظِيم الَّذِي لَا يُخَالَف أَمْره الْقَدَرِيّ وَلَا يُغْلَب بَلْ نَفَذَ حُكْمه وَجَرَى قَلَمه فِي الْقِدَم بِأَنْ يَكُون هَلَاك فِرْعَوْن عَلَى يَدَيْهِ بَلْ يَكُون هَذَا الْغُلَام الَّذِي اِحْتَرَزْت مِنْ وُجُوده وَقَتَلْت بِسَبَبِهِ أُلُوفًا مِنْ الْوِلْدَان إِنَّمَا مَنْشَؤُهُ وَمُرَبَّاهُ عَلَى فِرَاشك وَفِي دَارك وَغِذَاؤُهُ مِنْ طَعَامك وَأَنْتَ تُرَبِّيه وَتُدَلِّلُهُ وَتَتَفَدَّاهُ وَحَتْفك وَهَلَاكك وَهَلَاك جُنُودك عَلَى يَدَيْهِ لِتَعْلَم أَنَّ رَبّ السَّمَوَات

الْعُلَا هُوَ الْقَاهِر الْغَالِب الْعَظِيم الْقَوِيّ الْعَزِيز الشَّدِيد الْمِحَال الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

ذَكَرُوا أَنَّ فِرْعَوْن لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ قَتْل ذُكُور بَنِي إِسْرَائِيل خَافَتْ الْقِبْط أَنْ يَفْنَى بَنِي إِسْرَائِيل فَيَلُونَ هُمْ مَا كَانُوا يَلُونَهُ مِنْ الْأَعْمَال الشَّاقَّة فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّهُ يُوشِك إِنْ اِسْتَمَرَّ هَذَا الْحَال أَنْ يَمُوت شُيُوخهمْ وَغِلْمَانهمْ يُقَتَّلُونَ وَنِسَاؤُهُمْ لَا يُمْكِن أَنْ تَقُمْنَ بِمَا تَقُوم بِهِ رِجَالهمْ مِنْ الْأَعْمَال فَيَخْلُص إِلَيْنَا ذَلِكَ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْوِلْدَان عَامًا وَتَرْكهمْ عَامًا فَوُلِدَ هَارُون عَلَيْهِ السَّلَام فِي السَّنَة الَّتِي يَتْرُكُونَ فِيهَا الْوِلْدَان وَوُلِدَ مُوسَى فِي السَّنَة الَّتِي يُقَتِّلُونَ فِيهَا الْوِلْدَان وَكَانَ لِفِرْعَوْنَ نَاس مُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ وَقَوَابِل يَدُورُونَ عَلَى النِّسَاء فَمَنْ رَأَيْنَهَا قَدْ حَمَلَتْ أَحْصَوْا اِسْمهَا فَإِذَا كَانَ وَقْت وِلَادَتهَا لَا يَقْبَلهَا إِلَّا نِسَاء الْقِبْط فَإِنْ وَلَدَتْ الْمَرْأَة جَارِيَة تَرَكْنهَا وَذَهَبْنَ وَإِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا دَخَلَ أُولَئِكَ الذَّبَّاحُونَ بِأَيْدِيهِمْ الشِّفَار الْمُرْهَفَة فَقَتَلُوهُ وَمَضَوْا قَبَّحَهُمْ اللَّه تَعَالَى . فَلَمَّا حَمَلَتْ أُمّ مُوسَى بِهِ عَلَيْهِ السَّلَام لَمْ يَظْهَر عَلَيْهَا مَخَايِل الْحَمْل كَغَيْرِهَا وَلَمْ تَفْطِن لَهَا الدَّايَات وَلَكِنْ لَمَّا وَضَعَتْهُ ذَكَرًا ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعًا وَخَافَتْ عَلَيْهِ خَوْفًا شَدِيدًا وَأَحَبَّتْهُ حُبًّا زَائِدًا وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام لَا يَرَاهُ أَحَد إِلَّا أَحَبَّهُ فَالسَّعِيد مَنْ أَحَبَّهُ طَبْعًا وَشَرْعًا قَالَ اللَّه تَعَالَى : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْك مَحَبَّةً مِنِّي } فَلَمَّا ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعًا أُلْهِمَتْ فِي سِرّهَا وَأُلْقِيَ فِي خَلَدِهَا وَأُنْفِثَ فِي رُوعهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْت عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْك وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ } وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ دَارهَا عَلَى حَافَّة النِّيل فَاتَّخَذَتْ تَابُوتًا وَمَهَّدَتْ فِيهِ مَهْدًا وَجَعَلَتْ تُرْضِع وَلَدهَا فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا أَحَد مِمَّنْ تَخَافهُ ذَهَبَتْ فَوَضَعَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوت وَسَيَّرَتْهُ فِي الْبَحْر وَرَبَطَتْهُ بِحَبْلٍ

عِنْدهَا فَلَمَّا كَانَ ذَات يَوْم دَخَلَ عَلَيْهَا مَنْ تَخَافهُ فَذَهَبَتْ فَوَضَعَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوت وَأَرْسَلَتْهُ فِي الْبَحْر وَذَهِلَتْ أَنْ تَرْبِطهُ فَذَهَبَ مَعَ الْمَاء وَاحْتَمَلَهُ حَتَّى مُرَّ بِهِ عَلَى دَار فِرْعَوْن فَالْتَقَطَهُ الْجَوَارِي فَاحْتَمَلْنَهُ فَذَهَبْنَ بِهِ إِلَى اِمْرَأَة فِرْعَوْن وَلَا يَدْرِينَ مَا فِيهِ وَخَشِينَ أَنْ يُفْتَتَنَّ عَلَيْهَا فِي فَتْحه دُونهَا فَلَمَّا كَشَفَتْ عَنْهُ إِذَا هُوَ غُلَام مِنْ أَحْسَن الْخَلْق وَأَجْمَله وَأَحْلَاهُ وَأَبْهَاهُ فَأَوْقَعَ اللَّه مَحَبَّته فِي قَلْبهَا حِين نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَذَلِكَ لِسَعَادَتِهَا وَمَا أَرَادَ اللَّه مِنْ كَرَامَتهَا وَشَقَاوَة بَعْلهَا .

وَلِهَذَا قَالَ : { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْن لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا }.

قَالَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق وَغَيْره اللَّام هُنَا لَام الْعَاقِبَة لَا لَام التَّعْلِيل لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِالْتِقَاطِهِ ذَلِكَ وَلَا شَكّ أَنَّ ظَاهِر اللَّفْظ يَقْتَضِي مَا قَالُوهُ وَلَكِنْ إِذَا نُظِرَ إِلَى مَعْنَى السِّيَاق فَإِنَّهُ تَبْقَى اللَّام لِلتَّعْلِيلِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى قَيَّضَهُمْ لِالْتِقَاطِهِ لِيَجْعَلهُ عَدُوًّا لَهُ وَحَزَنًا فَيَكُون أَبْلَغ فِي إِبْطَال حَذَرهمْ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ فِرْعَوْن وَهَامَان وَجُنُودهمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ كِتَابًا إِلَى قَوْم مِنْ الْقَدَرِيَّة فِي تَكْذِيبهمْ بِكِتَابِ اللَّه وَبِأَقْدَارِهِ النَّافِذَة فِي عِلْمه السَّابِق وَمُوسَى فِي عِلْم اللَّه السَّابِق لِفِرْعَوْنَ عَدُوّ وَحَزَن قَالَ اللَّه تَعَالَى : { وَنُرِي فِرْعَوْن وَهَامَان وَجُنُودهمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ لَوْ شَاءَ فِرْعَوْن أَنْ يَكُون لِمُوسَى وَلِيًّا وَنَاصِرًا وَاَللَّه تَعَالَى يَقُول : { لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } .

قَوْله تَعَالَى : { وَقَالَتْ اِمْرَأَة فِرْعَوْن قُرَّة عَيْن لِي وَلَك } يَعْنِي أَنَّ فِرْعَوْن لَمَّا رَآهُ هَمَّ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُون مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل فَشَرَعَتْ اِمْرَأَته آسِيَة بِنْت مُزَاحِم تُخَاصِم عَنْهُ وَتَذُبّ دُونه وَتُحَبِّبهُ إِلَى فِرْعَوْن فَقَالَتْ : " قُرَّة عَيْن لِي وَلَك " فَقَالَ فِرْعَوْن أَمَّا لَك فَنَعَمْ وَأَمَّا لِي فَلَا فَكَانَ كَذَلِكَ وَهَدَاهَا اللَّه بِسَبَبِهِ

وَأَهْلَكَهُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث الْفُتُون فِي سُورَة طه هَذِهِ الْقِصَّة بِطُولِهَا فِي رِوَايَة اِبْن عَبَّاس مَرْفُوعًا عِنْد النَّسَائِيّ وَغَيْره . وَقَوْله : { عَسَى أَنْ يَنْفَعنَا } وَقَدْ حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ وَهَدَاهَا اللَّه بِهِ وَأَسْكَنَهَا الْجَنَّة بِسَبَبِهِ . وَقَوْله : { أَوْ نَتَّخِذهُ وَلَدًا }أَيْ أَرَادَتْ أَنْ تَتَّخِذهُ وَلَدًا وَتَتَبَنَّاهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَد مِنْهُ وَقَوْله تَعَالَى : { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } أَيْ لَا يَدْرُونَ مَا أَرَادَ اللَّه مِنْهُ بِالْتِقَاطِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ الْحِكْمَة الْعَظِيمَة الْبَالِغَة وَالْحُجَّة الْقَاطِعَة .

{ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فُؤَاد أُمّ مُوسَى حِين ذَهَبَ وَلَدهَا فِي الْبَحْر أَنَّهُ أَصْبَحَ فَارِغًا أَيْ مِنْ كُلّ شَيْء مِنْ أُمُور الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ مُوسَى قَالَهُ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبُو عُبَيْدَة وَالضَّحَّاك وَالْحَسَن الْبَصْرِيّ وَقَتَادَة وَغَيْرهمْ " إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ " أَيْ إِنْ كَادَتْ مِنْ شِدَّة وَجْدهَا وَحُزْنهَا وَأَسَفهَا لَتُظْهِر أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَد وَتُخْبِر بِحَالِهَا لَوْلَا أَنَّ اللَّه ثَبَّتَهَا وَصَبَّرَهَا قَالَ اللَّه تَعَالَى : { لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ }

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }أَيْ اِتَّبِعِي أَثَره وَخُذِي خَبَره وَتَطَلَّبِي شَأْنه مِنْ نَوَاحِي الْبَلَد فَخَرَجَتْ لِذَلِكَ .

وقوله:{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُب } قَالَ اِبْن عَبَّاس عَنْ جَانِب .

وَقَالَ مُجَاهِد :بَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُب عَنْ بُعْد .

وَقَالَ قَتَادَة: جَعَلَتْ تَنْظُر إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لَا تُرِيدهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اِسْتَقَرَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام بِدَارِ فِرْعَوْن وَأَحَبَّتْهُ اِمْرَأَة الْمَلِك وَاسْتَطْلَقَتْهُ مِنْهُ عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَرَاضِع الَّتِي فِي دَارهمْ فَلَمْ يَقْبَل مِنْهَا ثَدْيًا وَأَبَى أَنْ يَقْبَل شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى

السُّوق لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ اِمْرَأَة تَصْلُح لِرِضَاعَتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ بِأَيْدِيهِمْ عَرَفَتْهُ وَلَمْ تُظْهِر ذَلِكَ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهَا .

قَالَ اللَّه تَعَالَى : " وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِع مِنْ قَبْل " أَيْ تَحْرِيمًا قَدَرِيًّا وَذَلِكَ لِكَرَامَتِهِ عِنْد اللَّه وَصِيَانَته لَهُ أَنْ يَرْتَضِع غَيْر ثَدْي أُمّه وَلِأَنَّ اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى رُجُوعه إِلَى أُمّه لِتُرْضِعهُ وَهِيَ آمِنَة بَعْدَمَا كَانَتْ خَائِفَة فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَائِرِينَ فِيمَنْ يُرْضِعهُ " قَالَتْ هَلْ أَدُلّكُمْ عَلَى أَهْل بَيْت يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ " قَالَ اِبْن عَبَّاس فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ أَخَذُوهَا وَشَكُّوا فِي أَمْرهَا وَقَالُوا لَهَا وَمَا يُدْرِيك بِنُصْحِهِمْ لَهُ وَشَفَقَتهمْ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَتْ لَهُمْ نُصْحهمْ لَهُ وَشَفَقَتهمْ عَلَيْهِ رَغْبَتهمْ فِي سُرُور الْمَلِك وَرَجَاء مَنْفَعَته فَأَرْسَلُوهَا فَلَمَّا قَالَتْ لَهُمْ ذَلِكَ وَخَلَصَتْ مِنْ أَذَاهُمْ ذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلهمْ فَدَخَلُوا بِهِ عَلَى أُمّه فَأَعْطَتْهُ ثَدْيهَا فَالْتَقَمَهُ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَذَهَبَ الْبَشِير إِلَى اِمْرَأَة الْمَلِك فَاسْتَدْعَتْ أُمّ مُوسَى وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهَا وَأَعْطَتْهَا عَطَاء جَزِيلًا وَهِيَ لَا تَعْرِف أَنَّهَا أُمّه فِي الْحَقِيقَة وَلَكِنْ لِكَوْنِهِ وَافَقَ ثَدْيهَا ثُمَّ سَأَلَتْهَا آسِيَة أَنْ تُقِيم عِنْدهَا فَتُرْضِعهُ فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ إِنَّ لِي بَعْلًا وَأَوْلَادًا وَلَا أَقْدِر عَلَى الْمُقَام عِنْدك وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْت أَنْ أُرْضِعهُ فِي بَيْتِي فَعَلْت فَأَجَابَتْهَا اِمْرَأَة فِرْعَوْن إِلَى ذَلِكَ وَأَجْرَتْ عَلَيْهَا النَّفَقَة وَالصِّلَات وَالْكَسَاوِي وَالْإِحْسَان الْجَزِيل فَرَجَعَتْ أُمّ مُوسَى بِوَلَدِهَا رَاضِيَة مَرْضِيَّة قَدْ أَبْدَلَهَا اللَّه بَعْد خَوْفهَا أَمْنًا فِي عِزّ وَجَاه وَرِزْق دَارّ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيث " مَثَل الَّذِي يَعْمَل وَيَحْتَسِب فِي صَنْعَته الْخَيْر كَمَثَلِ أُمّ مُوسَى تُرْضِع وَلَدهَا وَتَأْخُذ أَجْرهَا " وَلَمْ يَكُنْ بَيْن الشِّدَّة وَالْفَرَج إِلَّا الْقَلِيل يَوْم وَلَيْلَة أَوْ نَحْوه وَاَللَّه أَعْلَم فَسُبْحَان مَنْ بِيَدِهِ الْأَمْر مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ الَّذِي يَجْعَل لِمَنْ اِتَّقَاهُ بَعْد كُلّ هَمّ فَرَجًا وَبَعْد كُلّ ضِيق مَخْرَجًا.

قَالَ تَعَالَى : { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ }أَيْ بِهِ " وَلَا تَحْزَن " أَيْ عَلَيْهِ " وَلِتَعْلَم أَنَّ وَعْد اللَّه حَقّ " أَيْ فِيمَا وَعَدَهَا مِنْ رَدّه إِلَيْهَا وَجَعْله مِنْ الْمُرْسَلِينَ فَحِينَئِذٍ تَحَقَّقَتْ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا أَنَّهُ كَائِن مِنْهُ رَسُول مِنْ الْمُرْسَلِينَ فَعَامَلَتْهُ فِي تَرْبِيَته مَا يَنْبَغِي لَهُ طَبْعًا وَشَرْعًا . وَقَوْله تَعَالَى : " وَلَكِنَّ أَكْثَرهمْ لَا يَعْلَمُونَ " أَيْ حَكَمَ اللَّه فِي أَفْعَاله وَعَوَاقِبهَا الْمَحْمُودَة الَّتِي هُوَ الْمَحْمُود عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَرُبَّمَا يَقَع الْأَمْر كَرِيهًا إِلَى النُّفُوس وَعَاقِبَته مَحْمُودَة فِي نَفْس الْأَمْر كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْر لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرّ لَكُمْ" وَقَالَ تَعَالَى : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَل اللَّه فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "(١)

هذه القصة من أعظم القصص في اليقين علي الله جل جلاله، حيث أن الوحي الذي أوحاه الله عز وجل لأم موسى كان وحي إلهام، ومع ذلك امتثلت ما أمرها به ربها مع شدة حبها لابنها.

قيل: خير ما صعد من الأرض الإخلاص وخير مانزل من السماء اليقين.

اللَّهُمَّ .. إني أسألك العفو والعافية واليقين في الأولي والآخرة .

اللَّهُمَّ .. ارزقنا من اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا.

اللَّهُمَّ .. اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية ووضحت لهم طريق النجاة ، وسلكوا سبيل الإخلاص واليقين .

---

١) تفسير ابن كثير _ تفسير سورة القصص.

٤) يقين: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها):

عندما رجع الحبيب محمد ﷺ من الغار وقص عليها مجيء جبريل عليه السلام كما في صحيح البخاري، عن عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حَتَّى بَلَغَ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ.(١)

انظري أختي المسلمة: إلي هذه الكلمات الطيبة التي تثلج الصدور، التي قالتها أمنا خديجة لزوجها الحبيب محمد لتواسيه: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فو الله ! إنها لكلمات تستحق أن تكتب بماء الذهب.

فو الله ! لقد صدق يقينها وما أخزاه الله أبدا .

واختاره لنبوته ورسالته ، وجعله خليله .. وحبيبه .. ومصطفاه ﷺ.

---

١) صحيح البخاري _ كِتَاب التَّعْبِير _ بَاب أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ _ رقم ٢٥٦١.

٥) يقـــــين الزهراء (فاطمة بنت الرسول ﷺ وريحانته) :

فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله الهاشمية القرشية، ولدت قبل بعثة النبي بخمس سنين، وهي أصغر بنات النبي(ﷺ)، وأمها خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمرها ثمان عشر سنة وأنجب منها الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب.

ذكر شئ من يقينها (رضي الله عنها):

قَالَ الْحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا سَهْل بْن زَنْجَلَة حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن صَالِح حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن لَهِيعَة عَنْ مُحَمَّد بْن الْمُنْكَدِر عَنْ جَابِر أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ أَيَّامًا لَمْ يَطْعَم طَعَامًا حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَطَافَ فِي مَنَازِل أَزْوَاجه فَلَمْ يَجِد عِنْد وَاحِدَة مِنْهُنَّ شَيْئًا فَأَتَى فَاطِمَة فَقَالَ: " يَا بُنَيَّة هَلْ عِنْدك شَيْء آكُلهُ فَإِنِّي جَائِع ؟ " قَالَتْ: لَا وَاَللَّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدهَا بَعَثَتْ إِلَيْهَا جَارَة لَهَا بِرَغِيفَيْنِ وَقِطْعَة لَحْم فَأَخَذَتْهُ مِنْهَا فَوَضَعَتْهُ فِي جَفْنَة لَهَا وَقَالَتْ: وَاَللَّه لَأُوثِرَنَّ بِهَذَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِي وَمَنْ عِنْدِي وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ إِلَى شِبْعَة طَعَام فَبَعَثَتْ حَسَنًا أَوَحُسَيْنًا إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَدْ أَتَى اللَّه بِشَيْءٍ فَخَبَّأْته لَك قَالَ " هَلُمِّي يَا بُنَيَّة " قَالَتْ فَأَتَيْته بِالْجَفْنَةِ فَكَشَفْت عَنْهَا فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَة خُبْزًا وَلَحْمًا فَلَمَّا نَظَرْت إِلَيْهَا بُهِتّ وَعَرَفْت أَنَّهَا بَرَكَة مِنْ اللَّه فَحَمِدْت اللَّه وَصَلَّيْت عَلَى نَبِيّه وَقَدَّمْته إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَآهُ حَمِدَ اللَّه وَقَالَ" مِنْ أَيْنَ لَك هَذَا يَا بُنَيَّة " ؟ قَالَتْ : يَا أَبَت " هُوَ مِنْ عِنْد اللَّه إِنَّ اللَّه يَرْزُق مَنْ يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب " فَحَمِدَ اللَّه وَقَالَ:" الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَك يَا بُنَيَّة شَبِيهَة بِسَيِّدَةِ نِسَاء بَنِي إِسْرَائِيل فَإِنَّهَا كَانَتْ إِذَا رَزَقَهَا اللَّه

شَيْئًا وَسُئِلَتْ عَنْهُ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْد اللَّه إِنَّ اللَّه يَرْزُق مِنْ يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب " فَبَعَثَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَلِيّ ثُمَّ أَكَلَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلَ عَلِيّ وَفَاطِمَة وَحَسَن وَحُسَيْن وَجَمِيع أَزْوَاج النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْل بَيْته حَتَّى شَبِعُوا جَمِيعًا قَالَتْ : وَبَقِيَتْ الْجَفْنَة كَمَا هِيَ قَالَتْ: فَأَوْسَعْت بِبَقِيَّتِهَا عَلَى جَمِيع الْجِيرَان وَجَعَلَ اللَّه فِيهَا بَرَكَة وَخَيْرًا كَثِيرًا. [1] .

وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ ، قَالَ: أَصَابَتْ عَلِيًّا خَصَاصَةٌ . فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَوْ أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتِيهِ. فَأَتَتْهُ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ، فَدَقَّتِ الْبَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ أَيْمَنَ: " إِنَّ هَذَا لَدَقُّ فَاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتَتْنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدَتْنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ، قُومِي فَافْتَحِي لَهَا ". قَالَتْ: فَفَتَحْتُ لَهَا الْبَابَ. فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ لَقَدْ أَتَيْتِنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدْتِنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ". فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ الْمَلائِكَةُ طَعَامُهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، فَمَا طَعَامُنَا ؟ فَقَالَ : " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اقْتُبِسَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ نَارٌ مُنْذُ ثَلاثِينَ يَوْمًا ، وَقَدْ أَتَتْنَا أَعْنُزٌ ، فَإِنْ شِئْتِ أَمَرْتُ لَكِ بِخَمْسَةِ أَعْنُزٍ، وَإِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ خَمْسَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا ". قَالَتْ: بَلَى عَلِّمْنِي خَمْسَ كَلِمَاتٍ الَّتِي عَلَّمَكَهُنَّ جِبْرِيلُ . قَالَ : " قُولِي: يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينَ ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ". قَالَ: فَانْصَرَفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكِ ؟ فَقَالَتْ ذَهَبْتُ

---

١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٨٦/٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.

مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَتَيْتُكَ بِالآخِرَةِ. فَقَالَ: خَيْرُ أَيَّامِكِ، خَيْرُ أَيَّامِكِ. وَهَذَا أَيْضًا عَزِيزُ الإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ ، وَسُفْيَانُ هُوَ الثَّوْرِيُّ . وَأُمُّ أَيْمَنَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَها أُمُّ الْحِبِّ ابْنِ الْحِبِّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَتْ وَصِيفَةً لِوَالِدَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ حَاضِنَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْضُنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَمَوْلاةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَضِيَ عَنْهَا. **كذا في الكنز** [١].

هكذا صاحبة اليقين عندها التصديق علي الغيب أكثر من المشاهد، فما راجعته وقالت يارسول الله نريد الخمسة أعنز والخمس كلمات حينما أخبرها النبي (ﷺ) بالدعاء.

وعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَام شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ: مَكَانَكِ، فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ، فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ" . متفق عليه [٢].

---

١) حياة الصحابة_ باب إيمان الصحابة بالغيب بأخبار النبي ﷺ ٣/٣٩ .

٢) صحيح البخاري _ كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ _ سُورَةُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ _ رقم الحديث: ٥٨٧٢ ، وصحيح مسلم _ كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَار. _ بَاب ا لتَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ رقم ٤٩١٣.

٦) يقين أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) :

عن مالك أنه بلغه عن عائشة زوج النبى ﷺ (رضي الله عنها): أن مسكينا سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيها إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيها إياه، قالت: ففعلت، فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا شاة وكتفها فدعتني عائشة (رضي الله عنها) فقالت: كلي من هذا ! هذا خير من قرصك . (١).

٧) يقين المرأة المجادلة : خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها) :

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: وَاللَّهِ فِيَّ وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ، قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ. قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا، فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلاَّ، وَالذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ لا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ. قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي، وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ –صلى الله عليه وسلم– مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ. قَالَتْ: فَجَعَلَ

---

١) رواه مالك في الموطأ صـ٣٩٠ .

رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: "يَا خُوَيْلَةُ! ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِي اللَّهَ فِيهِ"، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ. فَقَالَ لِي: "يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ ."ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[1] فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– : "مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً". قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ –يَا رَسُولَ اللَّهِ– مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ. قَالَ: "فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ". قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ –يَا رَسُولَ اللَّهِ– إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ. قَالَ: "فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ". قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللَّهِ –يَا رَسُولَ اللَّهِ– مَا ذَاكَ عِنْدَهُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: "فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ". قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا – يَا رَسُولَ اللهِ – سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ. قَالَ: "قَدْ أَصَبْتِ

---

١) سورة المجادلة – الآيات من ١: ٤.

وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا". قَالَتْ: فَفَعَلْتُ. أخرجه أحمد وأبو داود(١).

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلي النبي ﷺ تكلمه ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللّهُ ﴾ أخرجه البخاري تعليقا والنسائي وابن ماجة (٢) .

وعنها أنها قالت: تبارك الذي أوعي سمعه كل شئ، إني لأسمع كلام (خولة بنت ثعلبة) ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلي رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي، وأفني شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتي نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿ قَدْ سَمِعَ اللّهُ ﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت. أخرجه بن أبي حاتم.

يقول الفخر الرازي: هذه الواقعة تدل علي أن من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له أحد سوي الخالق كفاه الله ذلك الأمر .

- خولة تنصح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) :

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: رُوِّينَا مِنْ وُجُوهٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ خَرَجَ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَمَرَّ بِعَجُوزٍ فَاسْتَوْقَفَتْهُ ، فَوَقَفَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهَا وَتُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسْتَ النَّاسَ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ، قَالَ : وَيْلُكَ ! تَدْرِي مَنْ هِيَ ؟ هَذِهِ امْرَأَةٌ

---

١) مختصر ابن كثير ٣/ ٤٥٩، أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الخاء _ خولة بنت ثعلبة.

٢) المرجع السابق.

سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ ، الَّتِي أنزل اللَّهُ فِيهَا:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (١) ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ إِلَى اللَّيْلِ مَا فَارَقْتُهَا إِلَّا لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَيْهَا(٢)

أتدرون من هذه العجوز ؟ هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (٣).

٨) يقين امرأة مظلومة:

ويروى أنه بينما الوزير فخر الملك يمشي إذ بامرأة تعترضه، وترفع إليه شكايتها وذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها، فجعل الوزير لا يلتفت إليها ! فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها ؟ قد رفعتها إلي الله ﷻ !! وأنا أنتظر التوقيع عليها !! فلم تمضى أيام حتى قبض سلطان الدولة علي الوزير فجرده من كل أمواله، ثم قتله، وعندها قال الوزير بحرقة وأسى: قد والله ! خرج توقيع المرأة !.

٩) يقين صاحبة التنور (رضي الله عنها):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَهْلِهِ (٤)، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ

---

١) سورة المجادلة – الآية ١.

٢) إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي _ ذِكْرُ أَخْبَارٍ وَارِدَةٍ فِي هَذَا عَنِ الأَنْبِيَاءِ _ رقم ٤٩ ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الخاء _ خولة بنت ثعلبة.

٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير.

(٤) أي أهل بيته وأصحاب نفقته .

الْحَاجَةِ (١)، خَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ (٢)، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ قَامَتْ إِلَى الرَّحَى، فَوَضَعَتْهَا (٣) ، وَإِلَى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْهُ (٤) ، ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا(٥) فَنَظَرَتْ(٦)، فَإِذَا الْجَفْنَةُ (٧) قَدْ امْتَلَأَتْ(٨) ، قَالَ (٩): وَذَهَبَتْ(١٠) إِلَى التَّنُّورِ(١١) فَوَجَدَتْهُ مُمْتَلِئًا (١٢)، قَالَ(١٣) : فَرَجَعَ الزَّوْجُ (١٤)، قَالَ : أَصَبْتُمْ(١٥) بَعْدِي شَيْئًا(١٦) ؟ قَالَتْ امْرَأَتُهُ : نَعَمْ (١٧) مِنْ رَبِّنَا (١٨)، قَامَ (١)

---

(١) أي من الجوع والفاقة .

(٢) أي إلى قطعة من الأرض منسوبة إلى البر للتضرع إلى خالق البرية .

(٣) أي الطبقة العليا على السفلى والمعنى فهيأتها ونظفتها.

(٤) بتخفيف الجيم وتشدد أي أوقدته .

٥) أي من عندك فإنك خير الرازقين وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلا في خيرك.

(٦) أي إلى الرحى .

(٧) وهي القصعة على ما في القاموس أو القصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللغة والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق .

(٨) أي من الدقيق .

(٩) أي الراوي .

(١٠) وفي نسخة صحيحة فذهبت .

(١١) أي لتخبز فيه من الدقيق بعد عجنه.

(١٢) أي من الخبز الملتصق به .

(١٣) أي الراوي .

(١٤) أي راجيا لما قام بأمر الله داعيا قال أي الزوج وهو استئناف بيان .

(١٥) أي أكلتم أو حصلتم .

(١٦) أي من الأشياء أو من الإصابة.

(١٧) أي أصبنا .

(١٨) أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا وأغرب الطيبي رحمه الله في قوله اللهم ارزقنا حيث قال دعت أن تصيب زوجها بما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيأت الأسباب لذلك انتهى .

إِلَى الرَّحَى (٢)، فَذُكِرَ ذَلِكَ(٣) لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْفَعْهَا ، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " رواه أحمد (٤).

فيا لها من امرأة مؤمنة قد امتلأ قبلها إيمانا ويقينا بالله تعالى.

١٠)يقين المرأة التي أحيى الله ﷻ لها ولدها:

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ خِدَاشِ بْنِ عَجْلَانَ الْمُهَلَّبِيِّ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَّامٍ قَالَا : ثَنَا صَالِحٌ الْمُرِّيُّ ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عُدْنَا شَابًّا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ مَاتَ فَأَغْمَضْنَاهُ، وَمَدَدْنَا عَلَيْهِ الثَّوْبَ، وَقَالَ بَعْضُنَا لِأُمِّهِ: احْتَسِبِيهِ . قَالَتْ: وَقَدْ مَاتَ؟! قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَتْ: أَحَقٌّ مَا تَقُولُونَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ . فَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِكَ، وَهَاجَرْتُ إِلَى رَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِي شِدَّةٌ دَعَوْتُكَ فَفَرَّجْتَهَا، فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَلَّا تَحْمِلَ عَلَيَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ. قَالَ: فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى أَكَلْنَا وَأَكَلَ مَعَنَا.

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، من طريق آخر ، وَفِيهِ أَنَّ أُمَّ السَّائِبِ كَانَتْ عَجُوزًا عَمْيَاءَ .

---

(١) أي فتعجب الزوج .

(٢) أي ورفعها ليرى أثرها فذكر بصيغة المجهول وفي نسخة صحيحة .

(٣) أي ذكر القضية بتمامها للنبي.

(٤) مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » بَاقِي مُسْنَد المُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ _ رقم الحديث: ١٠٤٣٣.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَقَدْ رُوِىَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُرْسَلٍ يَعْنِي فِيهِ انْقِطَاعٌ بَيْنَ ابْنِ عَوْنٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ طَرِيقِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَدْرَكْتُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثًا لَوْ كَانَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَا تَقَاسَمَهَا الْأُمَمُ. قُلْنَا مَا هِيَ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ: كُنَّا فِي الصُّفَّةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مُهَاجِرَةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا قَدْ بَلَغَ، فَأَضَافَ الْمَرْأَةَ إِلَى النِّسَاءِ وَأَضَافَ ابْنَهَا إِلَيْنَا ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصَابَهُ وَبَاءُ الْمَدِينَةِ فَمَرِضَ أَيَّامًا ثُمَّ قُبِضَ ، فَغَمَّضَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَ بِجِهَازِهِ، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نُغَسِّلَهُ قَالَ: " يَا أَنَسُ، ائْتِ أُمَّهُ فَأَعْلِمْهَا " . فَأَعْلَمْتُهَا . قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ فَأَخَذَتْ بِهِمَا، ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ لَكَ طَوْعًا، وَخَلَعْتُ الْأَوْثَانَ زُهْدًا، وَهَاجَرْتُ لَكَ رَغْبَةً، اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ بِي عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مَا لَا طَاقَةَ لِي بِحَمْلِهَا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا انْقَضَى كَلَامُهَا حَتَّى حَرَّكَ قَدَمَيْهِ ، وَأَلْقَى الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَعَاشَ حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَتَّى هَلَكَتْ أُمُّهُ. قَالَ: ثُمَّ جَهَّزَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَيْشًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ . " (١).

١١) يقين سودة اليمانية (رضي الله عنها) :

أخرج أبو يعلي عن رُزَيْنَةَ مَوْلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ سَوْدَةَ الْيَمَانِيَّةَ جَاءَتْ عَائِشَةَ تَزُورُهَا، وَعِنْدَهَا حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، فَجَاءَتْ سَوْدَةُ فِي هَيْئَةٍ، وَفِي حَالَةٍ

١) البداية والنهاية» سنة إحدى عشرة من الهجرة ١٥٤,٢٥٩/٦ .

حَسَنَةٍ، عَلَيْهَا دِرْعٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ، وَخِمَارٌ كَذَلِكَ، وَعَلَيْهَا نُقْطَتَانِ مِثْلُ الْعَرْسَتَيْنِ مِنْ طِيبِ زَعْفَرَانَ فِي مُؤْقَيْهَا، قَالَتْ: وَأَدْرَكَتِ النِّسَاءُ يَتَزَيَّنَّ بِهِ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَجِئُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَرَانَا قُشُفًا وَهَذِهِ بَيْنَنَا تَبْرُقُ (١)، فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا حَفْصَةُ ، اتَّقِ اللَّهَ يَا حَفْصَةُ . فَقَالَتْ: لَأُفْسِدَنَّ عَلَيْهَا زِينَتَهَا. قَالَتْ: مَا تَقُلْنَ ؟ وَكَانَ فِي أُذُنِهَا ثِقَلٌ ، قَالَتْ لَهَا حَفْصَةُ : يَا سَوْدَةَ ، خَرَجَ الْأَعْوَرُ. قَالَتْ: نَعَمْ ، فَفَزِعَتْ فَزَعًا شَدِيدًا ، فَجَعَلَتْ تَنْتَفِضُ، فَقَالَتْ: أَيْنَ أَخْتَبِئُ ؟ قَالَتْ: عَلَيْكَ بِالْخَيْمَةِ، خَيْمَةٌ لَهُمْ مِنْ سَعَفٍ يَطْبُخُونَ فِيهَا، فَذَهَبَتْ ، فَاخْتَبَأَتْ فِيهَا، وَفِيهَا قُدُورٌ، وَنَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمَا تَضْحَكَانِ، لَا تَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ: " مَا ذَا الضَّحِكُ ؟ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَأَوْمَأَتَا بِأَيْدِيهُمَا إِلَى الْخَيْمَةِ ، فَذَهَبَ، فَإِذَا سَوْدَةُ تُرْعِدُ ، فَقَالَ لَهَا: " يَا سَوْدَةَ ، مَالَكِ ؟ " قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ خَرَجَ الْأَعْوَرُ، قَالَ: " مَا خَرَجَ وَلَيَخْرُجَنَّ ، مَا خَرَجَ وَلَيَخْرُجَنَّ " . ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَهَا، فَجَعَلَ يَنْفُضُ عَنْهَا الْغُبَارَ، وَنَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ " (٢). انظروا إلي يقينها وتصديقها.

---

١) وفي رواية للطبراني : ونحن فسقتين وهذه بيتنا تبرق .
وهي سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية اليمانية امرأة شاعرة وفدت على معاوية وجرت له معها محاورة ، وهي غير أم المؤمنين سودة بنت زمعة زوج النبي صلي الله عليه وسلم.

٢) حياة الصحابة . باب معاشرة النساء والرجال والصبيان ٢ / ٦٧٥_ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة _ كِتَابُ النِّكَاحِ _ بَابٌ : عِشْرَةُ النِّسَاءِ _ رقم ٢٦٦٥ .

١٢)يقـــين ابنـــة حاتـــم الأصـم (رحمها الله) :

حُكي أن حاتم الأصم كان رجلا كثير العيال، وكان له أولاد ذكور وإناث، فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم، فتعرضوا لذكر الحج، فدخل الشوق قلبه ، ثم دخل علي أولاده ، فجلس معهم يحدثهم، ثم قال لهم: لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلي بيت ربه في هذا العام حاجا ، ويدعو لكم ، ماذا عليكم لو فعلتم ؟ فقالت زوجته وأولاده: أنت علي هذه الحال لا تملك شيئا، ونحن علي ما ترى من الفاقة ، فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحال ؟ وكان له ابنة صغيرة فقالت: ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك ؟ دعوه يذهب حيث شاء، فإنه مناول للرزق، وليس برزاق، فذكرتهم ذلك، فقالوا: صدقت . والله . هذه الصغيرة ، يا أبانا، انطلق حيث أحببت . فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج . وخرج مسافرا، وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج ، وتأسف علي فراقه أصحابه وجيرانه، فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون: لو سكت ما تكلمنا، فرفعت الصغيرة طرفها إلي السماء فقالت: إلهي وسيدي ومولاي: عودت القوم بفضلك ، وأنك لا تضيعهم، فلا تخيبهم، ولا تخجلني معهم. فبينما هم علي هذه الحال، إذ خرج أمير البلد متصيدا، فانقطع عن عسكره وأصحابه، فحصل له عطش شديد، فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم، فاستقى منهم ماء، وقرع الباب، فقالوا: من أنت ؟ قال: الأمير، ببابكم ليستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم رأسها إلي السماء وقالت: إلهي وسيدي سبحانك.. البارحة بتنا جياعا، واليوم يقف الأمير بابنا يستسقينا

، ثم إنها أخذت كوزاً جديداً وملأته ماء، وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز وشرب منه، فاستطاب الشرب من ذلك الماء، فقال: هذه الدار لأمير؟ فقالوا: لا والله ! بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم، فقال الأمير: لقد سمعت به، فقال الوزير: يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر، ولم يخلف لعياله شيئا، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا، فقال الأمير: ونحن قد ثقلنا عليهم اليوم ، وليس من المروءة أن يثقل مثلنا علي مثلهم ، ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمي بها في الدار، ثم قال لأصحابه: من أحبني ، فليلق منطقته، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ، ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت.. لأتينكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما نزل الأمير رجع إليهم الوزير، ودفع إليهم ثمن المناطق، مالا جزيلا واستردها منهم .. فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا. فقالوا لها: ما هذا البكاء ؟ إنما يجب أن تفرحي، فإن الله قد وسع علينا، فقالت: يا أم، والله إنما بكائي، كيف بتنا البارحة جياعا، فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا ؟ فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلي أحد طرفة عين.. اللهم انظر إلي أبينا، ودبره بأحسن تدبير. ولما خرج حاتم، مرض أمير الركب.. فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا، فقالوا: هل من عبد صالح ؟ فدل علي حاتم، فلما دخل عليه وكلمه دعا له، فعوفي الأمير من وقته، فأمر له بما يركب، وما يأكل، وما يشرب، فنام تلك الليلة ففكر في أمر عياله، فقيل له: يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه، ثم أخبر بما كان من أمر عياله ، فأكثر الثناء علي الله تعالى.. فلما قضي حجه

ورجع تلقته أولاده، فعانق الصبية الصغيرة، وبكى، ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين.. إن الله لا ينظر إلي أكابركم ولكن ينظر إلي أعرفكم به. [١].

١٣) قصة مؤثرة في اليقين علي الله (عزوجل) :

عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعًا لم يطعم هو وعياله شيئًا. فقالت له امرأته: لو خرجت وطلبت لنا شيئًا. فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف اللّه عنه الرزق فقال: والله لأعملنّ اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أتى أهله فقالت له امرأته: ماذا صنعت فقال: قد عملتَ مع أستاذي وقد وعدني أن يعطيني ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله فقالتَ له امرأته: ماذا صنعت قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري فخاصمته امرأته وبرزت عليه فلبث يتقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعًا ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال وصرف عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى قال: أين أمضي تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا ثم تحمل على جهد منه فلما قرب من داره سمع ضحكًا وسرورًا وسمع رائحة قديد ورائحة شواء فأخذ على بصره وقال: أنائم أنا أم

---

١) المستطرف في كل فن مستظرف . باب التوكل علي الله والرضا بما قسم صـ١٢٣. .

يقظان تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا وأشم رائحة قديد ورائحة شواء وأسمع ضحكًا وسرورًا دنا من الباب فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت: يا فلان. قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق وقال: إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: رأيت عملك فرضيته فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة (١) .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) المنتظم في التاريخ _ الجزء الثاني.

من روائع

الحب لرسول الله (ﷺ)

- **صورة من حب الرجال لرسول الله ﷺ :**

عَنْ عائشةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّكَ لأَحَبّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَإِنَّكَ لأَحَبّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَأَحَبّ إِلَيَّ مِنْ وِلْدِي وَإِنِّي لأَكُون فِي البَيْتِ فَأَذْكُرَكَ فَمَا أَصْبِر حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتك عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّين وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لا أَرَاكَ؟ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مّنَ النّبِيّينَ وَالصّدّيقِينَ وَالشّهَدَآءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾[1] رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

ورواه الطبراني فعَنِ ابْنِ عَبَّاس –رضي الله عنهما– أنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، حَتَّى إِنِّي لأَذْكُرُكَ، فَلَوْلا أَنِّي أَجِيءُ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَخْرُجُ، فَأَذْكُرُ أَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ صِرْتُ دُونَكَ فِي الْمَنْزِلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، وَأُحِبُّ أَنْ

---

١) سورة النساء – الآية ٦٩.

أَكُونَ مَعَكَ فِي الدَّرَجَةِ. فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – عز وجل –: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)، فَدَعَاهُ رَسُولُ –صلى الله عليه وسلم–فَتَلاهَا عَلَيْهِ.

وعن أبي أيوب ﷺ عنه قال: لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله ! بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في سفل البيت قال: فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيهما، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر علي رسول الله ﷺ فيؤذيه، قال أبو أيوب: وكنا نضع له العشاء، ثم نبعث به إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً، فرده رسول الله ﷺ ، ولم أر ليده فيه أثراً ، قال: فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي رددت عشائك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا ردته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة قال: " إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه " قال: فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد . [1].

---

١) رواه مسلم وابن إسحاق (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٩١/٣) .

- صور من حب النساء لرسول الله ﷺ :

١) حب أم المؤمنين (صفية بنت حيي بن أخطب) :

كان أبوها سيد بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب ، ثم من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران، أخي موسى عليهما الصلاة والسلام .. وكانت مما أفاء الله علي رسوله يوم خيبر . فأخذ صفية ، فتزوجها وجعل عتقها مهرها . وقسم لها وحجبها .

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، قَالَ : قَالَتْ صَفِيَّةُ : رَأَيْتُ كَأَنِّي ، وَهَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ ، وَمَلَكٌ يَسْتُرُنَا بِجَنَاحَيْهِ . قَالَ : فَرَدُّوا عَلَيْهَا رُؤْيَاهَا ، وَقَالُوا لَهَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا شَدِيدًا [١].

وعَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كَانَ بِعَيْنِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَضِرَةٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَا هَذِهِ الْخَضِرَةُ بِعَيْنِكَ ؟ فَقَالَتْ: قُلْتُ لِزَوْجِي إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي فَلَطَمَنِي ، وَقَالَ: تُرِيدِينَ مَلِكَ يَثْرِبَ ، قَالَتْ: فَمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ أَبِي وَزَوْجِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: يَا صَفِيَّةُ إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ ، حَتَّى ذَهَبَ ذَاكَ مِنْ نَفْسِي" رواه الطبراني برجال الصحيح وابن حبان في صحيحه . [٢].

---

١) سير أعلام النبلاء لذهبي .

٢) سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد ١٢/١٣٠.

وفي رواية أبو يعلى: تقول صفية: انتهيت إلي رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إليَّ منه ، فقال: " إن قومك صنعوا كذا وكذا ".قالت: فما قمت من مقعدي وما من الناس أحد أحب إليَّ منه " [١].

أختي المسلمة: انظري كيف كان حب صفية لرسول الله ﷺ وكيف انقلبت العداوة حبا ففي المرض الذي مات فيه رسول الله ﷺ تتمنى أن الوجع الذي في رسول الله ﷺ يكون فيها فقد أخرج بن سعد عنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: **اجْتَمَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاؤُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ زَوْجَتُهُ : أَمَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِيَ بِكَ بِي! ، فَغَمَزَتْهَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبْصَرَهُنَّ النَّبِيُّ ، فَقَالَ: " مَضْمِضْنَ "، فَقُلْنَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " مِنْ تَغَامُزِكُنَّ بِصَاحِبَتِكُنَّ ! وَاللَّهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ ! ".** وسنده حسن كما في الإصابة. [٢].

٢) حب أم حبيبة (رمله بنت أبى سفيان) لرسول الله ﷺ :

وقد بلغ من حب أم حبيبة وإجلالها لرسول الله ﷺ ما يبينه ما أورده أهل السير من خبر أبي سفيان لما قدم المدينة النبوية، وقام بزيارة ابنته أم حبيبة: **فعنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ الْمَدِينَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُرِيدُ غَزْوَ مَكَّةَ ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يَزِيدَ فِي هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، " فَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، فَقَامَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى**

---

٢) المرجع السابق.

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد» ذِكْرُ الْحُزْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ ...(٢٣٥٨)، الإصابة لابن حجر .

فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَتْهُ دُونَهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، أَرَغِبْتِ بِهَذَا الْفِرَاشِ عَنِّي، أَمْ بِي عَنْهُ ؟ قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ نَجِسٌ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ ، لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدِي شَرٌّ. (١).

ومن دلائل حب أم حبيبة للنبي ﷺ أيضا :

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْعَلُ مَاذَا؟» قُلْتُ: تَنْكِحُهَا، قَالَ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟» قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي الْخَيْرِ أُخْتِي، قَالَ: «فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي» ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّكَ تَخْطُبُ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: «بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ» ،هذا لفظ مسلم (٢).

وفي هذا الموقف بيان ما كان للنبي ﷺ من المحبة والإجلال والتقدير في نفوس زوجاته، فقد ملك قلوبهن وتعلقن به كل التعلق وفوق كل أحد، ففضلاً عن

---

١) ابن الجوزي في صفة الصفوة لابن الجوزي .. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠٠/١٢ حياة الصحابة . باب خروج الصحابة عن الشهوات وقطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام ٢٩٤/٢ .. تاريخ الإسلام باب فتح مكة ٤٦٨/١ ، تاريخ دمشق لابن عساكر» أسماء النساء عَلَى حرف الراء» رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانُ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ (٧٣٤٩٤).

٢)"صحيح البخاري" (٥١٠٦)، "صحيح مسلم" (١٤٤٩)، وأبو داود في "السنن" (٢٠٥٦)، والنسائي في "المجتبى" (٩٤/٦، ٩٥)، "سنن ابن ماجه" (١٩٣٩)، "المسند" (٢٩١/٦).

كونه رسول رب العالمين، فهو عليه الصلاة والسلام الزوج الحبيب، وهذا ما حمل أم المؤمنين أم حبيبة إلى أن تفكر في أن تَبَرَّ أختها بزوج لا يكدر لها خاطراً، ولا ينغص ليها عيشاً، ويرفعها في الدنيا والآخرة.

قول النبي ﷺ لأم حبيبة: «**أو تحبين ذلك**» جواباً واستفهاماً لعرضها عليه الزواج بأختها، فيه التعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طُبع عليه النساء من الغيرة (١).

لكن هذه الغيرة انمحت، وتجاوزتها أم حبيبة، نظرا للمصالح، فإنها لما رأت أنها لن تسلم من ضَرَّة – بل ضَرَّات – ولن تنفرد بالنبي ﷺ، رأت أن من مصلحة أختها أن تظفر بزواج النبي ﷺ بها.

وهذا ما أعربت عنه بقولها: (**لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ**) اسم فاعل من الإخلاء أي لست بمنفرده بك ولا خالية من ضرة (**وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي الْخَيْرِ أُخْتِي**) أي أحب من شاركني فيك وفي صحبتك والانتفاع منك بخيرات الدنيا والآخرة .

وقيل: المراد بالخير هو صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين، الساترة لما لعله يعرض من الغيرة التي جرت بها العادة بين الزوجات، لكن جاء في رواية البخاري الأخرى في باب ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ**﴾ (٢) من كتاب النكاح (٣) قول أم حبيبة: وأحب من شركني فيك أختي، فعرف أن المراد بالخير

---

١) انظر : " فتح الباري" (١٤٣/٩).
٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.
٣) رقم (٥١٠٦)، (١٥٨/٩).

ذاته.

قوله: (لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي) معناه أنها حرام علي بسببين كونها ربيبة وكونها بنت أخي فلو فقد أحد السببين حرمت بالآخر والربيبة بنت الزوجة مشتقة من الرب وهو الإصلاح لأنه يقوم بأمورها ويصلح أحوالها والحجر بفتح الحاء وكسرها.

٣) حب أَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

فعَنْ بَرَّةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَاةٍ ، قَالَتْ : كَانَتْ قُرَيْشٌ لاَ تُنْكِرُ صَلاَةَ الضُّحَى ، إِنَّمَا تُنْكِرُ الْوَقْتَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، تَفَرَّقُوا إِلَى الشِّعَابِ ، فَصَلَّوْا فُرَادَى وَمَثْنَى ، فَمَشَى طُلَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، يُصَلُّونَ بِشِعْبِ أَجْنَادٍ ، بَعْضُهُمْ يَنْظُرُ إِلَى الْبَعْضِ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ ابْنُ الأُصَيْدِيِّ ، وَابْنُ الْقِبْطِيَّةِ، وَكَانَا فَاحِشَيْنِ، فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ سَاعَةً، حَتَّى خَرَجَا وَانْصَرَفَا وَهُمَا يَشْتَدَّانِ، وَأَتَيَا أَبَا جَهْلٍ، وَأَبَا لَهَبٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَذَكَرُوا لَهُمُ الْخَبَرَ، فَانْطَلَقُوا لَهُمْ فِي الصُّبْحِ ، وَكَانُوا يَخْرُجُونَ فِي غَلَسِ الصُّبْحِ ، فَيَتَوَضَّئُونَ وَيُصَلُّونَ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي شِعْبٍ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ أَبُو جَهْلٍ، وَعُقْبَةُ ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَعِدَّةٌ مِنْ سُفَهَائِهِمْ، فَبَطَشُوا بِهِمْ، فَنَالُوا مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الإِسْلاَمَ، وَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَنَادَوْهُمْ ، وَذَبُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَعَمَّدَ طُلَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى أَبِي جَهْلٍ ، فَضَرَبَهُ ، فَشَجَّهُ، فَأَخَذُوهُ وَأَوْثَقُوهُ ، فَقَامَ دُونَهُ أَبُو لَهَبٍ حَتَّى حَلَّهُ ، وَكَانَ ابْنَ أَخِيهِ، فَقِيلَ لأَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

أَلا تَرَيْنَ إِلَى ابْنِكِ طُلَيْبٍ قَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا، وَصَارَ عَرَضًا لَهُ، وَكَانَتْ أَرْوَى قَدْ أَسْلَمَتْ ، فَقَالَتْ: خَيْرُ أَيَّامِ طُلَيْبٍ، يَوْمٌ يَذُبُّ عَنِ ابْنِ خَالِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالُوا: وَقَدِ اتَّبَعْتِ مُحَمَّدًا ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، فَخَرَجَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَبِي لَهَبٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: عَجَبًا لَكِ وَلاتِّبَاعِكِ مُحَمَّدًا، وَتَرْكِ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَتْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، فَقُمْ دُونَ ابْنِ أَخِيكَ، فَاعْضُدْهُ وَامْنَعْهُ، فَإِنْ ظَهَرَ أَمْرُهُ، فَأَنْتَ بِالْخِيَارِ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُ، أَوْ تَكُونَ عَلَى دِينِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ ابْنَ أَخِيكَ، قَالَ: وَلَنَا طَاقَةٌ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةً، ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّهُ جَاءَ بِدِينٍ مُحْدَثٍ ، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو لَهَبٍ." (١) .

٤) حب هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ :

عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: إِنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ مِمَّا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ أَخْبَاءٍ أَوْ خِبَاءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ أَخْبَائِكَ أَوْ خِبَائِكَ، شَكَّ يَحْيَى، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَهْلُ أَخْبَاءٍ أَوْ خِبَاءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ أَخْبَائِكَ أَوْ خِبَائِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ "، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ ؟ قَالَ: " لَا، إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ " (٢).

---

١) المستدرك للحاكم(٦٨٦٨) من طريق الواقدي.

٢) صحيح البخاري _ رقم الحديث: ٦١٧٨ ، ورواه ومسلم وابن حبان وغيرهم .

٥) حب أم أيمن لرسول الله ﷺ :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَغِيرَةٌ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ .فقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أُمَّ أَيْمَنَ أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَكِ ؟ فَقَالَتْ : مَا لِي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)) [١].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على حب أم أيمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦) حب فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيٍّ لرسول الله ﷺ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا ، فَقَالَ : " رَحِمَكِ اللَّهُ يَا أُمِّي ، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينِي ، وَتَعْرَيْنَ وَتَكْسِينِي ، وَتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبًا وَتُطْعِمِينِي ، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ

---

١) رواه النسائي في الجنائز باب البكاء على الميت (١٨٢٠) ، وأحمد (٢٥٧٠) وصححه الألباني في صحيح النسائي ..

وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ " . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءَ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِيَدِهِ ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَمِيصَهُ فَأَلْبَسُهَا إِيَّاهُ ، وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفِرُونَ ، فَحَفَرُوا قَبْرَهَا ، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، فَقَالَ : " اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ؛ فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " . وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ ، وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَلَعَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَمِيصَهُ وَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ ، وَاضْطَجَعَ فِي قَبْرِهَا ، فَلَمَّا سُوِّيَ عَلَيْهَا التُّرَابُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ ! فَقَالَ : " أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي ؛ لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا ؛ خُفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ ؛ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ صَنِيعًا بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ " [٢].. .

---

١) الطبراني (٢٠٣٢٤) وفيه ضعف.

٢) الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٧١٢٨) وفيه جهالة.

٧) حب أُمّ هَانِئ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ :

عَنْ أُمّ هَانِئ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ، وَاسْمُهَا هِنْدٌ ، فِي مَسْرَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهَا كَانَتْ تَقُولُ مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا وَهُوَ فِي بَيْتِي ، نَامَ عِنْدِي تِلْكَ اللّيْلَةَ فِي بَيْتِي ، فَصَلّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمّ نَامَ وَنِمْنَا ، فَلَمّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهَبّنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا صَلّى الصّبْحَ وَصَلّيْنَا مَعَهُ قَالَ يَا أُمّ هَانِئٍ لَقَدْ صَلّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الْوَادِي ، ثُمّ جِئْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلّيْت فِيهِ ثُمّ قَدْ صَلّيْت صَلَاةَ الْغَدَاةِ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرَيْنَ ثُمّ قَامَ لِيَخْرُجَ فَأَخَذْتُ بِطَرَفِ رِدَائِهِ فَتَكَشّفَ عَنْ بَطْنِهِ كَأَنّهُ قُبْطِيّةٌ مَطْوِيّةٌ فَقُلْت لَهُ يَا نَبِيّ اللّهِ لَا تُحَدّثْ بِهَذَا النّاسَ فَيُكَذّبُوك وَيُؤْذُوك ، قَالَ وَاَللّهِ لأحدثنهموه . قَالَتْ فَقُلْت لِجَارِيَةٍ لِي حَبَشِيّةٍ وَيْحَك اتْبَعِي رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى تَسْمَعِي مَا يَقُولُ لِلنّاسِ وَمَا يَقُولُونَ لَهُ . فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى النّاسِ أَخْبَرَهُمْ فَعَجِبُوا وَقَالُوا : مَا آيَةُ ذَلِكَ يَا مُحَمّدُ ؟ فَإِنّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا قَطّ ؛ قَالَ آيَةُ ذَلِكَ أَنّي مَرَرْت بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا . فَأَنْفَرَهُمْ حِسّ الدّابّةِ فَنَدّ لَهُمْ بَعِيرٌ فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُوَجّهٌ إلَى الشّامِ . ثُمّ أَقْبَلْتُ حَتّى إذَا كُنْتُ بِضَجَنَانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا ، وَلَهُمْ إنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ كَانَ ؟ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنّ عِيرَهُمْ الْآنَ يَصُوبُ مِنْ الْبَيْضَاءِ ثَنِيّةِ التّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ

إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ وَالْأُخْرَى بَرْقَاءُ . قَالَتْ فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثّنِيّةَ فَلَمْ يَلْقَهُمْ أَوّلُ مِنْ الْجَمَلِ كَمَا وَصَفَ لَهُمْ وَسَأَلُوهُمْ عَنْ الْإِنَاءِ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً ثُمّ غَطّوْهُ وَأَنّهُمْ هَبّوا فَوَجَدُوهُ مُغَطّى كَمَا غَطّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً . وَسَأَلُوا الْآخَرِينَ وَهُمْ بِمَكّةَ ، فَقَالُوا : صَدَقَ وَاَللّهِ لَقَدْ أُنْفِرْنَا فِي الْوَادِي الّذِي ذَكَرَ وَنَدّ لَنَا بَعِيرٌ فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إلَيْهِ حَتّى أَخَذْنَاهُ[١].

وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ : خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقُلْتُ: مَا بِي عَنْكَ رَغْبَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ لَا أُحِبُّ أَنْ أَتَزَوَّجَ وَبَنِيَّ صِغَارٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لِمَ ؟ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ "[٢] .

وعَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ هَانِئٍ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَحَقُّ الزَّوْجِ عَظِيمٌ ، فَأَخْشَى إِنْ أَقْبَلْتُ عَلَى زَوْجِي أَنْ أُضَيِّعَ بَعْضَ شَأْنِي وَوَلَدِي ، وَإِنْ أَقْبَلْتُ عَلَى وَلَدِي أَنْ أُضَيِّعَ حَقَّ الزَّوْجِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٠٢.

٢) المعجم الكبير للطبراني ١٨ / ١٧٣ (٢٠٥٠٢) حسن.

وَسَلَّمَ : " إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ " (١).

وكانت –رضي الله عنها– قبل إسلامها زوجة لهبيرة بن أبي وَهْب بن عمرو المخزومي، وأنجبتْ منه: عمرة، وجعدة، وهانئًا، ويوسف، وطالبًا، وعقيلا، وجمانة. وقد تولى ابنها جعدة بن هبيرة ولاية خراسان فى عهد الإمام علي –رضي الله عنه.

وقد أسلمت أم هانئ يوم فتحت مكة، بينما فَرَّ زوجها هبيرة هاربًا.

وعَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ أَتَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ فَإِنِّى قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدَّنْتُ. فَقَالَ « كَبِّرِى اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَاحْمَدِى اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَسَبِّحِى اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ مُلْجَمٍ مُسْرَجٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ رَقَبَةٍ » ابن ماجه.

وقد روتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديثَ، بلغت ستة وأربعين حديثًا.

وفي ميزان أحد يظهر حب النساء لرسول الله ﷺ :

١) امرأة من بني دينار (رضي الله عنها) :

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ خَاضَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ خَيْضَةً ، وَقَالُوا : قُتِلَ مُحَمَّدٌ حَتَّى كَثُرَتِ الصَّوَارِخُ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مُحْرِمَةً ، فَاسْتُقْبِلَتْ بِأَبِيهَا وَابْنِهَا وَزَوْجِهَا وَأَخِيهَا لَا أَدْرِي

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» ذِكْرُ مَنْ خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم» أُمُّ هَانِئِ بِنْتُ أبي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رقم الحديث : ١٠١٢١).

أَيَّهُمُ اسْتُقْبِلَتْ بِهِ أَوَّلًا ، فَلَمَّا مَرَّتْ عَلَى أَحَدِهِمْ ، قَالَتْ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : أَبُوكِ أَخُوكِ زَوْجُكِ ابْنُكِ ، تَقُولُ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ يَقُولُونَ : أَمَامَكَ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَخَذَتْ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا أُبَالِي إِذْ سَلِمْتَ مِنْ عَطَبٍ (١).

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص ، قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُحُدٍ ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا ، قَالَتْ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالُوا : خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ (٢) (٣).

٢) أم سعد بن معاذ (الذي اهتز له عرش الرحمن) :

وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو، وسعد أخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله ! أمي، فقال: " **مرحباً بها** " ووقف لها.. فلما دنت عزاها بابنها عمر بن معاذ،

---

١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

٢) أي هيئة حقيرة ، لا شاقة كبيرة .. وقيل: تُرِيدُ صَغِيرَةً قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْجَلَلُ: يَكُونُ مِنْ الْقَلِيلِ، وَمِنْ الْكَثِيرِ، وَهُوَ هَاهُنَا مِنْ الْقَلِيلِ .

٣) السيرة » السيرة النبوية لابن هشام » غزوة أحد » شأن المرأة الدينارية.

فقالت: أما إذا رأيتك سالماً ، فقد اشتوت المصيبة (أي قلتَّ) ثم دعا لأهل من قتل بأحد وقال: يا أم سعد ! أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفعوا في أهلهم جميعاً قالت: رضينا يا رسول الله ! ومن يبكى عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ! أدع لمن خلفوا منهم ، فقال: " **اللهم اذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا** " [1]

هنيئا لك يا أم الشهيدين سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن فرحا بقدوم روحه.. وعمرو بن معاذ الذي يشفع في أهله " هنيئا لك على صبرك وعلى حبك لرسول الله ﷺ .

٣) إبرهة (خادمة النجاشي ملك الحبشة) :

هاجر عبيد الله بن جحش بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها وكانت قد خرجت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش معها في الهجرة إلى أرض الحبشة ورجعت بها معها إلى مكة.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ زُهَيْرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ زَوْجِي بِأَسْوَأِ صُورَةٍ وَأَشْوَهِهِ فَفَزِعْتُ ، فَقُلْتُ : تَغَيَّرَتْ وَاللَّهِ حَالُهُ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ حِينَ أَصْبَحَ : يَا أُمَّ حَبِيبَةَ ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي الدِّينِ

---

١) السيرة الحلبية ٤٧/٢ – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٥/٤.

فَلَمْ أَرَ دِينًا خَيْرًا مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُنْتُ قَدْ دِنْتُ بِهَا ، ثُمَّ دَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا خَيْرٌ لَكَ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا وَأَكَبَّ عَلَى الْخَمْرِ حَتَّى مَاتَ ، فَأُرِيَ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ آتِيًا يَقُولُ لِي : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَزِعْتُ وَأَوَّلْتُهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يَتَزَوَّجُنِي ، قَالَتْ : فَمَا هُوَ إِلَّا أَنِ انْقَضَتْ عِدَّتِي ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ النَّجَاشِيِّ عَلَى بَابِي يَسْتَأْذِنُ ، فَإِذَا جَارِيَةٌ لَهُ يُقَالُ لَهَا : أَبْرَهَةَ كَانَتْ تَقُومُ عَلَى ثِيَابِهِ وَدَهْنِهِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقَالَتْ : إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَكِ ، فَقُلْتُ : بَشَّرَكِ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، وَقَالَتْ : يَقُولُ لَكِ الْمَلِكُ : وَكِّلِي مَنْ يُزَوِّجُكِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَوَكَّلَتْهُ وَأَعْطَتْ أَبْرَهَةَ سِوَارَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَخَدَمَتَيْنِ كَانَتَا فِي رِجْلَيْهَا وَخَوَاتِيمَ فِضَّةً كَانَتْ فِي أَصَابِعِ رِجْلَيْهَا سُرُورًا بِمَا بَشَّرَتْهَا بِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ سُفْيَانَ فَأَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَقَدْ أَصْدَقْتُهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ ، ثُمَّ سَكَبَ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ، فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَنْصِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ، وَدَفَعَ الدَّنَانِيرَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ فَقَبَضَهَا ، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا ، فَقَالَ : اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ الطَّعَامُ عَلَى التَّزْوِيجِ ، فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيَّ الْمَالُ أَرْسَلْتُ إِلَى أَبْرَهَةَ الَّتِي بَشَّرَتْنِي فَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي كُنْتُ أَعْطَيْتُكِ مَا أَعْطَيْتُكِ يَوْمَئِذٍ وَلَا مَالَ بِيَدِي وَهَذِهِ خَمْسُونَ مِثْقَالًا فَخُذِيهَا فَاسْتَعِينِي بِهَا ، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ حِقَّةً فِيهَا جَمِيعُ مَا أَعْطَيْتُهَا فَرَدَّتْهُ إِلَيَّ وَقَالَتْ : عَزَمَ عَلَيَّ الْمَلِكُ أَنْ لَا أَرْزَأَكِ شَيْئًا وَأَنَا الَّتِي أَقُومُ عَلَى ثِيَابِهِ وَدَهْنِهِ وَقَدِ اتَّبَعْتُ دِينَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَأَسْلَمْتُ لِلَّهِ ، وَقَدْ أَمَرَ الْمَلِكُ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ إِلَيْكِ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُنَّ مِنَ الْعِطْرِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاءَتْنِي بِعُودٍ وَوَرْسٍ وَعَنْبَرٍ وزَبَادٍ كَثِيرٍ ، وَقَدِمْتُ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى رَسُولِ

اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَكَانَ يَرَاهُ عَلَيَّ وَعِنْدِي فَلَا يُنْكِرُ ، ثُمَّ قَالَتْ أَبْرَهَةُ : فَحَاجَتِي إِلَيْكِ أَنْ تُقْرِئِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – مِنِّي السَّلَامَ وَتُعْلِمِيهِ أَنِّي قَدِ اتَّبَعْتُ دِينَهُ ، قَالَتْ : ثُمَّ لَطَفَتْ بِي وَكَانَتْ هِيَ الَّتِي جَهَّزَتْنِي ، وَكَانَتْ كُلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيَّ تَقُولُ : لَا تَنْسَيْ حَاجَتِي إِلَيْكِ، قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أَخْبَرْتُهُ كَيْفَ كَانَتِ الْخِطْبَةُ وَمَا فَعَلَتْ بِي أَبْرَهَةُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَأَقْرَأْتُهُ مِنْهَا السَّلَامَ ، فَقَالَ : " وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ " [١].

كل نساء الصحابة يحببن رسول الله :

فهذه رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها هالة بنت كلدة بن عبد الدار بن قصي تزوجها نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة فولدت له مخرمة بن نوفل.

وقد أسلمت وأدركت رسول الله ﷺ وقد كانت أشد الناس على ابنها مخرمة ، جاءت ليلة الهجرة وحذرت رسول الله ﷺ فقالت: إن قريشا قد اجتمعت تريد بياتك(٢) الليلة قال المسور فتحول رسول الله ﷺ عن فراشه وبات علي بن أبي طالب عليه السلام [١].

---

١) المستدرك على الصحيحين» كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم » خطبة النجاشي على نكاح أم حبيبة_ رقم الحديث: (٦٨٣٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد _ باب ذِكْرُ أزواج النبي ﷺ _ زوجته أم حبيبة ٩٨/٨.

٢) أي قتلك.

وهذه أم حذيفة بن اليمان تسأله: يا بني، ما عهدُك بالنبي ﷺ ؟ قال: من ثلاثة أيام، فنالت منه وأنَّبته قائلة: كيف تصبر يا حذيفة عن رؤية نبيك ثلاثة أيام؟.

ومن حب النساء للنبي ﷺ جعلهن يدفعن أولادهن يقاتلن عن النبي ﷺ في كل المواطن، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي ، أن امرأة دفعت إلي ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حملة ، فشدته علي ساعده بنسعة ، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ! هذا ابني يقاتل عنك ، فقال النبي ﷺ: " أي بني ! احمل هنا " فأصابته جراحة ، فصرع، فأتى به النبي ﷺ فقال : أي بني ! لعلك جزعت . قال : لا ، يا رسول الله ﷺ! (٢).

وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين في غزوة أحد سبعين رجلا وكانت أغلبية القتل من الأنصار، فقد قتل منهم خمسة وستون رجلا (٤١ من الخزرج ، ٢٤ من الأوس، وقتل رجل من اليهود (٣) وأربع من المهاجرين، ومع هذا العدد الكبير من الأنصار ما سمعنا رواية واحدة صحيحة ولا ضعيفة ولا موضوعة أن أحدا من الأنصار تزعزع إيمانه، أو ارتد سخطة على هذا الدين حيث أصابهم ما أصابهم

---

١) المرجع السابق_باب ذِكْرُ ذكر بنات عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٣/٨، والإصابة ٣٠٣/٤.

٢) كذا في كنز العمال ٢٧٧/٥ (حياة الصحابة باب خروج الحيان وقتالهم في الجهاد ٥٨٣/١).

٣) قال ابن اسحاق : وكان ممن قتل يومئذ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون ، لما كان يوم أحد قال : يامعشر اليهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا :إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت .. فأخذ سيفه وعدته وقال : إن إصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلي رسول الله ﷺ فقاتل معه حتي قتل فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا " مخيريق خير يهود " (تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣١/١) .

في سبيل هذا الدين الجديد، بل مع حزنهم علي قتلاهم ، فرحوا بموعود الله علي الجنة، كما مر قول أم سعد .

- ومن روائع المواساة التي تدل علي حب النساء للنبي ﷺ :

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد .. أذن بلال بصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ يتوكأ علي السعدين (سعد بن معاذ – سعد بن عبادة رضي الله عنهما) فصلي بهم ثم عاد إلي بيته ، ومضي سعد بن معاذ إلي نساءه ونساء قومه ، فساقهن حتى لم تبقي امرأة إلا جاء بها إلي بيت رسول الله ﷺ ، يبكين حمزة بين المغرب والعشاء . وأذن بلال العشاء فلم يخرج رسول الله ﷺ حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه الصلاة يا رسول الله ! فهب رسول الله ﷺ من نومه وخرج، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل ، وسمع البكاء فقال: " ما هذا ؟ " فقيل: نساء الأنصار يبكين علي حمزة، فقال: " رضي الله عنكن وعن أولادكن " وأمر أن ترد النساء إلي منازلهن.

وفي رواية ابن هشام: خرج عليهن وهن علي باب المسجد يبكين علي حمزة فقال: " ارجعن رحمكن الله ، لقد واسيتن ، رحم الله الأنصار، فإن المواساة فيهم "، فرجعن بليل مع رجالهن . (١)

وفي رواية: " أن رسول الله ﷺ لم رجع من أحد سمع نساء الأنصار يبكين علي أزواجهن فقال: " لكن حمزة لا بواكي له " فبلغ النساء ذلك فجئنا يبكين حمزة،

---

١) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٧/٤ .

فانتبه من الليل فسمعهن وهن يبكين، فقال: "ويحهن مازلنا يبكين منذ الليلة، مروهن فيرجعن، ولا يبكين علي هالك بعد الليلة " (١).

- قصة عمر والعجوز:

روي ابن المبارك في الزهد عن زيد بن أسلم (مولى عمر بن الخطاب): أن عمر ﷺ، خرج ليلة يحرس الناس ، فرأى مصباحا في بيت ، وإذا عجوز تنفش صوفا لتغزله وهي تقول :

علـي محمـد صـلاة الأبـرار صـلى عليـه الطيبـون الأخيـار

قـد كنـت قوامـا بكـا بالأسـحار يـا ليـت شـعري والمنايـا أطـوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر ﷺ فمازال يبكي حتى قرع عليها الباب، فقالت من هذا ؟ قال: عمر بن الخطاب ! قالت ومالي ولعمر ؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة ؟ قال: افتحي رحمك الله فلا بأس عليك ! ففتحت له فدخل فقال: أسألك أن تدخليني معكما ! قالت وعمر! فاغفر له يا غفار! فرضى ورجع. (٢).

قال ابن الزناد: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص من قمص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب مما انتهب ، فقالت

---

١) رواه أبو يعلي برجال الصحيح عن ابن عمر ، وعن أنس – والإمام أحمد وابن ماجة بسند صحيح عن ابن عمر – والطبراني عن ابن عباس – رضي الله عنهما – (المرجع السابق) .

٢) كذا في منتخب الكنز (حياة الصحابة . خروج الصحابة عن الشهوات . البكاء علي ذكر النبي ﷺ . سبل الهدى والرشاد في سيرة العباد . في لزوم محبته وثوابها ٤٧٠/١٢)

أسماء : للقميص أشد علي من قتل عبد الله ، فوجد القميص عند رجل من رجال أهل الشام ، فقال: لا أرده أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها. فقالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله ؟

قالوا : فليس يرد القميص ! فقالت : قولوا له فليجئ.. فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة.فقالت: ادفع القميص إلي عبد الله، فدفعه، فقالت: قبضت القميص يا عبد الله ؟ قال: نعم . قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

- حب الصبيان لرسول الله ﷺ :

١) معاذ ومعوذ :

وفي بيتين من بيوت الأنصار تربي هذان الشبلان (معاذ بن عمرو بن الجموح – ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما) علي حب الله وعلي حب رسول الله ﷺ فهيا بنا إلي ساحة " بدر" لننظر إليهما وهما يقتلان أبا جهل عدو الله، كما في الصحيحين عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: **بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي: مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا**

الَّذِي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ: " أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ، قَالَ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ، قَالَا : لَا فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : كِلَاكُمَا قَتَلَهُ سَلَبُهُ مُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ ومُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ " . متفق عليه [١]

وعند البخاري أيضا: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ فَقُلْتُ يَا ابْنَ أَخِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ قَالَ فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ. [٢].

وفي كتاب (المغازي) باب (فضل من شهد بدرا) ،قال:حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ عَبْدُ

---

١) صحيح البخاري _ رقم الحديث: ٢٩٢٤ ، صحيح مسلم _ رقم الحديث : ٣٣٠٢ ، مسند أحمد بن حنبل_ رقم الحديث: ١٦٠٦ ، صحيح ابن حبان _ رقم الحديث: ٤٩٤٨، المستدرك على الصحيحين_ رقم الحديث: ٥٧٨٢ ٤٢٢/٣ . السنن الكبرى للبيهقي_ رقم الحديث:١١٨٢٢ ٦ / ٣٠٥ ، المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث : ١٦٨٢٤، دلائل النبوة للبيهقي_ رقم الحديث: ٩٧٥، تاريخ دمشق لابن عساكر_ رقم الحديث:٤٧٩٦ .

٢) صحيح البخاري كتاب المغازي _ رقم الحديث: (٣٧٦٦).

الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا ، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ : يَا عَمِّ ، أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ ...قُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ ...فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ... قَالَ : فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا ... فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ.

وعند ابن إسحاق: عن ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، قالا: قال معاذ بن عمرو الجموح أخو بني سلمه: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة [١] وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتهما جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، وضربته ضربه أطنت قدمه بنصف ساقه، فو الله ! ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة علي عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامت يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. **كذا في البداية.** [٢].

---

١) الشجر الملتف.. أي احتمي بالشجر .

٢) المرجع السابق . وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٧/١ – وزاد : ثم عاش بعد ذلك ! إلي زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

٢) حب طلحة بن البراء لرسول الله ﷺ :

ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ، قَالَ : كَانَ طَلْحَةُ بْنُ الْبَرَاءِ رَجُلا مِنْ بَنِي أُنَيْفٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُهُ ، فَقَالَ : " أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ " ، قَالَ : فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، قَالَ : ثُمَّ جَاءَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : " أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ " ، قَالَ : فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ جَاءَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : " أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ " ، فَبَايَعَهُ ، فَأَمَرَهُ أَلا يَقْتُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ اشْتَكَى شَكْوَى فَأَذْنَفَ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَرَأَى بِهِ الْمَوْتَ ، فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ عِنْدَهُ : " إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَآذِنُونِي حَتَّى أَشْهَدَهُ وَأُصَلِّيَ عَلَيْهِ " . قَالَ : فَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ : آذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لا تَفْعَلُوا ، قَالُوا : وَلِمَ يَا طَلْحَةُ وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُصِيبَهُ نَكْبَةٌ أَوْ تَلْدَغَهُ عَقْرَبٌ أَوْ تَنْهَشَهُ حَيَّةٌ ، قَالَ : وَأَلْقَى اللَّهَ بِذَلِكَ ، قَالَ : فَتَرَكُوهُ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَلَمَّا مَاتَ آذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ : إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَآذِنُونِي ؟ " . فَقَالُوا : أَرَدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نَفْعَلَ فَمَنَعَنَا وَقَالَ : أَخْشَى أَنْ تُصِيبَهُ نَكْبَةٌ ، أَوْ تَلْدَغَهُ عَقْرَبٌ ، أَوْ تَنْهَشَهُ حَيَّةٌ فَأَلْقَى اللَّهَ بِذَاكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ بْنَ الْبَرَاءِ تَضْحَكُ إِلَيْهِ وَيَضْحَكُ إِلَيْكَ " [١].

---

١) الأولياء لابن أبي الدنيا » اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ بْنَ الْبَرَاءِ تَضْحَكُ ...رقم الحديث: ٧٢.

وعَنْ أَبِي مِسْكِينٍ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مِسْكِينٍ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ الْبَرَاءِ أَنَّهُ : أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : ابْسُطْ – يَعْنِي يَدَكَ – أُبَايِعْكَ . قَالَ : " وَإِنْ أَمَرْتُكَ بِقَطِيعَةِ وَالِدَيْكَ ؟ " . قُلْتُ : لَا . ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ قَالَ : " عَلَامَ " . قُلْتُ : عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ : " وَإِنْ أَمَرْتُكَ بِقَطِيعَةِ وَالِدَيْكَ ؟ ". قُلْتُ: لَا . ثُمَّ عُدْتُ الثَّالِثَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " يَا طَلْحَةُ ، إِنَّهُ لَيْسَ فِي دِينِنَا قَطِيعَةُ الرَّحِمِ ، وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي دِينِكَ رِيبَةٌ " . فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ . ثُمَّ مَرِضَ فَعَادَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَوَجَدَهُ مُغْمًى عَلَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَا أَظُنُّ طَلْحَةَ إِلَّا مَقْبُوضًا مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَإِنْ أَفَاقَ فَأَرْسِلُوا إِلَيَّ " . فَأَفَاقَ طَلْحَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : مَا عَادَنِي النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ قَالَ : فَقَالَ : لَا تُرْسِلُوا إِلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَتَلْسَعَهُ دَابَّةٌ أَوْ يُصِيبُهُ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ إِذَا فُقِدْتُ فَأَقْرِءُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُولُوا لَهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لِي . فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الصُّبْحَ سَأَلَ عَنْهُ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَوْتِهِ وَبِمَا قَالَ قَالَ : فَرَفَعَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَدَهُ وَقَالَ : " اللَّهُمَّ الْقَهُ يَضْحَكُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مُرْسَلًا ، وَعَبْدُ رَبِّهِ بْنُ صَالِحٍ لَمْ أَعْرِفْهُ ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ وُثِّقُوا . [١].

---

١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب المناقب» باب ما جاء في طلحة بن البراء رضي الله عنه(١٥٩٦٨).

وأخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء ﷺ ، لما لقي النبي ﷺ، فجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مُرْنِي بِمَا أَحْبَبْتَ فَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . فَعَجِبَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِذَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ، فَقَالَ: " اذْهَبْ فَاقْتُلْ أَبَاكَ " قَالَ: فَخَرَجَ مُوَلِّيًا لِيَفْعَلَ ، فَدَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ: " أَقْبِلْ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ " .فَمَرِضَ طَلْحَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَعُودُهُ فِي الْمَسَاءِ فِي غَيْمٍ وَبَرْدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِأَهْلِهِ: " إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ إِلَّا حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ ، فَآذِنُونِي حَتَّى أَشْهَدَهُ وَأُصَلِّيَ عَلَيْهِ " . وَأَعْجَلُوا فَلَمْ يَبْلُغِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – [بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ] حَتَّى تُوُفِّيَ ، وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ طَلْحَةُ : ادْفِنُونِي وَأَلْحِقُونِي بِرَبِّي – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – وَلَا تَدْعُوا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؛ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُود ، وَلَا يُصَابُ فِي سَبَبِي . فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حِينَ أَصْبَحَ ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَصَفَّ النَّاسَ مَعَهُ ، وَقَالَ: " اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ وَيَضْحَكُ إِلَيْكَ " .قُلْتُ: عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ طَرَفٌ مِنْ آخِرِ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ بَعْضَ هَذَا الْحَدِيثِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (١).

---

١) حياة الصحابة – باب خروج الصحابة عن الشهوات – محبة النبي ﷺ ٢٩٩/٢، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » كتاب المناقب » باب ما جاء في طلحة بن البراء رضي الله عنه (١٥٩٦٩).

٣) حب صبية من أهل البحرين لرسول الله ﷺ :

حكي أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد إلا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف وقال الآن عز الإسلام إن أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الأسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) المستطرف في كل فن مستظرف _ الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم.

امتثال النساء

لأمر رسول الله ﷺ

١) أم المؤمنين (أم حبيبة [١]) :

عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ قَالَ سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ" :مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ

---

١) أُمُّ حَبِيبَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ:السَّيِّدَةُ الْمُحَجَّبَةُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ .

مُسْنَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ حَدِيثًا، وَاتَّفَقَ لَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى حَدِيثَيْنِ، وَتَفَرَّدَ مُسْلِمٌ بِحَدِيثَيْنِ.

وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، لَيْسَ فِي أَزْوَاجِهِ مَنْ هِيَ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيْهِ مِنْهَا، وَلَا فِي نِسَائِهِ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ صَدَاقًا مِنْهَا، وَلَا مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا وَهِيَ نَائِيَةُ الدَّارِ أَبْعَدَ مِنْهَا .

عُقِدَ لَهُ ﷺ عَلَيْهَا بِالْحَبَشَةِ ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ صَاحِبُ الْحَبَشَةِ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَجَهَّزَهَا بِأَشْيَاءَ . وَيُقَالُ : قَبْرُهَا بِدِمَشْقَ . وَهَذَا لَا شَيْءَ ، بَلْ قَبْرُهَا بِالْمَدِينَةِ . وَإِنَّمَا الَّتِي بِمَقْبَرَةِ بَابِ الصَّغِيرِ : أُمُّ سَلَمَةَ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةُ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَلَدَ أَبُو سُفْيَانُ حَنْظَلَةَ ، الْمَقْتُولَ يَوْمَ بَدْرٍ؛ وَأُمَّ حَبِيبَةَ ، تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا الَّذِي هَاجَرَ بِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِيَابٍ الْأَسَدِيُّ ، مُرْتَدًّا مُتَنَصِّرًا . عُقِدَ عَلَيْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْحَبَشَةِ سَنَةَ سِتٍّ، وَكَانَ الْوَلِيُّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ .كَذَا قَالَ .

وَعَنْ عُثْمَانَ الْأَخْنَسِيِّ : أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَلَدَتْ حَبِيبَةَ بِمَكَّةَ ، قَبْلَ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ ، وَآخَرَ، قَالَا: كَانَ الَّذِي زَوَّجَهَا، وَخَطَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ : خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَكَانَ لَهَا يَوْمَ قَدِمَ بِهَاالْمَدِينَةَ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً (سير أعلام النبلاء « الصحابة رضوان الله عليهم « أم حبيبة أم المؤمنين) .

"قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ عَنْبَسَةُ فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَجْدَةً تَطَوُّعًا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ(١).

٢) زوجتي النبي ﷺ (أم حبيبه ، وزينب بنت جحش (رضي الله عنهما) :

عن زينب بنتِ أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رضيَ اللهُ عنها، زَوجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ تُوُفِّيَ أبُوهَا أبُو سُفْيَانَ بن حرب رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: " لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، إلاَّ علَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً "، قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رضي اللهُ عنها حينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ ، غَيرَ أنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ : " لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ

---

١) صحيح مسلم « كتاب صلاة المسافرين وقصرها « باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن _ رقم ٧٢٨ .

بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاَثٍ، إلاَّ علَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً " [متفق عليه] . (١).

٣) عمة النبي : صفية بنت عبد المطلب :

عَنْ عُرْوَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ، أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَرَاهُمْ ، فَقَالَ: " الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةُ "، قَالَ الزُّبَيْرُ : فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا ، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِي إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَلَدَمَتْ فِي صَدْرِي وَكَانَتِ امْرَأَةٌ جَلِدَةٌ، قَالَتْ : إِلَيْكَ ، لا أَرْضَ لَكَ ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَمَ عَلَيْكِ، قَالَ: فَوَقَفَتْ ، وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا ، فَقَالَتْ : هَذَانِ ثَوْبَانِ ، جِئْتُ بِهِمَا لأَخِي حَمْزَةَ ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ، فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا ، قَالَ : فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَتِيلٌ ، قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ ، قَالَ : فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ وَالأَنْصَارِيُّ لا كَفَنَ لَهُ ، فَقُلْنَا : لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ ، وَلِلأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ ، فَقَدَّرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ : فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا ، فَكَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي صَارَ لَهُ " .. رواه أحمد وأبو يعلى والبزار. (٢) . فكانوا وقافين عند أوامر الله ﷻ وأوامر رسوله ﷺ .

---

١) رياض الصالحين – باب تحريم إحداد المرأة علي ميت فوق ثلاثة أيام – صـ ..٦.

١) مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ بَاقِي الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ (١٣٦٤)، مناقب النساء الصحابيات لعبد الغني المقدسي» صَفِيَّةُ بِنْتُ

٤) أم حميد (رضي الله عنها) :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي». رواه أحمد.

قال عبد الله بن سويد(راوي الحديث): فأمرت فبُني لها مسجد في أقصي شيء من بيتها وأظلمه وكانت تُصلي فيه حتي لقيت الله تعالي.

انظري أيتها الأخت المسلمة :

كيف كانت استجابة المرأة المؤمنة لترغيب النبي ﷺ، وهل الفتنة مأمونة في زماننا أكثر من زمانهم ؟!!

فما لك لا تستجيبين لترغيب النبي ﷺ وتصلين في بيتك، ما منعك رسول الله ﷺ من الصلاة في المسجد ولكن رغبك فيما هو خير لك .

قال الدمياطي : كان النساء في عهد رسول الله إذا خرجن من بيوتهن يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية لا يعرفن من الغلس، وكان إذا سلم النبي صلى الله

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ رقم الحديث (٢). مسند البزار» مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه» ومما روى عروة بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام (٩٨٠)حياة الصحابة ٢/٥٨٣ .

عليه وسلم يقال للرجال مكانكم حتى ينصرف النساء ومع هذا قال رسول الله: إن صلاتهن في بيوتهن خير لهن .

ومما يدل علي شدة تأثر نساء الصحابة(رضي الله عنهم) وسرعة استجابتهن لأمر الله ورسوله أن النبي ﷺ خرج في يوم عيد، فصلي، ثم خطب، ولم يذكر آذانا ولا إقامة، ثم أتي النساء فوعظهن، وذكرهن، وأمرهن بالصدقة، فرأيتهن يهوين إلي آذانهن وحُلوقهن يدفعن إلي بلال، ثم ارتفع هو وبلال إلي بيته. متفق عليه. (١)

وعن أَبو أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ لِلنِّسَاءِ: " اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ " فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ (٢).

٥) فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها) :

وفي أمر مهمٍّ من أمور النساء ألا وهو الزواج واختيار شريك الحياة قدمن رضي الله عنهن رأيه ﷺ على رأيهن واختياره على اختيارهن، فمن ذلك ما رواته فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي فَآذَنْتُهُ " فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ صُخَيْرٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لَا مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو الْجَهْمِ

---

١) مشكاة المصابيح – باب صلاة العيدين ١/٤٥٠.

٢) رواه أبو داود ٥٢٧٢، صحيح أبي داود ٤/٣٦٩ .

فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ أُسَامَةُ " فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا أُسَامَةُ أُسَامَةُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ قَالَتْ فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ بِهِ" (١).

- **حب البنات لرسول الله ﷺ وامتثالهم لأمره ﷺ :**

١) قصة زواج جليبيب (رضي الله عنه) :

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ أَنَّ جُلَيْبِيبًا كَانَ مِنْ الْأَنْصَارِ وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ أَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ:" زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ " فَقَالَ: نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنٍ، فَقَالَ لَهُ:" إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي أُرِيدُهَا، قَالَ : فَلِمَنْ ؟ قَالَ: لِجُلَيْبِيبٍ، قَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ، أُمَّهَا فَأَتَاهَا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ، قَالَتْ: نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنٍ زَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ، قَالَتْ: فَلِمَنْ؟ قَالَ: لِجُلَيْبِيبٍ، قَالَتْ: حَلْقَى أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ مَرَّتَيْنِ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا أُزَوِّجُ جُلَيْبِيبًا، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ أَبُوهَا لِيَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: الْفَتَاةُ لِأُمِّهَا مِنْ خِدْرِهَا مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمَا قَالَتْ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَتَرُدُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ ادْفَعُونِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا

---

١) رواه مسلم ١٤٨٠، الترمذي ١١٣٥، النسائي ٣٢٢٢، ابن ماجة ١٨٦٩..

يُضَيِّعُنِي فَأَتَى أَبُوهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: شَأْنَكَ بِهَا فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَغْزًى لَهُ وَأَفَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ " قَالُوا : نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا، فَقَالَ النَّبِيُّ:" لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا فَانْظُرُوهُ فِي الْقَتْلَى " فَنَظَرُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، قَالَ: فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ثُمَّ حَمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ مَا لَهُ سَرِيرٌ غَيْرَ سَاعِدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى حُفِرَ لَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ وَمَا ذَكَرَ غُسْلًا[١].

قَالَ ثَابِتٌ : فَمَا فِي الأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقُ مِنْهَا .

وقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : فَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّ جُلَيْبِيبًا كَانَ رَجُلا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ حَلِيفًا مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي زَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ . رَوَاهُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عُمَرَ بْنِ سُلَيْطٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

وَحَدَّثَ :عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَلْ تَعْلَمْ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: " اللهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا " . أخرجه أحمد بهذ اللفظ [٢].[٣] .

---

١) مسند أحمد» أول مسند البصريين» حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه(١٩٣٠٩).

٢) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » أَوَّلُ مُسْنَدِ الْبَصْرِيِّينَ» حَدِيثُ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ(رقم الحديث: ١٩٣٤٣) .

٣) حياة الصحابة ٦٦٨/٢ – صفة الصفوة ٠٢٦١/١

٢) المرأة التي خطبها المغيرة بن شعبة :

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: خَطَبْتُ جَارِيَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: " رَأَيْتَهَا " فَقُلْتُ : لا ، قَالَ: " فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا " قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِوَالِدَتِهَا ، فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقُمْتُ، فَخَرَجْتُ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ : عَلَى الرَّجُلِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ، فَرَفَعَتْ نَاحِيَةَ خِدْرِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ، فَانْظُرْ، وَإِلا فَإِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ، فَتَزَوَّجْتُهَا، فَمَا تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ وَلا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهَا (كذا في الكنز). (١)

- **نساء ينصرن رسول الله ﷺ :**

١) ضباعة بِنْت عامر بن قرط العامرية، أسلمت بمكَّة :

عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَامِرِيُّ ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : " أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِسُوقِ عُكَاظٍ ، فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قُلْنَا : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ

---

١) سنن الترمذي ١٠٠٣، السنن الكبرى للنسائي(٣٢٠١، ٥١٦٤)، سنن ابن ماجة ١٨٥٦، مسند أحمد بن حنبل(١٧٧٨٨،١٧٧٧٠)، مسند الدارمي(٢١٠٦)، صحيح ابن ماجة ٦٠٠/١ ،المعجم الكبير للطبراني(١٧٤٥٩،١٧٤٥٨،١٧٤٥٧،١٧٢٨١، ١٧٤٦٩)، المعجم الأوسط للطبراني (٩٥٢٠)، مصنف ابن أبي شيبة(١٣٢٤٩)، مصنف عبد الرزاق(١٠٠٨٨) السنن الكبرى للبيهقي(١٢٤٩٢،١٢٤٩١)، سنن الدارقطني(٣١٧٣).

صَعْصَعَةَ ، قَالَ: مِنْ أَيِّ بَنِي عَامِرٍ ؟ قُلْنَا : بَنُو كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ . قَالَ: وَكَيْفَ الْمَنَعَةُ فِيكُمْ ؟ قُلْنَا : لا يُرَامُ مَا قِبَلَنَا وَلا يُصْطَلَى بِنَارِنَا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ أَتَيْتُكُمْ تَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَلَمْ أُكْرِهْ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالُوا : وَمِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالُوا : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ؟ قَالَ :" هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَنِي وَطَرَدَنِي" . قَالُوا: وَلَكِنَّا لا نَطْرُدُكَ وَلا نُؤْمِنُ بِكَ وَنَمْنَعُكَ حَتَّى تُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّكَ ، قَالَ: فَنَزَلَ إِلَيْهِمُ الْقَوْمُ يَتَسَوَّقُونَ إِذْ أَتَاهُمْ بَجَرَةُ بْنُ قَيْسٍ الْقُشَيْرِيُّ ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِنْدَكُمْ أُنْكِرُهُ ؟ قَالُوا : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : مَا لَكُمْ وَلَهُ ؟ قَالُوا: زَعَمَ لَنَا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ يَطْلُبُ إِلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، قَالَ: فَمَاذَا رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : قُلْنَا فِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، نُخْرِجُكَ إِلَى بِلادِنَا وَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ بِهِ أَنْفُسَنَا ، قَالَ بَجَرَةُ : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السُّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشَرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ ، بَدَأْتُمْ لِتَنَابُذِ النَّاسِ وَتَرْمِيكُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ ، لَوْ آنَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، تَعْمِدُونَ إِلَى رَهِيقِ قَوْمٍ قَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ ، فَتُؤْوُونَهُ وَتَنْصُرُونَهُ ؟ فَبِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتُمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : قُمْ فَالْحَقْ بِقَوْمِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلا أَنَّكَ عِنْدَ قَوْمِي لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ . قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى نَاقَتِهِ فَرَكِبَهَا ، فَغَمَزَ الْخَبِيثُ بَجَرَةُ شَاكِلَتَهَا ، فَقَمَصَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَتْهُ، وَعِنْدَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ ، كَانَتْ مِنَ النِّسْوَةِ اللاتِي أَسْلَمْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، جَاءَتْ زَائِرَةً إِلَى بَنِي عَمِّهَا ، فَقَالَتْ : يَا آلَ عَامِرٍ

وَلا عَامِرَ لِي ، أَيُصْنَعُ هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ؟ فَقَامَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَمِّهَا إِلَى بَجَرَةَ ، وَاثْنَانِ أَعَانَاهُ ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلا ، فَجَلَدَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ عَلَوْا وُجُوهَهُمْ لَطْمًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى هَؤُلاءِ وَالْعَنْ هَؤُلاءِ ". قَالَ: فَأَسْلَمَ الثَّلاثَةُ الَّذِينَ نَصَرُوهُ فَقُتِلُوا شُهَدَاءَ، وَهَلَكَ الآخَرُونَ لَعْنًا ، وَاسْمُ الثَّلاثَةِ نَفَرٍ الَّذِينَ نَصَرُوا بَجَرَةَ : فِرَاسٌ وَحَزْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَأَمَّا الثَّلاثَةُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: فَغِطْرِيفٌ وَغَطَفَانُ ابْنَا سَهْلٍ وَعُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " .

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ : " فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ ، رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ حَتَّى لا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوْسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ، قَالُوا: جَاءَنَا فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّهُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ مَعَنَا إِلَى بِلادِنَا، قَالَ: فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلافٍ ؟ هَلْ لِذُنَابَاهَا مِنْ مُطَّلِبٍ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ فُلانٍ بِيَدِهِ، مَا يَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِيٌّ قَطُّ ، أَلا إِنَّهَا الْحَقُّ فَأَيْنَ كَانَ رَأْيُكُمْ ؟.(١).

---

١) دلائل النبوة لأبي نعيم « دَلائِلُ النُّبُوَّةِ لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي... ...

٢) عمة النبي (ﷺ) : عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) فِيمَا يَرَى النَّائِمُ قَبْلَ مَقْدَمِ ضَمْضَمَ بْنِ عَمْرِوالْغِفَارِيِّ عَلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا ، فَأَصْبَحَتْ عَاتِكَةُ فَأَعْظَمَتْهَا، فَبَعَثَتْ إِلَى أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي ، لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْزَعَتْنِي لَيَدْخُلَنَّ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَبَلَاءٌ ، فَقَالَ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَتْ : رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ فَوَقَفَ بِالْأَبْطَحِ ، فَقَالَ : انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ، فَأُرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ أُرَى بَعِيرَهُ دَخَلَ بِهِ الْمَسْجِدَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى رَأْسِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ: انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ، ثُمَّ إِنَّ بَعِيرَهُ مَثُلَ بِهِ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَقَالَ: انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً ، فَأَرْسَلَهَا مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ ، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، أَرْفَضَتْ فَمَا بَقِيَتْ دَارٌ مِنْ دُورِ قَوْمِكَ ، وَلَا بَيْتٍ إِلَّا دَخَلَ فِيهِ بَعْضُهَا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَاللَّهِ ، إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا فَاكْتُمِيهَا قَالَتْ: وَأَنْتَ فَاكْتُمْهَا لَئِنْ بَلَغَتْ هَذِهِ قُرَيْشًا لَيُؤْذُونَنَا، فَخَرَجَ الْعَبَّاسُ مِنْ عِنْدِهَا وَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ، فَتَحَدَّثَ بِهَا فَفَشَا الْحَدِيثُ قَالَ الْعَبَّاسُ وَاللَّهِ، إِنِّي

لَغَادٍ إِلَى الْكَعْبَةِ لِأَطُوفَ بِهَا إِذْ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا أَبُو جَهْلٍفِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَحَدَّثُونَ، عَنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، مَتَى حَدَّثَتْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ قَالَ :رُؤْيَا رَأَتْهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَمَا رَضِيتُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْ يَتَنَبَّأَ رِجَالُكُمْ حَتَّى تَنَبَّأَ نِسَاؤُكُمْ فَسَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلَاثَ الَّتِي ذَكَرَتْ عَاتِكَةُ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَسَيَكُونُ، وَإِلَّا كَتَبْنَا عَلَيْكُمْ كِتَابًا إِنَّكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنِّي مِنْ كَبِيرٍ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ مَا قَالَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَتْ شَيْئًا وَلَا سَمِعْتُ بِهَذَا، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا أَتَتْنِي، فَقُلْنَ: أَصَبَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ النِّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ غَيْرَةٌ ؟ فَقُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقْتُنَّ، وَمَا كَانَ عِنْدِي فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرَةٍ إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مَا قَالَ، فَإِنْ عَادَ لَأَكْفِيَنَّهُ ، فَقَعَدْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَتَعَرَّضُهُ لَيَقُولَ شَيْئًا فَأُشَاتِمُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمُقْبِلٌ نَحْوَهُ، وَكَانَ رَجُلًا حَدِيدَ الْوَجْهِ، حَدِيدَ الْمَنْظَرِ، حَدِيدَ اللِّسَانِ إِذْ وَلَّى نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ كُلَّ هَذَا فَرَقًا مِنْ أَنْ أُشَاتِمَهُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ بِالْأَبْطَحِ قَدْ حَوَّلَ رَحْلَهُ ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَجَدَعَ بَعِيرَهُ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيمَةَ اللَّطِيمَةَ أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ، وَتِجَارَتُكُمْ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، فَالْغَوْثُ، فَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنِّي، فَلَمْ

يَكُنْ إِلَّا الْجِهَازُ حَتَّى خَرَجْنَا ، فَأَصَابَ قُرَيْشًا مَا أَصَابَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ ، وَأَسْرِ خِيَارِهِمْ، فَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

أَلَمْ تَكُنِ الرُّؤْيَا بِحَقٍّ وَعَابَكُمْ بِتَصْدِيقِهَا قَلَّ مِنَ الْقَوْمِ هَارِبُ

فَقُلْتُمْ وَلَمْ أَكْذِبْ كَذَبْتِ وَإِنَّمَا يُكَذَّبْنَ بِالصِّدْقِ مَنْ هُوَ كَاذِبُ[1]

فلا ترى عاتكة مثل هذه الرؤيا العظيمة إلا وقلبها ممتلىء بحب ابن أخيها النبي محمد ﷺ ومتلهف علي نصرته.

أختي المسلمة:

بالله عليك ماذا ترين في نومك؟!!!.

وما الذي يؤرقك؟ .

وما الذي يشغل قلبك وفكرك؟ .

أنصرة الإسلام؟ أم الطعام والشراب واللباس والموضة؟.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) المستدرك على الصحيحين _ كتاب المغازي والسرايا_ رؤيا عاتكة قبل قدوم ضمضم في قتل كفار قريش ٣/٥٥٨.

فرح الأنصـــار برسول الله (ﷺ)

كان المسلمون في المدينة قد سمعوا بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى ظاهر المدينة ينتظرونه، حتى إذا اشتد الحر عليهم عادوا إلى بيوتهم، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه انتظروه حتى لم يبق ظل يستظلون به فعادوا، وقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دخلوا بيوتهم، فبصر به يهودي فناداهم، فخرجوا فاستقبلوه، وكانت فرحتهم به غامرة ، فقد حملوا أسلحتهم وتقدموا نحو ظاهر الحرة فاستقبلوه .

وقد نزل الرسول صلى الله عليه وسلم في قباء في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء .

ولما عزم رسول الله صلى عليه وسلم أن يدخل المدينة أرسل إلى زعماء بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم.

استقبله خمسمائة رجل من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين.. وصعدت العواتق البيوت يترائينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ.(١).

فرح الرجال، والنساء، والبنات، والصبيان بقدوم رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، كما في البخاري وغيره: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ

---

١) رواه البيهقي عن أنس .

عَنْهُمَا قَالَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنْ الْمُفَصَّلِ (١).

وعن أنس ﷺ أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة بحرابها فرحاً بقدومه " (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع(٣)

وكلما مر بدار من دور الأنصار إلا سألوه أن ينزل عندهم : **هلم يا رسول الله ! إلى العزة والمنعة والثروة**، فيقول لهم خيراً ويدعو ويقول:" **إنها مأمورة خلوا سبيلها** " (٤)

---

١) صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار » باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة(٣٧١٠)، مسند أحمد» أول مسند الكوفيين» حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه(١٨٠٩٦)..

٢) رواه أحمد وأبو داود .

٣) رجح ابن القيم رحمه الله : أن هذه الأبيات قالوها عند عودة رسول الله من فتح مكة.

٤) سبل الهدى والإرشاد وفى سيرة خير العباد ٣/ ٣٨٥ .

وروي الحاكم أن رسول الله ﷺ لما نزل علي أبي أيوب خرج جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوف ويقُلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا من محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ: " أتُحبينني ؟ " قلن: نعم يا رسول الله ! فقال: " وأنا والله أُحبُّكُنَّ " قالها ثلاث (١) .

- **أحلى وصف لرسول الله (ﷺ) (لاثنين من النساء) :**

– الأولى : أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ: عَنْ حِزَامِ بْنِ هِشَامِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ هِشَامِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِيهِ حُبَيْش بْنِ خَالِدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مِنْهَا مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الأُرَيْقِطِ مَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوهُ مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: " مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ " قَالَتْ : خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ : " فَهَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ "، قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ:"

---

١) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٣/٠٣٩٠.

أَتَأْذَنِينَ أَنْ أَحْلُبَهَا ؟ "، قَالَتْ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، نَعَمْ إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاحَتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ فِيهَا ثَجًّا حَتَّى عَلاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رُوِيَتْ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، وَشَرِبَ آخِرَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَرَاضُوا ثُمَّ حَلَبَ فِيهَا ثَانِيًا بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا "، فَقَلَّمَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزْلا ضُحًى، مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ عَجِبَ ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ وَالشَّاةُ عَازِبٌ حِيَالٌ، وَلا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ: لا وَاللَّهِ إِلا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْخَلْقِ لَمْ تَعِبْهُ ثُحْلَةٌ وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبَهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ، فَصْلٌ لا هَذِرٌ وَلا نَزِرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعٌ لا يَأْسٌ مِنْ طُولٍ، وَلا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لا عَابِسٌ وَلا مُفَنَّدٌ، قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا أَمْرُهُ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ

أَنْ أَصْحَبَهُ وَلأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا ، فَأَصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكَّةَ عَلِيًّا يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلا يَدْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ: جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ قَالا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ هُمَا نَزَلاها بِالْهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ فَيَا لِقُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمُ بِهِ مِنْ فِعَالٍ لا تُجَارَى وَسُؤْدَدِ لِيَهِنْ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمُ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ عَلَيْهِ صَرِيحًا ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ، فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بِذَلِكَ شَبَّبَ يُجِيبُ الْهَاتِفَ ، وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ رَبُّهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يُرْشَدِ وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عِمَايَتَهُمْ هَادٍ بِهِ كُلَّ مُهْتَدِ وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبَ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ نَبِيٌّ يَرَى مَا لا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ زَادَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: وَحَدَّثَنَاهُ مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، عَنْ مُكْرَمٍ ، فَقَالَ لَنَا: " لَمْ تُعِبْهُ ثُحْلَةٌ وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَقْلَةٌ "، وَالصَّوَابُ ثُجْلَةٌ وَصَعْلَةٌ الثَّجْلَةُ : كِبَرُ الْبَطْنِ، وَالصَّعْلَةُ: صِغَرُ الرَّأْسِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ كَبِيرَ الْبَطْنِ وَلا صَغِيرَ الرَّأْسِ، وَقَالَ لَنَا مُكْرَمٌ : " فِي أَشْفَارِهِ

عَطَفٌ وَفِي صَوْتِهِ صهَلٌ ، وَقَالَ لَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ مُكْرَمٍ: " فِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ فِي صَوْتِهِ صَحَلٌ "، وَالصَّوَابُ وَطَفٌ: وَهُوَ الطُّولُ، وَالصَّوَابُ صَحَلٌ : وَهِي الْبَحَّةُ ، وَقَالَ لَنَا مُكْرَمٌ : " لا يَأْسَ مِنْ طُولٍ "، وَالصَّوَابُ " لا يَتَشَنَّا مِنْ طُولٍ "، وَقَالَ لَنَا مُكْرَمٌ : " وَلا عَابِسٌ وَلا مُعْتَدٍ "، وَقَالَ لَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ مُكْرَمٍ : " لا عَابِسٌ وَلا مُفَنَّدٌ "، يَعْنِي: لا عَابِسٌ وَلا مُكَذَّبٌ. . (١)

المعجزة الثانية : الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ لرسول الله ﷺ:

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ :صِفِي لَنَا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَتْ : يَا بُنَيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً .رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (٢)(٣).

---

١) شرح السنة للبغوي(٣٦١٠)، المعجم الكبير للطبراني» بَابُ الْحَاءِ» مَنِ اسْمُهُ حُصَيْنٌ(٣٥٢٥)، دلائل النبوة لأبي نعيم(٢٣٩)، دلائل النبوة للبيهقي(٢٥٥)، دلائل النبوة للأصبهاني(٤٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(٣٩٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر(١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١١١٢٨)، معرفة الصحابة لأبي نعيم(٢١١١ ، ٦٤٨٠)، تاريخ الإسلام للذهبي ١٨٩/١.

٢) مشكاة المصابيح . كتاب الفضائل والشمائل باب أسماء النبي ﷺ وصفاته ، ١٦١٣/٣.

٣) وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ)، قَالَ الْمُؤَلِّفُ: عَنَسِيٌّ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالنُّونِ، تَابِعِيٌّ ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ ، وَرَوَى عَنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ (قَالَ : قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ): بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَتَشْدِيدٍ (بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ): بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ الْمَكْسُورَةِ ، صَحَابِيَّةٌ جَلِيلَةٌ (صِفِي): أَمْرُ مُخَاطَبَةٍ مِنَ الْوَصْفِ أَيِ: انْعَتِي (لَنَا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَتْ: يَا بُنَيَّ): بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَكْسُورَةِ أَوِ الْمَفْتُوحَةِ تَصْغِيرُ شَفَقَةٍ وَمَرْحَمَةٍ (لَوْ رَأَيْتَهُ) أَيْ: نُورَ وَجْهِهِ وَطَالَعْتَ فِيهِ مُطَالَعَةً وَوَافَقَكَ الطَّالِعُ الْمَيْمُونُ وَالْبُخْتُ الْهَمَايُونُ (رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً). أَيْ فِي وَجْهِهِ وَيَأْتِي مَعَ وَجْهِهِ، أَوِ التَّقْدِيرُ: فَكَأَنَّكَ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً وَهُوَ أَظْهَرُ . (مرقاة المفاتيح لعلى القاري) .

عاقـــــــــلات

– هاجر عليها السلام :

ما أعقلها حينما جاءها إبليس عليه لعنة الله ، يخبرها أن إبراهيم يريد أن يذبح إسماعيل، وردها عليها، دليل علي قوة عقلها وقوة إيمانها، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ خَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّ ، عَنْ ذَبِيحِ اللَّهِ أَيُّهُمَا كَانَ ؟ فَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ ، لَمَّا بَلَغَ إِسْمَاعِيلُ سَبْعَ سِنِينَ رَأَى إِبْرَاهِيمُ فِي النَّوْمِ فِي مَنْزِلِهِ بِالشَّامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ إِسْمَاعِيلَ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى جَاءَهُ فَوَجَدَهُ عِنْدَ أُمِّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَمَضَى بِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ وَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فِي حَاجَتِي. قَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَذْبَحَ إِسْمَاعِيلَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَرَأَيْتَ وَالِدًا يَذْبَحُ وَلَدَهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنْتَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَلِمَ ؟ قَالَ: تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِذَلِكَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنْ كَانَ اللَّهُ أَمَرَنِي أَطَعْنَا لِلَّهِ وَأَحْسَنْتُ .

فَانْصَرَفَ عَنْهُ وَجَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى هَاجَ ، فَقَالَ: أَيْنَ ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ بِابْنِكِ ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ فِي حَاجَتِهِ. قَالَ: فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ. قَالَتْ: وَهَلْ رَأَيْتَ وَالِدًا يَذْبَحُ وَلَدَهُ ؟ قَالَ: هُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَتْ: فَقَدْ أَحْسَنَ حَيْثُ أَطَاعَ اللَّهَ. ثُمَّ أَدْرَكَ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ

أَبُوكَ ؟ قَالَ: لِحَاجَتِهِ. قَالَ: فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِكَ لِيَذْبَحَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَيْتَ وَالِدًا قَطُّ يَذْبَحُ وَلَدَهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ هُوَ. قَالَ: وَلِمَ ؟ قَالَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَقَدْ أَحْسَنَ حَيْثُ أَطَاعَ رَبَّهُ . قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مِنًى حَيْثُ أُمِرَ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَنْحَرِ الْبُدْنِ الْيَوْمَ ، فَقَالَ : أَبُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَكَ . قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَأَطِعْ فَإِنَّ طَاعَةَ رَبِّكَ كُلُّ خَيْرٍ. ثُمَّ قَالَ إِسْمَاعِيلُ هَلْ أَعْلَمْتَ أُمِّي بِذَلِكَ ؟ قَالَ: لَا . قَالَ: أَصَبْتَ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَحْزَنَ وَلَكِنْ إِذَا قَرَّبْتَ السِّكِّينَ مِنْ حَلْقِي فَأَعْرِضْ عَنِّي ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ تَصْبِرَ وَلَا تَرَانِي . فَفَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَجَعَلَ يَحُزُّ فِي حَلْقِهِ ، فَإِذَا الْحَزُّ فِي نُحَاسٍ مَا يَحْتَكُّ الشَّفْرَةُ ، فَشَحَذَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً بِالْحَجَرِ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُزَّ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا بِوَعْلٍ وَاقِفٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : قُمْ يَا بُنَيَّ فَقَدْ نَزَلَ فِدَاكَ . فَذَبَحَهُ هُنَاكَ بِمِنًى .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أُسَامَةَ ،عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ : الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ [١] .

---

١) المستدرك على الصحيحين « كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين . بَيَانُ الِاخْتِلَافِ فِي مَقَامِ ذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤٢٦/٣.

- بلقيس (ملكـــة سبـــأ) :

قال ابن عباس ﷺ : كان الهدهد يدل سليمان عليه السلام علي الماء، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه، أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان، حتى يستنبط الماء من قراره. فنزل سليمان يوما بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يراه : ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ * لأُعَذّبَنّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنّي بِسُلْطَانٍ مّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنّي وَجَدتّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *وَجَدتّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشّمْسِ مِن دُونِ اللّهِ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدّهُمْ عَنِ السّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاّ يَسْجُدُواْ للّهِ الّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ *اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بّكِتَابِي هَـذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمّ تَوَلّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ* قَالَتْ يَأَيّهَا الْمَلأُ إِنّيَ أُلْقِيَ إِلَيّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ* أَلاّ تَعْلُواْ عَلَيّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَأَيّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِيَ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتّىَ تَشْهَدُونِ * قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوَاْ أَعِزّةَ أَهْلِهَآ أَذِلّةً وَكَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ*وَإِنّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمّا جَآءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ آتَانِي اللّهُ خَيْرٌ مّمّآ آتَاكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنّهُم بِجُنُودٍ لاّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنّهُم مّنْهَآ أَذِلّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَأَيّهَا الْمَلأُ أَيّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ*قَالَ عِفْرِيتٌ مّن الْجِنّ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مّقَامِكَ وَإِنّي عَلَيْهِ لَقَوِيّ أَمِينٌ * قَالَ الّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الْكِتَابِ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَـَذَا مِن فَضْلِ رَبّي لِيَبْلُوَنِيَ أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنّ رَبّي غَنِيّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ * فَلَمّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنّا مُسْلِمِينَ* وَصَدّهَا مَا كَانَت تّعْبُدُ مِن دُونِ اللّهِ إِنّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ* قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنّهُ صَرْحٌ مّمَرّدٌ مّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبّ إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

رجاحة عقلها:

ما أرجح عقلها! وما أشد ذكاءها! وما أجمل فطنتها! وما أحسن حزمها!.

من منا في مثل ذكائها وفطنتها ؟؟.

---

١) سورة النمل – الآيات من ٢٠ : ٤٤ .

إنها امرأة حازت الشرف من أطرافه، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه.

لم يسطر قصتها أحد الكتاب ولا القصاصين، ولم تُكتب سيرتها في أسفار الغابرين. إنما ذكر حالها، وأثنى عليها ربها، اللهُ جل جلاله، وأورد خبرها في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لما أُلقى إليها كتاب سليمان عليه السلام ، قرأته ثم استشارت وزرائها في أمرها وما قد نزل بها ، قالت:(يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ).

تأمل قولها (أُلقيَ إليَّ) قالت بصيغة المجهول، فلم تذكر من الذي ألقاه؟ وكيف ألقي؟ وذلك حتى لا تصرف الانتباه لغير المقصود.

ثمار الشورى :

قال تعالى:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتّىَ تَشْهَدُونِ ﴾ أي تحضرون ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ أي نحن أشداء إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، وبعد هذا إن الأمر إليك نمتثله لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان، لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرا عجيبا بديعا فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه، ويخلص إليَّ واليكم الهلاك والدمار دون غيرنا﴿ إِنّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوَاْ أَعِزّةَ أَهْلِهَآ أَذِلّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

ثم عدلت إلي المصالحة والمهادنة والمسالمة، قالت: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُون ﴾ من جوابه عليه السلام فلعله يقبل ذلك منا ، فكيف عنا، أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه . وهذا من أقوى الأدلة علي رجاحة عقلها حيث أمرت قومها باتباعه إن كان نبيا .

فعلى الرغم من انفرادها في الملك إلا أنها لا تريد أن تستأثر بالقرار دونهم، بل تشاورهم.

فما نصيب الاستشارة في حياتنا ؟ ومن نستشير؟ وفي أي شيء نستشير؟

الهدية تذهب الشكوك وضغائن النفوس، لذا قالت بلقيس: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

قال ابن كثير: أي سأبعث إليه بهدية تليق بمثله، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك منا ويكفّ عنا، أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه كل عام، ونلتزم له بذلك، ويترك قتالنا ومحاربتنا.

وقال قتادة: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس.

أحبتي في الله !!: الهدية الآن نقدمها في الأغلب لمن نحب، فهل جرّبنا أن نقدمها لمن بيننا وبينه تخوّف وتوجّس ليزول ضباب الشكوك، وينجلي غمام المخاوف فنعيش معه في صفاء وهناء، ففي الحديث: عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : " **تهادوا تحابوا** " . رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى بإسناد حسن.

وكان يُقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلبت الشحناء، ولا دفعت المغارم، ولا توقي المحذور، ولا استعمل المهجور، بمثل الهدية إليه.

ويقول الشاعر:

هدايا الناسِ بعضِهمُ لبعضٍ تولّـدُ في قلوبِهِـمُ الوصـالا
وتزرعُ في الضمير هوًى ووُدّاً ويكسوهم إذا حضروا جمالا

فطنة وحصافة:

قال الله تعالى: (فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ)

كان سليمان عليه السلام قد أمر بتغيير بعض صفات عرش بلقيس بزيادة ونقص ليختبر عقلها، فسألها: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو! أي يشبهه ويقاربه.. وهذا من فطنتها وذكائها، فلم تقل (هو) لوجود التغيير فيه، ولم تنفِ أنه هو لأنها عرفته، فأتت بلفظ محتمل للأمرين.

قال ابن كثير: فكان فيها ثبات وعقل، ولها لبّ ودهاء وحزم، فلم تقلْ إنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإنه غُيِّر وبُدِّل ونُكِّر.

إن هذا الموقف الحصيف من بلقيس ليعطي درساً بضرورة التأني عند سماع الأخبار وتلقيها، وبخاصة بعدما كثرت وسائل نقلها وازدادت سرعة تداولها، كرسائل الجوال والإنترنت. فبعض الناس لا يكاد يتلقى أو يسمع خبراً إلاّ ويسارع إلى نشره دون تأمّل لمحتواه ولمدى صحته وجدوى نقله، وقد دعا النبي ﷺ إلى التأني وعدم

العجلة فقال: " **التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ** " رواه الترمذي وصحّحه الألباني.

الرجوع للحق: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).ما أجملها من كلمة، وما أحسنه من قول: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)، إقرار بالخطيئة، واعتراف بالذنب، فلم يجعلها ملكها ومكانتها عند قومها تتكبر عن قبول الحق، والرجوع عن الباطل.

إن المكانة العلمية أو الدعوية، والخوف من اهتزاز الصورة عند المحبين قد تمنع البعض الآن من التراجع عن قول أو فعل تبين له خطؤه.

فكانت مشورتها مع قومها سببا لنجاتها ونجاة قومها وسبب إسلامها وسعادتها في الدارين: في الدنيا بالإسلام والزواج بنبي الله سليمان عليه السلام، وفي الآخرة بالخلود في الجنان . (١) .

– أم المؤمنين : خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) :

أول زوج لرسول الله ﷺ.. وكانت امرأة عاقلة، ذات مال، يرغب فيها الرجال.

من رجاحة عقلها :

١) رغبت عن الأزواج، واختارت النبي محمد ﷺ زوجا لها.. لما رأت فيه من علامات النبوة.

٢) المسارعة إلي الإيمان بالله ورسوله ﷺ فكانت أول من آمن من الرجال والنساء .

---

١) انظر القصة بتمامها في تفسير ابن كثير ٦٦٨/٢ .

٣) واست النبي ﷺ بمالها، وفرغته لجهد الدين والدعوة إلي الله ﷻ .

٤) ما أغضبت رسول الله ﷺ قط.

٥) قصتها في كشف رأسها لتعرف الملك الذي يأتي النبي ﷺ في حراء ملك .. أم شيطان .

٦) ولما أخبرها رسول الله ﷺ أن الله زوجه في الجنة بمريم عليها السلام ، وآسية امرأة فرعون ، ما غضبت بل قالت : بالرفاء والبنين.

– أم المؤمنين: السيدة عائشة (رضي الله عنها) :

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق[١]، زوج النبي ﷺ ، وأشهر نسائه. ولدت – رضي الله عنها – سنة تسع قبل الهجرة، كنيتها أم عبد الله [٢]، ولُقِّبت بالصِّدِّيقة، وعُرِفت بأم المؤمنين، وبالحميراء لغلبة البياض على لونها.

---

١) أبوها: عبد الله بن أبي قُحَافَة: عثمان بنِ عامرِ بنِ عمروِ بنِ كعبِ، القُرَشِيّ، التَّيمِيّ، أبو بكر الصديق، أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، ولد بمكة، ونشأ بها، وكان أحد أعاظم العرب، وسيداً من سادات قريش، ومن كبار أغْنِيائِهم، عالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكان موصوفاً بالحلم والرأفة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً.

٢) أمُّ عبد الله، كناها بها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما طلبت منه أن يكون لها كنية، فكناها بابن أختها أسماء، تطييبًا لخاطرها، فعن عروة عن عَائِشَة رضي الله عنها أنها قالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ: "فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ" – يعني ابن اختها –، فَكَانَتْ تُدْعَى بِأُمِّ عَبْدِ اللهِ حَتَّى مَاتَتْ» أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في المرأة تكنى ٤/ ٢٩٣، رقم (٤٩٧٠)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب الرجل يكنى قبل أن يولد له ٢/ ١٢٣١، رقم (٣٧٣٩)، وأحمد ٤٣/ ٢٩١، رقم (٢٦٢٤٢)، وقال ابن حجر في التلخيص ٤/ ٣٦٥: "سنده صحيح"..

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية –رضي الله عنها– التي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ** " (١).

ولدت عائشة رضي الله عنها في الإسلام ولم تدرك الجاهلية، وكانت من المتقدمين في إسلامهم؛ فقد روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين."

في بيت الصدق والإيمان ولدت، وفي أحضان والدَيْنِ كريمين من خيرة صحابة رسول الله ﷺ تربت، وعلى فضائل الدين العظيم وتعاليمه السمحة نشأت وترعرعت.

وقد تمت خطبتها لرسول الله ﷺ وهي بنت سبع سنين، وتزوجها وهي بنت تسع؛ وذلك لحداثة سنها، فقد بقيت تلعب بعد زواجها فترة من الزمن، روي عنها

---

١) المستدرك على الصحيحين» كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ... » وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم » ذِكْرُ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ...(٥٩٩٢) الحديث ضعيف، وفي الطبقات عن القاسم بن محمد قال : لما دُلِّيَت أمُّ رومان في قبرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مَن سَرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان" رواه ابن سعد في " الطبقات الكبرى " (٢٧٧/٨)، وأبو نعيم في " معرفة الصحابة " (٣٤٩٨/٦) ، والسهمي في " تاريخ جرجان " (١٩٩/١) جميعهم: من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد مرسلا.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله : هذا إسناد ضعيف ؛ فإنه – مع إرساله – فيه ضعف علي بن زيد ؛ وهو ابن جدعان " انتهى.(السلسلة الضعيفة _ رقم/٤٦٠٣).

وقد أرسل هذا الحديث أيضا مصعب الزبيري – راوي السيرة المعروف – كما يروي الحاكم في المستدرك ٥٣٨/٣.

أنها قالت: **قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَأَنَا أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ، فَقَالَ: " مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟ " ، فَقُلْتُ: خَيْلُ سُلَيْمَانَ، " فَضَحِكَ**[١].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي". [٢].

وفي لفظ: عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: "كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فَرُبَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي الْجَوَارِي، فَإِذَا دَخَلَ خَرَجْنَ وَإِذَا خَرَجَ دَخَلْنَ " [٣].

وقد أحب رسول الله ﷺ خطيبته الصغيرة كثيرًا، فكان يوصي بها أمها **فعَنْ حَبِيبٍ مَوْلَى عُرْوَةَ ، قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ خَدِيجَةُ حَزِنَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَاهُ جِبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِعَائِشَةَ فِي مَهْدٍ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذِهِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ حُزْنِكَ ، وَإِنَّ فِي هَذِهِ لَخَلَفًا مِنْ خَدِيجَةَ ، ثُمَّ رَدَّهَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَخْتَلِفُ إِلَى بَيْتِ**

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» ذِكْرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم» عَائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بْنِ أبي قُحَافَةَ ..._ رقم الحديث :٩٧٣٥ .

٢) صحيح البخاري_ رقم الحديث: ٥٦٩٢، الكتب » صحيح مسلم» كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى _ رقم الحديث: ٤٤٧٧.

١) رواه البخاري في كتاب الأدب _ رقم الحديث: ٣٦٣، وأبو داود في كتاب الأدب رقم الحديث: ٤٢٨٥، والنسائي في كتاب النكاح _ رقم الحديث :٣٣٤٣ .

أَبِي بَكْرٍ ، وَيَقُولُ : " يَا أُمَّ رُومَانَ ، اسْتَوْصِي بِعَائِشَةَ خَيْرًا ، وَاحْفَظِينِي فِيهَا " ، فَكَانَ لِعَائِشَةَ بِذَلِكَ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَلا يَشْعُرُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَأْتِيهِمْ ، وَكَانَ لا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلا أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ مُنْذُ أَسْلَمَ، إِلَى أَنْ هَاجَرَ، فَيَجِدُ عَائِشَةَ مُتَسَتِّرَةً بِبَابِ أَبِي بَكْرٍ ، تَبْكِي بُكَاءً حَزِينًا ، فَسَأَلَهَا ، فَشَكَتْ أُمَّهَا، وَذَكَرَتْ أَنَّهَا تُولَعُ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ رُومَانَ ، فَقَالَ: " يَا أُمَّ رُومَانَ، أَلَمْ أُوصِكِ بِعَائِشَةَ أَنْ تَحْفَظِينِي فِيهَا ؟ " فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا بَلَّغَتِ الصِّدِّيقَ عَنَّا، وَأَغْضَبَتْهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " وَإِنْ فَعَلَتْ " قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: لا جَرَمَ ، لا سُؤْتُهَا أَبَدًا، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وُلِدَتْ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ فِي شَوَّالٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ ، وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَ سَوْدَةَ بِشَهْرٍ [١].

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، لحقته العروس المهاجرة إلى المدينة المنورة، وهناك اجتمع الحبيبان، وعمّت البهجة أرجاء المدينة المنورة، وأهلت الفرحة من كل مكان؛ فالمسلمون مبتهجون لانتصارهم في غزوة بدر الكبرى، واكتملت

١) المستدرك على الصحيحين» كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ... » ذِكْرُ الصَّحَابِيَّاتِ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ... » الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ عَائِشَةُ بِنْتُ(رقم الحديث: ٦٧٤٦) ، الطبقات الكبرى لابن سعد رقم الحديث: ٩٨٣٧ .

فرحتهم بزواج رسول الله ﷺ بعائشة. وقد تمَّ هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة، وانتقلت عائشة إلى بيت النبوة.

من رجاحة عقلها :

ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة النفقة [١] وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهرا وصعد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية ﴿: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[٢]. وكن أزواجه يومئذ تسعا. عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية الخيبرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهن، فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله[٣]، **فعَنْ جَابِرٍ قَالَ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ**

---

١) يا أيتها النساء المترفات اللواتي ما ترضين إلا بترف العيش من الطعام والشراب والمسكن ، انظروا لأمهات المؤمنين ماذا طلبن؟ زيادة النفقة (يعني قرص الشعير !!! لأنهن تمر عليهن الأيام وليس في بيوتهن إلا الماء وربما يوجد معه رديء التمر.

٢) سورة الأحزاب الآيتان من ٢٨ : ٢٩ .

٣) انظر صحيح مسلم شرح النبوي ١٠/٨١.

: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَ : هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا ، وَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا كِلَاهُمَا يَقُولُ تَسْأَلِينَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) حَتَّى بَلَغَ (لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) قَالَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ قَالَ : يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ ، قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ قَالَتْ : أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ ، قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا " . رَوَاهُ مُسْلِمٌ [١].

فماذا قالت ؟

تأملوا معيَ إلي رجاحة عقلها، قالت: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

وفي رواية لمسلم أيضا: عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَزْوَاجِهِ شَهْرًا قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً أَعُدُّهُنَّ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ

---

١) صحيح مسلم – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية حديث رقم ١٤٧٨.

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ بَدَأَ بِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ فَقَالَ إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ (١).

ففي قول أم المؤمنين السيدة عائشة: [وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ] تعبير موحي بتعلق قلب الزوجة المحبة الودود لزوجها، وترقبها لعودته إليها ليلة ليلة، وساعة ساعة، وفيه تودد وتحبب واستمالة لقلب الزوج المحب المشتاق، إذ بدأ بها قبل غيرها من نسائه.

وعن الأسود قال: قلت لعائشة: إن رجلا من الطلقاء يبايع له – يعني معاوية – قالت: يا بني ! لا تعجب، هو ملك الله يؤتيه من يشاء (٢).

انظروا وتأملوا إلي رجاحة عقلها .

– أم المؤمنين : سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) :

أسلمت قديما وبايعت، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت ابن عم لها يقال له " السكران بن عمرو بن عبد شمس " أخو سهيل بن عمرو .. وأسلم معها رضي الله عنها وهاجر معا إلي الحبشة في الهجرة الثانية، ورأت رؤية فقصتها على زوجها فعبرها بموته وزواجها من سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: **فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " كَانَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ عِنْدَ السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، فَرَأَتْ فِي الْمَنَامِ كَأَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ**

---

١) صحيح مسلم _ كتاب الصيام _ بَاب الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ _ رقم الحديث: ١٠٨٣.
٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٨٦/٦.

يَمْشِي حَتَّى وَطِئَ عَلَى عُنُقِهَا ، فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا بِذَلِكَ ، فَقَالَ : وَأَبِيكَ لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لأَمُوتَنَّ وَلَيَتَزَوَّجَنَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : حِجْرًا وَسِتْرًا ، وَقَالَ هِشَامٌ : الْحِجْرُ ، تَنْفِي عَنْ نَفْسِهَا ذَاكَ ، ثُمَّ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ لَيْلَةً أُخْرَى أَنَّ قَمَرًا انْقَضَّ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ وَهِيَ مُضْطَجِعَةٌ ، فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا ، فَقَالَ : وَأَبِيكِ لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَمْ أَلْبَثْ إِلا يَسِيرًا حَتَّى أَمُوتَ وَتَتَزَوَّجِينَ مِنْ بَعْدِي ، فَاشْتَكَى السَّكْرَانُ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلا قَلِيلا حَتَّى مَاتَ ، وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! "[1].

من رجاحة عقلها : أنها خشيت أن يفارقها النبي صلى الله عليه وسلم فطلبت منه أن يمسكها ووهبت ليلتها لعائشة، فعَنْ عروة بن الزبير قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ : وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ ، وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ: فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا – أُرَاهُ قَالَ – : (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً) [2].

وعَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: " لَا تُطَلِّقْنِي، وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ،

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» ذِكْرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم » سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ _رقم الحديث: ٩٧١٠.

٢) رواه أبو داود (٢١٣٥) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

فَفَعَلَ ، فَنَزَلَتْ : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) [١].

وفي رواية أخرى تدل على أن سودة فعلت ذلك إرضاءً لرسول الله لأنها تعلم أن رسول الله يحب عائشة: فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا ، لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "[٢].

- أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ : أُمُّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) :

السَّيِّدَةُ الْمُحَجَّبَةُ ، الطَّاهِرَةُ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ ، الْمَخْزُومِيَّةُ ، بِنْتُ عَمِّ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، سَيْفِ اللَّهِ ؛ وَبِنْتِ عَمِّ أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ .

مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ وكَانَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ: أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ، الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبًا.

وَكَانَتْ آخِرَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وعَمَّرَتْ حَتَّى بَلَغَهَا مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ ، الشَّهِيدِ، فَوَجَمَتْ لِذَلِكَ، وَغُشِيَ عَلَيْهَا ، وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَثِيرًا . لَمْ تَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا يَسِيرًا، وَانْتَقَلَتْ إِلَى اللَّهِ .. عاشت نحوا من تسعين سنة.. وَلَهَا أَوْلَادٌ صَحَابِيُّونَ: عُمَرُ،

---

١) رواه الترمذي (٣٠٤٠) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي ".
٢) رواه البخاري (٢٤٥٣).

وَسَلَمَةُ ، وَزَيْنَبُ . وَلَهَا جُمْلَةُ أَحَادِيثَ .. دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة.

وأبوها: هو زاد الراكب أحد الأجواد – قيل: اسمه – حذيفة .

وقد وهم من سماها: رملة؛ تلك أم حبيبة، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات .

وعن عمر بن أبي سلمة، قال: بعث رسول الله ﷺ أبي إلى أبي قطن في المحرم سنة أربع، فغاب تسعا وعشرين ليلة، ثم رجع في صفر، وجرحه الذي أصابه يوم أحد منتقِضٌ؛ فمات منه، لثمان خلون من جمادى الآخرة. وحلت أمي في شوال، وتزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

إلى أن قال: وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِأَبِي سَلَمَةَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ يَمُوتُ زَوْجُهَا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ لَمْ تَزَوَّجْ ، إِلَّا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، فَتَعَالَ أُعَاهِدُكَ أَلَّا تَزَوَّجَ بَعْدِي، وَلَا أَتَزَوَّجُ بَعْدَكَ. قَالَ : أَتُطِيعِينَنِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: إِذَا مِتُّ تَزَوَّجِي. اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِي رَجُلًا خَيْرًا مِنِّي ، لَا يُحْزِنُهَا وَلَا يُؤْذِيهَا ، فَلَمَّا مَاتَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ ؟ فَمَا لَبِثْتُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَذَكَرَ الْخِطْبَةَ إِلَى ابْنِ أَخِيهَا ، أَوِ ابْنِهَا، فَقَالَتْ: أَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ أَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ بِعِيَالِي. ثُمَّ جَاءَ الْغَدُ فَخَطَبَ .

وعن ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ لَمَّا انْقَضَتْ عَدَّتُهَا، خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَرَدَّتْهُ ؛ ثُمَّ عُمَرُ، فَرَدَّتْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ،

فَقَالَتْ: مَرْحَبًا، أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي غَيْرَى، وَأَنِّي مُصْبِيَةٌ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا .

فَبَعَثَ إِلَيْهَا: أَمَّا قَوْلُكِ: إِنِّي مُصْبِيَةٌ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكْفِيكِ صِبْيَانَكِ. وَأَمَّا قَوْلُكِ : إِنِّي غَيْرَى، فَسَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَكِ، وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سَيَرْضَى بِي. قَالَتْ: يَا عُمَرُ ، قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَمَا إِنِّي لَا أَنْقُصُكِ مِمَّا أَعْطَيْتُ فُلَانَةً . . . الْحَدِيثَ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ : حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، قَالَ : قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَنِي ، وَبَيْنَنَا حِجَابٌ، فَخَطَبَنِي ، فَقُلْتُ : وَمَا تُرِيدُ إِلَيَّ ؟ مَا أَقُولُ هَذَا إِلَّا رَغْبَةً لَكَ عَنْ نَفْسِي ؛ إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ أَدْبَرَ مِنْ سِنِّي ، وَإِنِّي أُمُّ أَيْتَامٍ ، وَأَنَا شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَجْمَعُ النِّسَاءَ .

قَالَ : أَمَّا الْغَيْرَةُ ، فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ . وَأَمَّا السِّنُّ ، فَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكِ . وَأَمَّا أَيْتَامُكِ ؛ فَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ، فَأَذِنْتُ ، فَتَزَوَّجَنِي [١].

وهذا من رجاحة عقلها، خافت أن تأتيها الغيرة من نساء النبي فتفعل شيئا يغضب النبي فيغضب عليها النبي فيغضب الله لغضبه.

ومن رجاحة عقلها أيضا: إشارتها علي النبي ﷺ يوم الحديبية، أن يحلق رأسه وينحر هديه فيتأسى به والقصة بتمامها في باب مشاورة النساء .

---

١) سير أعلام النبلاء» الصحابة رضوان الله عليهم» أم سلمة أم المؤمنين.

– عاتكـــة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (رضي الله عنها) :

أبوها زيد ﷺ مات على الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام .. وأخوها سعيد بن زيد ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة .

كانت من أجمل نساء قريش .... تزوجها عبد الله بن أبى بكر ﷺ ، فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حباً شديداً فثقل ذلك على أبيه ،فمر به أبو بكر يوما ، وهو في غرفة له ، فقال : يابنى إنى أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك ، وغلبت على عقلك ، فطلقها .... قال عبد الله : لست أقدر علي ذلك ، قال : أقسمت عليك إلا طلقتها ، فلم يقدر على مخالفه أبيه فطلقها ، فجزع عليها جزعاً شديداً، وامتنع عن الطعام والشراب .. فقيل لأبى بكر : أهلكت عبد الرحمن ، فمر به يوماً ، وعبد الله لا يراه وهو مضجع في الشمس ويقول :

والله مـا أنسـاك مـا ذر شـارق ... ومـا نـاح قمـري الحمـام المطـوق
فلـم أر مثلـى طلـق اليـوم مثلهـا ... ولا مثلهـا فـى غيـر شـئ يطلـق
لهـا خلـق عـف وديـن ومحتـد ... وخلـق سـوى فـي الحيـاء ومنطـق

فسمعه أبوه فرق له ، وقال له: راجعها يابني ! فراجعها ، وأقامت عنده وكان يحبها حباً شديداً فجعل لها حديقة على أن لا تزوج بعده فرمى بسهم يوم الطائف فانتقض بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقالت ترثيه :

فآليـت لا تنفـك عينـي سـخينة ... عليـك ولا ينفـك جلـدي أغبـرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى ... أكـر وأحمـى فـي الصـباح وأخيـراً

إذا شـرعت فيــه الأسـنة خافهـا إلى القرن حتى يترك الرمح أحمراً

فخطبها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قالت : قد كان أعطاني حديقة أن لا أتزوج ، قال : فاستفتى ، فاستفتت على بن أبى طالب ﷺ فقال : ردى الحديقة إلى أهله وتزوجي ! فتزوجها عمر ﷺ في خلافته ودعا الناس إلى وليمته فأتوه ، فلما فرغ من الطعام وخرج الناس ، قال له على بن أبى طالب ﷺ : يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها ، وأدعوا لها بالبركة ، فذكر عمر ذلك لعاتكة ، فقالت : إن أبى الحسن فيه مزاح ، فأذن له يا أمير المؤمنين ، فأذن له ، فقال : يا عاتكة !

وآليــت لا تنفــك عينــي ســخينة عليــك ولا ينفــك جلــدي أغبــرا

فقال عمر ﷺ : غفر الله لك لا تفسد علىَّ أهلي !

من رجاحة عقلها وقوة إيمانها :

أن عمر ﷺ قال لها يوما وقد غضب عليها : لأسوأنك ؟ فقالت له : أتستطيع أن تصرفني عن الإسلام بعد إذا هداني الله عز وجل ؟!! قال : لا .. قالت : فبمَ تسوء ني إذا ؟ ... لله درها من امرأة صالحة عاقلة.

وظلت عنده حتى قتل، فلما قتل جزعت عليه جزعاً شديد.. وقد رثته عاتكة (رضى الله عنها) بشعر قد ذكره الحاكم في المستدرك :

عــين جــودي بعبــرة ونحيــب لا تمــل علــى الإمــام الطيــب

فجعتنــي المنــون بالفــارس المعلــم يــــوم الهيــــاج والتأنيــــب

عصمة الدين والمعين على الدهر وغيــث الملهــوف والمكــروب

قـل لأهـل الضـراء والبـؤس موتـوا إذا ســـقتنا المنـــون كـــأس

وقالت فيه أيضا

فجعنـــــــي فيـــــــروز لا در دره بـــأبيض تـــال للكتـــاب منيـــب
رؤوف علي الأدني غليظ علي العدي أخـــي ثقـــة فـــي النائبـــات مجيـــب
متـــي مـــا يقـــل لا يكـــذب القـــول فعلـــه سريع إلـي الخيرات غير قطوب[٢]

ثم تزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا ، وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها، فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله ﷺ : " **لا تمنعوا إمـاء الله مسـاجد الله** " **رواه أحمـد وأبـو داود.**

فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهى لا تعرفه ، فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف ، فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد ... وكان يقول لها : ألا تخرجين يا عاتكة ؟ فتقول: كنا نخرج إذا الناس ناس وما بهم من بأس ، وأما الآن فلا .. ثم قُتل عنها الزبير ، قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم .. وقد رثته فقالت :

غـدر ابـن جرمـوز بفـارس نهمـة يـــوم اللقـــاء كـــان غيـــر معـــرد
يـــــاعمرو لونبهتـــــه لوجدتـــــه لا طايشـــا رعـــش البنـــان ولا اليـــد
ثكلتـــك أمـــك إن ظفـــرت بفـــارس فيمـــا مضـــي ممـــا يـــروح ويغتـــدي
كـــم غمـــرة قـــد خاضـــها لـــم يثنـــه عنهـــا طـــرادك يـــا بـــن فقـــع الفدفـــدى

---

١) الحاكم في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة . ٣ /٩٤ .
٢) المرجع السابق.

والله ربـــك إن قتـــل يـــا مســـلماً حلـــت عليـــك عقوبـــه المتعمـــد[١]

ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر رضي الله عنه فقتل عنها بمصر، فقالت: لا أتزوج بعده أبداً إني لأحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم [٢].

- **أسمـاء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) (رضي الله عنها):**

بنت أبي بكر الصديق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيَّةُ التَّيْمِيَّةُ ، الْمَكِّيَّةُ ، ثُمَّ الْمَدَنِيَّةُ.

وَالِدَةُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْر ، وَأُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ، وَآخِرُ الْمُهَاجِرَاتِ وَفَاةً.

رَوَتْ عِدَّةَ أَحَادِيثَ، وَعَمَّرَتْ دَهْرًا، وَتُعْرَفُ بِذَاتِ النِّطَاقَيْنِ وَأُمُّهَا: هِيَ قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى الْعَامِرِيَّةُ ، وَكَانَتْ أَسَنَّ مِنْ عَائِشَةَ بِبِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . هَاجَرَتْ حَامِلًا بِعَبْدِ اللَّهِ . وَقِيلَ: لَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنٌّ . وَشَهِدَتِ الْيَرْمُوكَ مَعَ زَوْجِهَا الزُّبَيْرِ . وَهِيَ، وَأَبُوهَا ، وَجَدُّهَا، وَابْنُهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ، أَرْبَعَتُهُمْ صَحَابِيُّونَ.

عَنْ مُسْلِمٍ الْقُرِّي قَال : دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ ابْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمْيَاءُ – نَسْأَلُهَا عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ، فَقَالَتْ: قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ :كَانَتْ أَسْمَاءُ أَكْبَرَ مِنْ عَائِشَةَ بِعَشْرٍ .

وعن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ ، عَنْ أَسْمَاءَ ، قَالَتْ : صَنَعْتُ سُفْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ، فَلَمْ أَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلَا لِسِقَائِهِ

---

١) الحاكم المستدرك ٣٦٨/٣ .

٢) المرجع السابق

مَا أَرْبُطُهُمَا ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا أَجِدُ إِلَّا نِطَاقِي، قَالَ: شُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ ، فَارْبُطِي بِهِمَا قَالَ : فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ : ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ .

من رجاحة عقلها :

قَالَتْ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ جَمِيعَ مَالِهِ – خَمْسَةَ آلَافٍ ، أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ – فَأَتَانِي جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ عَمِيَ ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ، فَقُلْتُ: كَلَّا ، قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا

فَعَمَدْتُ إِلَى أَحْجَارٍ، فَجَعَلْتُهُنَّ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ، وَغَطَّيْتُ عَلَيْهَا بِثَوْبٍ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَوَضَعْتُهَا عَلَى الثَّوْبِ، فَقُلْتُ: هَذَا تَرَكَهُ لَنَا، فَقَالَ: أَمَّا إِذْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا ، فَنَعَم.

وفي رواية: أنه لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر ﷺ معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق به معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة ﷺ وقد ذهب بصره فقال: والله ! إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقالت: يا أبت ! ضع يدك علي هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغٌ لكم، والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك. كذا في البداية [١] . وهذا الذي فعلته من رجاحة عقلها رضي الله عنها.

---

١) حياة الصحابة ٢/١٥١.

ومن رجاحة عقلها أيضا :

عندما جلست معها ابنها البطل الشهيد عبد الله بن الزبير أيام محاصرة الحجاج له في الحرم فقال لها: والله ما أخاف إلا أن يمثل بي . فقالت له: وما يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.. وقالت له: **يَا بُنَيَّ عِشْ كَرِيمًا ، وَمُتْ كَرِيمًا ، لَا يَأْخُذْكَ الْقَوْمُ أَسِيرًا .**

قَالَ عُرْوَةُ : دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي – قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ – عَلَى أُمِّنَا بِعَشْرِ لَيَالٍ ، وَهِيَ وَجِعَةٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كَيْفَ تَجِدِينَكِ ؟ قَالَتْ : وَجِعَةٌ . قَالَ : إِنَّ فِي الْمَوْتِ لَعَافِيَةً . قَالَتْ : لَعَلَّكَ تَشْتَهِي مَوْتِي، فَلَا تَفْعَلْ، وَضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ، حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْكَ: إِمَّا أَنْ تُقْتَلَ فَأَحْتَسِبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَظْفَرَ فَتَقَرَّ عَيْنِي، إِيَّاكَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَى خُطَّةٍ فَلَا تُوَافِقُ، فَتَقْبَلُهَا كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ .

وقتل البطل الشهيد .. فعَنْ أَبِي نَوْفَلٍ ، مُعَاوِيَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – فَوَقَفَ عَلَيْهِ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ ! السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ ! السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ. أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ شَرُّهَا لَأُمَّةُ سَوْءٍ – وَفِي رِوَايَةٍ لَأُمَّةُ خَيْرٍ – ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ،

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ ، قَالَ : فَأَبَتْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقَرُونِي وَقَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتِيَّ ، فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ! أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا : فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَّا الْآخَرُ : فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَدَّثَنَا : (إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا) ، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ : فَقَامَ عَنْهَا فَلَمْ يُرَاجِعْهَا . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .. رواه مسلم [١]

قَالَ عُيَيْنَةَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْمُحَيَّاةِ ، عَنْ أُمِّهِ ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ وَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّهْ ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَّانِي بِكِ ، فَهَلْ لَكِ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَتْ : لَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ ، وَلَكِنِّي أُمُّ الْمَصْلُوبِ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ ، وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ ، وَلَكِنْ أُحَدِّثُكَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَخْرُجُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ ، وَمُبِيرٌ فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ – تَعْنِي الْمُخْتَارَ - وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : مُبِيرُ الْمُنَافِقِينَ .

---

١) صحيح مسلم – شرح النووي ١٦ /٩٩.

وعن أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ :حَدَّثَنَا أَبُو الْمُحَيَّاةِ يَحْيَى بْنُ يَعْلَى التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثٍ – وَهُوَ مَصْلُوبٌ – فَجَاءَتْ أُمُّهُ عَجُوزٌ طَوِيلَةٌ عَمْيَاءُ ، فَقَالَتْ لِلْحَجَّاجِ :أَمَا آنَ لِلرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ ؟ فَقَالَ : الْمُنَافِقُ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مُنَافِقًا ، كَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا بَرًّا . قَالَ: انْصَرِفِي يَا عَجُوزُ، فَقَدْ خَرِفْتِ . قَالَتْ : لَا – وَاللَّهِ – مَا خَرِفَتُ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ . . . الْحَدِيث .

وقِيلَ لِابْنِ عُمَرَ إِنَّ أَسْمَاءَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ – وَذَلِكَ حِينَ صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - فَمَالَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْجُثَثَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي. فَقَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُنِي ، وَقَدْ أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[١] .

يا لها من امرأة عاقلة تعاملت مع أقسى الأحوال بعقل وحكمة وإيمان ويقين.

– أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية أم عبد الله:

مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ .

قِيلَ: أَسْلَمَتْ قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ .

وَهَاجَرَ بِهَا زَوْجُهَا جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَوَلَدَتْ لَهُ هُنَاك عَبْدَ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدًا، وَعَوْنًا .فَلَمَّا هَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ سَبْعٍ، وَاسْتُشْهِدَ

١) سير النبلاء ٢/٢٩٥.

يَـوْمَ مُؤْتَـة ، تَـزَوَّجَ بِهَـا أَبُـو بَكْـرٍ الصِّـدِّيقُ ، فَوَلَـدَتْ لَـه : مُحَمَّـدًا وَقْـتَ الْإِحْـرَامِ، فَحَجَّـتْ حَجَّـةَ الْـوَدَاعِ، ثُـمَّ تُـوُفِّيَ الصِّـدِّيقُ ، فَغَسَّـلَتْهُ. وَتَـزَوَّجَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وعَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ: قَدِمَتْ أَسْمَاءُ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : يَا حَبَشِيَّةُ، سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ . فَقَالَتْ : لَعَمْرِي ، لَقَدْ صَدَقْتَ : كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ ، وَيُعَلِّمُ جَاهِلَكُمْ ، وَكُنَّا الْبُعَدَاءَ الطُّرَدَاءَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَذْكُرَنَّ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَتْهُ ، فَقَالَ :" لِلنَّاسِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ".

وعَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّا لَسْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ : " كَذَبَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ ، لَكُمُ الْهِجْرَةُ مَرَّتَيْنِ: هَاجَرْتُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَهَاجَرْتُمْ إِلَيَّ ".

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : ثُمَّ تَزَوَّجَتْ عَلِيًّا فَوَلَدَتْ لَهُ : يَحْيَى ، وَعَوْنًا .

وعن زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ : سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ : تَزَوَّجَ عَلِيٌّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ ، فَتَفَاخَرَ ابْنَاهَا : مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا : أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ .

قَالَ: فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ : اقْضِي بَيْنَهُمَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَابًّا مِنَ الْعَرَبِ خَيْرًا مِنْ جَعْفَرٍ ، وَلَا رَأَيْتُ كَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا تَرَكْتِ لَنَا شَيْئًا ؛ وَلَوْ قُلْتِ غَيْرَ الَّذِي قُلْتِ لَمَقَتُّكِ. قَالَتْ: إِنَّ ثَلَاثَةً أَنْتَ أَخَسُّهُمْ (١) خِيَارٌ. (٢) .

---

١) وفي الطبقات الكبري لابن سعد (١٠٨/٧) : فقال علي: ما تركت لنا شيئا ، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك ، فقالت أسماء : إن ثلاثة أنت أقلهم لخيار.

٢) سير أعلام النبلاء _ ترجمة أسماء بنت عميس.

انظروا إلي هذه المرأة العاقلة التي فضت النزاع بينهما بحسن التصرف في القول ، فانصفت كل من زوجيها جعفر الطيار وعمر الفاروق (رضي الله عنهما) حتي قال لها علي ﷺ علي سبيل المزاح، فما أبقيت لنا ؟.

– أم سليم (رضي الله عنها) :

أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ؛ الْأَنْصَارِيَّةُ الْخَزْرَجِيَّةُ .

اشتهرت بكنيتها " أم سليم " وَيُقَالُ : الْغُمَيْصَاءُ، ويقال الرُّمَيْصَاءُ . وَيُقَالُ : سَهْلَةُ . وَيُقَالُ : أُنَيْفَةُ . وَيُقَالُ : رُمَيْثَةُ .

أَمُّ خَادِمِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

مَاتَ زَوْجُهَا مَالِكُ بْنُ النَّضْرُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ : أَبَا عُمَيْرٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ .

أسلمت الرميصاء كغيرها من السابقين عندما سمعت عن دين الحق فى يثرب قبل هجرة النبي ، و تركت زوجها مالك الذي غضب وثار عندما رجع من سفره وعلم بإسلامها ولما سمع مالك بن النضر زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، خرج من البيت غاضبا بل خرج من المدينة كلها لأنها أصبحت أرض اسلام لا مكان لكافر مثله بها و مات بالشام.

ضحت هذه المؤمنة بحياتها الزوجية وبزوجها وابن ولدها الوحيد " أنس " من أجل دينها و ثباتها على مبدأها ولم تتردد أو تتراجع.!!!! قدمت ابنها هدية للرسول !!!حينما قدم النبي ﷺ المدينة كانت الأنصار ومن كان فيها من المهاجرين مشغولين باستقبال النبي ﷺ فرحين مستبشرين بمقدمه ﷺ فأقبلت الأفواج لزيارته ﷺ، فخرجت أم سليم الأنصارية من بين هذه الجموع، ومعها ابنها

أنس رضي الله عنهما، فعن أنس ﷺ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة . وأنا ابن ثمان سنين فأخذت أمي بيدي فانطلقت بي الي رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله . إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الانصار إلا وقد أتحفك بتحفة ، وإني لا أقدر علي ما أتحفك به ، إلا ابني ، فخذه فليخدمك ما بدا لك ، فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما ضربني ولا سبني سبة ، ولا عبس في وجهي .

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قَالَ:" اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ " متفق عليه. (١).

يقول أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالاً ، وحدثتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلي مقدم الحجاج البصرة تسعة وعشرون ومائة .. وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين وكان فيها ريحان يجيء ، منه ريح المسك . (٢).

انظري إلي هذه المرأة العاقلة التي خدمت دين الله عز وجل.. فبخدمة أنس لرسول الله خدمة لدين الله تعالي، وما غفلت أن تطلب الدعاء من رسول الله لأنس، فدعا له فنال خيري الدنيا والآخرة..

أول امرأة يكون مهرها الاسلام **!!!**

تقدم لخطبتها بعد وفاة زوجها الأول " أبو طلحة زيد بن سهل " وكان لا يزال مشركاً وعرض عليها مهراً كبيراً فترده لأنها لا تتزوج مشركا تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان. وأنكم لو أشعلتم

---

١) صحيح البخاري» كتاب الدعوات»بَاب دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ بِطُولِ الْعُمُرِ وَبِكَثْرَةِ مَالِهِ(٥٩٨٤)، وصحيح مسلم» كتاب فضائل الصحابة»بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ _ رقم الحديث: (٢٤٨٠).

١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠٧/٣.

فيها نارا لاحترقت.

فعندما عاود لخطبتها قالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره !!!.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ليسلم ويعلن إسلامه بين يدي الرسول ﷺ– فتزوجت منه – وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام وحسن اسلامه على يد زوجته تلك الصحابية الرائعة!!!. وما تركت الغزو مع رسول الله في صحبة زوجها أبو طلحة .

جاهدت مع الرسول فى غزواته: ففي صحيح مسلم وابن سعد– الطبقات بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين فقال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه!!!!. ويقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى .

و**من أروع ما قرأته عن تلك الصحابية**: **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا ؟، فَقَالَ لِعُمَرَ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ "** (١).

---

١) صحيح البخاري _ رقم الحديث: ٣٤٢٦، مسند أحمد بن حنبل_ رقم الحديث:١٤٨٩٢ ، السنن الكبرى للنسائي _ رقم الحديث ٨٠٦٣، مسند أبي داود الطيالسي _ رقم الحديث: ١٨١٥، مسند أبي يعلى الموصلي_ رقم الحديث: ٢٠٣٧،شرح السنة للبغوي _ رقم الحديث: ٣٧٨٨ .

– هند بنت عتبة :

إحدى نساء العرب اللاتي كان لهم شهرة عالية قبل الإسلام وبعده، وهي أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

كانت هند ذات صفات ترفع قدرها بين النساء من العرب، ففيها فصاحة، وجرأة، وثقة، وحزم، ورأي.

تقول الشعر وترسل الحكمة، وكانت امرأة لها نفس وأنفة.

زوجها أبوها من الفاكهة بن المغيرة المخزومي، فولدت له أباناً، ثم تركته.

وقالت لأبيها ذات يوم: إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي. فقال لها: ذلك لك. ثم قال لها يوماً: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك، أما الأول: ففي الشرف والصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجاً من غفلته، وذلك إسجاح من شيمته، حسن الصحابة، حسن الإجابة، إن تابعته تابعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك في ضعفه، وأما الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بدر أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعر بهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، وشديد حجاب القبة، إن جاع فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور، قد بينت لك حالهما .قالت: أما الأول فسيد مضياع لكريمته، مؤات لها فيما عسى إن لم تعصم أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جفائها، إن جاءت له بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت. اطو ذكر هذا عني فلا تسمه لي ، وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة: إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة، وإني آخذة بأدب البعل مع لزومي قبتي، وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، والذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، الزائن لأرومتها، غير مواكل ولا زميّل عند ضعضعة الحوادث، فمن هو ؟ قال: ذاك أبو سفيان بن حرب ، قالت : فزوجه ولا تلقني إليه إلقاء المتسلس

السلس، ولا تمسه سوم المواطس الضرس، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء.

فاختيارها للرجل الشديد، هو من رجاحة عقلها، بل هو والله عين العقل والحزم، فما بنيت البيوت إلا بقوة الرجال وقوة حزمهم وما هدمت البيوت وتلاشت وضاعت إلا من ضعف رجالها.

– سـعيره وكتيتها أم زفر (رضي الله عنها) :

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ :"إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ " ؟ فَقَالَتْ أَصْبِرُ، فَقَالَتْ :إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا [١] .

انظروا إلي عقل هذه المرأة المؤمنة كيف آثرت مشقة الدنيا لراحة الآخرة.

– أم أيمـــن (رضي الله عنها) :

اسْمُهَا : بَرَكَةُ . وَقَدْ تَزَوَّجَهَا عُبَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَزْرَجِيُّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ : أَيْمَنَ . وَلِأَيْمَنَ هِجْرَةٌ وَجِهَادٌ ، اسْتُشْهِدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ . ثُمَّ تَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ لَيَالِيَ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢].

---

١) صحيح البخاري – كتاب المرضى – باب فضل من يصرع من الريح _ حديث رقم :٥٦٥٢ ، صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب _ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك _ حديث رقم : ٢٥٧٦ .

٢) سير أعلام النبلاء» الصحابة رضوان الله عليهم» أم أيمن.

حاضنة الرسول ﷺ ، وأم أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه .. كان رسول الله ﷺ ورثها وخمسة أجمال وقطعة غنم ، فأعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة، فتزوجها عبيد بن يزيد من بني الحارث بن الخزرج ، فولدت له أيمن ، فقتل يوم خيبر شهيدا ، وكان زيد بن حارثه لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه **رسول الله ﷺ** وزوجه أم أيمن فولدت له أسامة بن زيد وكان يحبها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول لها: " **يَا أُمَّهْ** " .. وكان إذا نظر إليها قال : " **هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي** " . رواه الحاكم [١] ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ[٢] .

ولَمَّا هَاجَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ أَمْسَتْ بِالْمُنْصَرَفِ دُونَ الرَّوْحَاءِ ، فَعَطِشَتْ وَلَيْسَ مَعَهَا مَاءٌ وَهِيَ صَائِمَةٌ ، وَجَهَدَتْ ، فَدُلِّيَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ دَلْوٌ مِنْ مَاءٍ بِرِشَاءٍ أَبْيَضَ ، فَشَرِبَتْ ، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا أَصَابَنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَطَشٌ ، وَلَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِلْعَطَشِ بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِرِ فَمَا عَطِشْتُ [٣].

وعَنْ شَقِيقِ بْنِ عُقْبَةَ ، قَالَ : كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تُلَطِّفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقُومُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَن "، فَتَزَوَّجَهَا زَيْدٌ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ [٤].

---

١) مستدرك الحاكم – كتاب معرفة الصحابة ٦٣/٤.

٢) سير أعلام النبلاء» الصحابة رضوان الله عليهم» أم أيمن.

٣) المرجع السابق.

٤) أنساب الأشراف للبلاذري» ذكر موالي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... » زيد الحب_ رقم الحديث: ٤٣٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ_ رقم الحديث: ١٠٣٤٥ .

وعنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتِ: احْمِلْنِي، قَالَ :أَحْمِلُكِ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ "، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لا يُطِيقُنِي وَلا أُرِيدُهُ ، فَقَالَ: " لا أَحْمِلُكِ إِلا عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ "، يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يُمَازِحُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْزَحُ وَلا يَقُولُ إِلا حَقًّا، وَالإِبِلُ كُلُّهَا وَلَدُ النُّوقِ. [١] يعني أنه كان يمازحها وكان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقا والإبل كلها ولد النوق.

وخَاصَمَ ابْنُ أَبِي الْفُرَاتِ مَوْلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ الْحَسَنَ بْنَ أُمَيَّةَ وَنَازَعَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْفُرَاتِ فِي كَلَامِهِ : يَا ابْنَ بَرَكَةَ تُرِيدُ أُمَّ أَيْمَنَ فَقَالَ الْحَسَنُ : اشْهَدُوا وَرَفَعَهُ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَاضِي الْمَدِينَةِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ، لِابْنِ أَبِي الْفُرَاتِ : مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ لَهُ يَا ابْنَ بَرَكَةَ فَقَالَ : سَمَّيْتُهَا بِاسْمِهَا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا أَرَدْتَ بِهَذَا التَّصْغِيرَ بِهَا وَحَالُهَا مِنَ الْإِسْلَامِ حَالُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا : يَا أُمَّهْ وَيَا أُمَّ أَيْمَنَ لَا أَقَالَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ أَقَلْتُكَ فَضَرَبَهُ سَبْعِينَ سَوْطًا(٢).

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : حَضَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ أُحُدًا ، وَكَانَتْ تَسْقِي الْمَاءَ، وَتُدَاوِي الْجَرْحَى، وَشَهِدَتْ خَيْبَرَ، وَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ ، كَيْفَ انْقَطَعَ .

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ ... » أُمُّ أَيْمَنَ _ رقم الحديث: ١٠٣٤٧،المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي» أبواب ذكر المخلوقات» باب ذكر ما جرى في سني الهجرة .

٢) المستدرك على الصحيحين _ كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ _ ذِكْرُ أُمِّ أَيْمَنَ مَوْلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَاضِنَتِهِ_ رقم الحديث: (١٠١٥).

وَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ، بَكَتْ، وَقَالَتْ: الْيَوْمَ وَهِيَ الإِسْلامُ . وَتُوُفِّيَتْ فِي أَوَّلِ خِلافَةِ عُثْمَانَ ، وَقِيلَ : فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ (١) وفي صحيح مسلم قال ابن شهاب: توفيت بعد ما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر (٢).

- **الصديق والفاروق في زيارة أم أيمن :**

عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. " . رواه مسلم. (٣).

أختي المسلمة: انظري إلى هذه المرأة العاقلة لماذا تبكى ؟ لأن الوحي قد انقطع من السماء .. **معناه:** أنها تريد أوامر جديدة من الله عز وجل ولكن بانقطاع الوحي انقطعت الأوامر. ولما قتل الفاروق عمر (رضي الله عنه) بكت، لعلمها

---

١) المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي» أبواب ذكر المخلوقات» باب ذكر ما جرى في سني الهجرة .

٢) الطبقات الكبري لابن سعد _ باب ذكر من بايع رسول الله .

٣) صحيح مسلم » كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ » بَاب مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ عنها _ رقم الحديث: ٤٤٩٩.

أن عمرا كان للإسلام حصنا حصينا ، ونصرا مبينا .. ولذلك قيل لها في بكائها علي عمر ، فقالت : اليوم وَهَي الإسلام (أي ضعف) . [١]

– زبيـــدة والمأمـون :

زوجة الخليفة هارون الرشيد وابنة عمه كان له منها محمد الملقب بالأمين والذي عهد إليه بالخلافة من بعده ومن بعده أخيه المأمون وكان المأمون من جارية خراسانية اسمها مراجل والتي مات بعد ولادته بثلاثة أيام بحمي النفاس وقامت بتربيته زبيدة.

يقول الإمام الذهبي (واصفا لزبيدة): الست المحجبة (ما كانت متبرجة ولا تظهر للرجال) كانت عظيمة الجاه والمال لها آثار حميدة في طريق الحج وكان في قصرها من الجواري مائة جارية يحفظن كتاب الله رب العالمين. يقول عنها الشاعر :

بلغت من المفاخر كل فخر ... وجاوزت الكلام فلا كـلام
إذا نزلت منازلها قريــش ... نزلت الأنف منها والسنام
تقى وسماحة وخلوص مجد ... إذا الأنساب أخلصت الكرام

يصف الإمام الذهبي زوجها هارون الرشيد: أنبل الخلفاء وأحشم الملوك وكان ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي وكان يحب العلماء وكان كثير الإنفاق والصدقة يعظم حرمات الدين ويبغض الجدال في الكلام.

---

١) الإصابة لابن حجر ١٧٢/٨ .

هي زبيدة بنت جعفر ابن المنصور فأبو زوجها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي ويقولون عنها:" عباسية هاشمية قرشية " ولدت في الموصل وقذف الله سبحانه وتعالى محبتها في قلب جدها أبي جعفر المنصور، كان يحبها حبا شديدا وهو الذي أطلق عليها اسم زبيدة وسماها زبيدة لبياضها ونضارتها، تنقلت من شرف حسيب إلى كرم مجيد إلى سؤدد وفضل إلى عز وعشيرة ونسب عظيم.

يقول عنها الخطيب البغدادي : كانت معروفة بالخير والإفضال على أهل العلم وكانت صاحبة بر على الفقراء والمساكين.

يقولون لم تحظى امرأة بما حظيت به زبيدة فهي امرأة تعد تسعة من الخلفاء: ابنها محمد الأمين ، زوجها هارون الرشيد ، ابن زوجها المأمون ، ابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل، عمها المهدي، جدها المنصور، عم أبيها أبو العباس السفاح، وابن عمها الهادي.

زبيدة عربية في دولة بني العباس تولى الخلافة ٣٧ خليفة لم يكن منهم ابن عربية إلا ثلاث " كلهم أبناء نساء أعاجم إلا هؤلاء الثلاثة (أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، ومحمد الأمين ابنها) فكان العرب يتفاخرون بها لأن ابنها ابن قرشية.

كانت فريدة في الفضل والعلم والتقوى والعفاف والثقافة وكانت تمتعت بعلوم القرآن والسنة والمعارف والأدب وكانت شاعرة تصف رقائق الكلام.

كانت تحب ابنها محمد الأمين حباً جما، وهذا جعلها تهيئ له الخلافة من بعد أبيه.

لكن الرشيد كان يريد أن يكون خليفة المسلمين من بعده ابنه المأمون.

ولكن زبيدة لم توافق على ما كان يريد الرشيد فغضبت منه وذهبت إليه تعاتبه على هذا الأمر الذي كان يريد.

وعندما أخذت تعاتبه قال لها الرشيد: "ويحك إنما هي أمة محمد ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقاً بعنقي وقد عرفت ما بين ابني وابنك. ليس ابنك يا زبيدة أهلاً للخلافة ولا يصلح للرعية ".

فقالت: ابني والله خير من ابنك وأصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ولا صغير فيه، أسخى من ابنك نفساً، وأشجع قلباً.

فقال الرشيد: ويحك إن ابنك لأحب إلى لأنها الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلاً وبها مستحقاً ونحن مسؤلون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الانام، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم وننقلب إليه بإثمهم فاقعدي حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك.

أجرى هارون الرشيد الاختبار بين الأمين والمأمون فاستدعى المأمون أولاً، ولما وصل إلى باب المجلس سلم على أبيه ثم وقف طويلاً مطأطأ الرأس، حتى أذن له الرشيد بالجلوس والكلام، جلس وحمد الله تعالى ثم استأذن الرشيد بأن يقترب فأذن له بذلك، اقترب وقبل أطرافه ويدي زبيدة، ثم رجع إلى مكانه وحمد الله على رضى أبيه حسن رأيه فيه.

فقال الرشيد: يا بني إني أريد أن أعهد إليك عهد الإمامة وأقعدك مقعد الخلافة فإني قد رأيتك لها أهلاً وبها حقيقاً.

فبكى وصاح المأمون يسأل الله العافية لوالده، ثم قال: يا أبتاه أخي أحق مني وابن سيدتي ولا أخال إلا أنه أقوى على هذا الأمر مني وأشد استطلاعا عرض الله

لك ما فيه الرشاد والخلاص، وللعباد الخير والصلاح. ثم أستأذن للخروج فأذن له الرشيد.

وبعد ذلك استدعى الرشيد ابنه الأمين فأول ما فعله الأمين أن دخل على أبيه دون أن يستأذن وهو يتبختر في مشيته حتى وصل إلى كرسي العرش إلى أبيه، فبدأ الرشيد بسؤاله: ما تقول يا بني أن أعهد إليك. فرد على الفور: ومن أحق بذلك مني يا أمير المؤمنين؟ فصرفه أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال لزبيدة: كيف رأيت؟ فقالت: يا أمير المؤمنين: ابنك أحق بما تريد. فرد الرشيد: فإذا أقررت بالحق وأنصفت فأنا أعهد إلى ابني ثم إلى ابنك.

ولا زالت زبيدة به حتى جعل الأمين ولي عهده وبايع له، ثم تولي الخلافة بعده، ورضي بذلك المأمون، حيث أنه حسب وصية أبيه ولي عهد الأمين.

وعلم الفضل بن الربيع أن الخلافة إذا أفضت إلي المأمون لم يبق عليه، فأعدي الأمين به وحرضه أن يولي ابنه موسى ولاية العهد ويعزل أخيه المأمون ، وأعانه علي رأيه علي بنعيسى بن ماهان، والسندي.

ففعل حتى دارت بين جيوش المأمون والأمين حروب وكان نهايتها قتل الأمين ابن زبيدة.

فماذا تفعل زبيدة أمام هذا الحدث الجلل؟

فهنا ظهرت رجاحة عقلها ورزانتها مرة ثانية، لما جاءها نبأ مقتل ولدها، عندما وأدت مساعي أهل الفتنة لتحريضها على الثأر من المأمون، الذي كان بمكان ولدها وقد أرسل إليها يبرئ نفسه بعد أن أرسلت إليه أبياتاً من الشعر قد امرت أبا أبكته:

ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد ... ويمتع بالآلاف طورا ويفقد

أصابت بريب الدهر مني يدى ... فسلمت للاقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر إن هلكت يد فقد بقيت والحمد لله لي يد

إذا بقي المأمون لها فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقـــدا ومحمد

وعند قراءة المأمون للأبيات أرسل في الطلب إليها وقال لها: من قائل هذه الأبيات؟ قالت: أبو العتاهية. قال: وكم أمرت له؟ قالت: عشرون ألف درهم. قال: وقد أمرنا له بمثل ذلك.

واعتذر إليها من قتل أخيه محمد، وقال: لست صاصيه ولا قاتله؟ فقالت: يا أمير المؤمنين إن لكما يوما تجتمعان فيه وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله.

وأخذ المأمون يزيد في كرمه على زبيدة وأسرتها فكان يعطيها كل سنة مائة ألف دينار وألف ألف درهم.

وفي رواية الخطيب البغدادي: إن زُبيدة أرسلت للمأمون قائلة: " أهنئك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدتُ ابنًا خليفة، فقد عُوضت ابنًا خليفة لم ألده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأسأل الله أجرًا على ما أخذ، وإمتاعًا بما عوَّض". وأخذ المأمون بعد ذلك في إكرامها ومودتها ورضاها.

توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين.

سئلت هل علمك أبوك أم زوجك فقالت " والله إن كان لأبي فضل في الولادة والتربية فإن لزوجي فضل في الأخذ بيدي إلى الخير أو بالأخذ على يدي إلى الخير " فهي لا تنكر فضل أبيها ولا فضل زوجها.

فكل ما صدر من هذه المرأة يدل علي قوة عقلها وشدة ذكائها وقوة إيمانها.

– **زوجة أبي حمزة:** هجر ابو حمزة الضبى زوجته لأنها ولدت بنتاً ولم تلد ولداً .. وأراد الزواج من أخرى وأخذ يتبادل الزيارات مع الجيران بغية الزواج ، وذات

يوم دخل بيت جيرانه فرأته زوجته فأخذت تداعب أبنتها بابيات من الشعر بصوت عال وهى ترقصها :

مـــا لأبـــى حمـــزة لا يأتينـــا يظـــل فـــى البيـــت الـــذى يلينـــا

غضـــبان ألا نلـــد البنينـــا تـــالله مـــا ذلـــك فـــى أيـــدينا

ونحـــن كـــالأرض لزارعينـــا ننبـــت مـــا قـــد زرعـــوه فينـــا

فعاد الزوج إلى زوجته الحكيمة العاقلة ، ودخل عليها الخباء فقبل رأس امرأته وابنته ، وقال : ظلمتكما ورب العكبة (١) .

– جارية سليمان بن عبد الملك :

يروي أن سليمان بن عبد الملك تجمل يوما ولبس ثيابه واعتم بعمامة ، وعنده جارية فقال لها: كيف ترين الهيئة . قالت: أنت أجمل العرب لولا... فطلب منها أن تكمل الجواب وتصرح بما أضمرت، فقالت:

أنـت نعـم المتـاع لـو كنـت تبقـى غيـــر أن لا بقـــاء للإنســـان

أنـــت خـــال مـــن العيـــوب وممـــا يكـره النـاس غيـر أنـك فـان(٢)

– فتـــــــــاة :

فعن بُرَيْدَةَ بن الحصيب قال: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ .فَجَعَلَ الْأَمْرَ

---

١) انظر تربية الأولاد للصابونى – البيان والتبيين للجاحظ ١٠٨/١ .

٢) فانظر ترجمته في كتاب تاريخ الإسلام ١٤٢/٣– والبداية والنهاية لابن كثير، تاريخ الطبري.

إِلَيْهَا .فَقَالَتْ : قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ. (١)

وعن عائشة رضي الله عنها، عَائِشَةَ أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ . دناءته – وَأَنَا كَارِهَةٌ ، قَالَتْ : اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَلِلنِّسَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ (٢) .

ما أعقل هذه الفتاة وحسن أدبها مع أبيها، حيث أنها عرفت أن الحق معها ثم تنازلت عنه لأبيها أدبا منها.

– جـــــاريـــة عاقلة:

وبينما رجل يجلس في بيته، ومعه جاريته، فإذا به يسمع رجل يمشي في الشارع ومعه أدوات اللهو يلهو بها في الشارع. فقال لجاريته: انظري هذا الرجل هل هو حر أم عبد؟ فخرجت الجارية ورجعت فقالت: إنه حر، فخرج مسرعا ليعرف من هو.. فإذا به يجده عبدا، فقال لها: ألم تقولي إنه حر، وهو عبد. فقالت: لو كان عبدا ما فعل هذا !!!.

وتحكي بطريق آخر: كان رجل من الصالحين يسير بالقرب من أحد البيوت فسمع أصوات معازف وغناء، فطرق الباب ففتحت له جاريه فسألها عن صاحب

---

١) رواه ابن ماجه (١٨٧٤).

٢) سنن النسائي – كتاب النكاح – باب البكر يزوجها أبوها وهى كارهة ٤٠٤/٣ _ رقم الحديث:(٣٢٦٩)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب من زوج ابنته وهى كارهة ٦٠٢/٢ _ رقم الحديث: (١٨٧٤).

البيت: هل هو حر أم عبد ؟ فقالت الجاريه: إنه حر، فقال الرجل الصالح: هو حر فليفعل مايشاء، وتركها ومضى إلى حال سبيله، فسألها سيدها عن الطارق فذكرت له ما حدث، فإنزعج صاحب البيت وعرف مقصد الرجل الصالح وقال بل أنا عبد، وخرج مسرعاً وأخبر الرجل الصالح أنه عبد وليس حر، وترك الغناء والمعازف.

– زوجة شعيب بن حرب :

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة ، فقال لها: إني لسئ الخلق ، فقالت : أسوأ خلقا منك من يحوجك إلى أن تكون سيئ الخلق .

– عائشة أم أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس:

كان أبو عبد الله محمد الثاني عشر ١٤٦٠ :١٥٢٧ هو آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب ب((الغالب بالله)).

وكان ملكاً على غرناطة من بني نصر من ملوك الطوائف، واستسلم لفرديناند وإيزابيلا يوم ٢ يناير ١٤٩٢. وسماه الإسبان(el chico) أي الصغير) ، بينما سماه أهل غرناطة (الزغابي) أي المشؤم أو التعيس.

حاول غزو قشتالة عاصمة فرناندو فهُزم وأسر في لوسينا عام ١٤٨٣، ولم يفك أسره حتى وافق على أن تصبح مملكة غرناطة تابعة لفرناندو وإيزابيلا ملوك قشتالة وأراجون. الأعوام التالية قضاها في الاقتتال مع أبيه أبي الحسن علي بن سعد وعمه أبي عبد الله محمد الزغل.

وفي عام ١٤٨٩استدعاه فرناندو وإيزابيلا لتسليم غرناطة، ولدى رفضه أقاما حصارا على المدينة. وأخيراً في ٢ يناير ١٤٩٢ استسلمت المدينة.

المكان الذي ألقى منه نظرته الأخيرة على غرناطة ما زال معروفاً باسم زفرة العربي الأخيرة (el último suspiro del Moro) وبكى فقالت له أمه تلك المرأة العاقلة: عائشة الحرة: ابك كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال "

قالتها لولدها الذي لم يحافظ على ملكه ولم يدافع عن بلده فكُتبت – وحق لها أن تكتب – ليتناقلها الأجيال جيل بعد جيل ليُستفاد منها وتكون عبرة للمعتبر :

حاول جسيمات الأمور ولا تقل إن المحامـــــد والعلى أرزاق

وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية فيها الطلاب سباق

– عجـــــــوز بني اسرائيـــــل :

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ ، قَالَ: نَعَمْ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ لا يَفْعَلَهُ سَكَتَ ، وَكَانَ لا يَقُولُ لِشَيْءٍ لا، فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَسَأَلَهُ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" سَلْ كَهَيْئَةِ الْمُنْتَهِرِ لَهُ: سَلْ مَا شِئْتَ يَا أَعْرَابِيُّ ، فَغَبَطْنَاهُ، وَقُلْنَا: الآنَ يَسْأَلُ الْجَنَّةَ ، قَالَ: أَسْأَلُكَ رَاحِلَةً ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ : سَلْ، قَالَ: وَرَحْلَهَا، قَالَ: لَكَ ذَاكَ ، ثُمَّ قَالَ : سَلْ قَالَ : أَسْأَلُكَ زَادًا ، قَالَ: ذَاكَ لَكَ ، قَالَ: فَعَجِبْنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعْطُوا الأَعْرَابِيَّ مَا سَأَلَ، قَالَ: فَأُعْطِيَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَمْ بَيْنَ مَسْأَلَةِ الأَعْرَابِيِّ وَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يَقْطَعَ الْبَحْرَ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ، ضَرَبَ وُجُوهَ الدَّوَابِّ،

فَرَجَعَتْ ، فَقَالَ مُوسَى : مَالِي يَا رَبِّ ؟، قَالَ: إِنَّكَ عِنْدَ قَبْرِ يُوسُفَ، فَاحْمِلْ عِظَامَهُ مَعَكَ ، قَالَ: وَقَدِ اسْتَوَى الْقَبْرُ بِالأَرْضِ ، فَجَعَلَ مُوسَى لا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، فَسَأَلَ مُوسَى: هَلْ يَدْرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ أَيْنَ هُوَ ؟، فَقَالُوا : إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ فَعَجُوزُ بَنِي فُلانٍ، لَعَلَّهَا تَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى، فَانْتَهَى إِلَيْهَا الرَّسُولُ ، قَالَتْ: مَا لَكُمْ ؟ ، قَالُوا: انْطَلِقِي إِلَى مُوسَى فَلَمَّا أَتَتْهُ، قَالَ: هَلْ تَعْلَمِينَ أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ ؟، قَالَتْ: نَعَمْ ، قَالَ: فَدُلِّينَا عَلَيْهِ قَالَتْ: لا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي مَا أَسْأَلُكَ ، قَالَ لَهَا : لَكِ ذَلِكَ ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الدَّرَجَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ: سَلِي الْجَنَّةَ، قَالَتْ: لا وَاللَّهِ ، لا أَرْضَى إِلا أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فَجَعَلَ مُوسَى يُرَادُّهَا، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَعْطِهَا ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لا يَنْقُصُكَ شَيْئًا ، فَأَعْطَاهَا، وَدَلَّتْهُ عَلَى الْقَبْرِ، فَأَخْرَجُوا الْعِظَامَ ، وَجَازُوا الْبَحْرَ " (١).

وفي رواية عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ ، فَقَالَ لَهُ: " يَا أَعْرَابِيُّ سَلْ حَاجَتَك. "قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا وَأَعْنُزٌ يَحْلُبُهَا أَهْلِي . قَالَهَا مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ " ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : " إِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَأُضِلَّ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، نَحْنُ نُحَدِّثُكَ

---

١) المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْمِيمِ» مَنِ اسْمُهُ : مُحَمَّدٌ _رقم الحديث: ٧٩٧٥ ، مكارم الأخلاق للخرائطي» الجزء الخامس» بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّخَاءِ وَالْكَرَمِ وَالْبَذْلِ ... رقم الحديث: ٥٩٠.

أَنَّ يُوسُفَ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوَاثِيقَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا . قَالَ: وَأَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ ؟ قَالُوا: مَا تَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ إِلَّا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ . فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ: " وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَالَتْ فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَأَتَتْ بُحَيْرَةً ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ . فَلَمَّا نَضَبُوهُ قَالَتِ : احْفِرُوا هَاهُنَا. فَلَمَّا حَفَرُوا إِذَا عِظَامُ يُوسُفَ ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ. رواه الحاكم وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1] **.**

انظر إلي عقل الأعرابي وعقل هذه العجوز تجد بينهما بونا شاسعاً .. فقد طلب الأعرابي دنيا زائلة .. وطلبت العجوز آخرة لا زوال لها ولم تطلب الجنة فحسب بل طلبت الفردوس الأعلى مع أنبياء الله ورسله .

فكم من النساء اليوم يطلبون أشياء الدنيا ويرغمون أزواجهم علي تحصيلها ويكون ذلك علي حساب آخرتهم .

– زوجة شريح القاضي (رحمهما الله)

قال الشعبي: إن شريح القاضي قال له بعد زواجه من تميمة (امرأة من بني تميم) يا شعبي: عليكم بنساء بني تميم، فإنهن النساء. فقلت: وكيف هذا،قال : مررت بدور لبني تميم، فإذا بامرأة جالسة على وساد ، وتجاهها جارية (فتاة)

---

١) المستدرك على الصحيحين « كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين _ رقم ٤١٤٢، وصححه الألباني.

كأحسن ما رأيت، فاستسقيت(أي طلبت أن تسقيني). فقالت: أي الشراب أعجب لديك ؟ . فقلت: ما تيسّر .قالت: اسقوا الرجل لبنًاً، فإني أخاله غريباً. فلما شربت، نظرت إلى الجارية، فأعجبتني فقلت: من هذه ؟ . قالت: ابنتي. قلت: ومن ؟ (أي من هو أبوها، وأصلها). قالت: زينب بنت جدير من بني حنظله. قلت: أفارغة أم مشغولة ؟ (أي هل هي ذات زوج أو مخطوبة لأحد ؟؟). قالت : بل فارغة . قلت: أتزوجينيها ؟ . قالت: نعم، إن كنتَ كفاء.

فتركتها ومضيت إلى منزلي، لأقيل فيه (أي لأقضي فترة القيلولة) فلم يطب لي مقيل، فلما صليت، أخذت بعض إخواني من أشراف العرب، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس. فقال: أبا أميه ما حاجتك ؟ فذكرت له حاجتي، وزوجني، وبارك القوم لي، ثم نهضنا، فما بلغت منزلي، حتى ندمت !! فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب، وأجفاها، وتذكرت نساء تميم، وغلظ قلوبهن، فهممت بطلاقها، ثم قلت أجمعها (أي أدخل بها، وأتزوجها) فإن لا قيت ما أحب وإلا طلقتها، وأقمت أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أُجلست في البيت، قلت: يا هذه ! إن من السنة، إذا دخلت المرأة على الرجل، أن يصلي ركعتين، وتصلي هي كذلك، وقمت أصلي، ثم التفت ورائي، فإذا هي خلفي تصلي، فلما انتهيت، أتتني جواريها فأخذن ثيابي، وألبسنني ملحفة صبغت بالزعفران، فلما خلا البيت، دنوت منها، فمددت يدي إلى ناحيتها، فقالت: على رسلك (أي مهلاً)، فقلت في نفسي: إحدى الدواهي منيت بها(أي مصيبة ابتليت بها) فحمدت الله وصلت على النبي، وقالت: إني امرأة عربية، ولا والله ما سرت سيرا قط، إلا لما يرضي الله، وأنت رجل غريب، لا أعرف أخلاقك (أي لا أعرف طباعك)، فحدثني بما تحب فآتيه، وما تكرهه فأجتنبه، فقلت لها: أحب كذا وكذا (عدّد ما يحب من القول والأفعال

والطعام ونحو ذلك) وأكره كذا (كل ما يكره)، قالت: أخبرني عن أصهارك (أهل قرابتك) أتحب أن يزوروك؟، فقلت: إني رجل قاضي، وما أحب أن يملوني .

فقمت بأنعم ليلة، وأقمت عندها ثلاثا، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوما إلا هو أفضل من الذي قبله.

حتى كان رأس الحول (أي بعد مرور عام) ودخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى !! فقلت: يا زينب ما هذه!؟ قالت: أمي.قلت: مرحبا.فقالت: يا أبا أمية، كيف أنت وحالك ؟ .قلت: بخير، أحمد الله. قالت: كيف زوجتك؟ .

قلت: كخير امرأة، وأوفق قرينة. لقد ربيّت، فأحسنت التربية، وأدبّت، فأحسنت التأديب.

فقالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالتين: (إذا حظيت عند زوجها.. وإذا ولدت غلاما).

فإن رابك منها ريب (لا حظت ما يغضبك منها) فالسوط (أي عليك بضربها) .فإن الرجال ما حازت في بيوتها شراً من الورهاء المدللة.

وكانت كل حول تأتينا مرة واحده، ثم تنصرف بعد أن تسألني كيف تحب أن يزوروك أصهارك ؟ .وأجيبها: حيث شاؤوا [أي كما يشاءون] فمكثت معي عشرين سنه، لم أعب عليها شيئاً، وما غضبت عليها قط.

ما نستخلصه من هذه القصة :

١) يجب أن يتحلى الرجل بالتدين والالتزام.

٢) على الرجل المسارعة للزواج إذا وقع في نفسه حب فتاة، خشية الفتنة.

٣) التحري عن الفتاة، وعن أهلها قبل الارتباط بها .

٤) التوكل على الله ، وعدم الخوف من المستقبل، والتفاؤل بنجاح الزواج .

٥) إتباع السنن المتواترة عن الرسول ﷺ، حتى في مسائل الزواج .

٦) إتباع وسيلة الحوار، والملاطفة مع الزوجة، وخاصة في بداية عهدهما بالزواج لتحقيق التآلف المطلوب بينهما، وإزالة الرهبة من الفتاة.

٧) إهتمام الرجل بزينته، أمر مطلوب كما هو الحال عند المرأة، لتدوم المودة بينهما، ويعف كل منهما الآخر عن النظر للغريب [فما يعجب العين، يقع في القلب] .

٨) إتصاف المرأة برجاحة العقل أمر مهم ، حيث أن ذلك يساعد في فهم ، ومسايرة الرجل بما يوافق طبعه وخلقه .

٩) التفاهم بين الزوجين منذ بدء الحياة الزوجية ، يحقق الإستقرار والهدوء والخلو من المشاكل والمشاحنات.

– تنازع رجل وامرأته :

يروى أنه ترافع رجل وامرأته الى زياد والي البصره في ولد لهما :فقالت المرأة: أصلح الله الأمير هذا ابني كان بطني وعاؤه وحجري قناؤه وثديي سقاؤه، أكلؤه اذا نام، وأحفظه اذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام لحين أملت نفعه ورجوت دفعه أراد أخذه مني قهرا.

فقال الرجل: أصلحك الله! أنا حملته قبل أن تحمليه، ووضعته قبل أن تضعيه.

فقالت المرأه: صدق أيها الامير، ولكنه حمله خفيفا، وحملته ثقيلا، ووضعه شهوة، ووضعته كرها.

فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك(١) برجاحة عقلها غلبت زوجها، وهي محقة.

– المرأة الحكيمة وابنها :

رأت امرأة في المنام .. ابنها يشعل أعواد الكبريت .. ويقربها من عينيه .. حتى أصبحتا حمراوين.. فاستيقظت من نومها وهي تتعوذ من الشيطان الرجيم .. لكن لم يهدأ بالها وذهبت لغرفه إبنها .. الذي يبلغ السابعه عشر من عمره .. لتجده على شاشه الكومبيوتر.. وكان ضوء الشاشه ينعكس على النافذه .. ورأته يرى ما أفزعها حقا .. وأثار كل مخاوفها.. رأته وهو يشاهد فيلم خليع.. على شاشه الكومبيوتر .. أرادت أن تصرخ في وجهه .. لكنها آثرت الإنسحاب .. خاصه أنها دخلت بشكل خافت .. لم يلاحظه هو.. رجعت إلى فراشها.. فكرت أن تخبر أباه.. ليتسلم مسئوليه تأديب ابنه.. فكرت أن تقوم من فراشها وتقفل شاشه الكمبيوتر وتوبخه على فعلته وتعاقبه.. لكنها دعت الله أن يلهمها الصواب في الغد.. ونامت وهي تستعيذ بالله.. وفي الصباح الباكر.. رأت ابنها يستعد للذهاب إلى المدرسة.. وكانا وحدهما.. فوجدتها فرصه للحديث وسألته :مارأيك في شخص جائع، ماذا تراه يفعل حتى يشبع ؟؟؟.

فأجابها بشكل بديهي: يذهب إلى مطعم و يشتري شيئا ليأكله.. فقالت له: وإذا لم يكن معه مال لذلك ؟عندها صمت وكأنه فهم شيئا ما، فقالت له: وإذا تناول فاتحا للشهيه، ماذا تقول عنه ؟؟؟.

---

١) المستدرك على الصحيحين « كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين _ رقم ٤١٤٢.

فأجابها بسرعه: أكيد إنه مجنون، فكيف يفتح شهيته لطعام ليس بحوزته.. فقالت له: أتراه مجنون يا بني ؟؟؟ أجابها: بالتأكيد يا أمي، فهو كالمجروح الذي يرش على جرحه ملحا.. فابتسمت وأجابته: أنت تفعل مثل هذا المجنون يا ولدي.. فقال لها متعجبا .. أنا يا أمي!!! فقالت له: نعم .. برؤيتك لما يفتح شهيتك للنساء. عندها صمت وأطرق برأسه خجلا.

فقالت له: بني بل أنت مجنونا أكثر منه.. فهو فتح شهيته لشئ ليس معه.. وإن كان تصرفه غير حكيم.. ولكنه ليس محرم.. أما أنت ففتحت شهيتك لما هو محرم.. ونسيت قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [١] عندها دمعت عينا ابنها بحزن .. وقال لها حقا يا أمي .. أنا أخطأت .. وإن عاودت لمثل ذلك .. فأنا مجنون أكثر منه.. بل وآثم أيضا.. أعدك بأني لن أكررها(٢).

* * * * *

١) سورة النور – الآية ٣٠.
٢) منتدي قلوب.

مُعينات على الخير

قال تعالي : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرّ وَالتّقْوَىَ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ آلْعِقَابِ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢]

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ. " روه أبو داود والنسائي [٣].

– أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) :

عندما رجع الحبيب محمد ﷺ من الغار وقص عليها مجيء جبريل عليه السلام ، فقال له: أقرأ ..... وأخبرها الخبر، وقال:" فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ

---

١) سورة المائدة – الآية ٢ .

٢) سورة التوبة – الآية ٧١ .

٣) مشكاة المصابيح – باب التحريض على قيام الليل ٣٨٨/١ .

كَلَّا أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فما كان أجمل من قولها إلا فعلها : وذلك حين ذهبت به إلي ابن عمها ورقة بن نوفل ، فَقَالَتْ: **أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ** فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ.(١).

---

١) صحيح البخاري _ كِتَاب التَّعْبِير _ بَاب أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ _ رقم ٢٥٦١.

– أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) :

عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَكَتْ، وَقَالَتْ : وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا إِنَّهُ أَتَانِي فِي لَيْلَةٍ فَدَخَلَ مَعِي فِي فِرَاشِي أَوْ قَالَتْ : فِي لِحَافِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ثُمَّ قَالَ : يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي . قَالَتْ : قُلْتُ: إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ . فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ رَكَعَ فَبَكَى ثُمَّ سَجَدَ فَبَكَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَبَكَى فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا وَلِمَ لا أَفْعَلُ وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١] ثم قال: " ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها "[٢] .

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٩٠، ١٩١ .

٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٠) وأبو الشيخ في أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – (١٨٦) وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلى عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التفكر،

وفي رواية أخرى: عَن عَطاء بن أبي رَبَاح قَالَ دخلت أَنا وَابْن عمر عَلَى عَائِشَة فَقَالَ لَهَا ابْن عمر أَخْبِرِينِي بِأَعْجَب مَا رَأَيْت من رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَكَتْ وأَطَالَت ثمَّ قَالَت كل أمره عجب أَتَانِي فِي لَيْلَتي فَدخل فِي لِحَافِي حَتَّى الصق جلده بِجِلْدِي ثمَّ قَالَ يَا عَائِشَة هَل لَك أَن تَأْذَنِي لي فِي عبَادَة رَبِّي الله اللَّيْلَة فَقلت يَا رَسُول الله إِنِّي لأحب قربك وَأحب هَوَاك فقد أَذِنت لَك فَقَامَ إِلَى قربَة من مَاء فِي الْبَيْت فَتَوَضَّأ وَلم يكثر من صب المَاء ثمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقَرَأَ من الْقُرْآن وَجعل يبكي حَتَّى بلغت الدُّمُوع حقْوَيْهِ ثمَّ جلس فَحَمدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَجعل يبكي ثمَّ رفع يَدَيْهِ وَجعل يبكي حَتَّى رَأَيْت دُمُوعه قد بلت الأَرْض فَأَتَاهُ بِلَال يُؤذنهُ بِصَلَاة الْغَدَاة فَرَآهُ يبكي فَقَالَ لَهُ يَا رَسُول الله أَتَبْكِي وَقد غفر الله لَك مَا تقدم من ذَنْبك وَمَا تَأَخّر فَقَالَ يَا بِلَال أَفلا أكون عبدا شكُورًا ثمَّ قَالَ وَمَالِي لَا أبْكِي وَقد أنزل الله عَلّي فِي هَذِه اللَّيْلَة (إِن فِي خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَاخْتِلَاف اللَّيْل وَالنَّهَار) ثمَّ قَالَ ويل لمن قَرَأَهَا وَلم يتفكر فِيهَا. [١].

قيل للإمام الأوزاعي: " ما غاية التفكر فيهن " ؟ قال: " يقرؤهن وهو يعقلهن "

وابن المنذر وابن مردويه في الترغيب، وابن عساكر (١/١٩٥) وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨) وانظر: "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" (٦٢٠) وموارد الظمآن (٥٢٣

١) رَوَاهُ عبد بن حميد، والثعلبي، وَابْن مرْدَوَيْه فِي تفاسيرهم، ابْن الْجَوْزِيّ فِي الْوَفَاء، وَأَبُو الْقَاسِم الْأَصْفَهَانِي فِي التَّرْغِيب والترهيب. كما في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٦٠).

– زوجة أبي الهيثم بن التيهان (رضي الله عنها) :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَاعَةٍ لَا يَخْرُجُ فِيهَا وَلَا يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ: خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ [١]، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ فَانْطَلَقُوا إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّاءِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالُوا لِامْرَأَتِهِ [٢]: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ فَقَالَتْ:

---

١) أن الإنسان يجوز له أن يخبر بما ناله من ألم، إذا لم يكن ذلك على سبيل التشكِّي وعدم الرضى، بل للتسلية والتصبير .. فكل واحد أخبر الآخَرين بما ناله من الجوع.

والشكوى على حالَتين:

الحالة الأولى: أن يخبرهم بذلك لكي يُسَلُّوه ويصبروه، فهذا لا بأس به، وهو من باب التواصي.

الحالة الثانية: إذا كان على سبيل التشكِّي والتبرُّم والتضجُّر من قضاء الله وقدره، والشكاية للمخلوقين، وإذلال النفس، والطلب، ومد اليد؛ فهذا مذموم.

٢) جواز الكلام مع المرأة الأجنبية بدون فتنة ..إذا كان بغير فتنة، ولا محذور شرعي، فإنه لا بأس على الإنسان أن يتكلم مع المرأة الأجنبية.فالنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى هذا الرجل قال للمرأة: (أين صاحبكِ؟) والصاحب هو الزوج، وما هو الدليل على أن الزوج يسمى صاحباً والزوجة تسمى صاحبة؟ قال الله تعالى: وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ [المعارج:١٢] إذاً: الزوجة تسمى صاحبة، والزوج صاحبها؛ لأن بينهما مصاحَبة، فهو يصاحبها في هذه الحياة بالعشرة الزوجية. فقال: (أين صاحبكِ؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، فرحَّبَت بهم وتركتهم يدخلون). =

انْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعَبُهَا فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُفَدِّيهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيقَتِهِ فَبَسَطَ لَهُمْ بِسَاطًا ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ فَجَاءَ بِقِنْوٍ فَوَضَعَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَفَلَا تَنَقَّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا أَوْ قَالَ تَخَيَّرُوا مِنْ رُطَبِهِ وَبُسْرِهِ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنْ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظِلٌّ بَارِدٌ وَرُطَبٌ طَيِّبٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ "، فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ لِيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَامًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ [١]"، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا أَوْ جَدْيًا فَأَتَاهُمْ بِهَا فَأَكَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ لَكَ خَادِمٌ [٢]؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَأْتِنَا فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

= مع الحذر الشديد من إدخال الأجنبي أو الأجانب إلى البيت، إلا إذا كانوا أناساً صالحين، والزوجة تعرف يقيناً أن الرجل لا مانع لديه من دخولهم، وكانوا صالحين، فهنالك يدخلون، أما أن يدخل واحد فقط فلا يجوز أن يخلو بالمرأة ولو كان من أصلح الصالحين.

١) على الإنسان يتجنب تكليف المضيف بما يشق عليه .. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تذبحن ذات دَرٍّ) أي: ذات لبن، خَلِّها واتركها لِلَّبن؛ لتستفيد منها في الحَلْب، اذبح شاةً ليست ذات لبن، دع الحلوب ليستفاد منها، واذبح شيئاً آخر، فيرشد المضيف إلى أن ينتقي له ما لا يضر بمصلحته، أو ما لا يحرمه من الانتفاع به.

٢) مكافأة من أحسن إليك .. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما طعم عنده سأله وقال له: (هل لك خادم؟ قال: لا. قال: فإذا أتانا سبيٌ فائتنا) ولما أتاه سبيٌ أعطاه، وكافأه بعبدٍ على هذه الوجبة.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اخْتَرْ مِنْهُمَا " فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْتَرْ لِي[١] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ [٢]" خُذْ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي وَاسْتَوْصِ بِهِ

---

١) أن الإنسان يأخذ رأي الصلحاء والعقلاء في اختيار الأشياء ..لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أُحْضِر له الرأسان وأتاه أبو الهيثم قال عليه الصلاة والسلام: (اختر منهما. فقال: يا نبي الله! اختر لي) أي: أنت أبصر مني وأخبر، وأخير مني وأنصح لي، وأعلم بمصلحة نفسي من نفسي، فاختر لي.

فيأخذ الإنسان رأي الصلحاء والعقلاء في اختيار الأشياء، مع أنها أشياء دنيوية، قد تكون سيارة، وقد تكون امرأة، وقد يكون بيتاً، وقد تكون سلعة، وقد تكون غير ذلك.

٢) أن الإنسان إذا طُلب منه نصيحة فلا بد أن يأتي بها ..لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال في حقوق الإخوة: (وإذا استنصحك فانصح له) فهذا أمر يدل على الوجوب، أي: لا بد أن تبذل له الوسع في نصحه، وتجتهد، ولا تختر له اعتباطياً وعشوائياً، وإنما يجب أن تفكر وتجتهد وتبذل الوسع في الدلالة على الخير، لتخبره: هل هذا أفضل له أم ذاك؟ وهذه مسألة تحتاج إلى تحرٍ ونظر وتفكير، وليس شيئاً عشوائياً، ما دام أنه استشارك لا بد أن تبذل له الرأي مجاناً .. (وإذا استنصحك فانصح له) هذا يدل على وجوب إعطاء النصيحة للأخ المسلم من قبل أخيه المسلم وجوباً شرعياً.

وما هي الأشياء التي تجعل المستشار يؤدي النصيحة بشكل سليم؟

أولاً: أن يعرف ظرف المستشير وما حوله وحاله وإمكاناته.

ثانياً: أن يفكر وينظر في المسألة.

ثالثاً: أن يستشعر بأن القضية أمانة.

رابعاً: لا تكون الإشارة هذه صحيحة إلا إذا كان لم يكتم شيئاً من المصلحة، لا أن يقول: هذا أعطاني فكرة، أنا الآن أدله على أي شيء وأسبقه إليه، كما يفعل بعض الناس، يقول: أنا أوصله إلى أي شيء استثماري، قد لا يكون مفيداً أو فائدته بسيطة، وأنا أسبقه إليها، وبعض الناس من خيانتهم في الإشارة إذا جاء واحدٌ وقال له: أنا عندي صفقة مع

مَعْرُوفًا ، فَانْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: مَا أَنْتَ بِبَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تَعْتِقَهُ قَالَ: فَهُوَ عَتِيقٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنْ الْمُنْكَرِ وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ [١] .

انظري أختي المسلمة: كيف كانت هذه المرأة العظيمة بطانة صالحة لزوجها حيث أعانته علي تنفيذ وصية رسول الله ﷺ .. بأحسن الوجوه وهو العتق .. فكوني دائماً أختي المسلمة عونا لزوجك علي امتثال أمر الله وأمر رسوله صلي الله عليه وسلم.

– فاطمة بنت الرسول ﷺ (ورضي الله عنها) :

عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ، قَالَ: أَصَابَتْ عَلِيًّا خَصَاصَةٌ. فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَوْ أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتِيهِ. فَأَتَتْهُ ، وَكَانَ عِنْدَ

فلان كذا ومع فلان كذا، فيقول له: لا، خذ هذه، ويدله على الأقل، ثم يذهب هو ويأخذ تلك ويسبقه إليها .. هذه من الخيانة.

إذاً: من خيانة المستشار أن يكتم المصلحة، ومن خيانة المستشار ألا يُعْمِل الجهد في الرأي، بل يعطي رأياً اعتباطياً عشوائياً(من محاضرة للشيخ محمد صالح المنجد).

١) صحيح رواه الترمذي – باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي(٢٣٦٩) – ورواها لحاكم في المستدرك – كتاب الأطعمة ١٣١/٤.

أُمِّ أَيْمَنَ[١]، فَدَقَّتِ الْبَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ أَيْمَنَ: " إِنَّ هَذَا لَدَقُّ فَاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتَتْنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدَتْنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ، قُومِي فَافْتَحِي لَهَا ". قَالَتْ: فَفَتَحْتُ لَهَا الْبَابَ. فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ لَقَدْ أَتَيْتِنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدْتِنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ". فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ الْمَلائِكَةُ طَعَامُهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، فَمَا طَعَامُنَا ؟ فَقَالَ: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اقْتُبِسَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ نَارٌ مُنْذُ ثَلاثِينَ يَوْمًا ، وَقَدْ أَتَتْنَا أَعْنُزٌ ، فَإِنْ شِئْتِ أَمَرْتُ لَكِ بِخَمْسَةِ أَعْنُزٍ، وَإِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ خَمْسَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا ". قَالَتْ: بَلَى عَلِّمْنِي خَمْسَ كَلِمَاتٍ الَّتِي عَلَّمَكَهُنَّ جِبْرِيلُ . قَالَ: " قُولِي: يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينَ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ " . قَالَ: فَانْصَرَفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكِ ؟ فَقَالَتْ ذَهَبْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَتَيْتُكَ بِالآخِرَةِ . فَقَالَ: خَيْرُ أَيَّامِكِ، خَيْرُ أَيَّامِكِ. كذا في الكنز [٢].

انظر إلى هذا الأدب في سؤال فاطمة لرسول الله ﷺ حيث قالت: هذه الملائكة طعامها التسبيح ، ....، ....، وما قالت: يا رسول الله ! انظر كيف عليٌّ لم يأتي لي بالطعام ولم يعطني نفقه و ... و... وكيف يقينيها علي كلام رسول الله

---

١) وَأُمُّ أَيْمَنَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَها أُمُّ الْحِبِّ ابْنِ الْحِبِّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَتْ وَصِيفَةً لِوَالِدَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ حَاضِنَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْضُنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَمَوْلاةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَضِيَ عَنْهَا . .

٢) حياة الصحابة . باب إيمان الصحابة بالغيب بأخبار النبي ﷺ ٣/٣٩ .

ﷺ ؟ وكيف اختيارها للكلمات علي الأعنز ؟ وكيف هي معينة لزوجها علي أمر الآخرة .. وكيف أن عليٌ الذي اشتكى الخصاصة، ولم تشتكي هيَ ، مع أن النساء أشد جزعا من الرجال ؟ لا نستغرب ذلك كله فقد قال ﷺ: " فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّي فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنِي ". متفق عليه [١].

وفي رواية للبزار : أَنَّ عَلِيًّا ، قَالَ : سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَالَ : " أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ ؟ " فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِفَاطِمَةَ ، فَقَالَتْ : أَلا قُلْتَ لَهُ : خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ أَنْ لا يَرَيْنَ الرِّجَالَ وَلا يَرَوْنَهُنَّ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ قَوْلَ فَاطِمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " **إِنَّهَا بِضْعَةٌ مِنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.** " .

- أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) :

يغيب ابن عمها سلمه عن الصلاة مع رسول الله ﷺ فتسأل عنه زوجته .. كما في مستدرك الحاكم عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ لِامْرَأَةِ سَلَمَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : مَالِي لَا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : " وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ ، كُلَّمَا خَرَجَ صَاحَ بِهِ النَّاسُ: يَا فُرَّارُ ، فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَانَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مع خالد بن الوليد ﷺ .[٢]

---

٢) مشكاة المصابيح – كتاب المناقب – مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٣/١٧٣٢.

١) مستدرك الحاكم ٣/٤٢ .

– أم كلثوم بنت الصديق (رضي الله عنها) :

في ليلة من ذات الليالي، رأت زوجها طلحة بن عبيد الله مهموما لم ينم ليلته ، وكان غنيا، فسألته عما أهمه ؟ فقال لها : أتاني من حضرموت سبعمائة ألف درهم ، فتفكرت منذ الليلة، فقلت ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته ؟ قالت فأين أنت عن بعض أخلائك وأصحابك ؟ فإذا أتي الصباح فادع بجفان وقصاع (أواني) وقسمه بينهم ، فقال لها: رحمك الله ! إنك موفقة بنت موفق .. فلما أصبح دعا بجفان ووضع فيها المال، فقسمه بين المهاجرين والأنصار، ولم يكد يترك لبيته شيئا ، فقالت : له أبا محمد أما كان لنا في هذا المال من نصيب ؟ فقال أين أنت منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقي، قالت: فما بقي إلا صرة فيها نحو ألف درهم[١].

– الشفاء بنت عبد الله (رضى الله عنها) :

عَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَسْأَلُهُ ، فَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَأَنَا أَلُومُهُ ، فَحَضَرْتُ الظُّهْرَ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيَّ ابْنَتِي وَهِيَ تَحْتَ شُرَحْبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ، فَوَجَدْتُ شُرَحْبِيلَ فِي الْبَيْتِ فَجَعَلْتُ أَلُومُهُ ، فَقَالَ : يَا جَارِيَةُ لا تَلُومِينِي ، فَإِنَّهُ كَانَ لِي ثَوْبٌ اسْتَعَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي كُنْتُ أَلُومُهُ مُنْذُ الْيَوْمَ ، وَهَذِهِ حَالُهُ ، وَلا أَشْعُرُ. " [٢] .

---

١) سير أعلام النبلاء ١/٣٠ .

٢) المعجم الكبير للطبراني_رقم الحديث: ٢٠٢٨٢، المستدرك على الصحيحين(٦٩٤٤) ٤/٥٣ ، شعب الإيمان للبيهقي(٣٢١٣).

– عمرة امرأة حبيب العجمي:

انتبهت ليلة وزوجها حبيب نائم، فنبهته في السحر، وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا ونحن قد بقينا.

– سلمى مولاة رسول الله ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : أَتَتْ سَلْمَى مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ امْرَأَةُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَأْذِنُهُ عَلَى أَبِي رَافِعٍ قَدْ ضَرَبَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي رَافِعٍ " :مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ " قَالَ: تُؤْذِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بِمَ آذَيْتِيهِ يَا سَلْمَى ؟ " قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا آذَيْتُهُ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنَّهُ أَحْدَثَ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا رَافِعٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَحَدِهِمْ الرِّيحُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَقَامَ فَضَرَبَنِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: " يَا أَبَا رَافِعٍ ، إِنَّهَا لَمْ تَأْمُرْكَ إِلَّا بِخَيْرٍ " (١).

---

١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » سادس عشر الأنصار» حَدِيثُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ... (٢٥٧٤٤).

- زَوْجِة صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ قَالَ فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا قَالَ: فَقَالَ:" لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتْ النَّاسَ " وَأَمَّا قَوْلُهَا يُفَطِّرُنِي فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَا أَصْبِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ :" لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا " وَأَمَّا قَوْلُهَا إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ[1] [2]. هكذا كانت النساء تحرصن على طاعة الله فإذا وقف أمامهن عارض فيعرضن الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

١) رواه أبو داود (٢٤٥٩).

٢) (وَيُفَطِّرنِي) : بِالتَّشْدِيدِ أَيْ يَأْمُرنِي بِالْإِفْطَارِ (فَإِنَّهَا تَقْرَأ بِسُورَتَيْنِ) : أَيْ تَقْرَأ بِسُورَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ فِي رَكْعَة أَوْ فِي رَكْعَتَيْنِ (وَقَدْ نَهَيْتهَا) : أَيْ عَنْ تَطْوِيل الْقِرَاءَة وَإِطَالَة الصَّلَاة قَالَ: أَبُو سَعِيد (فَقَالَ) : رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَوْ كَانَتْ) : اِسْمه يَعُود إِلَى مَصْدَر تَقْرَأ أَيْ لَوْ كَانَتْ الْقِرَاءَة بَعْد الْفَاتِحَة (سُورَة وَاحِدَة) : أَيْ سُورَة كَانَتْ وَلَوْ أَقْصَرهَا . وَقَالَ الطِّيبِيُّ : لَوْ كَانَتْ الْقِرَاءَة سُورَة وَاحِدَة وَهِيَ الْفَاتِحَة (لَكَفَتْ النَّاس) : أَيْ لَأَجْزَأَتْهُمْ كَفَتْهُمْ جَمْعًا وَأَفْرَادًا كَذَا فِي الْمِرْقَاة (فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ لَا تَصُوم اِمْرَأَة إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجهَا) : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفِقْه أَنَّ

وفي شكوى المرأة زوجها لرسول الله دليل على أن نها تريد الخير لزوجها، إذ أن منعه لها من هذه الطاعات يقع في الشر، ولكن لما عرضت الأمر على صاحب الحكمة والخلق الحسن، فحل لها الأمر ببساطة وسهولة ولم يعنفها ولم يعنفه، ولكن وضع بين أيديهما الحلول.

- رُيطة بِنْت عَبْد الله (رضي الله عنها) :

ريطة بِنْت عَبْد الله بن مُعاوِيَة الثقفية، امْرَأَة عَبْد الله بن مَسْعود، ويقال: رائطة. قيل: إنها زينب، وإن رائطة لقب لها. وقيل: ريطة زَوْجَة أخرى له، وهي أم ولده.

مَنَافِع الْمُتْعَة وَالْعِشْرَة مِنْ الزَّوْجَة مَمْلُوكَة لِلزَّوْجِ فِي عَامَّة الْأَحْوَال، وَأَنَّ حَقّهَا فِي نَفْسهَا مَحْصُور فِي وَقْت دُون وَقْت، وَفِيهِ أَنَّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَضْرِبهَا ضَرْبًا غَيْر مُبَرِّح إِذَا اِمْتَنَعَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِيفَاء الْحَقّ وَإِجْمَال الْعِشْرَة ، وَفِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّهَا لَوْ أَحْرَمَتْ بِالْحَجِّ كَانَ لَهُ مَنْعهَا وَحَصْرهَا؛ لِأَنَّ حَقّه عَلَيْهَا مُعَجَّل وَحَقّ اللَّه مُتَرَاخٍ ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، وَلَمْ يَخْتَلِف الْعُلَمَاء فِي أَنَّ لَهُ مَنْعهَا مِنْ حَجّ التَّطَوُّع (فَإِنَّا أَهْل بَيْت): أَيْ أَنَا أَهْل صَنْعَة لَا نَنَام اللَّيْل (قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَلِكَ): أَيْ عَادَتْنَا ذَلِكَ وَهِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْقُونَ الْمَاء فِي طُول اللَّيَالِي (لَا نَكَاد نَسْتَيْقِظ): أَيْ إِذَا رَقَدْنَا آخِر اللَّيْل (قَالَ فَإِذَا اِسْتَيْقَظْت فَصَلِّ) : ذَلِكَ أَمْر عَجِيب مِنْ لُطْف اللَّه سُبْحَانه بِعِبَادِهِ وَمِنْ لُطْف نَبِيّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِفْقه بِأُمَّتِهِ، وَيُشْبِه أَنْ يَكُون ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى مَلَكَة الطَّبْع وَاسْتِيلَاء الْعَادَة فَصَارَ كَالشَّيْءِ الْمَعْجُوز عَنْهُ، وَكَانَ صَاحِبه فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُغْمَى عَلَيْهِ ، فَعُذِرَ فِيهِ وَلَمْ يُثَرَّبْ عَلَيْهِ. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يُصِيبهُ فِي بَعْض الْأَوْقَات دُون بَعْض، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَتِهِ مَنْ يُوقِظهُ وَيَبْعَثهُ مِنْ الْمَنَام فَيَتَمَادَى بِهِ النَّوْم حَتَّى تَطْلُع الشَّمْس دُون أَنْ يَكُون ذَلِكَ مِنْهُ فِي عَامَّة الْأَحْوَال فَإِنَّهُ يَبْعُد أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَان عَلَى هَذَا فِي دَائِم الْأَوْقَات وَلَيْسَ بِحَضْرَتِهِ أَحَد لَا يُصْلِح هَذَا الْقَدْر مِنْ شَأْنه وَلَا يُرَاعِي مِثْل هَذَا مِنْ حَاله وَلَا يَجُوز أَنْ يُظَنّ بِهِ الِامْتِنَاع مِنْ الصَّلَاة فِي وَقْتهَا ذَلِكَ مَعَ زَوَال الْعُذْر بِوُقُوعِ التَّنْبِيه وَلِإِيقَاظِ مِمَّنْ يَحْضُرهُ وَيُشَاهِدهُ وَاَللَّهُ أَعْلَم.

عن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ رَائِطَةَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّ وَلَدِهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ قَالَ وَكَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ صَنْعَتِهَا قَالَتْ فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عَنْ الصَّدَقَةِ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ بِشَيْءٍ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ ذَاتُ صَنْعَةٍ أَبِيعُ مِنْهَا وَلَيْسَ لِي وَلَا لِوَلَدِي وَلَا لِزَوْجِي نَفَقَةٌ غَيْرَهَا وَقَدْ شَغَلُونِي عَنْ الصَّدَقَةِ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِيمَا أَنْفَقْتُ قَالَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ ". (١).

– صاحب اللقطة وزوجته:

كان بمكة رجلا فقيراً، وله زوجة صالحة، فقالت له يوما ما عندنا قوت ، فخرج إلي الحرم ، فوجد كيسا به بعض الدنانير ، ففرح بذلك وجاء به إلى زوجته ، وقال : كيس وجدته ملقى بالحرم فالتقطته ، فقالت له زوجته : لقطة الحرم لا بد لها من التعريف .. فخرج فسمع مناديا ينادي: من وجد كيسا فيه دنانير عدته كذا وصفته كذا ، فقال الرجل : أنا وجدته ، وها هو ذا بصفته وهيئته ، فقال: هو لك ، ومعه تسعمائة أخرى ، فقال: أتهزأ بي . قال: لا والله ، ولكن أعطاني رجل من العراق ألف من الدنانير، وقال: اطرح بعضها في الحرم ، ثم ناد عليها ، فإن ردها

---

١) مسند أحمد» مسند المكيين» حديث رائطة امرأة عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم(١٥٦٥٦).

إليك من وجدها، فادفع إليه الجميع، فإنه أمين، والأمين يأكل ويتصدق، فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته.

- **نساء يشجعن الرجال في اليرموك:** يروى: أن بعض الجنود في معركة اليرموك ، تأخرن للوراء حتى وصلوا إلى صفوف النساء، علمت النساء أن هؤلاء الرجال هربوا من صفوف القتال ، فقلن بصوت جهوري: أيها الرجال : أين تذهبون وأنتم تهربون، والى أي جهة من جند الله تنزوون ،إن الله مطلع على أحوالكم فاتقوه ، ثم إن هند زوجة أبى سفيان أخذت عمود الخيمة وخرجت به على رأس فرس زوجها ، وقالت: يا ابن صخر ؟ ارجع الى محاربة العدو واجعل نفسك فداء في سبيل الحصول على رضاء الله تعالى حتى يغفر لك ذنوبك التى سبقت منك ، واذكر الأيام التي كنت فيها تحرض الناس على خلاف رسول الله ﷺ وتساعد الكفار والمشركين على محاربته، عندها رجع وحارب وأبلى بلا أحسنا فى المعركة.

– رجل من بني إسرائيل وامرأته:

كان في بني اسرائيل رجل صالح وله زوجة دينة تقية ذات رأي وحزم فأوحى الله تعالى الى نبي الزمان أن قل لذلك العبد الصالح أني قدرت له أن يمضي نصف عمره بالغنى ونصفه بالفقر فإن اختار أن يكون غناه في شبيبته اغنيناه وإن اختار أن يكون في شيخوخته قدرنا له ذلك فيسرناه له.

لما أعلم الرجل ذلك أخبر به زوجته وقال لها قد جاء خطاب من الله تعالى وقص عليه ما سمعه وقال لها ما تريد فقالت له الاختيار إليك فقال الرجل: قد رأيت الفقر في الشبيبة فإذا كنت شاباً فقيراً احتملت وصبرت عليه فإذا صرت كبيراً غنياً كان لي ما أتقوت به وأشتغل بطاعة ربي وعبادته فقالت المرأة أيها الرجل: إذا كنا

في الشبيبة في ضنك ولم نقدر على طاعة ربنا تعالى ولم تصل أيدينا الى فعل الخيرات وإعطاء الصدقات فالواجب أن تختار الغنى في زمان الشباب فيكون لنا شباب وغنى وطاعة، فنقدر حينئذ على عبادته بأجسامنا وأموالنا، فقال الرجل: نعم ما رأيت وكذلك نفعل فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان، فقال قل: لذلك الرجل إذا آثرت طاعتنا واستفرغت جهدك في عبادتنا واتفقت نيتك ونية زوجتك على طاعتنا، فقد قضيت وقدرت أن أقضي جميع عمرك في الغنى وكن أنت وزوجتك على عبادتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا والآخرة [١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك.

نساء يراقبن الله ﷻ

- ابنة بائعة اللبن : أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله الثقفي :

كان من عادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يطوف بالليل في شوارع المدينة المنورة ليتفقد أحوال رعيته ، وفي ذات ليلة كان يسير ومعه مولاه " أسلم " فلما طال به المطاف استند إلى جدار بيت في جوف الليل ، وإذا به يسمع امرأة داخل البيت تقول لابنتها : يا ابنتاه ، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء (أي اخلطيه) ، فإنك قد أصبحت ! .

فقالت البنت: أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت الأم : وما كان من عزمته يا بنيتي ؟

قالت البنت : لقد أمر مناديه فنادي في الناس ألا يشاب (أي يخلط) اللبن بالماء . فقالت الأم : قومي يا بنيتي إلى اللبن فامذقية بالماء.. فإنك بموضع لا يراك فيه عمر، ولا منادي عمر ! .

فقالت البنت: يا أماه، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، وإن كان عمر لا يري ، فرب عمر يرى !، والله ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

وهمس عمر إلي (أسلم) بأن يعرف المكان ويميز البيت، ولما أصبح الصباح ، قال لأسلم: امضي لذلك الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ، وهل لها بعل (أي زوج) .

يقول أسلم : فأتيت الموضع، فنظرت فإذا الجارية أيم ، لا رجل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لها رجل .. فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته .

وجمع عمر أولاده، وأخبرهم الخبر وعرض عليهم الزواج من هذه البنت، وان لم يتزوجها منهم أحد تزوجها هو رضي الله عنه .. فقبل عاصم فزوجه .

فولدت له بنتا سموها " أم عاصم " .. وتزوجت أم عاصم عبد العزيز بن مروان وأنجبت له عمر بن عبد العزيز.

من هنا تحققت رؤيا عمر بن الخطاب .. فقد استيقظ من نومه ، فمسح النوم عن وجهه . وهو يقول :" من هذا الذي من ولد عمر، يُسمى عمر، يسير بسيرة عمر !

وفي رواية: كان يقول: ليت شعري، من ذو الشج من ولدي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملأت جورا . [١]

فهذه البنت الفقيرة بسبب صلاحها تتزوج " عاصم بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب " وكان من ثمار صلاحها عمر بن عبد العزيز .. الذي بسبب عدله اصطلح الذئب علي الغنم .. فهل لنا فيها أسوة ؟.

– امرأة مومنة خرج زوجها في الجهاد :

أخرج عبد الرازق عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدق أن عمر (رضي الله عنه) بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقنى أن لا حبيب ألاعبه

فلولا حذار الله لاشئ مثله[٢] لزعزع من هذا السرير جوانبه

---

١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٩٢/٤ .

٢) وفي تفسير ابن كثير: فو الله لولا الله أني أراقبه (مختصر تفسير ابن كثير ٢٠١/١).

فقال لها عمر ﷺ: مالك ؟ قالت: أغربت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه. قال: أردت سوءاً. قالت: معاذ الله ! قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه فبعث إليه ؛ ثم دخل على حصفة (رضى الله عنها) فقال: إنى سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عنى ، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت، قال : فإن الله لا يستحيى من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة.. فكتب عمر ﷺ: أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر. كذا في الكنز [١].

وهذه القصة دليل قوى على شدة مراقبتها لله عز وجل.

– المرأة البدوية :

تعلق قلب رجل بامرأة بدوية، وقد ذهبت ذات ليلة إلى حاجة لها فتبعها الرجل، فلما خلا بها في البادية، والناس نيام حولهما، راودها عن نفسها.

فقالت له: انظر أنام الناس جميعا ؟ ففرح الرجل، وظن أنها قد أجابته إلى ما ابتغى، فقام وطاف حول مضارب الحي، فإذا الناس نيام، فرجع مسرورا وأخبرها بخلو المكان إلا من النيام.

فقالت: ما تقول في الله تبارك وتعالى، أنائم في هذه الساعة ؟.

قال الرجل: إن الله لا ينام ولا تأخذه سنة.

فقالت المرأة: إن الذي لم ينم ولا ينام، يرانا، وإن كان الخلق لا يروننا، فذلك أولى أن يخاف، فاتعظ الرجل وتركها وتاب خوفا من الله تعالى.. ولما مات رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي لخوفي منه وتوبتي إليه.

---

١) حياة الصحابة – باب الجهاد – ٤٥٨/١ .

- قصة أخري:

يقال أنه أراد رجل فاسق، امرأة عفيفة فقال لها امضي وغلقي أبواب الدار جميعها، واحكمي إغلاقها فمضت المرأة ثم عادت، فقالت: قد أغلقت سائر الأبواب وأوثقت إغلاقها سوى باب واحد، فقال: أي الأبواب ذلك الباب، فقالت: تلك الأبواب التي بيننا وبين الخلق قد أغلقتها، وقد بقي الباب الذي بيني وبين الخالق جلت عظمته ما قدرت عليه، ولا استطعت أن أغلقه، وهو بحاله مفتوح، فوقع في نفس هذا لرجل من هذا الكلام الهيبة فاخلص لله التوبة وأقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الأعلى.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

ورعـــــــــات

_ ورع أم المؤمنين: عائشة بنت أبى بكر (رضي الله عنها) :

فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهِ! لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُحِبُّكِ وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ الْمَشْرُبَةِ مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ، فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا،

وَرَفَعْتُ صَوْتِي فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ ارْقَهْ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمْ الدُّنْيَا، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ، فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللَّهَ بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (١) وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَطَلَّقْتَهُنَّ ، قَالَ: لَا ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى ،

١) سورة التحريم _ الآيتان ٤ ، ٥ .

يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ، قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، وَنَزَلْتُ، فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ بِالْجِذْعِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ(١).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ قَالَ فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ:" هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا كِلَاهُمَا يَقُولُ تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فَقُلْنَ وَاللَّهِ! لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

١) صحيح مسلم _ كتاب الطلاق _ باب فِي الْإِيلَاءِ وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ رقم١٤٧٩ .

شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ :{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ حَتَّى بَلَغَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا }قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ:" لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ". رواه مسلم(١).

وعَنْ الزُّهْرِيِّ ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَزْوَاجِهِ شَهْرًا ، قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : لَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً أَعُدُّهُنَّ ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : بَدَأَ بِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ ، فَقَالَ : " إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ " رواه مسلم (٢) .

ما أورعك أيتها التقية النقية العفيفة، مع شوقك لحبيبك محمد ﷺ ، تذكرينه بيمينه، حيث جاء قبل ميعاده بيوم.. إنه قوة الإيمان واليقين وشدة الورع غما يغضب الله عز وجل.

---

١) صحيح مسلم _ كتاب الطلاق _ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية _ رقم ١٤٧٨.

٢) صحيح مسلم « كِتَاب الصِّيَامِ « بَاب الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ _ رقم الحديث: ١٨٢٠.

– ورع أم المؤمنين : زينب بنت جحش (رضي الله عنها) :

قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي [١] فَقَالَ لِزَيْنَبَ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا ، قَالَتْ عَائِشَةُ :وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ. متفق عليه[٢].

المتأمل يجد الصدق .. الإخلاص .. التقوي .. الورع .. الحب .. حفظ اللسان .. وفيمن ؟ في ضرتها ، فكم من امرأة فرحت بما يقال عن ضرتها ، وقامت بترويجه وإشاعته، وتنتظر طلاقها ليخلو لها الجو، وتحظي بزوجها وحدها.

فما كان من عائشة (رضي الله عنها) بعد أن سمعت من قول زينب فيها إلا أن ترد لها الجميل وتشهد لها بحب رسول الله ﷺ لها ومكانتها عنده ، فتقول: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ.

بل كررت هذه الشهادة وهي تروي لنا قصة اجتماع نساء النبي ﷺ يسألنه العدل في ابنة أبي قحافة ، كما جاء في الحديث: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

١) أي في حديث الإفك .

٢) صحيح البخاري» كتاب المغازي » باب حديث الإفك(٣٩١٠)، صحيح مسلم » كتاب التوبة» باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف(٢٧٧٠).

فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ وَأَنَا سَاكِتَةٌ قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ فَقَالَتْ بَلَى قَالَ فَأَحِبِّي هَذِهِ قَالَتْ فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ لَهَا مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولِي لَهُ إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ قَالَتْ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ

فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ قَالَتْ ثُمَّ وَقَعَتْ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا قَالَتْ فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ قَالَتْ فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَسَّمَ إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُهْزَاذَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ فِي الْمَعْنَى غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَثْخَنْتُهَا غَلَبَةً. (١).

– ورع المرأة الدمشقية:

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: باعت امرأة (طشت)، في سوق الصفر (النحاس) بدمشق فوجده المشتري ذهبا فقال لها: أما إني لم أشتره إلا علي أنه صفر(نحاس) وهو ذهب فهو لك: فقالت: ما ورثناه إلا علي أنه صفر (نحاس)، فإن كان ذهبا فهو لك، فاختصما إلى الوليد بن عبد الملك، فأحضر رجاء بن حيوة، فقال: انظر فيما بينهما .. فعرضه رجاء علي المرأة، فأبت أن تقبله، فقال: يا أمير المؤمنين! أعطها ثمنه واطرحه في بيت المسلمين .. هذه القصة دليل علي ورع المرأة وتقواها حيث أنها لم تقبل

---

١) صحيح مسلم » كتاب فضائل الصحابة » باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنهما(٢٤٤٢).

الذهب مع أنه ملكها ورثته ، كما أشارت إلي ذلك في قولها " ما ورثناه إلا علي أنه صفر " .. ودلت علي ورع الرجل أيضا .

وهذه القصة شبيه جدا بما حدث فيمن كان قبلنا، كما في الحديث، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ[١] عَقَارًا لَهُ [٢] فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ[٣] أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ**

---

١) قوله:" اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا " لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِمَا وَلَا عَلَى اسْمِ أَحَدٍ مِمَّنْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ (فتح البارى لابن حجر).

٢) قَوْلُهُ : (عَقَارًا) الْعَقَارُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْزِلُ وَالضَّيْعَةُ وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِالنَّخْلِ ، وَيُقَالُ لِلْمَتَاعِ النَّفِيسِ الَّذِي لِلْمَنْزِلِ عَقَارٌ أَيْضًا ، وَأَمَّا عِيَاضٌ فَقَالَ : الْعَقَارُ الْأَصْلُ مِنَ الْمَالِ ، وَقِيلَ الْمَنْزِلُ وَالضَّيْعَةُ ، وَقِيلَ مَتَاعُ الْبَيْتِ فَجَعَلَهُ خِلَافًا . وَالْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ مَقُولٌ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الْجَمِيعِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الدَّارُ ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ (فتح البارى لابن حجر).

٣) فِي " الْمُبْتَدَإِ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ " أَنَّ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ هُوَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَفِي " الْمُبْتَدَإِ لِإِسْحَاقَ بْنِ بِشْرٍ " أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي زَمَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنْ بَعْضِ قُضَاتِهِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَنِيعُ الْبُخَارِيِّ يَقْتَضِي تَرْجِيحَ مَا وَقَعَ عِنْدَ وَهْبٍ لِكَوْنِهِ أَوْرَدَهُ فِي ذِكْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (فتح البارى لابن حجر).

وَقَالَ الْآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا ".متفق عليه[١]

وعندما كنت أقرأ هذا الحديث، أقول في نفسي هذا الخبر يحكيه لنا النبي ﷺ عمن كان قبلنا.. أليس في أمتنا (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) مثل هذه الصفات التي وجدت في هذان الرجلان، فعندما قرأت هذه القصة يعلم الله ﷻ كم ملء قلبي من الفرحة، أن وجدت في أمة محمد ﷺ من يفعل هذا الفعل .

– ورع أخت بشر الحافي (رحمها الله) :

يروى أن أخت بشر الحافي ذهبت إلى الإمام أحمد فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه ، وربما يمر بنا مشاعل الظاهرية . حرس بني ظاهر ولاة بغداد . ونحن علي السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين ، أفتحله لنا أم تحرمه ؟! فقال لها : من أنت ؟ قالت: أخت بشر .. فقال: آه ، يا آل بشر لا عدمتكم.. لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم .. ! ويروى أن أحمد رحمه الله . بكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق.. لا تغزلي في شعاعها . [٢].

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء قبيل باب المناقب_ رقم الحديث: (٣٢٨٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، (الحديث: ٢١) .

٢) انظر القصة في صفة الصفوة لابن الجوزي – وقد رويت من وجه آخر كما في البداية والنهاية لابن كثير .

– قمة الروعة في الورع : (ورع ضرتين) :

يقول ابن الجوزي (رحمه الله) : بلغني أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة، فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية ، فالتمست منه شيئا تشتريه ، فبينما هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك فتحير ، وقال : قد تحيرت والله مما رأيت ! فقالت : ما جئت لأشتري شيئا ، إنما لي أيام أتردد إلي السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه ، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال ، فهل لك بالتزوج بي؟ فقال لها : لي ابنة عم ، وهي زوجتي وقد عاهدتها ألا أغيرها ، ولي منها ولد ، فقالت : قد رضيت أن تجئ إلي في الأسبوع نوبتين ، فرضي ، وقام معها ، فعقد العقد ، ومضي إلي منزلها فدخل بها .

ثم ذهب إلي منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده، ومضي فبات عندها.. وكان يمضي كل يوم الظهر إليها.. فبقي علي ذلك ثمانية أشهر .. فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي ؟ فتبعته الجارية ، فجاء إلي الدكان، فلما جاء الظهر قام، وتبعته الجارية، وهو لا يدري، إلي أن دخل البيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلي الجيران ، فسألتهم لمن هذه الدار، فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز، فعادت إلي سيدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد.. ولم تظهر لزوجها شيئا.. فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض ومات.. وخلف ثمانية آلاف دينار.. فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلي ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار ، فأفردتها ، وقسمت الأف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس ، وقالت للجارية : خذي هذا الكيس ، واذهبي إلي بيت المرأة واعلميها أن الرجل مات، وقد خلف

ثمانية آلاف دينار وقد أخذ الإبن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف، وقسمتها بيني وبينك وهذا حقك وسلميه إليها .

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب، ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال ، فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة ، وقالت للجارية: عودي إلي سيدتك، وسلمي عليه مني وأعلميها أن الرجل طلقني، وكتب لي براءة، وردي عليها المال، فإني ما أستحق في تركته شيئا ، فرجعت الجارية إلي سيدتها فأخبرتها . (١).

– ورع امرأة من آل بيت النبوة رضوان الله عليهم :

عن عطاء بن السائب قال : أوصى إلي رجل من أهل الكوفة في تركته وذكر أنه مولي لآل علي بن أبي طالب فقدمت المدينة فدخلت علي أبي جعفر (محمد بن علي) فقال: ما أعرفه، ودلني على أخته (أم كلثوم بنت علي) فإذا عجوز علي سرير في بيت رث ، فإذا في البيت سقاء معلق، فجعلت أقلب بصرى في البيت ، فقالت: يا بني ! لا يحزنك ما تري فأنا بخير، قلت أوصي إلي رجل بتركته، وذكر أنه مولي لكم، قالت ما أعفه وإن مولي لنا يقال له هرمز أو كيسان أخبرني أن رسول الله ﷺ قال: " **يا كيسان إن آل محمد لا يأكلون الصدقة ، وإن مولي القوم من أنفسهم ، فلا تأكلها** ".(٢).

أختي المسلمة : تأملي وأنت تقرأين هذه القصه فإنك ستجدين الرضا والقناعة .. والورع والتقوي .. فتأملي وتأسي.

---

١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ٢٤٦ .

١) مجمع الصحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع (٣/ ٢١٠).

- ورع أم الدحداح (رضي الله عنها) :

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَأَبَى (١) فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ

---

١) ورد اسم الرجل الذي قال له النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ) فَأَبَى ، عند البيهقي في "سننه" (٦/ ٢٦٠ .

فروى عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ : " أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَتَبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ : أَنَّهُ خَاصَمَ يَتِيمًا لَهُ فِي عذْقِ نَخْلَةٍ ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي لُبَابَةَ بِالْعذْقِ .فَضَجَّ الْيَتِيمُ وَاشْتَكَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي لُبَابَةَ : (هَبْ لِي هَذَا الْعذْقَ يَا أَبَا لُبَابَةَ ؛ لِكَيْ نَرُدَّهُ إِلَى الْيَتِيمِ) .فَأَبَى أَبُو لُبَابَةَ أَنْ يَهَبَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَعْطِهِ هَذَا الْيَتِيمَ وَلَكَ مِثْلُهُ فِي الْجَنَّةِ) . فَأَبَى أَبُو لُبَابَةَ أَنْ يُعْطِيَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنِ ابْتَعْتُ هَذَا الْعَذْقَ فَأَعْطَيْتُ الْيَتِيمَ ؛ أَلِي مِثْلُهُ فِي الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَعَمْ) . فَانْطَلَقَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا لُبَابَةَ فَقَالَ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَبْتَاعُ مِنْكَ هَذَا الْعذْقَ بِحَدِيقَتِي ، وَكَانَتْ لَهُ حَدِيقَةُ نَخْلٍ . فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ : نَعَمْ ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ بِحَدِيقَةٍ . فَلَمْ يَلْبَثِ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ شَهِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (رُبَّ عذْقٍ مُذَلَّلٍ لِابْنِ الدَّحْدَاحَةِ فِي الْجَنَّةِ) .

ففي هذه الرواية أن هذا الرجل هو أبو لبابة ، واسمه : بشير بن عبد المنذر الأنصاري ، وقيل اسمه رفاعة ، وقيل غير ذلك ، والمشهور الأول ."الإصابة" (٧/ ٢٨٩-٢٩٠) =

فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. فَفَعَلَ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَاجْعَلْهَا لَهُ ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا .فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ مِنْ عِذْقٍ (١). رَدَاحٍ (٢) لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ) قَالَهَا مِرَارًا .فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَتْ : رَبِحَ الْبَيْعُ – أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا (٣).

= وهذا الإسناد ضعيف لإرساله ، ولكنه من مراسيل سعيد بن المسيب ، ومراسيل ابن المسيب قوية عند بعض أهل العلم ، قال الذهبي : " مَرَاسِيْلُ سَعِيْدٍ مُحْتَجٌّ بِهَا " انتهى من "سير أعلام النبلاء" (٥/ ١٢٥) .

وقال الحافظ: اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل " ."تقريب التهذيب" (ص ٢٤١).

قال النووي رحمه الله : " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ مِنْ عِذْق مُعَلَّق فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح) ، قَالُوا : سَبَبه أَنَّ يَتِيمًا خَاصَمَ أَبَا لُبَابَة فِي نَخْلَة فَبَكَى الْغُلَام ؛ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : " أَعْطِهِ إِيَّاهَا وَلَك بِهَا عِذْق فِي الْجَنَّة " ، فَقَالَ : لَا ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو الدَّحْدَاح ، فَاشْتَرَاهَا مِنْ أَبِي لُبَابَة بِحَدِيقَةٍ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلِيَ بِهَا عِذْقٌ إِنْ أَعْطَيْتهَا الْيَتِيم ؟ قَالَ : (نَعَمْ) ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ عِذْق مُعَلَّق فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح) " انتهى .

١) قال النووي رحمه الله : " الْعِذْقُ هُنَا بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ الْغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ . وَأَمَّا الْعَذْقُ بِفَتْحِهَا فَهُوَ النَّخْلَةُ بِكَمَالِهَا ، وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا " انتهى.

٢) والرداح : الثقيل .

٣) الإمام أحمد (١٢٤٨٢) ، وابن حبان (٧١٥٩) ، والحاكم (٢١٩٤) وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم " ، وكذا صححه الألباني في " الصحيحة "(٢٩٦٤) على شرط مسلم ..

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : " صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ : ثُمَّ أُتِيَ بِفَرَسٍ عُرْيٍ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ ، وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ ، نَسْعَى خَلْفَهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ – أَوْ مُدَلَّى – فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ) أَوْ قَالَ شُعْبَةُ – راوي الحديث – : (لِأَبِي الدَّحْدَاحِ) (١).

وروى الطبراني في "الكبير" (٧٦٤) بسند ضعيف عَنْ ابن مَسْعُودٍ ، قَالَ : " لَمَّا نَزَلَتْ (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) ، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ ؟قَالَ: (نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ). قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ. فَقَالَ : إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي ، وَفِي حَائِطِي سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، وَهِيَ فِي الْحَائِطِ. فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي. "

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (٢) قال أبو الدَّحداح: يا رسول الله أو إن الله تعالى يريد منا القَرْضَ؟ قال: " نعم يا أبا الدَّحداح" قال: أرني يدك؛ قال فناوله؛ قال: فإني أقرضتُ الله حائطًا فيه ستمائة نخلةٍ، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدَّحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أم الدَّحداح؛ قالت: لبيك؛

---

١) صحيح مسلم (٩٦٥).

١) سورة البقرة _ الآية ٢٤٥.

قال: اخرجي، قد أقرضتُ ربي عز وجل الحائط. قالت أمُّ الدَّحداح: ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم؛ حتى أفضت إلى الحائط الآخر (١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةُ :(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً). قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْتَاجُ إِلَى الْقَرْضِ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ . قَالَ : " يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ " . قَالَ : فَاسْتَقَلَّ الأَنْصَارِيُّ إِلَى أَبِي الدَّحْدَاحِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً مُحْكَمَةً فِيهَا شِفَاءٌ لِلصُّدُورِ يَبْلُغُ بِهَا صَاحِبُهَا دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ :(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) . فَأَقْبَلَ أَبُو الدَّحْدَاحِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةَ:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)؟ قَالَ : " نَعَمْ ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ " . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُ النَّاسَ الْقَرْضَ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ . فَقَالَ: " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنْ أَقْرَضْتُ اللَّهُ قَرْضًا تَضْمَنُ لِيَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: " نَعَمْ ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ " . قَالَ : وَزَوْجَتِي ؟ قَالَ: " وَزَوْجَتُكَ ". قَالَ: وَصِبْيَانِي ؟ قَالَ: " اللَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ وَالصِّبْيَانُ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ

١) تفسير القرطبي – الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

جَعَلْتُ حَائِطِي لِلَّهُ سُبْحَانَهُ قَرْضًا ، قَالَ : " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، إِنَّا لَمْ نَسْأَلْكَ كِلاهُمَا ، فَاجْعَلْ أَحَدَهُمَا ، وَيَكُونُ الآخَرُ مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ " . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا ، فَقَالَ : " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ إِذًا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ " . قَالَ : فَانْطَلَقَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيُّ حَتَّى أَتَى أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صِبْيَانِهَا تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : هدَاكَ اللَّهُ سُبُلَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ بَيْتِي مِنَ الْحَائِطِ الَّذِي فِي الْوَادِي فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِ أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى اعْتِمَادِي بِالطَّوْعِ لا مَنٌّ وَلا ارْتِدَادِ إِلا رَجَاءَ التَّضْعِيفِ فِي الْمَعَادِ فَوَدِّعِي الْحَائِطَ وَدَاعَ الْغَادِي وَارْتَحِلِي بِالْفَضْلِ وَالأَوْلادِ وَاسْتَبْقِي هُدِيتِ لِلرَّشَادِ إِنَّ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى لَخَيْرُ زَادٍ قَدَّمَهُ الْمَرْءُ إِلَى الْمَعَادِ قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ : أَمَا إِذْ بِعْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبَيْعٌ مُرْبِحٌ ، لا يُقَالُ وَلا يُسْتَقَالُ ، وَلَوْلا ذَلِكَ ايْمُ اللَّهِ لَمْ تَمْلِكْ إِلا حِصَّتَكَ ، قَالَ لَهَا : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، لا أُبَالِكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : مِثْلُكَ أَدَّى مَا لَدَيْهِ وَنَصَحَ وَلَكَ الْحَظُّ إِذَا الْحَظُّ وَضُحَ قَدْ مَتَّعَ اللَّهُ عِيَالِي مَا صَلُحَ بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوَ الْبَلَحَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِي كَانَ مَنَحَ فِي وَاجِبِ الْحَقِّ مَعَ مَا قَدْ شَرَحَ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَدَحَ طُولَ اللَّيَالِي وَعَلَيْهِ مَا اكْتَدَحَ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْفُضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْحَائِطِ (١).

الله أكبر ! ما أجمل هذه الكلمات التي أنطق الله بها فاكِ يا أم الدحداح: (**ربح بيعك.. بارك الله لك فيما اشتريت .. أَمَا إِذْ بِعْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبَيْعٌ**

١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(٤٤٤١).

مُرْبِحٌ ، لا يُقَالُ وَلا يُسْتَقَالُ، وَلَوْلا ذَلِكَ ايْمُ اللَّهِ لَمْ تَمْلِكْ إلا حِصَّتَكَ)، والذي أجمل من قولك فهو فعلك **(ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْفُضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْحَائِطِ)**.

القول: (ربح بيعك) يدل علي قوة الإيمان بالغيب ورؤية القلب ماعند الله في جنته من النعيم.

والفعل: إخراج التمر من أفواه صبيانها قمة الورع والحيطة في الدين.

والله يعجز لساني عن أن يعبر عن عظمة هذه المرأة.

فماذا نوينا؟!!!!!!!.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مخلصـات

– المرأة التي سقت الكلب :

عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :" بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُـهُ الْعَطَـشُ ، إِذْ رَأَتْـهُ بَغِـيٌّ مِـنْ بَغَايَـا بَنِـي إِسْـرَائِيلَ ، فَنَزَعَـتْ مُوقَهَـا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ. " متفق عليه . [١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ " [٢].

هذه المرأة مع ارتكابها لهذه الكبيرة " **الزنا** " وإصرارها عليها حيث أن هذه الكبيرة " الزنا " ديدنها ، إلا أن الله ﷻ غفر لها ، بماذا ؟ بشفقتها علي مخلوق من خلق ﷻ .. إنها لم تسقى نبيا .. أو صالحا .. أو مجاهدا في سبيل الله .. بل لم تسقى إنسانا .. إنها سقت كلبا . بهذا العمل البسيط المملوء بالإخلاص، فالله ﷻ غفر لها وأدخلها جنته، ولعل من ثواب هذا العمل في الدنيا أن رزقها الله ﷻ التوبة النصوح .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): حول حديث المرأة التي سقت الكلب والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان

---

١) صحيح مسلم « كِتَاب السَّلَامِ « بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهِ... رقم الحديث: ٤١٧١.
٢) صحيح البخاري « كِتَاب الْحَجِّ « أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ _ رقم ٣٠٩٥.

في قلبها فغُفِرَ لها، وإلا ليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحّى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك.

فإن الإيمان يتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص(١).

- زبيدة والبئر : أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور:

وهي: ابنة جعفر أم العزيز الملقبة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور، العباسية الهاشمية القرشية، كانت أحب الناس إلى الرشيد، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر، وكان له معها من الحظايا والجواري والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته، وإنما لقبت زبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول: إنما أنت زبيدة، لبياضها، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به، وأصل اسمها: أم العزيز.

وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كثير.

نشأت الأميرة زبيدة في قصر جدها الخليفة أبو جعفر المنصور فرأته وهو يؤسس الدولة العباسية، فتعلمت منه القيادة والمبادرة وهي ما زالت في سن صغيرة.

فلما صارت شابه تزوجها ابن عمها هارون الرشيد، فأحبها كثيراً، وبنى لها قصراً جميلاً بالقرب من قصره، فلما دخلت قصرها في أول ليلة، ورأت أن عدد الجواري اللاتي يخدمنها مائة جارية كلفت كل واحدة منهن بقراءة جزء من القرآن، وصار يُقرأ في منزلها القرآن كاملاً كل ليلة.

---

١) منهاج السنة ٦/٢٢١ .

وعندما حجّت مع زوجها هارون فرأت الحجاج يبحثون عن الماء في الحر ولا يجدونه!!!.

فما أن رجعت إلى مدينتها بغداد حتى نادت كبير المهندسين قائلة له: احفر لي نهراً جارياً في مكة.

استغرب كبير المهندسين الفكرة.. فكيف يبني نهراً جارياً في صحراء قاحلة.. وإن استطاع أن يفعل فسيكلفه الأمر كثيراً.. فقال لها مثنياً عزمها عن الفكرة: إن الأمر سيكلفك كثيراً.. فردت عليه كلمتها الخالدة: افعل.. ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً.

وأمام كل هذا العزم والإصرار، لم يجد كبير المهندسين مفراً من تنفيذ الفكرة فأخذ العمال، وحفر الآبار، وكسّر الجبال، وفتت الصخور، فأخرج من الآبار مياهاً تجري على سطح الأرض صارت تسقي الحجاج مئات السنوات ولم يتوقف دور الأميرة زبيدة في التأثير عند هذا الدور، بل أمرت العمال ببناء الاستراحات على امتداد الطريق من بغداد إلى مكة.

وصار الحاج والمسافر لا يشعر بالوحشة، لأن الاستراحات قد ملأت الطريق.

وسُمي هذا الطريق باسمها طريق زبيدة ولما بلغها معاناة الناس في مكة وتحملهم المشاق في بلد الله الحرام بسبب قلة المياه وارتفاع أسعارها أمرت في البداية ببناء بركة بمكة المكرمة وجلبت إليها مياه عين من داخل حرم مكة المكرمة إلاّ أن ماءها كان قليلاً ولم يف باحتياجات السكان.

وحينئذ أمرت زبيدة جماعة من المهندسين بجلب مياه العيون من خارج حدود حرم مكة المكرمة وايصال مياهها إلى داخل منطقة الحرم وبعثت بأموال طائلة

لتحقيق هدفها وعلى هذا فقد أخذت الأعمال على طريقين هما عين حنين وعين عرفة وقد غلب اسم «زبيدة» على العين الأولى.

ولا تزال آثار هذا المشروع الخيري قائمة منذ مئات السنين حتى يومنا هذا مشروع عين زبيدة الأثري والذي يمتد من أعالي جبال الكر بوادي نعمان بالقرب من الطائف حتى مكة والذي كان له الأثر الكبير في سقيا أهالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام بالمياه العذبة، بعد أن عانت هذه المدينة المقدسة من شح المياه ما عانت نتيجة جفاف مياه الآبار ورغم قلة الإمكانات والأيدي الهندسية الماهرة المؤهلة والمدربة، إلاّ ان السيدة زبيدة استطاعت برجالها العاملين المخلصين أن ينفذوا هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم التكنولوجيا من تطور وتقدم، لاسيما في قدرة العاملين آنذاك في سحب المياه عبر تلك المسافات الطويلة التي تمتد لمئات الكيلومترات وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وصحاري فعملوا المناسيب المنسابة لمجرى العين والخرزات والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الانسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشاعر المقدسة منى وعرفات ومزدلفة ولا تزال آثار القنوات المائية والخرازات قائمة إلى اليوم في سفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور آلاف السنين عليها.

بعد ذلك، اتجه المهندسون والعمال إلى منطقة عين حنين التي اشترت زبيدة بساتينها وأبطلوها وانشأوا في موضع ذلك سداً لاجتماع السيول المغذية بمياهها لتلك المنطقة وجلبوا المياه عبر القنوات إلى مكة المكرمة وكان ذلك في عام ١٩٤هـ الموافق ٨٠٩هـ وتقدر المسافة من المنطقة التي بها موضع نبع عين إلى

المسجد الحرام بحوالي ٤١كم، وقد تم بناء القناة بأحجار البازلت واستخدمت النورة في تكوين خليط المونة للصق أحجار البناء وعملت انفاق في المناطق الجبلية والتي يصعب إزالتها وقد مرت على القناة أعمال اصلاح وترميم في العصور الإسلامية المختلفة إلى ان توقفت مياهها الرئيسية في بداية القرن الرابع عشر للهجرة.

وقال الخطيب: قال عبد الله بن المبارك: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك ؟ فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة. قلت: فما هذه الصفرة ؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له: بشر المريسي زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

وبعد أن ماتت، رآها أحد أبنائها، فقال لها: كيف حالك يا أماه ؟، قالت : غفر الله لي وأدخلني الجنة. فقال: لها بأي شيء يا أماه: قالت: بركعات كنا نُصليها في جوف الليل. قال: والبئر، يا أماه ! قالت: إنا وجدناه لغير الله .

وورد أنها رؤيت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر.

– المرأة والملك والمسجد:

يحكي أن أحد الملوك أراد أن يبني مسجدا ويسميه باسمه، ليخلد اسمه ، فأمر بلوح من رخام وكتب عليه اسمه ، ثم بدأ في البناء ومنع قبول النفقة والمال والمساعدة من الناس ، فما أن تم البناء ، فنام ذات ليلة من الليالي ، فإذا به يرى ملكا من السماء ينزل ويمحو اسمه من علي اللوح ويكتب اسم امرأة ، فاستيقظ مفزوعا وقص علي من حوله الرؤيا ، فقالوا: إنما هي أضغاث أحلام قال : بل

اذهبوا وانظروا إلى اللوح ، فذهبوا ثم رجعوا . وقالوا: وجدنا اسمك مكتوب كما هو .. ثم في الليلة الثانية رأى نفس الرؤيا، وفعل مثل ما فعل في الليلة الأولى، وفي الليلة الثالثة رأى نفس الرؤيا ، وقد حفظ اسم المرأة ، فقال لمن حوله من الخاصة اذهبوا واسألوا عن اسم هذا المرأة ثم ائتوني بها ، فذهبوا وبحثوا عنها ثم أتوا بها، فسألها: هل ساهمت بشيء في بناء هذا المسجد، قالت: لا. قال: تذكري. فقالت: والله ! ما ساهمت بشيء إلا أنني مررت بهذا المسجد وهو يبنى فرأيت الدابة التي يحمل عليها اللبن لهذا المسجد مربوطة وبالقرب منها الماء وهي تنظر إليه، فقربت إليها الماء فشربت فقال: أنت فعلت هذا الفعل لله وأنا بنيت المسجد لغير الله (حتى يخلد اسمي) وأمر أن يُمحي اسمه من علي المسجد ثم يكتب اسمها.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

نساءعفيفات

– مريم عليها السلام :

قال تعالى﴿ : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[1].

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّةَ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ أَوْجَدَ مِنْهُ، فِي حَالِ كِبَرِهِ وَعُقْمِ زَوْجَتِهِ – وَلَدًا زَكِيًّا طَاهِرًا مُبَارَكًا – عَطَفَ بِذِكْرِقِصَّةِ مَرْيَمَ فِي إِيجَادِهِ وَلَدَهَا عِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، فَإِنَّ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ مُنَاسَبَةً وَمُشَابَهَةً ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَهُمَا فِي آلِ عِمْرَانَ وَهَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، يُقْرِنُ بَيْنَ

---

١) سورة مريم – الآيات من ١٦ : ٢٦.

الْقِصَّتَيْنِ لِتَقَارُبِ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى، لِيَدُلَّ عِبَادَهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاء قَادِرٌ .

قَـالَ: {**وَاذْكُـرْ فِـي الْكِتَـابِ مَـرْيَم** } وَهِـيَ مَـرْيَمُ بِنْـتُ عِمْـرَانَ، مِـنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ مِنْ بَيْتٍ طَاهِرٍ طَيِّبٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ وِلَادَةِ أُمِّهَا لَهَا فِي سورة آلِ عِمْرَانَ، وَأَنَّهَا نَذَرَتْهَا مُحَرَّرَةً، أَيْ: تَخْدُمُ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا** ﴾ (١).

وَنَشَأَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَشْأَةً عَظِيمَةً، فَكَانَتْ إِحْدَى الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ الْمَشْهُورَاتِ بِالْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتَّبَتُّلِ، وَكَانَتْ فِي كَفَالَةِ زَوْجِ أُخْتِهَا- وَقِيلَ: خَالَتِهَا -زَكَرِيَّا نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ ذَاكَ وَعَظِيمِهِمْ ، الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ.

وَرَأَى لَهَا زَكَرِيَّا مِنَ الْكَرَامَاتِ الْهَائِلَةِ مَا بَهَرَهُ، ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (٢).

فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمَرَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَثَمَرَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ.

---

١) سورة آل عمران- الآية ٣٧.

٢) سورة آل عمران – الآية ٣٧.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى – وَلَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ – أَنْ يُوجِدَ مِنْهَا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَحَدَ الرُّسُلِ أُولِي الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ الْعِظَامِ،{ **انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** } **أَيِ:** اعْتَزَلَتْهُمْ وَتَنَحَّتْ عَنْهُمْ، وَذَهَبَتْ إِلَى شَرْقِ الْمَسْجِدِ الْمُقَدَّسِ، وَقَالَ نَوْفٌ الْبِكَالِيُّ : اتَّخَذَتْ لَهَا مَنْزِلًا تَتَعَبَّدُ فِيهِ .

وَقَوْلُهُ : فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ، أَيِ: اسْتَتَرَتْ مِنْهُمْ وَتَوَارَتْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ { **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** }**أَيْ:** عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ تَامٍّ كَامِلٍ .

{ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**} **أَيْ:** لَمَّا تَبَدَّى لَهَا الْمَلَكُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، وَهِيَ فِي مَكَانٍ مُنْفَرِدٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْمِهَا حِجَابٌ ، خَافَتْهُ وَظَنَّتْ أَنَّهُ يُرِيدُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: { **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا** } **أَيْ:** إِنْ كُنْتَ تَخَافُ اللَّهَ(تَذْكِيرٌ لَهُ بِاللَّهِ)، وَهَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ فِي الدَّفْعِ أَنْ يَكُونَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، فَخَوَّفَتْهُ أَوَّلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلّ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ ، عَنْ عَاصِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ – وَذَكَرَ قِصَّةَ مَرْيَمَ – فَقَالَ: قَدْ عَلِمَتْ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ { **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ** } فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ مُجِيبًا لَهَا وَمُزِيلًا مَا حَصَلَ عِنْدَهَا مِنَ الْخَوْفِ عَلَى نَفْسِهَا : لَسْتُ مِمَّا تَظُنِّينَ، وَلَكِنِّي رَسُولُ رَبِّكِ، أَيْ : بَعَثَنِي إِلَيْكِ، وَيُقَالُ : إِنَّهَا لَمَّا ذَكَرَتِ الرَّحْمَنَ انْتَفَضَ جِبْرِيلُ فَرَقًا وَعَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ وَقَالَ: {**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ**

غُلَامًا زَكِيًّا } هَكَذَا قَرَأَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ أَحَدُ مَشْهُورِي الْقُرَّاءِ . وَقَرَأَ الْآخَرُونَ { لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } وَكِلَا الْقِرَاءَتَيْنِ لَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَمَعْنًى صَحِيحٌ ، وَكُلٌّ تَسْتَلْزِمُ الْأُخْرَى .

فأنكرت{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } أَيْ : فَتَعَجَّبَتْ مَرْيَمُ مِنْ هَذَا وَقَالَتْ : كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ؟ أَيْ : عَلَى أَيِّ صِفَةٍ يُوجَدُ هَذَا الْغُلَامُ مِنِّي ، وَلَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنِّي الْفُجُورُ ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ{ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } وَالْبَغِيُّ: هِيَ الزَّانِيَةُ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: نُهِيَ عَنْ مَهْرِ الْبَغِيِّ .

وَقَوْلُهُ: { قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} أَيْ : فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ مُجِيبًا لَهَا عَمَّا سَأَلَتْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ: إِنَّهُ سَيُوجَدُ مِنْكِ غُلَامًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكِ بَعْلٌ وَلَا تُوجَدُ مِنْكِ فَاحِشَةٌ، فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ } أَيْ: دَلَالَةً وَعَلَامَةً لِلنَّاسِ عَلَى قُدْرَةِ بَارِئِهِمْ وَخَالِقِهِمْ، الَّذِي نَوَّعَ فِي خَلْقِهِمْ، فَخَلَقَ أَبَاهُمْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الذُّرِّيَّةِ مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، إِلَّا عِيسَى فَإِنَّهُ أَوْجَدَهُ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، فَتَمَّتِ الْقِسْمَةُ الرُّبَاعِيَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ .

وَقَوْلُهُ: { وَرَحْمَةً مِنَّا } أَيْ وَنَجْعَلُ هَذَا الْغُلَامَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١). أَيْ : يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ فِي مَهْدِهِ وَكُهُولَتِهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَتْ مَرْيَمُ ،عَلَيْهَا السَّلَامُ: كُنْتُ إِذَا خَلَوْتُ حَدَّثَنِي عِيسَى وَكَلَّمَنِي وَهُوَ فِي بَطْنِي وَإِذَا كُنْتُ مَعَ النَّاسِ سَبَّحَ فِي بَطْنِي وَكَبَّرَ .

وَقَوْلُهُ{ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ جِبْرِيلَ لِمَرْيَمَ ، يُخْبِرُهَا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُقَدَّرٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ كَنَّى بِهَذَا عَنِ النَّفْخِ فِي فَرْجِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ (٢).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ{ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } أَيْ: أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا، فَلَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ، وَاخْتَارَ هَذَا أَيْضًا ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَلَمْ يَحْكِ غَيْرَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومن شدة عفتها عندما جاءها المخاض (وقت الوضع) خشيت أن يقال عليها شئ:﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ (٣).

فهذه قصة السيدة مريم البتول، العفيفة، الطاهرة، النقية.

---

١) سورة آل عمران – الآيتان ٤٥، ٤٦.

٢) سورة التحريم – الآيتان ١٢.

٣) سورة مريم – الآية ٢٣.

– أم المؤمنين (عائشة) الصديقة بنت الصديق العفيفة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي

مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الْإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ، وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّ كِبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ:" كَيْفَ تِيكُمْ " ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا

إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا قَالَتْ وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا قَالَتْ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ (١) فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَتْ أَيْ هَنْتَاهْ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قَالَتْ وَقُلْتُ مَا قَالَ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ قَالَتْ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تِيكُمْ فَقُلْتُ لَهُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قَالَتْ وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا قَالَتْ فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ قَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي

---

١) وأمها: ريطة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، تزوجها أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فولدت له مسطحًا من أهل بدر، وهندًا ، وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها ، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها(الطبقات الكبرى لابن سعد » طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ » تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ ... » أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي٨/٢٢٨)

دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي قَالَتْ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ أُسَامَةُ أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ قَالَتْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْالْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ قَالَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْخَزْرَجِ وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ قَالَتْ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ قَالَتْ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ

يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ قَالَتْ وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ فَقَالَ أَبِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَتْ أُمِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ كَثِيرًا إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ

مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنْ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ قَالَتْ فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ قَالَتْ فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَتْ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الْعَشْرَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ لِزَيْنَبَ:" مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ " فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ وَاللَّهِ إِنَّ

الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " البخاري[١].

قال الذهبي في السير:عن حسان بن ثابت ﷺ وهو شاعر رسول الله وصاحبه وأحد أنصاره الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[٢] وقد بوب الإمام مسلم في الصحيح، والحاكم في المستدرك على فضائل حسان بن ثابت ﷺ ومن ذلك ما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت لا تسبه، فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ[٣].

وقال عروة، كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[٤]

وعَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ ذَاكَ وَتَلَا : تَعْنِي الْقُرْآنَ فَلَمَّا نَزَلَ مِنْ الْمِنْبَرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَذْكُرْ عَائِشَةَ قَالَ فَأَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ

---

١) صحيح البخاري « كتاب المغازي « باب حديث الإفك _ رقم ٣٩١٠.

٢) سورة التوبة – الآية ١٠٠.

٣) رواه البخاري ومسلم.

٤) رواه البخاري.

مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِالْفَاحِشَةِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ قَالَ النُّفَيْلِيُّ وَيَقُولُونَ الْمَرْأَةُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ [١].

وقد بينت الروايات أن من خاض في الإفك قد تاب – ماعدا ابن أبي – وقد اعتذر حسان رضي الله عنه عما كان منه وقال يمدح عائشة بما هي أهل له:

حصان[٢] رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

---

١) سنن أبي داود » كتاب الحدود» باب فِي حَدِّ الْقَذْفِ _ رقم الحديث(٤٤٧٤) _ وحسنه الألباني.

٢) وَيُقَالُ : أُحْصِنَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا تَزَوَّجَتْ ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي حِصْنِ الرَّجُلِ وَحِمَايَتِهِ ، وَيُقَالُ : أَحْصَنَهَا أَهْلُهَا إِذَا زَوَّجُوهَا ، وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَزَوِّجَةِ أَنْ تُحَصِّنَ نَفْسَهَا فَتَكْتَفِيَ بِزَوْجِهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الرِّجَالِ لِأَجْلِ حَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَتُحَصِّنَ زَوْجَهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ، فَعَلَى الْمَرْأَةِ الْمُعَوَّلُ فِي الْإِحْصَانِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ لَفْظَ الْمُحْصَنَةِ . بِفَتْحِ الصَّادِ . اسْمُ فَاعِلٍ نَطَقَتْ بِهِ الْعَرَبُ عَلَى خِلَافِ عَادَتِهَا ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَلُّ أَفْعَلَ اسْمُ فَاعِلِهِ بِالْكَسْرِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَحْرُفٍ : أَحْصَنَ ، أَلْفَجَ إِذَا ذَهَبَ مَالُهُ ، وَأَسْهَبَ إِذَا كَثُرَ كَلَامُهُ ، وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَعَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْعَفِيفَةَ يُقَالُ لَهَا : مُحْصَنَةٌ – بِفَتْحِ الصَّادِ – وَمُحْصِنَةٌ – بِكَسْرِهَا – وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَزَوِّجَةُ فَيُقَالُ لَهَا : مُحْصَنَةٌ – بِالْفَتْحِ – لَا غَيْرَ ، وَجَمَاهِيرُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ – وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الْفِقْهِ الْمَشْهُورُونَ – عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُحْصَنَاتِ هَاهُنَا الْمُتَزَوِّجَاتُ ، وَقِيلَ : هُنَّ الْحَرَائِرُ ، وَقِيلَ : عَامٌّ فِي الْحَرَائِرِ وَالْعَفَائِفِ وَالْمُتَزَوِّجَاتِ ، وَقَدْ يُقَالُ : هُنَّ الْحَرَائِرُ الْمُتَزَوِّجَاتُ ، وَسَيَأْتِي عَنِ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ مَا يُرَجِّحُهُ ، وَلِمَاذَا قَالَ : مِنَ النِّسَاءِ وَصِيغَةُ الْجَمْعِ مُغْنِيَةٌ عَنْ هَذَا الْقَيْدِ ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ : النُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ : تَأْكِيدُ الْعُمُومِ ، وَلَمْ يَرَ قَوْلَهُ كَافِيًا وَافِيًا ، وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِغُمُوضِ النُّكْتَةِ فِي ذَلِكَ ، قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ : قَدِ اسْتَشْكَلَ ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ حَتَّى رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَنْ يُفَسِّرُهَا لِي لَضَرَبْتُ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَيْ : لَسَافَرَ إِلَيْهِ وَإِنْ بَعُدَ مَكَانُهُ ، وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا الْقَيْدَ يَكَادُ يَكُونُ بَدِيهِيًّا ؛ فَإِنَّ لَفْظَ الْمُحْصَنَاتِ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْعَفِيفَاتُ ، أَوِ

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي
فإن الذي قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرئ بي ماحل
وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم ... تقاصر عنه سورة المتطاول

هذا وقد نبه العلماء علي أن من أخطأ في حق عائشة بعد ما جاء في القرآن من براءتها، يعتبر مكذبا للقرآن، وقد ذكر النووي في شرح مسلم: أن من اتهمها كفر، لمخالفته القرآن.

– المرأة وصاحب الغار:

قص لنا الحبيب محمد ﷺ قصة الثلاثة نفر، الذين كانوا في أمة من الأمم التي سبقتنا، آواهم المبيت إلي غار، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل وسدت بار الغار، فلما أهمهم هذا الأمر جلسوا يتشاورون، فأسفرت المشورة علي أن الخلاص من هذه الورطة هو بيد الله ﷻ (**فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**) وكان من بينهم رجل موثر له ابنة عم فقيرة،

الْمُسْلِمَاتُ ، فَلَوْ لَمْ يَقُلْ هُنَا : مِنَ النِّسَاءِ ، لَتَوَهَّمَ أَنَّ (الْمُحْصَنَاتِ) إِنَّمَا يَحْرُمُ نِكَاحُهُنَّ إِذَا كُنَّ مُسْلِمَاتٍ ، فَأَفَادَ هَذَا الْقَيْدُ الْعُمُومَ وَالْإِطْلَاقَ ، أَيْ أَنَّ عَقْدَ الزَّوْجِيَّةِ مُحْتَرَمٌ مُطْلَقًا لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْكَافِرَاتِ وَالْحَرَائِرِ وَالْمَمْلُوكَاتِ ، فَيَحْرُمُ تَزَوُّجُ أَيَّةِ امْرَأَةٍ فِي عِصْمَةِ رَجُلٍ وَحِصْنِهِ(تفسير المنار _ سورة النساء « تفسير قوله تعالى والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم) .

وكان يحبها حباً شديداً كأشدِّ ما يحب الرجال النساء، فأرادها على نفسها، أي أرادها- والعياذ بالله- بالزنا؛ ليزني بها، ولكنها لم توافق وأبَتْ، فألمت بها سنة من السنين، أي: أصابها فقر شديد وحاجة، فلم تجد أحد من البشر تلجأ إليه إلا قريبها وابن عمها، فاضطرَّت إلى أن تجود بنفسها في الزنا من أجل الضرورة، وهذا لا يجوز، ولكن على كل حال؛ هذا الذي حصل، فجاءت إليه، فأعطاها مائة وعشرين دينارا، من أجل أن تمكنه من نفسها، ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها، قالت له هذه الكلمة العجيبة العظيمة: **(اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ)** [١] فخوفته بالله- عز وجل- وأشارت إليه إلى أنه إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها، لكن كونه يفضُّ الخاتم بغير حق، هي لا تريده، ترى أن هذا من المعاصي؛ ولهذا قالت له: اتقِ الله، فلما قالت له هذه الكلمة - التي خرجت من أعماق قلبها- دخلت في أعماق قلبه، وقام عنها وهي أحب الناس عليه، يعني ما زالت رغبته عنها، ولا كرهها، بل حبها باقٍ في قلبه، لكن أدركه خوف الله -عز وجل- فقام عنها وهي أحب الناس إليه، وترك لها الذهب الذي أعطاها - مائة وعشرين ديناراً، ولنسمع قصتها من النبي ﷺ :" ..... **وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ**

---

١) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري« كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ » بَاب حَدِيثُ الْغَارِ(٣٢٣٠).

وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا....." [١].

يا لها من نفس مؤمنة، عفيفة، كريمة، خلد الله ذكرها وإن لم يُعلم اسمها فالله يعلمه، وجعل عفتها مثلا للمؤمنين والمؤمنات في خير أمة أخرجت للناس.

– زوجة أبو سفيان بن حرب : هند بنت عتبة بن ربيعة :

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ مَهَبٍّ الطَّائِيِّ قَالَ : كَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ عِنْدَ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ الْفَاكِهُ مِنْ فِتْيَانِ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ لِلضِّيَافَةِ يَغْشَاهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، فَخَلَّى ذَلِكَ الْبَيْتَ يَوْمًا ، وَاضْطَجَعَ الْفَاكِهُ وَهِنْدُ وَقْتَ الْقَائِلَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ الْفَاكِهُ فِي بَعْضِ حَاجَاتِهِ ، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَغْشَاهُ ، فَوَلَجَ الْبَيْتَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمَرْأَةَ وَلَّى هَارِبًا ، فَأَبْصَرَهُ الْفَاكِهُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْبَيْتِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى هِنْدٍ فَضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ عِنْدِي أَحَدٌ وَمَا انْتَبَهْتُ حَتَّى أَنْبَهْتَنِي.

---

١) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري « كتاب الإجارة « كِتَاب : الْإِجَارَةِ » بَـاب : مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا ، فَتَرَكَ الْأَجِيرُ أجره فعمل فيه المستأجر رقم ٢١٢١، وصحيح مسلم _ برقم ٢٧٤٣.

قَالَ: الْحَقِي بِأَبِيكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا النَّاسُ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: يَا بُنَيَّةُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكِ فَنَبِّئِينِي نَبَأَكِ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ عَلَيْكِ صَادِقًا دَسَسْتُ لَهُ مَنْ يَقْتُلُهُ ؛ فَيَنْقَطِعُ عَنْكِ الْفَاكِهُ، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا حَاكَمْتُهُ إِلَى بَعْضِ كُهَّانِ الْيَمَنِ، فَحَلَفَتْ لَهُ بِمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ بِهِ أَنَّهُ لَكَاذِبٌ عَلَيْهَا. فَقَالَ لِلْفَاكِهِ: يَا هَذَا، إِنَّكَ رَمَيْتَ ابْنَتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَحَاكِمْنِي إِلَى بَعْضِ كُهَّانِ الْيَمَنِ . فَخَرَجَ عُتْبَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَخَرَجَ الْفَاكِهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ هِنْدٌ فِي نِسْوَةٍ مَعَهَا . فَلَمَّا شَارَفُوا الْبِلَادَ قَالُوا : نَرِدُ عَلَى الْكَاهِنِ فَتَنَكَّرَ حَالُ هِنْدٍ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : إِنِّي أَرَى مَا بِكِ مِنْ تَنَكُّرِ الْحَالِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَكْرُوهٍ عِنْدَكِ، أَفَلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ النَّاسُ مَسِيرَنَا ؟ فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ، مَا ذَاكَ لِمَكْرُوهٍ ، وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَأْتُونَ بَشَرًا يُخْطِئُ وَيُصِيبُ ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَسِمَنِي بِسِمَةٍ تَكُونُ عَلَيَّ سُبَّةً فِي الْعَرَبِ. فَقَالَ: إِنِّي أَخْتَبِرُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمْرِكِ . فَصَفَّرَ بِفَرَسِهِ حَتَّى أَدْلَى، ثُمَّ أَخَذَ حَبَّةً مِنْ بُرٍّ فَأَدْخَلَهَا فِي إِحْلِيلِهِ وَأَوْكَأَ عَلَيْهَا بِسَيْرٍ ، فَلَمَّا صَبَّحُوا الْكَاهِنَ أَكْرَمَهُمْ وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا تَغَدَّوْا قَالَ لَهُ عُتْبَةُ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئًا أَخْتَبِرُكَ بِهِ، فَانْظُرْ مَا هُوَ . قَالَ: تَمْرَةٌ فِي كَمَرَةٍ . قَالَ: أُرِيدُ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا . قَالَ: حَبَّةٌ مِنْ بُرٍّ فِي إِحْلِيلِ مُهْرٍ . قَالَ: صَدَقْتَ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ . فَجَعَلَ يَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ وَيَضْرِبُ كَتِفَهَا، وَقَالَ: قُومِي غَيْرَ وَحْشَاءَ وَلَا زَانِيَةٍ، وَلَتَلِدَنَّ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ: مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ إِلَيْهَا الْفَاكِهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا ، فَنَثَرَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِهِ

وَقَالَتْ: إِلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَأَحْرِصَنَّ عَلَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِكَ . فَتَزَوَّجَهَا أَبُو سُفْيَانَ فَجَاءَتْ بِمُعَاوِيَةَ . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

– المرأة والكفل:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ قَالَتْ لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ فَقَالَ تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ وَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ" ر واه الترمذي (١).

---

١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَدْ رَوَاهُ شَيْبَانُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ الْأَعْمَشِ نَحْوَ هَذَا وَرَفَعُوهُ وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ فَلَمْ يَرْفَعْهُ وَرَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْأَعْمَشِ فَأَخْطَأَ فِيهِ وَقَالَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ هُوَ كُوفِيٌّ وَكَانَتْ جَدَّتُهُ سُرِّيَّةً لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ عُبَيْدَةُ الضَّبِّيُّ وَالْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ(وسنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ﷺ باب منه _ رقم ٢٤٩٦ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال سمعت رسول الله ﷺ أكثر من عشرين مرة يقول فذكر نحوه ،والحاكم والبيهقي من طريقه وغيرها).

- أم حكيم بنت الحارث :

لما كان يوم الفتح الأعظم (فتح مكة) أهدر النبي دم بعض من آذوه ولاقى منهم الشدة ، ومن هؤلاء عكرمة بن أبي جهل، فهرب، علي ساحل تهامة ليذهب إلي اليمن، فتأخذ له زوجته أمانا من النبي ﷺ ، ثم تذهب وراءه ، ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنيه حتى قدمت علي حي من عك، فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطا، وأدركت عكرمة علي ساحل من سواحل تهامة، وفي طريقهما إلي العودة ، أخبرت زوجها عكرمة بما حدث من الغلام فقتله.. ولنقرأ القصة بتمامها، فكم فيها من تضحيات وتحمل المشقات من هذه المرأة العظيمة:

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هُوَ آمِنٌ "، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ، وَمَعَهَا غُلامٌ لَهَا رُومِيٌّ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ حَتَّى قَدِمَتْ بِهِ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكٍّ، فَاسْتَغَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ، فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ، وَقَدِ انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَ نُوتِيُّ السَّفِينَةِ، يَقُولُ لَهُ: أَخْلِصْ، قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟ قَالُوا : قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، قَالَ عِكْرِمَةُ : مَا هَرَبْتُ إِلا مِنْ هَذَا ، فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا مِنَ الأَمْرِ ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إِلَيْهِ ، وَتَقُولُ : يَابْنَ عَمٍّ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ ، لا تُهْلِكْ نَفْسَكَ ، فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي

اسْتَأْمَنْتُ لَكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَنْتِ فَعَلْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ ، فَرَجَعَ مَعَهَا ، وَقَالَ : مَا لَقِيتِ مِنْ غُلامِكِ الرُّومِيِّ ؟ وَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ ، فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يُسْلِمْ ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ :" يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلا تَسُبُّوا أَبَاهُ ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلا تَبْلُغُ الْمَيِّتَ ". قَالَ: وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ مِنَ امْرَأَتِهِ يُجَامِعُهَا ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ : إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ ، فَيَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ ، وَمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءٌ ، فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ ، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صَدَقَتْ ، فَأَنْتَ آمِنٌ " ، قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : " أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ " ، حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلامِ ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتَ إِلا إِلَى الْحَقِّ ، وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ، قَدْ كُنْتَ وَاللَّهِ فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقَنَا حَدِيثًا وَأَبَرَّنَا بِرًّا ، ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ ، فَقَالَ : " تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَقُولُ أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ " ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَسْأَلْنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلا أَعْطَيْتُكَهُ " ، قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ ، أَوْ مُقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ ، أَوْ كَلامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ ، أَوْ أَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا ، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ ، وَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي ، أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ " ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : أَنَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلا قِتَالا كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ الأَوَّلِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ رِجَالِهِ : وَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، يَعْنِي : يَوْمَ حُنَيْنٍ ، لا يَجْتَبِرُهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ : يَقُولُ لَهُ عِكْرِمَةُ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِقَوْلٍ ، إِنَّ الأَمْرَ بِيَدِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ إِلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ، إِنْ

أُدِيلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَإِنَّ لَهُ الْعَاقِبَةَ غَدًا ، قَالَ : يَقُولُ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ عَهْدَكَ بِخِلافِهِ لَحَدِيثٌ، قَالَ: يَا أَبَا يَزِيدَ ، إِنَّا كُنَّا وَاللَّهِ نُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَعُقُولُنَا عُقُولُنَا، نَعْبُدُ حَجَرًا لا يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ. قَالَ: وَأنا ابْنُ حَيَّوَيْهِ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ مَعْرُوفٍ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ سِوَى قِصَّةِ سُهَيْلٍ، نَحْوَهُ، وَرُوَاتُهُ الثَّلْجِيُّ أَتَمُّ ، وَقَالَ بْنُ سَعْدٍ بَعْدَ تَلَفُّظِهِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَقُلْتُ: أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَصْدَقُ النَّاسِ، وَأَوْفَى النَّاسِ أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمُطَأْطِئٌ الرَّأْسَ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَرْكِبٍ أُوضِعْتُ فِيهِ أُرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ مَنْطِقٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ مَرْكِبٍ أَوْضَعَ فِيهِ، يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّ عَنْ سَبِيلِكَ "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِخَيْرِ مَا تَعْلَمُ فَأَعْلَمَهُ، قَالَ: " قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ "، وَزَادَ ابْنُ سَعْدٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : قُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَ أَجْنَادِينَ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحَجِّ اسْتَعْمَلَهُ

عَلَى هَوَازِنَ يُصَدِّقُهَا ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِكْرِمَةُ يَوْمَئِذٍ بِتَبَالَةَ . (١).

انظر لهذا الكلام الذي يبين عظمة هذه المرأة العفيفة الدينة(**وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ مِنَ امْرَأَتِهِ يُجَامِعُهَا ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ**.. وهو زوجها .. **وَتَقُولُ**:(**إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ**)، فشغلت باله وفكره أن هذا الدين عظيم، فيقول: **إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ**.

والله ما هو إلا الإيمان والتقوي والعفة التي تزينت به هذه المرأة الصالحة.

وتعطينا أم حكيم درس في صفات القدوة الذي يحمل همَّ الدين ، كيف يكون متمسكا بدينه، فإن الناس لا يتأثرون بالكلام والشعارات، إنما يتأثرون بالصفات والأعمال.

– حفصة بنت سيرين:

روِى أنها كانت تحتفظ بكفن دائم لها هو جزء من ملابسها فإذا حجت وأحرمت لبسته، وإذا جاءت الأيام العشرة الأخيرة من رمضان لبستْه تقيم فيه. إنها حَفْصَة بنت سيرين، المحدِّثة الزاهدة، التي أمضت شبابها في عبادة وتقوى، وكانت تقول: يا معشر الشباب! خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإنى رأيت العمل في الشباب(٢).

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر» حَرْفُ الْخَاءِ » ذِكْرُ مِنِ اسْمُهُ عِكْرِمَةُ» عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلِ عَمْرِو بْنِ هِشَامِ ...رقم الحديث: ٤٢٥٠١، الطبقات الكبرى لابن سعد « الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك « ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي_ رقم الحديث : (١٠٨٨٧).

٢) صفة الصفوة ١ / ٤٠٤.

قَرَأَتْ القرآن الكريم، وتدبرتْ معانيه وعمرها اثنتا عشرة سنة، وكان أخوها "محمد بن سيرين" إذا استشكَل عليه شيء من القرآن الكريم قال: اذهبوا إلى حفصة، واسألوها كيف تقرأ؟ واشتهرت حفصة بالزهد، والصبر الجميل على طاعة اللَّه وعبادته، وكانت كثيرة الصيام، طويلة القيام، تدخل مسجدها تصلي فيه، وتتعبد بقراءة القرآن، ولا تخرج من بيتها إلا لحاجة أو لمقابلة من يأتون ليستفتونها، ويتعلمون منها. وكانت محدثَّة جليلة، نشأت في بيت علم، وكان لها ستة إخوة غيرها، كلهم يقرءون القرآن، ويشتغلون بالحديث.

وكانت حفصة تحب العلم، وتبذل في سبيله كل غالٍ ونفيس؛ لأنها تَعْلَم أن العلماء ورثة الأنبياء، كما عُرِفتْ حفصة بشدة تمسكها بتعاليم الإسلام الحقة، وطاعتها للَّه ولرسوله؛ فعَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ قَالَ : كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ وَقَدْ جَعَلَتِ الْجِلْبَابَ هَكَذَا وَتَتَقَّبَتْ بِهِ فَنَقُولُ لَهَا رَحِمَكِ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١]، هُوَ الْجِلْبَابُ قَالَ فَنَقُولُ لَنَا: أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَنَقُولُ (وَأَنْ يَسْتَعْفِفنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) فَنَقُولُ هُوَ إِثْبَاتُ الْجِلْبَابِ[٢].

عن هشام بن حسان، قال كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيقشره ويأخذ القصب. فيفلقه قالت حفصة: وكنت أجد قرة فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك

---

١) سورة النور – الآية ٦٠.

٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٩١٨) صحيح.

القصب المفلق وقوداً لا يؤذي دخانه ويدفئني. نمكث بذلك ما شاء الله. قالت: وعند من يكفيه لو أراد ذلك. قالت: وربما أردت أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه. قالت حفصة: فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١] قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد.قال هشام: وكانت له لقحة. قالت حفصة: كان يبعث إلى بحلبة بالغداة فأقول: يا بني إنك لتعلم أني لا أشربه، أنا صائمة. فيقول: يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل، اسقيه من شئت. (٢).

* * * * *

١) سورة النحل – الآيات من ٩٥ : ٩٧ .

٢) صفة الصفوة ١ / ٤٠٤.

رحيمات

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا ، وَأُخْتٌ تَقُودُهَا فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَا سَأَلَتْهُ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا انْطَلَقَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " حَامِلاتٌ وَالِدَاتٌ رَحِيمَاتٌ(١)، لَوْلا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ (٢)دَخَلَ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ (٣)"(٤).

---

١) (حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن) هذه الصفات الأربع لموصوف محذوف أي النساء وساق الصفات على الترتيب وقوعا وذكر هذه الصفات لما فيها من الأجر بتحمل مشاقها.

٢) (لولا ما يأتين إلى أزواجهن) أي من الأذى وكفران عشرته(شرح الجامع الصغير).

٣) وفي قوله: (لدخل مصلياتهن الجنة) فيه يدل على عظم حق الزوج لأن هذه الصفات يتلاشى أجرها بالنظر إلى عصيان الزوج وفي قوله: "مصلايتهن" إعلام بأن من لا تصلي لا تدخل الجنة. (حم هـ طب ك) عن أبي أمامة) قال العراقي: إنه ليس عند ابن ماجه لفظ "مرضعات"، ما هي إلا عند الطبراني في الصغير.(شرح الجامع الصغير).

٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٨)، وابن ماجه (٢٠٠٣ ، ٢٠١٣)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٢) (٧٩٨٥،٧٩١٠)، والصغير (٨٩٨)، والحاكم (٤/ ١٩١، ١٩٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٧٨). وعبد الرزاق والحاكم ٤/ ١٧٣(رقم ٧٤١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٨١٧٤ ، ١٠٣٠٣)، مسند أبو داود الطيالسي (٢٢١٠) وضعفه بعض أهل العلم بسبب الإنقطاع فضعفه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير) (٢٦٧٨).(وضعفه في ضعيف ابن ماجه).

.

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: " مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئاً، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ" متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا، بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ :"إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّار ". أخرجه مسلم.

– سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ:

وهذا ليس باسم لامرأة إنما صفة لنساء كثيرات آثرن سعادة أيتامهن فأسعدهن الله في دار كرامته: فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ[1] كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَأَوْمَأَ يَزِيدُ

---

١) (أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ) أَيْ مُتَغَيِّرَةُ لَوْنِ الْخَدَّيْنِ لِمَا يُكَابِدُهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالضَّنْكِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ السَّفْعَاءُ هِيَ الَّتِي تَغَيَّرَ لَوْنُهَا إِلَى الْكُمُودَةِ وَالسَّوَادِ مِنْ طُولِ الْأَيْمَةِ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ سَفْعِ النَّارِ وَهُوَ أَنْ يُصِيبَ لَفْحُهَا شَيْئًا فَيَسْوَدُّ مَكَانُهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ قَدْ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَوْلَادِهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ فَتَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَتَزَيَّنَ وَتَصْنَعَ نَفْسَهَا لِزَوْجِهَا انْتَهَى.

بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ «امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالٍ، حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا[1] أَوْ مَاتُوا» [1].

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الدَّهْلَوِيُّ السُّفْعَةُ بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ نَوْعٌ مِنَ السَّوَادِ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ وَقِيلَ هُوَ سَوَادٌ مَعَ لَوْنٍ آخَرَ.

وَفِي الصِّحَاحِ سَوَادٌ مُشَرَّبٌ بِالْحُمْرَةِ أَرَادَ أَنَّهَا بَذَلَتْ نَفْسَهَا لِأَوْلَادِهَا وَتَرَكَتِ الزِّينَةَ وَالتَّرَفُّهَ حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ إِقَامَةً عَلَى وَلَدِهَا بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا ولم يرد أنها كانت من أصل الْخِلْقَةِ كَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ (كَهَاتَيْنِ) أَيْ مِنَ الْأُصْبُعَيْنِ فَإِنْ قُلْتَ دَرَجَاتُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام أَعْلَى مِنْ دَرَجَاتِ سَائِرِ الْخَلْقِ لَا سِيَّمَا دَرَجَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَالُهَا أَحَدٌ قُلْتُ الْغَرَضُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَ الْأُصْبُعَيْنِ إِشَارَةً إِلَى التَّفَاوُتِ بَيْنَ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَآحَادِ الْأُمَّةِ قَالَهُ السُّيُوطِيُّ فِي مِرْقَاةِ الصُّعُودِ.قُلْتُ وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا كَمَا سيجيء (وأومأ يزيد) هو بن زُرَيْعٍ أَيْ أَشَارَ بَيَانًا لِهَاتَيْنِ (امْرَأَةٌ) عَطْفُ بَيَانٍ لِامْرَأَةٍ سَعْفَاءِ الْخَدَّيْنِ أَوْ بَدَلٌ مِنْهَا أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَيْ هَذِهِ امْرَأَةٌ (آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا) بِمَدِّ الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ أَيْ صَارَتْ أَيِّمًا لَا زَوْجَ لَهَا (ذَاتَ مَنْصِبٍ) بِكَسْرِ الصَّادِ أَيْ صَاحِبَةَ نَسَبٍ أَوْ حسب قاله القارىء (وَجَمَالٍ) أَيْ كَمَالِ صُورَةٍ وَسِيرَةٍ وَهِيَ صِفَةٌ لِامْرَأَةٍ وَأُرِيدَ بِهَا كَمَالُ الثَّوَابِ وَلَيْسَتْ لِلِاحْتِرَازِ

وَالْمَعْنَى أَنَّهَا مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ الْمَرْغُوبَةِ الْمَطْلُوبَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ (حَبَسَتْ نَفْسَهَا) فَالْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ أَوْ صِفَةٌ أُخْرَى أَوْ حَالٌ بِتَقْدِيرِ قَدْ أَوْ بِدُونِهِ أَيْ مَنَعَتْهَا عَنِ الزَّوَاجِ صَابِرَةً أَوْ = =شَفَقَةً (عَلَى يَتَامَاهَا) وَقَالَ شَارِحٌ أَيِ اشْتَغَلَتْ بِخِدْمَةِ الْأَوْلَادِ وَعَمِلَتْ لَهُمْ فَكَأَنَّهَا حَبَسَتْ نَفْسَهَا أي وقعت عليهم قاله القارىء.

١) (حَتَّى بَانُوا) أَيْ إِلَى أَنْ كَبِرُوا وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْإِبَانَةُ أَوْ وَصَلُوا إِلَى مَرْتَبَةِ كَمَالِهِمْ فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْأَضْدَادِ بِمَعْنَى الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ

وَقَالَ شَارِحٌ أَيْ حَتَّى فَصَلُوا وَزَادُوا قُوَّةً وَعَقْلًا وَاسْتَقَلُّوا بِأَمْرِهِمْ مِنَ الْبَوْنِ وَهُوَ الْفَضْلُ وَالْمَزِيَّةُ كَذَا قَالَ القارىء وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ فِي مَادَّةِ بَيْنَ مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ يَبِنَّ بِفَتْحِ الْيَاءِ أَيْ يَتَزَوَّجْنَ يُقَالُ أَبَانَ فُلَانٌ بِنْتَهُ وَبَيَّنَهَا إِذَا زَوَّجَهَا وَبَانَتْ هِيَ إِذَا تَزَوَّجَتْ وَكَأَنَّهُ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلاَّ أَنَّهُ لَتَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَالَكِ، وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي ". أبي يعلى[٢].

انظروا إلي هذه المرأة التي جعل الله في قلبها الرحمة والحنان علي أيتامها فلذات كبدها، فكان الثواب أن بادرت النبي ﷺ في دخول الجنة.. فتحصلت على السعادة الأبدية في جنات الخلود.

فكيف يفعل الله بمن ملأ قلبه بالحنان علي أمة الحبيب محمد ﷺ وخاف عليها من نار جهنم وقام بدعوتها إلي الله عزوجل ؟

فالمرأة هي الجندي المجهول في هذا الكون، ولهذا وصي بها النبي: **فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ !مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:" أُمُّكَ ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" ثُمَّ أُمُّكَ " قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" ثُمَّ أُمُّكَ " قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" ثُمَّ أَبُوك "**(٣).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

مِنَ الْبَيْنِ الْبُعْدِ أَيْ بَعُدَتْ عَنْ بَيْتِ أَبِيهَا انْتَهَى (أَوْ مَاتُوا) أَيْ أَوْ مَاتَتْ فَأَوْ لِلتَّنْوِيعِ كَذَا فِي الْمِرْقَاةِ.

١) سنن ابى داود _ باب في فضل من عال يتيما _ حديث رقم ٥١٤٩.

٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٢٥٦٤).

٣) صحيح البخاري « كتاب الأدب « باب من أحق الناس بحسن الصحبة _ رقم ٥٦٢٦، صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب بر الوالدين وأنهما أحق به [٢٥٤٨].

سعيدات

حليمة السعدية :

السيدة حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم.. من أسعد منها حين لم تجد رضيعا ترضعه إلا رسول الله سيد الكونين من عرب ومن عجم، ندعها وهي تروى قصة سعادتها: **عَنْ حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – السَّعْدِيَّةِ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ قَالَتْ: خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ، عَلَى أَتَانٍ(١) لِي قَمْرَاءَ قَدْ أَذْمَتْ فَزَاحَمْتُ بِالرَّكْبِ . قَالَتْ: وَخَرَجْنَا فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ (٢)لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا، وَمَعِي زَوْجِي الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى. قَالَتْ: وَمَعَنَا شَارِفٌ(٣) لَنَا ، وَاللَّهِ إِنْ تَبِضَّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي صَبِيٌّ لِي إِنْ نَنَامُ لَيْلَتَنَا مَعَ بُكَائِهِ، مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهُ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مِنْ لَبَنٍ نَغْذُوهُ إِلَّا أَنَّا نَرْجُو . فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ يَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَأْبَاهُ، وَإِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو كَرَامَةَ رَضَاعِهِ مِنْ وَالِدِ الْمَوْلُودِ، وَكَانَ يَتِيمًا، فَكُنَّا نَقُولُ: مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ ؟ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ صَبِيًّا، غَيْرِي، وَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ آخُذْ شَيْئًا وَقَدْ أَخَذَ صَوَاحِبِي، فَقُلْتُ لِزَوْجِي: وَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ فَلَآخُذَنَّهُ . قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُهُ فَرَجَعْتُهُ إِلَى رَحْلِي، فَقَالَ زَوْجِي: قَدْ أَخَذْتِيهِ ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ وَاللَّهِ، ذَاكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتِ، فَعَسَى**

---

١) الأتان: الحمار يقع على الذكر والأنثى ، والأتَانُ الحمارَةُ الأنثى خاصَّةً .

٢) سنة شهباء : ذات قحط وجدب ، والشهباء الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر من الشهبة ، وهي البياض فسُمِّيت سنة الجدب بها.

٣) الشارف : الناقة المسنة التي ارتفع لبنها.

اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ خَيْرًا . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَعَلْتُهُ فِي حِجْرِي قَالَتْ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيِي بِمَا شَاءَ مِنَ اللَّبَنِ، قَالَتْ :فَشَرِبَ حَتَّى رُوِيَ وَشَرِبَ أَخُوهُ – تَعْنِي ابْنَهَا – حَتَّى رُوِيَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا مِنَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ فَحَلَبَتْ لَنَا مَا سَنَّنَا، فَشَرِبَ حَتَّى رُوِيَ ، قَالَتْ: وَشَرِبْتُ حَتَّى رُوِيتُ، فَبِتْنَا لَيْلَتَنَا تِلْكَ بِخَيْرٍ، شِبَاعًا رِوَاءً، وَقَدْ نَامَ صِبْيَانِنَا، قَالَتْ: يَقُولُ أَبُوهُ – يَعْنِي زَوْجَهَا – : وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ مَا أَرَاكِ إِلَّا أَصَبْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً ، قَدْ نَامَ صَبِيُّنَا وَرُوِيَ . قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا ، فَوَاللَّهِ لَخَرَجَتْ أَتَانِي أَمَامَ الرَّكْبِ قَدْ قَطَعَتْهُ حَتَّى مَا يَبْلُغُونَهَا حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ: وَيْحَكِ يَا بِنْتَ الْحَارِثِ، كُفِّي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِأَتَانِكِ الَّتِي خَرَجْتِ عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ: بَلَى وَاللَّهِ وَهِيَ قُدَّامُنَا. حَتَّى قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ حَاضِرِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَقَدِمْنَا عَلَى أَجْدَبِ أَرْضِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ حَلِيمَةَ بِيَدِهِ إِنْ كَانُوا لَيُسَرِّحُونَ أَغْنَامَهُمْ إِذَا أَصْبَحُوا، وَيُسَرِّحُ رَاعِي غَنَمِي فَتَرُوحُ غَنَمِي بِطَانًا لَبَنًا حُفَّلًا، وَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا هَالِكَةً مَا بِهَا مِنْ لَبَنٍ . قَالَتْ: فَشَرِبْنَا مَا شِئْنَا مِنْ لَبَنٍ وَمَا فِي الْحَاضِرِ أَحَدٌ يَحْلِبُ قَطْرَةً وَلَا يَجِدُهَا، فَيَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ: وَيْلَكُمْ أَلَا تُسَرِّحُونَ حَيْثُ يُسَرِّحُ رَاعِي حَلِيمَةَ ؟ فَيُسَرِّحُونَ فِي الشِّعْبِ الَّذِي يُسَرِّحُ فِيهِ رَاعِينَا، وَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا بِهَا مِنْ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي حُفَّلًا لَبَنًا. قَالَتْ: وَكَانَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي شَهْرٍ ، وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي سَنَةٍ، فَبَلَغَ سِتًّا وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ (١). قَالَتْ: فَقَدِمْنَا عَلَى أُمِّهِ فَقُلْنَا لَهَا، وَقَالَ لَهَا أَبُوهُ رُدُّوا عَلَيْنَا ابْنِي فَلْنَرْجِعْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ . قَالَتْ: وَنَحْنُ أَضَنُّ بِشَأْنِهِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْ

---

١) الجفر: الصبي يقرب البلوغ.

بَرَكَتِهِ قَالَتْ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى قَالَتْ: ارْجِعَا بِهِ. فَرَجَعْنَا بِهِ فَمَكَثَ عِنْدَنَا شَهْرَيْنِ. قَالَتْ: فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ وَأَخُوهُ يَوْمًا خَلْفَ الْبُيُوتِ، يَرْعَيَانِ بِهِمَا لَنَا إِذْ جَاءَنَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ: أَدْرِكَا أَخِي الْقُرَشِيَّ، قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَخَرَجْنَا نَحْوَهُ نَشْتَدُّ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ مُنْتَقِعٌ لَوْنُهُ(١) ، فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ وَاعْتَنَقْتُهُ، ثُمَّ قُلْنَا: مَالَكَ أَيْ بُنَيَّ ؟ قَالَ: " أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ فَأَضْجَعَانِي ثُمَّ شَقَّا بَطْنِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا صَنَعَا ". قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ فَرَجَعْنَا بِهِ، قَالَتْ: يَقُولُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ، مَا أَرَى هَذَا الْغُلَامَ إِلَّا قَدْ أُصِيبَ، فَانْطَلِقِي فَلْنَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَرَجِعْنَا بِهِ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: مَا رَدَّكُمَا بِهِ ؟ وَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصِينَ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ إِنَّا كَفَلْنَاهُ وَأَدَّيْنَا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا فِيهِ. ثُمَّ تَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَكُونُ فِي أَهْلِهِ، قَالَتْ:فَقَالَتْ أُمُّهُ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِكُمَا، فَأَخْبِرَانِي خَبَرَكُمَا وَخَبَرَهُ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ ، قَالَتْ: فَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّ لِابْنِي هَذَا لَشَأْنًا، أَلَا أُخْبِرُكُمَا عَنْهُ ؟ إِنِّي حَمَلْتُ بِهِ فَلَمْ أَرَ حَمْلًا قَطُّ كَانَ أَخَفَّ وَلَا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ نُورًا كَأَنَّهُ شِهَابٌ خَرَجَ مِنْ حِينِ وَضَعْتُهُ، أَضَاءَتْ لِي أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، ثُمَّ وَضَعْتُهُ، فَمَا وَقَعَ كَمَا تَقَعُ الصِّبْيَانُ، وَقَعَ وَاضِعًا يَدَهُ بِالْأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دَعَاهُ وَالْحَقَا بِشَأْنِكُمَا (٢).

---

١) انتقع لونه : تغير من خوف أو ألم.

٢) صحيح ابن حبان (٦٤٤١) حسن.

وقد أحبها النبي صلى الله عليه وسلم حُبّا كبيرًا ، **فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقْسِمُ لَحْمًا بِالْجِعْرَانَةِ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بَدْوِيَّةٌ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا: هَذِهِ أُمُّهُ الَّتِي كَانَتْ تُرْضِعُهُ** (١).

ولما أخبرته إحدى النساء بوفاتها -بعد فتح مكة- ذرفت عيناه بالدموع عليها.

فكم من سعادة وبركة نالتها هذه المرأة العظيمة باحتضانها للنبي صلى الله عليه وسلم وإرضاعه، وهو طفل صغير، فكيف بمن تحمل فكره وهمه ، وتتبع سنته وتقتدي بهديه وتمتثل أمره، وتنصر شريعته، وتحفظ الدين الذي جاء به وتعظمه وتوقره صلى الله عليه وسلم.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ بْنِ سَعْيَةَ ، مِنْ سِبْطِ اللَّاوِيِّ بْنِ نَبِيِّ اللَّهِ إِسْرَائِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . ثُمَّ مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ (ﷺ):

تَزَوَّجَهَا قَبْلَ إِسْلَامِهَا : سَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ ، وَكَانَا مِنْ شُعَرَاءِ الْيَهُودِ ، فَقُتِلَ كِنَانَةُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْهَا ، وَسُبِيَتْ ، وَصَارَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ؛ فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا ؛ وَأَنَّهَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ ، فَأَخَذَهَا مِنْ دِحْيَةَ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا سَبْعَةَ أَرْؤُسٍ .

فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، وخيّرها بين الإسلام والبقاء على دينها قائلاً لها: " اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي (أي تزوّجتك)، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك "، فقالت: " يا رسول الله، لقد

---

١) مسند البزار (٢٧٨١) وفيه جهالة.

هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي ".

فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوّجها، وجعل عتقها صداقها، وكانت ماشطتها أم سليم التي مشطتها، وعطرتها، وهيّأتها للزواج برسول الله.

فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوّجها، وجعل عتقها صداقها، وكانت ماشطتها أم سليم التي مشطتها، وعطرتها، وهيّأتها للزواج برسول الله.

وَقَدْ مَرَّ فِي الْمَغَازِي: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بِهَا ، وَصَنَعَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، وَرَكَّبَهَا وَرَاءَهُ عَلَى الْبَعِيرِ، وَحَجَبَهَا، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الْبَعِيرَ تَعِسَ بِهِمَا، فَوَقَعَا ، وَسَلَّمَهُمَا اللَّهُ – تَعَالَى .

ثُمَّ إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا طَهُرَتْ ، تَزَوَّجَهَا ، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا .

وقالوا إن من هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من زواجها إعزازها وإكرامها ورفع مكانتها، إلى جانب تعويضها خيراً ممن فقدت من أهلها وقومها، ويضاف إلى ذلك إيجاد رابطة المصاهرة بينه وبين اليهود لعله يخفّف عداءهم، ويمهد لقبولهم دعوة الحق التي جاء بها.

فكم سعادة لهذه المرأة حيثُ ساقها الله عز وجل هذا المساق في هذه الظروف الصعبة، وزوجها من سيد الخلق وأحبهم إليه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل من وفقها الله تعالى للإسلام وآمنت بالله تعالى وامتثلت أمره وأمر رسوله فقد نالت سعادة الدارين.

عارضة أزياء فرنسية: كان الشيخ يونس يخرج في سبيل الله في فرنسا لمدة كبيرة ، وبعد شهر من الخروج وأثناء استراحته فى مركز الدعوة بفرنسا، قام بغسل جميع ملابسه ثم أراد الذهاب إلى السوق فلم يجدمن ملابسه إلا عباءة جده التونسية ذات الألوان الكثيرة ....فاضطر أن يلبسها أثناء تجوله فى السوق بها تعجب كل من فى السوق بجمالها لانهم اهل موضة وازياء وهو لا يدرى بهذا....واثناء عودته

للمركز فى باريس استوقفته اكبر عارضة ازياء فى باريس وطلبت أن تشتريها منه أو تفصل مثلها فقال لها أنا لا أتحدث مع النساء.....ولكن سوف اترك لكى العباية فى مركز الدعوة عند النساء.....فجاءت فى اليوم التالى للمركز وهى خائفة من المسلمين لانها غير مسلمة ولم تتعامل مع مسلمين من قبل ولكنها فوجئت باستقبال الاخوات لها بكل بشاشة وبالاحضان والمحبة دون سبق معرفة...ولما جلسوا على مفرش الطعام وجدت بينهم المحبة والاكرام ثم قاموا بعده لسماع البيان(أى كلام الايمان والاخرة) فبكت شديدا وتاثر قلبها واعلنت اسلامها وسط فرحة الاخوات...ثم طلبت الزواج من أخ مسلم يعلمها امور الدين..فسألوها هل ترغبى شخص معين ..قالت لا ..ولكن إن كان صاحب العباية لأنه السبب يكن خيرا...فقالوا للاخ يونس هل ترغب الزواج من أكبر عارضة أزياء فى باريس ذات جمال ومال وشهرة ودنيا..قال نعم لكن بعد مدة الخزوج....فاشار عليه المشايخ بالزواج لمدة ثلاثة ايام ثم استكمال المدة فوافق....ولكن بعدال٣ ايام وجدها تبكى لفراقه حيث انها لم تتعلم كثيرا من امور الدين....فذهب للمشايخ للشورى فأشاروا له باسبوع معها ..ولكن بعد الاسبوع قالت لم اتعلم باقى الدين..فاشار له المشايخ ان يخرج بها مع النساء٣ ايام فخرجت وفرحت كثيرا ثم طلبت زيادة المدة فزادوها١٥ يوما فازداد فرحها فطلبت منهم الزيادة فزادوها ٤٠ يوما ولا زيادة بعد ذلك فلما رجعت سألها الشيخ يونس ما رأيك فى الاسلام.

قالت له انتم ظلمة ؟ قال لماذا ؟ قالت لان عندكم هذا الخير ولا تعرفوه للناس... كم من الناس يموت على غير الا سلام وانتم لا تتحركون لانقاذه من النار...احنا فى باريس لا نعرف شيئا عن الاسلام بحسب الاعلام الا الارهاب والتطرف وغير ذلك....فقال لها يعنى ممكن تتركينى الان لاستكمال مدتى ؟ قالت له فى رعاية الله...فسألها وماذا ستفعلى وحدك فى الفيلا..قالت سوف اغير حياتى للاسلام..فسأحول معرضى ليكون معرضا للملابس الاسلامية...قال لكن سيكون العائد المادى قليل جدا...قالت له لكنى تعلمت اليقين على الله ان الرزق وجميع

الاشياء بيد الله وحده....ففرح بها وقال انا الان اخرج وانا مطمئن على قوة ايمانك بالله...ولكن حصلت مشكلة كبيرة لها.

كان هناك فى باريس سفاح خطير ..كل يوم الجرائد والحكومة تحذر النساء منه حيث قتل كثير من النساء ولم يستطع القبض عليه فرجاء من النساء عدم الجلوس فى البيت وحدهن دون رجل معهم أو من يحميهن من السفاح.....وهى لا تعرف ذلك..وكان السفاح يخطط لقتلها هذه لليلة ..وفى منتصف الليل صعد على البلكونة(حيث انها جعلت الدور الارضى معرض والدور الثانى للسكن) وكان يمسك بيده خنجراسكينا والاخري كشافا للرؤية....فوجدالفيللا مظلمة جدا وقف واحتار اين يتجه يمينا ولا شمالا....وهى فى هذا الوقت كانت ساجدة لله بين رجليه ولم تدرى به....ولم يدرى بها هو أيضا....فلما قامت لتأتى بالركعة الثانية من بين رجليه فوجيء بكلمة الله أكبر وهى لابسة الحجاب الاسود ففزع وقفز من البلكونة مرتعشا فنزل على رأسه مغشيا عليه...فلما ذهب به الناس للمستشفى فوجيء الأمن أنه السفاح الخطير فأبلغوا الوزير الذي جاء بنفسه ليعرف من الذى قبض عليه ليكافئه...؟

واثناء استجواب الدكتور للسفاخ من الذى ضربك و فلق راسك نصفين هكذا ..قال لا أحد..ولكن فوجئت بواحدة من العفاريت او الجن خرجت من بطن الارض وقالت كلمة لا اعرفها حسيت لو وقفت بعدها لصعق جسمى كله...فاشار الدكتور على سيادة الوزير الذهاب الى منزل الاخت لمعرفة تفاصيل الحادث وظن انه يخرف فى الكلام كيف يكون العفاريت والجن فى العصر الحالى...فلما وصل الوزير ورجال الصحافة أخذوا يدقوا الجرس ويخبطوا على الباب...فنظرت من عين الباب فوجدت رجالة كثيرة خلف الباب فقالت لهم أنا اسفة زوجى غير موجود..وأنا لا أستطيع فتح الباب.. ممكن تسألونى بورقة من تحت الباب وأنا أجيبكم...وكان السؤال المهم من الصحافة ما هى الكلمة التى قلتيها وأرعبت السفاح.....قالت لهم الله أكبر.

فأعلنت الصحف كلها فى المانشيت(أى العنوان الرئيسى لها) أن كلمة من امراة مسلمة كانت السبب فى القبض على اكبر سفاح فى باريس ولم يكتبوا هذه الكلمةلانهم غير مسلمين....وكانت سابقا عارضة ازياء مشهورة فكان كل من يريد معرفة هذه الكلمة من النساء يذهب لزيارتها لمعرفتها ..حتى انها اخلت مكان كبير من المعرض لاستقبال النساء فى الدور الارضى.. فكانت تكلمهم عن الله وقدرته وعظمته وعن الاسلام حتى أسلم أكثر من خمسمائة امرأة فى هذه الحادثة ولبسوا الحجاب فى ذات البوم.....وأعلن الوزير خوفه أنه يوشك أن تكون فرنسا أول دولة أوربية تدخل فى الاسلام.بسبب عدد الفرنسيين الذين يدخلون فى الاسلام كل يوم.

فقد أرادت شيئا وأراد الله بها شيئا آخر.

وَإِذَا الْعِنَايَةُ لاحَظَتْكَ عُيُونُهَا نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

تائبـــات

- امرأة العزيز (زُليخا):

زُليخـة : أو زليخا أو زليخاء (واسمها راعيل بنت رماييل وزُليخة لقبها)..

زوجـة عزيـز مصـر عنـد قـدوم يوسـف إلـى مصـر علـى عهـد الملـك أمنحوتـب الثالـث الـذي يعـد مـن أعظـم الملـوك الـذين حكمـوا مصـر عبـر التـاريخ..

وكانت مشهورة بجمالها وكبريائها الذي أضحى تكبراً وأنفة.

وقد رأى يوسف في منامه في صغره في سن السابعة عشرة سنة أو الثانية عشرة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له، فقصّ الرؤيا على أبيه، فبشره بالنبوة وتعبير الأحلام.

وكان يوسف رائع الجمال، محبوبا لدى أبيه، مما أثار حقد إخوته عليه وتآمرهم عليه.

وكان جماله الرائع سبب محنته، روى مسلم في صحيحة أنه صلى اللّه عليه وسلّم قال: " **أُعْطِيَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ شَطْرَ الْحُسْنِ** " (١).

وقال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السرة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس

---

١) رواه مسلم في صحيحه عن شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني عن أنس : فذكر حديث الإسراء مرفوعا، وفيه: فإذا أنا بيوسف صلى اللَّه عليه وسلم ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن .

من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه؛ وكان حسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية.

وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة؛ وكانت قد أعطيت سدس الحسن؛ فلما رآه مالك بن دعر قال: { يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلاَمٌ } هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة؛ إلا ابن أبي إسحق فإنه قرأ : { يَا بُشْرَيَّ هَذَا غُلاَمٌ }فقلب الألف ياء، لأن هذه الياء يكسر ما قبلها، فلما لم يجز كسر الألف كان قلبها عوضًا (١).

أخذه إخوته معهم إلى البرية بقصد السياحة واللعب، ثم ألقوه في البئر، وأخبروا أباهم كذبا أن الذئب أكله، فلم يقتنع الأب الصالح بكلامهم، واتهمهم بمكيدة أوقعوها فيه، ثم أنقذه اللّه بتعلقه بحبل دلو أدلي في البئر، ثم باعه آخذوه في مصر بثمن بخس، وادعوا أنهم اشتروه من سيده، باعوه لرئيس الشرطة وهو العزيز في محافظة الشرقية قرب بحيرة المنزلة، فأحبه وقال لامرأته: أَكْرِمِي مَثْواهُ، وجعله صاحب أمره ونهيه، ورئيس خدمه والمتصرف في بيته، وتولاه اللّه تعالى بالهداية والتربية والتوفيق.

أدخل العزيز نبي الله يوسف إلى بلاطه وهو طفل ولم يعامله معاملة العبيد بل أوصى زوجته زليخة بالإحسان إليه لما وجد فيه من الفطنة والذكاء والرأي الثاقب فقال لها: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

---

١) الحاوي في التفسير.

٢) سورة يوسف - الآية ٢١.

ترعرع يوسف في قصر العزيز مدة أحد عشر عاماً إلى أن صار شاباً حسن الوجه حلو الكلام، شجاعاً قوياً، وذا علم ومعرفة.

فأحبته امرأة العزيز، وكان لا يمضي يوم إلا ويزداد شغفها بيوسف إلى أن راودته عن نفسه ظانةً منه أنه سيطيعها في معصية الله ﷻ، فأبى إيمانا باللّه، وامتثالا لأمره، واجتنابا لمنهياته.

وتقديرا لأفضال زوجها عليه: { إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } وامتنع همّه بها لوجود البرهان عنده، وهو حرصه على الطاعة، والتمسك بآداب آبائه.

لأن يوسف نبي ومن المخلصين، قال تعالى: { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } فأبى أن يرتكب الخطيئة وهرب خارجاً لكنهما وجدا سيدها عند الباب.

ولما خابت في تحقيق رغبتها منه، حقدت عليه، كما هو شأن السادة عند ما يخالفهم أحد الأتباع.

ولما رأت زوجها لدى الباب يريد الدخول، لفقت عليه التهمة، وأفهمته أنه يريدها بسوء، فكذبها يوسف الصّديق، فاحتكم الزوج العاقل إلى القرائن: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن

الصَّادِقِينَ ﴾ (١) إن كان قميصه مزّق من الأمام فهي الكاذبة، وإن مزق من الخلف فهو الصادق، لأن المقدم على المرأة يظهر أثر مقاومتها ودفاعها من الناحية الإمامية، والهارب من المرأة يظهر أثر لحاقها به من الخلف، فظهرت براءته، والتصقت التهمة بها، وأمر يوسف بكتمان الخبر، وأمرها بالاستغفار لذنبها.

وعندما رأى أن قميص يوسف قد قُدَّ من دُبرٍ أيقن أن زوجته زليخة هي الخائنة وهي من راودت يوسف عن نفسه فقال كلمته الشهيرة ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

ومع هذا، شاع خبر امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة، ولامتها النساء، فأعدت لهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين، وآتت كل واحدة سكينا، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن، فبهرهن جماله، فقطعن أيديهن، وقلن: { ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } فعذرنها، ثم هددته بالسجن إن لم يستجب لها، وفشا أمره بين الناس، فرأى سيده أن يزجه في السجن، ليحمي سمعة امرأته.

ينقل المؤرخون والمفسرون أن يوسف عليه السلام تزوج من امرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وذلك بعد توبتها، وذكروا كذلك أنه أنجب منها ولدين اثنين.

قال ابن إسحاق رحمه الله: لما قال يوسف للملك: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(٣) قال الملك: قد فعلت ! فولاه فيما يذكرون عمل إطفير، وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي

---

١) سورة يوسف _ الآيات من ٢٥ : ٢٧.
٢) سورة يوسف _ الآية ٢٨.
٣) سورة يوسف _ الآية ٥٥.

الأَرْضِ يَتَبَـوَّأُ مِنْهَـا حَيْـثُ يَشَـاء نُصِـيبُ بِرَحْمَتِنَـا مَـن نَّشَـاء وَلاَ نُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

قال: فذكر لي – والله أعلم – أن إطفير هَلَك في تلك الليالي، وأن الملك الرَّيان بن الوليد، زوَّج يوسف امرأة إطفير " راعيل "، وأنها حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيرًا مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت: أيُّها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسنًا وجمالا، ناعمةً في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنتَ كما جعلكَ الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت.

فيزعمون أنه وجدَها عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف، وميشا بن يوسف، وولد لأفرائيم نون، والد يوشع بن نون، ورحمة امرأة أيوب عليه السلام. (٢).

- المرأة المخزومية:

بعد أن فتحت مكة المكرمة سرقت امرأة من بني مخزوم وكانت من النساء اللاتي أسلمن، وكانت شريفة من أشراف قبيلة بني مخزوم. وبنو مخزوم قبيلة كبيرة، كما

---

١) سورة يوسف _ الآية ٥٦.

٢) رواه ابن أبي حاتم في " التفسير " (٢١٦١/٧)، والطبري في " جامع البيان " (١٥١/١٦) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق به.. وورد نحوه عن زيد بن أسلم التابعي الجليل، وعن وهب بن منبه المعروف بالرواية عن الإسرائيليات (نقل ذلك السيوطي في " الدر المنثور " ٥٥٣/٤)، ولما كانت حكاية محمد بن إسحاق من القصص التاريخية القديمة، ولا يعرف لها إسناد متصل، ويغلب على الظن أنها مأخوذة عن علماء أهل الكتاب، لم يكن لنا أن نصدقها ولا أن نكذبها كذلك، وإنما نوردها على سبيل الحكاية السردية المجردة، مفوضين العلم بحقيقتها إلى الله عز وجل.

جاء في الحديث:عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ[١] شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ [٢] الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ

---

١) قوله: (أهمهم المرأة) أي أجلب إليهم هما، أو صيرهم ذوي هم بسبب ما وقع منها ، يقال: أهمني الأمر أي أقلقني، ومضى في المناقب من رواية قتيبة عن الليث بهذا السند: " أهمهم شأن المرأ " ، أي: أمرها المتعلق بالسرقة ، وقد وقع في رواية مسعود بن الأسود الآتي التنبيه عليها: " لما سرقت تلك المرأة أعظمنا ذلك فأتينا رسول الله – ﷺ – " ، ومسعود المذكور من بطن آخر من قريش، وهو من بني عدي بن كعب رهط عمر .

٢) قوله : (المخزومية) نسبة إلى مخزوم بن يقظة - بفتح التحتانية والقاف بعدها ظاء معجمة مشالة – ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ومخزوم أخو كلاب بن مرة الذي نسب إليه بنو عبد مناف .

ووقع في رواية إسماعيل بن أمية عن محمد بن مسلم ، وهو الذي عند النسائي " : سرقت امرأة من قريش من بني مخزوم "، واسم المرأة على الصحيح فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم، قتل أبوها كافرا يوم بدر ، قتله حمزة بن عبد المطلب، ووهم من زعم أن له صحبة .

وقيل هي أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد، وهي بنت عم المذكورة، أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج قال: " أخبرني بشر بن تيم أنها أم عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وهذا معضل، ووقع مع ذلك في سياقه أنه قاله " عن ظن وحسبان " وهو غلط ممن قاله؛ لأن قصتها مغايرة للقصة المذكورة في هذا الحديث .

قال ابن عبد البر في " الاستيعاب : " فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد هي التي قطع رسول الله ﷺ يدها؛ لأنها سرقت حليا، فكلمت قريش أسامة فشفع فيها وهو غلام، الحديث.

قلت: وقد ساق ذلك ابن سعد في ترجمتها في الطبقات من طريق الأجلح بن عبد الله الكندي عن حبيب بن أبي ثابت رفعه: " أن فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد سرقت حليا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فاستشفعوا " الحديث .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ، قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا[١] .

وعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ يَدُهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢] .

والطريق الأولى أقوى، ويمكن أن يقال: لا منافاة بين قوله بنت الأسود " وبنت أبي الأسود لاحتمال أن تكون كنية الأسود أبا الأسود، وأما قصة أم عمرو فذكرها ابن سعد أيضا وابن الكلبي في المثالب، وتبعه الهيثم بن عدي، فذكروا أنها خرجت ليلا فوقعت بركب نزول، فأخذت عيبة لهم، فأخذها القوم فأوثقوها، فلما أصبحوا أتوا بها النبي – صلى الله عليه وسلم – فعاذت بحقوي أم سلمة، فأمر بها النبي - صلى الله عليه وسلم – فقطعت، وأنشدوا في ذلك شعرا قاله خنيس بن يعلى بن أمية، وفي رواية ابن سعد أن ذلك كان في حجة الوداع، وقد تقدم في الشهادات وفي غزوة الفتح أنقصة فاطمة بنت الأسود كانت عام الفتح، فظهر تغاير القصتين وأن بينهما أكثر من سنتين، ويظهر في ذلك خطأ من اقتصر على أنها أم عمرو كابن الجوزي، ومن رددها بين فاطمة وأم عمرو كابن طاهر وابن بشكوال ومن تبعهما، فلله الحمد.

١) صحيح البخاري « كِتَاب الْحَجِّ « أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ رقم الحديث: ٣٢٤١.

٢) صحيح البخاري « كِتَاب الْحَجِّ « أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ رقم الحديث: ٢٤٦٨

- **المرأة وعبيد بن عمير :**

ذكر الإمام العجلي في تاريخه: أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوما إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به، قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير(١ ، قالت: فائذن لي فيه، فلأفتننه، قال: قد أذنت لك، قال: فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استتري، فقالت: إني قد فتنت بك، قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك، قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أردت الممر على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك، قالت: اللهم لا، قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: اتق الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة! (٢).

---

١) صحيح البخاري « كِتَاب الْحَجِّ « أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ رقم الحديث: ٢٤٦٨

٢) رياض الصالحين – كتاب المنثورات والملح – صـ٦٢٨. .

- المرأة الغامدية :

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي ، فَرَدَّهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا ؟ ، فَقَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا، فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ ، قَالَ : فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي وَإِنَّهُ رَدَّهَا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى ، قَالَ: إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ، فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ (١) لَغُفِرَ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ[١].

---

١) المَكْس لغة: النّقص والظُّلم، والمكس الضَّريبة الَّتي يأخذها الماكِسُ؛ وأصله الجباية، مَكَسَه يَمْكِسه مَكْسًا ومكَسْتُه أَمْكِسه مَكْسًا، إذا جبى، والمَكْسُ دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلَع في الأَسواق في الجاهلية؛ والماكِسُ العَشَّار، ويقال للعَشَّار صاحب مَكْسٍ، والمكس: ما يأْخذه العشَّار، يقال: مَكَسَ فهو ماكِسٌ إذا أَخذ العشور، ثمَّ سُمِّي المأخوذ مكسًا تسمية بالمصدر، وجُمع على مُكُوس، مثل فَلْس وفُلُوس.

وأمَّا اصطلاحًا: فلا يختلف معناه عن المعنى اللُّغوي، فيطلق على الضَّريبة والجباية والرُّسوم والعشور والخراج والمغارم ونحو ذلك، وقد غلب استعماله فيما يأخذه أعوان السُّلطان ظلمًا عند البيع أو الشِّراء، قال الشاعر:

أفي كلِّ أسواق العراق إتاوة *** وفي كلِّ ما باع امرؤٌ مكسَ دِرهَمِ.

والمكس محرَّم بالكتاب والسُّنَّة والأثر والإجماع.

أوَّلاً . الأدلَّة من الكتاب:

قوله تعالى»إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ«[االنحل: ٩٠].

وقوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»[البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩]،

قال: والمكَّاس من أكبر أعوان الظَّلمة، بل هو من الظَّلمة أنفسهم، فإنَّه يأخذ ما لا يستحقُّ، ويعطيه لمن لا يستحقُّ".

وقال ابن حجر الهيثمي في «الزَّواجر»(٣٤٨/١) بعدما ذكر الآية: "والمكَّاس بسائر أنواعه: من جابي المكس وكاتبه وشاهده ووازنه وكائله وغيرهم من أكبر أعوان الظَّلمة، بل هم من الظَّلمة أنفسهم، فإنَّهم يأخذون ما لا يستحقُّون، ويدفعونه لمن لا يستحقُّه، ولهذا لا يدخل صاحب مكس الجنَّةَ؛ لأنَّ لحمه ينبت من حرام".

ثانيًا: الأدلَّة من السُّنَّة.

أمَّا الأدلَّة من السُّنَّة على تحريم المكس فهي نوعان: أدلَّة عامة، وأدلَّة خاصَّة.

فالأدلَّة العامَّة :ما رواه أبو بكرة رضي الله عنه قال: «خطبنا النَّبيُّ صلى الله عليه و سلم يوم النَّحر قال: أَتَدْرُونَ أَيّ يَوْمٍ هَذَا؟! قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظنَنَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟! قلنا: بلى، قال: أيُّ شَهْرٍ هَذَا؟! قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظنَنَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه، فقال: أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ؟! قلنا: بلى، قال: أيُّ بَلَدٍ هَذَا؟! قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظنَنَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: أَلَيْسَتْ بِالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟! قلنا: بلى، قال: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ! قَالُوا: نعم، قال: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».وما رواه أبو هريرة رضي الله عته قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

وما رواه أبو حميد الساعدي أنَّ رسول الله خ قال: «لاَ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ خ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ»، فحرَّم رسول الله صلى الله عليه و سلم مال المسلم إلاَّ ما أعطاه برضاه، ولا شكَّ أنَّ المكَّاس يأخذ مال المسلم من غير طيب نفسه.

أمَّا الأدلَّة الخاصَّة: ما رواه عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله خ قال: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ».

وما رواه أبو الخير قال: «عرض مسلمة ابن مُخلَّد . وكان أميرًا على مصر . على رُوَيْفِع ابن ثابت أنْ يوليَه العشور، فقال: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: « إِنَّ صَاحِبَ الْمَكْسِ فِي النَّارِ».

وما رواه بريدة . قصة الغامدية . مرفوعًا: «مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ».

وما رواه عثمان بن أبي العاص الثَّقفي عن النَّبيِّ صلى الله عليه و سلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ

وفي روايـة: فَأَقْبَـلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنْضَـحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ : مَهْ يَا خَالِدُ لَا تَسُبَّهَا ، فَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا سَبْعُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتُقْبَلُ مِنْهُمْ. (٢).

مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرِّجَ عَنْهُ؟ فَلاَ يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لأ لَهُ إِلاَّ زَانِيَةٌ تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٌ»؛ وفي لفظ: «إِنَّ اللهَ يَدْنُو مِنْ خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ اسْتَغْفِرُ إِلاَّ لِبَغِيٍّ بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٍ».

وما رواه ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ خ قال في كتابه الَّذي بعثه إلى هرقل عظيم الروم: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ»،

قال الحافظ ابن حجر : في «فتح الباري» (٣٩/١) في بيان معنى «الأريسيين»، بعدما ذكر المعنى الأوَّل، وهو: الفلاَّحون، قال: وقد ورد تفسير الأريسيين بمعنى آخر، فقال اللَّيث ابن سعد عن يونس فيما رواه الطَّبراني في «الكبير» من طريقه: الأريسيُّون: العشَّارون؛ يعني أهل المكس، والأوَّل أظهر، وهذا . إن صحَّ . أنّه المراد، فالمعنى المبالغة في الإثم، ففي «الصَّحيح» في المرأة الَّتي اعترفت بالزِّنى: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَقُبِلَتْ».

١) صحيح مسلم « كِتَاب الْحُدُودِ « بَاب مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ الزِّنَا _ رقم الحديث: ٣٢١٤، سنن الدارمي » كتاب الحدود » بَاب الْحَامِلِ إِذَا اعْتَرَفَتْ بِالزِّنَا _ رقم الحديث:(٢٣٢٤).

٢) مسند ابن أبي عوانة _ كِتَابُ الْحُدُودِ _ بَابُ بَيَانِ الإِبَاحَةِ لِلْإِمَامِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى الزَّانِيَةِ المَرْجُومَةِ ، وَالنَّهْيِ(٥٠٨٦).

وفي رواية: فَقَالَ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا وَقَدْ رَجَمْتَهَا ؟ ، قَالَ : **لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ كَانَ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِلَوَسِعَتْهُمْ ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى ؟**(١).

وفي رواية: ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَت ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: **لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قُبِلَتْ مِنْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا ؟**(٢).

- آسِيَة بِنْت الفرج الجُرْهُمِيّة:

وروى يَعْلَى بن الأشدق، عن عَبْد الله بن جراد العقيلي قال: جاءت آسِيَة بِنْت الفرج امْرَأَة من جرهم كان مسكنها بالحجون حجون مَكَّة إلى النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم فقالت: يا رسول الله، إنّي أخطأت على نفسي وزنيت فطهرني، قال: "فهل ولدت؟" قال: لا. قال: " فكم بقي عليكِ من ولادتكِ؟ " فأخبرته بنحو شهر، قال: " لستُ بمطهركِ حتى تلدي". أخرجه ابن منده وأبو نُعَيْم.(٣).

- آمِنَة بِنْت خلف الأسلمية:

عن الحسن: أن آمِنَة بِنْت خلف الأسلمية جاءت إلى النَّبِيّ ﷺ لما أصابت الفاحشة فقالت: يا رسول الله، إني امْرَأَة محصنة وزوجي غاز، وإني أصبت

---

١) المرجع السابق(٥٠٨٢).

٢) المرجع السابق(٥٠٨٦).

٣) أسد الغابة» كتاب النساء» باب الهمزة» [٦٦٩٠] : آسية بنت الفرج الجرهمية.

الفاحشة، فطهرني.. وذكر قصة طويلة، ودعا لها كثيراً حين رُجمت في نحو ورقتين.(١).

نفوس كريمة عفيفة ، أخطأت .. أرغمها الخوف من الله ﷻ أن تعترف بزناها لتتطهر في الدينا من الذنب وتلقى الله طاهرة نقية، ما الذي جاء بها إنه الإيمان بالله ﷻ والخوف منه ، وما تزعزع إيمانها في هذه المدة التي أرجئها فيها النبي حتي تضع وليدها ، وحتي تُرضعه حتي ينفطم، بل ازدات إصرارا علي الرجم حتي تتطهر [٢].

- توبة القصاب والجارية :

عن بكر بن عبد الله المزني أن قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لأنا أشد حبا لك منك لي ولكني أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله قال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل قال فأنا أدعو وأمن أنت قال فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه ومالت السحابة فمالت عليه فرجع الرسول فقال زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك فأخبره فقال الرسول التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه[٣].

---

١) المرجع السابق.
٢) الطبقات الكبري لابن سعد.
٣) كتاب التوابين لابن قدامة.

- **امرأة تطوف بالبيت الحرام:**

قال وهيب بن الورد بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات يا رب سبحانك وعزتك إنك أرحم الراحمين يا رب ما لك عقوبة إلا النار فقالت صاحبة لها كانت معها، أخية دخلت بيت ربك اليوم فقالت والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا[١].

- **توبة العابد والمرأة البغي :**

عن الحسن قال كانت امرأة بغي لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وإنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها فقال إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت له ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس الخاتن ذكر مقامه بين يدي الله فأخذته رعدة فقال لها اتركيني أخرج ولك المائة دينار قالت ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت علي فعلت الذي فعلت فقال فرقا من الله ومن مقامي بين يديه وقد بغضت إلي فأنت أبغض الناس إلي فقالت إن كنت صادقا فما لي زوج غيرك فقال دعيني أخرج فقالت لا إلا أن تجعل لي أن تزوج بي قال لا حتى أخرج قالت فلي عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجني قال لعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها حتى

---

١) المرجع السابق.

قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه فقيل له إن الملكة قد جائتك فلما رآها شهق شهقة فمات وسقط في يدها وقالت أما هذا فقد فاتني فهل له من قريب قالوا أخوه رجل فقير قالت فإني أتزوجه حبا لأخيه فتزوجته [١].

- توبة ملك من ملوك البصرة وجاريته :

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان يوما ماشيا في أزقة البصرة فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيبيعك مولاك قالت كيف قلت يا شيخ قال أيبيعك مولاك قالت ولو باعني كان مثلك يشتريني قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت أن يحمل إلى دارها فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل إليه فدخل فألقيت له الهيبة في قلب السيد فقال ما حاجتك قال بعني جاريتك قال أو تطيق أداء ثمنها قال فثمنها عندي نواتان مسوستان وفي فضحكوا وقالوا كيف كان ثمنها عندك هذا قال لكثرة عيوبها قالوا وما عيوبها قال إن لم تتعطر زفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت وإن تعمر عن قليل هرمت ذات حيض وبول وأقذار جمة ولعلها لا تودك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لشغفها كل بك لا تفي بعهدك ولا تصدق في ودك ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور لو مزج بريقها أجاج لطاب ولو دعي بكلامها ميت لأجاب ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه ولو بدا في الليل لسطع فلا نوره ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت نشأت بين رياض المسك والزعفران وقصرت في أكنان النعيم وغذيت بماء التسنيم فلا تخلف عهدها ولا يثبدل منه ودها

---

١) المرجع السابق.

فأيهما أحق برفعة الثمن قال التي وصفت قال فإنها الموجودة الثمن القريبة المخطب قال فما ثمنها رحمك الله قال اليسير المبذول أن تفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما : لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك غير فتؤثر الله على شهوتك وأن ترفع عن الطريق حجرا أو قذرا وأن تقطع أيامك بالبلغة وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش في الدنيا بعز القنوع وتأتي غدا إلى موقف الكرامة آمنا وتنزل غدا في الجنة مخلدا فقال الرجل يا جارية أسمعت ما قال شيخنا هذا قالت نعم قال أفصدق أحمد أم كذب قالت بل صدق وبر ونصح قال فأنت إذا حرة لوجه الله وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدام أحرار وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به، قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشنا وخرجت معه فودعهما بعد مالك ودعا لهما وأخذ طريقا وأخذا غيره فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما[١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) المرجع السابق.

خائفات

- أم المؤمنين: السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق:

عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّهَا أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ أَهُوَ قَالَ هَذَا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ قَالَتْ عَائِشَةُ ادْخُلُوا قَالُوا كُلُّنَا قَالَتْ نَعَمِ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولَانِ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنْ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ

الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا . رواه البخاري [١] .

وأخرج ابن سعد، عن عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : " وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً ، وَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَدَرَةً ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْنِي شَيْئًا " [٢].

وعن ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ [٣]قَالَتْ أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ[٤] فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

١) صحيح البخاري» كتاب الأدب» باب الهجرة _ بَاب الْهِجْرَةِ وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ (٥٧٢٥).

٢) طبقات ابن سعد ٨ /٧٤ ، الزهد للامام أحمد ٢ /١٤٦ ، الزهد لوكيع ١ /٣٩٥ رقم (١٦١).

٣) قَوْلُهُ : (وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ) أَيْ مِنْ شِدَّةِ كَرْبِ الْمَوْتِ ..

٤) قَوْلُهُ : (قَالَتْ : أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ ، فَقِيلَ : ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَأَنَّ الْقَائِلَ فَهِمَ عَنْهَا أَنَّهَا تَمْنَعُهُ مِنَ الدُّخُولِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَتْهُ فَذَكَّرَهَا بِمَنْزِلَتِهِ ، وَالَّذِي رَاجَعَ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ هُوَ ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالَّذِي اسْتَأْذَنَ لِابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى عَائِشَةَ حِينَئِذٍ هُوَ ذَكْوَانُ مَوْلَاهَا ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَحْمَدُ وَابْنُ سَعْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ هُوَ ابْنُ خُثَيْمٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ لِابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَمُوتُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ " فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ يَا أُمَّتَاهُ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِ بَيْتِكِ يُسَلِّمُ عَلَيْكِ وَيُوَدِّعُكِ ، قَالَتِ : ائْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ " وَادَّعَى بَعْضُ الشُّرَّاحِ أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ مُرْسَلَةٌ ، قَالَ : لِأَنَّ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ لَمْ يَشْهَدْ ذَلِكَ وَلَا سَمِعَهُ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَالَ قَوْلِهِ لِعَائِشَةَ لِعَدَمِ حُضُورِهِ انْتَهَى . وَمَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ لَهُ الْجَزْمُ بِعَدَمِ حُضُورِهِ وَسَمَاعِهِ ، وَمَا الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَلَعَلَّهُ حَضَرَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَطَالَ عَهْدُهُ بِهِ فَذَكَّرَهُ بِهِ ذَكْوَانُ ، أَوْ أَنَّ ذَكْوَانَ ضَبَطَ مِنْهُ مَا لَمْ يَضْبِطْهُ هُوَ ، وَلِهَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ذَكْوَانَ مَا لَمْ يَقَعْ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ . (فتح الباري).

وَسَلَّمَ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ ائْذَنُوا لَهُ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدِينَكِ قَالَتْ بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ[١] قَالَ فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ[٢] وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنْ السَّمَاءِ[٣] وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ [٤]فَقَالَتْ دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا [٥] [٦].

---

١) قَوْلُهُ : (بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ) أَيْ إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ أَبْقَيْتُ . (فتح الباري).

٢) قَوْلُهُ : (فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ) فِي رِوَايَةِ ذَكْوَانَ " كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا " . (فتح الباري).

٣) قَوْلُهُ: (وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ) يُشِيرُ إِلَى قِصَّةِ الْإِفْكِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ذَكْوَانَ " وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ . جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَسْجِدًا إِلَّا وَهُوَ يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ " وَزَادَ فِي آخِرِهِ " وَسَقَطَتْ قِلَادَتُكِ لَيْلَةَ الْأَبْوَاءِ فَنَزَلَ التَّيَمُّمُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكِ لَمُبَارَكَةٌ " وَلِأَحْمَدَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى فِيهَا رَجُلٌ لَمْ يُسَمَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: " إِنَّمَا سُمِّيتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسْعَدِي، وَإِنَّهُ لَاسْمُكِ قَبْلَ أَنْ تُولَدِي" وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ (فتح الباري).

٤) قَوْلُهُ : (وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ) أَيْ عَلَى عَائِشَةَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَخَالَفَا فِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ ذَهَابًا وَإِيَابًا ، وَافَقَ رُجُوعُ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجِيءَ ابْنِ الزُّبَيْرِ . (فتح الباري).

٥) قَوْلُهُ : (وَدِدْتُ إِلَخْ) هُوَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْوَرَعِ فِي شِدَّةِ الْخَوْفِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ذَكْوَانَ أَنَّهَا قَالَتْ لِابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا الْكَلَامَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ وَلَفْظُهُ " فَقَالَتْ دَعْنِي مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا " . (فتح الباري).

٦) صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن» سورة النور » بَاب وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (٤٤٧٦).

وفي رواية الحاكم: عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: " جَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهَا ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ ، فَقَالَ لَهَا بَنُو أَخِيهَا : ائْذَنِي لَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِ وَلَدِكِ ، قَالَتْ : دَعُونِي مِنْ تَزْكِيَتِهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى أَذِنَتْ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا سُمِّيتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسْعَدِي ، وَإِنَّهُ لاسْمُكِ قَبْلَ أَنْ تُولَدِي ، إِنَّكِ كُنْتِ مِنْ أَحَبِّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ إِلا طَيِّبًا ، وَمَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقِي الأَحِبَّةَ إِلا أَنْ تُفَارِقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ ، وَلَقَدْ سَقَطَتْ قِلادَتُكِ لَيْلَةَ الأَبْوَاءِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ خِيَرَةً فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آيَةَ التَّيَمُّمِ ، وَنَزَلَتْ فِيكِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَلَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ إِلا يُتْلَى فِيهِ عُذْرُكِ ، آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، فَقَالَتْ : دَعْنِي مِنْ تَزْكِيَتِكَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا "، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .[1].

---

١) المستدرك على الصحيحين» كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ... » ذِكْرُ الصَّحَابِيَّاتِ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهاوقال صحيح ووافقه الذهبي _ رقم الحديث: ٦٨١٤ _ج ٩/٤ .

- أم المؤمنين: أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها) :

قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ ، عَنْ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، تَقُولُ : " دَعَتْنِي أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهَا ، فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ بَيْنَنَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَتَجَاوَزَ ، وَحَلَّلْتُكِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : سَرَّرْتِنِي سَرَّكِ اللَّهُ ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ " وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [١] .

- أم البنين : بنت عبد العزيز بن مروان :

عن مروان بن محمد قال دخلت عزة صاحبة كثير على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر فقالت لها يا عزة ما معنى قول كثير:

قضى كل ذي دين علمت غريمه وعزة ممطول معنى غريمهـــــتا

ما هذا الدين الذي يذكره؟ قالت: اعفيني، يقول: قالت، لا بد من إعلامك إياي، فقالت: عزة كنت وعدته قبلة فأتاني لينتجزها الذي فتحرجت عليه ولم أف له فقالت لها أم البنين: أنجزيها منه وعلي إثمها ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت، إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبل خمارها

---

١) حياة الصحابة . كتاب خروج الصحابة عن الشهوات . باب استرضاء المسلم ٤١٨/٢.

وتقول يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها وتعبدت عبادة ذكرت بها في عصرها من شدة اجتهادها فرفضت فراش المملكة تحيي ليلها وكانت كل جمعة تحمل على فرس في سبيل الله وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها ويتحدثن وقد فتقول أحب حديثكن علي فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكن وكانت تقول البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة وكانت تقول جعل لكل إنسان نهمة في شئ وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء والله للعطية والصلة والمواصلة في الله أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظمأ وهل ينال الخير إلا بالاصطناع وكانت على مذهب جميل حتى توفيت رحمها الله تعالى(١).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) كتاب التوابين لابن قدامة.

عابـــــدات

- مريم عليها السلام :

قال تعالى: ﴿ يَمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (١)

قال قتادة في قوله ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾: أطيعي لربك.

وعن أبى سعيد: كانت مريم تصلى حتى ترم قدماها.

وعن الأوزاعى: كانت مريم تقوم حتى يسيل القيح من قدميها.

وعن مجاهد قال: لما قيل لمريم ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾، قامت حتى ورمت قدميها.

وبسبب المجاهدة واليقين على الله ﷻ .. كان الله ﷻ يرزقها بغير حساب كما في قولها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢)(٣)

- أم سليمان نبي الله عليه وعليها السلام :

عن عثمان بن أبى العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كان لداود (عليه السلام) من الليل ساعة يوقظ فيها أهله يقول: قوموا فصلوا، فإن هذه الساعة يستجيب الله عز وجل فيها الدعاء إلا لساحر أو عشار (٤) ". رواه أحمد (٥) .

وكانت أم سليمان توصي ابنها وتقول: يا بني لا تدع الصلاة بالليل فإن النوم بالليل يجعل العبد فقيرا يوم القيامة .

---

١) سورة آل عمران – الآية ٤٣ .

٢) سورة آل عمران – الآية ٣٧ .

٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٩٥/٢ .

٤) آخذ العشور من أموال الناس .

٥) مشكاة المصابيح . كتاب الصلاة . باب التحريض علي قيام الليل ٣٨٩٨ .

- أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) :

عن عروة: أن عائشة كانت تسرد الصوم، يقول: كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر.

وعن القاسم رحمه الله قال: كنت إذا غدوت – يعني: إذا صلى الغداة أو الصبح– أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [١]، تدعو وتبكي وترددها، فظللت منتظراً حتى مللت القيام.

ثم ذهبت إلى السوق لحاجتي فرجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي وتقول: { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ } .

- أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها) :

كانت (رضي الله عنها) تحب قيام الليل، لتخلوا بربها ﷻ، فتقوم حتى تتعب فتجعل لها حبل بين الأعمدة لتعتمد عليه، فعن أنس رضي الله عنه. قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا بحبل ممدود بيني الساريتين[٢] ، فقال: " **ما هذا الحبل ؟ قالوا** : هذا حبل لزينب، فإذا فترت(٣) تعلقت به . فقال النبي ﷺ: " حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد " متفق عليه . (٤).

---

١) سورة الطور – الآية ٢٧ .

٢) أي من سواري المسجد . وفي رواية مسلم :" بين ساريتين " والسارية العمود .

٣) أي كسلت عن القيام فى الصلاة .

٤) رياض الصالحين . باب الاقتصاد في الطاعة ص ١٠٤.

وفى الإصابة: قالت عنها عائشة عند موتها: لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل.

ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدى أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت: وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجبة وكانت يستكثر منها، وكانت صالحة صوامة قوامة صناعاً تصدق بذلك كله على المساكين.

- **أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) :**

عَنْ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ فَجَاءَ خَالاهَا قُدَامَةُ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَظْعُونٍ، فَبَكَتْ، وَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شِبَعٍ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَجَلْبَبَتْ ، فَقَالَ: " إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ"رواه الطبراني برجال الصحيح ، والحاكم في المستدرك.

انظروا إلى هذه المرأة الصالحة : الله عز وجل أنزل جبريل من أجلها يأمر النبي ﷺ بمراجعتها . لأن الله يحبها .. لما بينها وبينه سبب واصل وهو مداومتها على الصوم والصلاة .. ولهذا ذكر ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية : أن رجلا سأل امرأة عابدة أن تدعو له . فقالت : فهل بينك وبينه سبب واصل ، فإذا دعوته لك استجاب لى .

- **معاذة بنت عبد الله : أم الصهباء العدوية البصرية (رحمها الله) :**

كانت إذا جاء النهار، قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت هذه ليلتي التي أموت فيها ، فما تنام حتى تصبح .. وإذا كان البرد كانت تلبس الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

وكانت تصلى في كل يوم وليله ستمائة ركعة، وتقرأ جزئها من الليل تقوم به.

وكانت تقول عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقود في ظلم القبور.

وكان زوجها صلة بن أشيم في مغزى معه ابن له، فقال: أي بني! تقدم فقاتل حتى احتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل .. ثم تقدم فقتل ، فاجتمعت النساء عندها فقالت: إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحبا بكن وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.. ولم تتوسد معاذة فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت .

ولما جاءها الموت بكت ثم ضحكت فقيل لها مم بكيت ثم ضحكت؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم ، فإني ذكرت مفارقه الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكى فإني نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نضر ما رأيت لهم في الدنيا شبها فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضا فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة (١) .

- حفصه بنت سيرين (رحمها الله) :

نشأت في بيت تقوى وصلاح فأخيها محمد بن سيرين صاحب كتاب تفسير الأحلام، قرأت القران وهى ابنة اثنتي عشرة سنه وماتت وهى ابنه تسعين سنه .. مكثت في مصلاها ثلاثين سنه لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة (٢).

قال هشام بن حسان: اشترت حفصة جارية، فقيل لها: كيف رأيت مولاتك بالليل؟ فذكرت كلاماً بالفارسية معناه: إنها امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً، فهي الليل كله تبكي وتصلي.

---

١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ٧٦/٣ – صفه الصفوة لابن الجوزى ١٣/٤.

٢) صفه الصفوة لابن الجوزى١٤/٤ .

- **فاطمة بنت محمد بن المنكدر (رحمها الله) :**

كانت نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادى بصوت حزين: هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوت بك .

- **امرأة رياح بن عمرو القيسى (رحمها الله) :**

كان زوجها رجل صالح وأراد أن يختبر عزيمتها على قيام الليل ، فتناوم ، فقامت هى تصلى وأيقظته، فادعى التثاقل وأنه سيقوم ، فكررت إيقاظه بعد ما مضى ربع الليل ، وهكذا إلى أن مضى الليل ولم يقم فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ! ليت شعرى من غرنى بك يا رياح (١).

- **الحَوْلاءُ بِنْت تُوَيْتٍ:**

الحولاء بِنْت تويت بن حبيب بن أسد بن عَبْد العزَّى بن قصَيّ القُرَشِيَّة الأَسَدِيَّة. هاجرت إلى المدينة، وكانت كثيرة العبادة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : " كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ ، قُلْتُ : فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا ، فَقَالَ : مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا " (٢) وفي رواية غير الصحيح ذُكر أن

---

١) المرجع السابق ٤/٤٤ .

٢) أخرجه البخاري في الإيمان: باب أحبُّ الدين إلى الله أَدْوَمُهُ (٤٣)، ومسلم في صلاة المسافرين: باب أمر من نعس في صلاته (١٨٧٠)، وأبو داود في التطوع (١٣٦٨)، والنسائي في القبلة (٧٦٢)، وابن ماجة (٤٢٣٨)، ومالك في الموطأ (٢٥٨)، وأحمد

المرأة هي الحَوْلاءُ بِنْت تُوَيْتٍ ، **فعَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ الْحَوْلاءَ مَرَّتْ بِهَا ، وَعِنْدَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : هَذِهِ قَدْ زَعَمُوا أَنَّهَا لا تَنَامُ اللَّيْلَ ، قَالَ : " خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَاللَّهُ لا يَسْأَمُ حَتَّى تَسْأَمُوا ".**(١).

- **عابدة:**

عَنْ يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : " مَا رَأَيْتُ أَرْعَى لِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ وَلا أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ جَارِيَةً ذَاتَ لَيْلَةٍ تَعَلَّقَتْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، جَعَلَتْ تَدْعُو وَتَبْكِي وَتَتَضَرَّعُ حَتَّى مَاتَتْ "(٢) .

- **عابدة أخرى:**

عن عون بن أبي عمارة البصري قال: قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب علي وأنا شاب فقالت لي: يا بني استعن بعز القناعة عن ذل المطالب، فكثيراً، والله ما رأيت القليل عاد سليماً. قال أبو محرز: ما زلت بعد أعرف بركة كلامها في قنوعي(٣).

(٢٤٨٥٣)، والحميدي في مسنده (١٩١)، والبيهقي (٤٩٢٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها..

١) فتح المنعم | تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي |معالم السنن للخطابي بتحقيق الطباخ |فتح الباري لابن رجب الحنبلي |فتح الباري لابن حجر |شرح الزرقاني .

٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ، حلية الأولياء لأبي نعيم» إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ _ رقم الحديث: ٥٧٧٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي.

٣) صفة الصفوة لابن الجوزي.

- **عابدة أخرى:**

عن عبد الواحد قال: أتينا امرأة متعبدة في ناحية البصرة لنسلم عليها فقيل لنا لا تصلون إليها. قلنا: ولم ذاك؟ قالوا: قد غلقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي. قلنا: ولم ذاك؟ قالوا: قتلت نملة. (١).

- **عابدة أخرى:**

عن سعيد بن عطارد قال: ذكرت لي امرأة بالبصرة متعبدة فأتيتها فوجدتها تصلي فانصرفت. فقالت: ما اسمك؟ فقلت: سعيد. قالت: يا سعيد، كل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشوم. ثم أقبلت على صلاتها وتركتني(٢).

- **عابدة أخرى:**

عن علي بن الحسن قال: كانت امرأة بالبصرة تقول لقلبها. فقدتك من قلب، ما أنساك! أصبحت لعظمة الله ناسياً إلهي كيف لي بالقرب منك غداً وقاسي القلب منك بعيد؟(٣).

- **عابدة أخرى:**

عن صالح بن عبد الكريم قال: رأيت امرأة سوداء بالبصرة، والناس مجتمعون عليها، ثم قامت فدخلت داراً فدخلوا معها وأحدقوا بها، فدنوت منها فقلت: يا هذه أما تخافين(٤).

---

١) المرجع السابق.
٢) المرجع السابق.
٣) المرجع السابق.
٤) المرجع السابق.

فقيهـات

فقـه أمهات المؤمنين

قـال تعـالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـآءُ بَعْـضٍ يَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقـال تعـالى : ﴿ وَقَـرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلاَ تَبَـرّجْنَ تَبَـرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الأُولَـى وَأَقِمْنَ الصّلاَةَ وَآتِينَ الزّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيـرا * وَاذْكُـرْنَ مَا يُتْـلَى فِي بُيُوتِكُـنّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْـمَةِ إِنّ اللّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ (٢) .

فكان النبي ﷺ يجلس مع نساءه ويحدثهن، فيتعلمن منه أمور دينهم، وما أشكل عليهن شيئاً إلا سألن عنه، فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب العلم، عن ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَم: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَم قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ

---

١) سورة التوبة – الآية ٧١.

٢) سورة الأحزاب – الآيتان ٣٣، ٣٤.

تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [١]، قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ " متفق عليه [٢].

وعن القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ» [٣].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ:«لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» [٤].

---

١) سورة الانشقاق _ آية ٨.

٢) صحيح البخاري – باب من سمع شيئاً فراجع فيه حتى يعرفه انظر فتح الباري ٢٠٧/١.

٣) أخرجه: البخاري/صحيحه (٨/ ١٠٩)..

٤) أخرجه: مسلم/ صحيحه(٤/ ٢٠٦٥)..

وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا** " متفق عليه . (١).

فما كان يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يُعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكنى في بعض الأحيان .... ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام ، فتقوم أمهات المؤمنين بتوضيح مراد رسول الله ﷺ ، كما تروي لنا السيدة عائشة (رضي الله عنها) ذلك ، **أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ:" خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا " قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ ؟ قَالَ:" تَطَهَّرِي بِهَا " قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ :" سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي" فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ** (٢) .

فكانت نساء الأنصار حريصات على معرفة الأحكام في أخص أمورهن، فكانوا كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: نعم النساء، نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

---

١) رياض الصالحين – كتاب الآداب – باب الحياء وفضله والحث علي التخلق به ص ٢٩٤ .

٢) صحيح البخاري _ كتاب الحيض _ باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل _ رقم ٣٠٨.

وتروى لنا أم سلمة رضي الله عنها قالت : قالت أم سليم : يا رسول الله ! إن الله لا يستحيى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال: " نعم ، إذا رأت الماء " فغطت أم سلمة وجهها ، وقالت: يا رسول الله ! أو تحتلم المرأة ؟ قال: " نعم " تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها ؟ "

وزاد مسلم براوية أم سليم " إن ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيها علا أو سبق يكون منه الشبه". (١)

وفى رواية: فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أو تحتلم المرأة ؟.

وعَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ الْقُرَظِيُّ، قَالَتْ: عَائِشَةُ وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ فَشَكَتْ إِلَيْهَا وَأَرَتْهَا خُضْرَةً بِجِلْدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَلْقَى الْمُؤْمِنَاتُ لَجِلْدُهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا، قَالَ: وَسَمِعَ أَنَّهَا قَدْ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ! مَا لِي إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا أَنَّ مَا مَعَهُ لَيْسَ بِأَغْنَى عَنِّي مِنْ هَذِهِ وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ ثَوْبِهَا، فَقَالَ: كَذَبَتْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَأَنْفُضُهَا نَفْضَ الْأَدِيمِ وَلَكِنَّهَا نَاشِزٌ تُرِيدُ رِفَاعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَإِنْ

١) المرجع السابق ١/١٣٥.

كَانَ ذَلِكِ لَمْ تَحِلِّي لَهُ أَوْ لَمْ تَصْلُحِي لَهُ حَتَّى يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكِ " ، قَالَ: وَأَبْصَرَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ، فَقَالَ:" بَنُوكَ هَؤُلَاءِ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:" هَذَا الَّذِي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ فَوَ اللَّهِ! لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْ الْغُرَابِ بِالْغُرَابِ".رواه البخاري [١].

وفي صحيح مسلم عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ لَا حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ" قَالَتْ وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَهُ وَخَالِدٌ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَنَادَى يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَسْمَعُ هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] .

فكانت النساء يطرحن مشاكلهن أمام أمهات المؤمنين وخاصة عائشة رضي الله عنها، فعن إياس بن عبد الله (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذَئِرْنَ النساء على أزواجهن "أي اجترأن ونشزن"، فرخص في ضربهن "يعني إذا دعت الضرورة ولكن ضرباً غير مبرح" فأطاف بآل رسول الله ﷺ، "يعني أحاط

---

١) صحيح البخاري _ كتاب اللباس _ باب ثياب الخضر _ رقم ٥٤٨٧ .

٢) صحيح مسلم _ كتاب النكاح _ باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها ١٤٣٣ .

النساء بيوت رسول الله ﷺ يشكون أزواجهن عند أمهات المؤمنين، فقال رسول الله (ﷺ): " لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم" رواه أبو داود (١) وابن ماجه (٢) وغيرهما.

وهذا يدل أيضاً على أثر أمهات المؤمنين في رفع المعاناة عن غيرهن.

فكن رضي الله عنهن موئلاً ومرجعاً لكثير من القضايا التي يهتم لها المسلمون وخاصة ما له صلة بأهليهم وما يتعلق بالحياة البيتية.

ومما اعتنين به وبتبليغه للأمة:

كثير من مسائل الطهارة عموماً، والمسائل النسائية خصوصاً.. ومن ذلك:

ما رواه مسلم في "صحيحه" عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ فَقَالَتْ: يَا عَجَبًا لِابْنِ عَمْرٍو هَذَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ، أَفَلَا يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَحْلِقْنَ رُءُوسَهُنَّ، لَقَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَلَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أُفْرِغَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثَ إِفْرَاغَاتٍ (٣)

وأكدت هذا الحكم أم المؤمنين أم سلمة . رضي الله عنها . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ

---

١) سنن أبو داود _ رقم ٢١٤٦.

٢) سنن ابن ماجة _ رقم ١٩٨٥.

٣) صحيح مسلم « كتاب الحيض « باب حكم ضفائر المغتسلةرقم ٣٣١.

أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الْجَنَابَةِ قَالَ:" لَا ، إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ".

وفي رواية: قَالَ:" أَفَأَحُلُّهُ فَأَغْسِلُهُ مِنْ الْجَنَابَةِ " وَلَمْ يَذْكُرْ الْحَيْضَ (١).

وعن معاذة بنت عبد الله أن امرأة قالت لعائشة: أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت(٢)؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله.

وفي رواية قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. متفق عليه(٣) .

وكانت نساء الصحابة يكثرن من استفتاء أمهات المؤمنين وخاصة في مسائل الطهارة، وكن يرسلن إلى عائشة ليتبين الطهر، كما نقل ذلك البخاري في "صحيحه" عن عائشة(٤).

وبين أمهات المؤمنين جوانب من هديه ﷺ في بيته وتعامله مع أهله، فعن أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي

---

١) صحيح مسلم _ كتاب الحيض _ باب حكم ضفائر المغتسلة . رقم ٣٣٠.

٢) وإنما نسبتها إلى حروراء لأنها مكان تجمع الخوارج ولهم آراء مبتدعة ضالة، ومنها أنهم يرون أن على الحائض قضاء الصلاة وذلك على أصلهم في رد السنة..

٣) صحيح البخاري _ رقم ٣٢١، صحيح مسلم _ رقم ٣٣٥ .

٤) في كتاب "الحيض"، باب إقبال المحيض وإدباره: وكن نساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف فيه الصفرة. فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء. تريد بذلك الطهر من الحيضة.

ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض " أي تأكل اللحم من العظم بأسنانها " ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ. **رواه مسلم** (١).

وهذا يوضح مدى تلطفه ﷺ بأهله، خاصة وأن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجالسوها في البيوت.

ولما بلغ اليهود هذا الهدي قالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

فهكذا كن في حرصهن على معرفة ما ينفعهن من أحكام، يجعلهن يبحن، بأخص أسرارهن.. وكانت المرأة منهن تأتى إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين.. من أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها.

وأوضحت عائشة . رضي الله عنها . ما يكون من رسول الله ﷺ حينما يكون في بيته، وبينت قيامه الليل وصلاته وتهجده، وبينت جوانب عظيمة من تعامله ﷺ.

ومن ذلك ما رواه البخاري(٢) عنها أنها سئلت: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إل الصلاة".

قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله . في شرحه: وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله(٣).

وترجم عليه المؤلف الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من "صحيحه" فقال: كيف يكون الرجل في أهله.

---

١) صحيح مسلم _ رقم ٣٠٠.
٢) في صحيحه (رقم ٦٧٦، ٥٣٦٣، ٦٠٣٩).
٣) فتح الباري (١٦٣/٢).

وروي عن عائشة أنها وصفت النبي ﷺ فقالت: "كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان بسَّاماً".

فكان لزوجاته الطاهرات أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأفعاله البيتية.. وعلى رأسهن السيدة عائشة (رضي الله عنها) فكانت من الذكاء والفهم بمكان.. فعن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحداً أعلم بالقران ولا بفريضه، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بفقه، ولا بطب، ولا بشعر، ولا بحديث العرب ، ولا بنسب من عائشة " [١]

وعن الزهري قال: لو جمع علم الناس كلهم، ثم علم أزواج رسول اللهﷺ، لكانت عائشة أوسعهم علماً " [٢].

وعن عطاء بن أبى رباح قال: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا في العامة . [٣]

وعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: تَقُولِينَ الشِّعْرَ وَأَنْتِ ابْنَةُ الصِّدِّيقِ وَلَا تُبَالِينَ، وَتَقُولِينَ الطِّبَّ فَمَا عِلْمُكَ فِيهِ؟ فَقَالَتْ: « إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَم كَانَ يَسْقَمُ فَتَفِدُ عَلَيْهِ وفُودُ الْعَرَبِ، فَيَصِفُونَ لَهُ فَأَحْفَظُ ذَلِكَ » [٤].

---

١) رواه الحاكم في المستدرك ١١/٤ والمعجم الكبير للطبراني ورجاله رجال الصحيح .
٢) الحاكم في المستدرك ١١/٤.
٣) المرجع السابق.
٤) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٢)

وقال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلو مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة (١).

وعنه في رواية: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

وعَنْ مَسْرُوقٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟ فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشْيَخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلَم الْأَكَابِرَ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ» (٣).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: "مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلَم حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا" (٤).

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ (٥).

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "رُبَّمَا رَوَتْ عَائِشَةُ الْقَصِيدَةَ سِتِّينَ بَيْتًا وَالْمِائَةَ بَيْتٍ" (٦).

---

١) ابن الأثير/أسد الغابة ط العلمية (٧/ ١٨٦). .
٢) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين(٤/ ١٢)..
٣) ابن سعد/ الطبقات الكبير (٨/ ٦٦).
٤) أخرجه: الترمذي/ سننه (٦/ ١٨٨) .
٥) أخرجه: الترمذي/سننه (٦/ ١٨٨).
٦) ابن سعد/الطبقات الكبير (٨/ ٧٢)..

وَقَالَ عطاء بْن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا فِي العامة (١).

وقَالَ الزُّهْرِيُّ: لَوْ جُمِعَ عِلْمُ عَائِشَةَ إِلَى عِلْمِ جَمِيعِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَم وَعِلْمِ جَمِيعِ النِّسَاءِ لَكَانَ عِلْمُ عَائِشَةَ أَفْضَلَ (٢).

وعنه قال: أَوَّلُ مَنْ كَشَفَ الْعَمَى عَنِ النَّاسِ وَبَيَّنَ لَهُمُ السُّنَّةَ فِي ذَلِكَ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَم (٣).

وعن عبد الرحمن ابن أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْوَى لِشِعْرٍ مِنْ عُرْوَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا أَرْوَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَمَا رِوَايَتِي مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ! مَا كَانَ يَنْزِلُ بِهَا شَيْءٌ إِلا أَنْشَدَتْ فِيهِ شِعْرًا (٤).

وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِسُنَنِ رسول الله صلى الله عليه وسلَم وَلا أَفْقَهَ فِي رَأْيٍ إِنِ احْتِيجَ إِلَى رَأْيِهِ وَلا أَعْلَمَ بِآيَةٍ فِيمَا نَزَلَتْ وَلا فَرِيضَةٍ مِنْ عَائِشَةَ (٥) كان يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ .. فعن أبى موسى ﷺ قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول

---

١) ابن عبد البر/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٣).
٢) المرجع السابق.
٣) البيهقي/ السنن الكبرى (٥/ ٣٨٣).
٤) ابن عبد البر/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٣).
٥) ابن سعد/الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).

الله ﷺ حديثا قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً " رواه الترمذي وصححه الألباني . [١].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ قَدِ اسْتَقَلَّتْ بِالْفَتْوَى فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى أَنْ مَاتَتْ يَرْحَمُهَا اللَّهُ. وَكُنْتُ مُلازِمًا لَهَا مَعَ بِرِّهَا بِي.

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قال: كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلَم يَحْفَظْنَ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَم كَثِيرًا وَلا مِثْلا لِعَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ تُفْتِي فِي عَهْدِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ، إِلَى أَنْ مَاتَتْ يَرْحَمُهَا اللَّهُ، وَكَانَ الأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم عُمَرُ وَعُثْمَانُ بَعْدَهُ يُرْسِلانِ إِلَيْهَا فَيَسْأَلانِهَا عَنِ السُّنَنِ[٢].

عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَوَيْتُ لِلَبِيْدٍ نَحْواً مِنْ أَلْفِ بَيْتٍ وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يَذْكُرُهَا فَيَتَعَجَّبُ مِنْ فِقْهِهَا وَعِلْمِهَا. ثُمَّ يَقُوْلُ مَا ظَنُّكُمْ بِأَدَبِ النُّبُوَةِ [٣].

وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِسُنَنِ رسول الله صلى الله عليه وسلَم وَلا أَفْقَهَ فِي رَأْيٍ إِنِ احْتِيجَ إِلَى رَأْيِهِ وَلا أَعْلَمَ بِآيَةٍ فِيمَا نَزَلَتْ وَلا فَرِيضَةٍ مِنْ عَائِشَةَ[١] .

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب المناقب – باب مناقب أزواج النبي ﷺ ٣/١٧٤٦ .
٢) ابن سعد/ الطبقات الكبير (٢/ ٢٨٦)..
٣) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٤).

وعن سُفْيَان بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا زِيَادُ، أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: «أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» ، قَالَ: أَعْزِمُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «أَمَّا إِذَا عَزَمْتَ عَلَيَّ فَعَائِشَةُ»(٢) .

وعن الأعمش قال: كان يُقال: إِنَّ عائشةَ كَانَتْ رَجُلَةَ الرَّأي(٣)(٤) .

وقال الذهبي: «وَلاَ أَعْلَمُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلَم بَلْ وَلاَ فِي النِّسَاءِ مُطْلَقًا امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا»(٥).

وقال ابن كثير: لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ مِثْلُ عَائِشَةَ فِي حِفْظِهَا وَعِلْمِهَا وَفَصَاحَتِهَا وعقلها(٦) .

وقال ابن حجر: أكثر الصحابة فتوى مطلقا سبعة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة رضوان اللَّه تعالى عليهم أجمعين(٧) .

وقد ألف الزركشي كتاباً كاملاً يحوي مسائلها، سماه، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، قال في مقدمته: فَهَذَا كِتَابٌ أَجْمَعُ فِيْهِ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ الصِّدِّيْقَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَوْ خَالَفَتْ فِيْهِ سِوَاهَا بِرَأْيٍ مِنْهَا أَوْ كَانَ

---

١) ابن سعد/الطبقات الكبير (٢/ ٢٨٦).
٢) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٥)..
٣) ابن الأثير/ النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٣).
٤) قال الطيبي: أي كان رأيها كرأي الرجال(شرح المشكاة (٩/ ٢٩٢٦).
٥) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).
٦) ابن كثير/ البداية والنهاية(٣/ ١٢٩)
٧) ابن حجر/الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٦٦)..

عِنْدَهَا فِيْهِ سُنَّةً بَيِّنَةً، أَوْ زِيَادَةُ عِلْمٍ مُتْقَنَةٌ، أَوْأَنْكَرَتْ فِيْهِ عَلَى عُلَمَاءِ زَمَانِهَا، أَوْ رَجَعَ فِيْهِ إِلَيْهَا أَجِلَّةٌ مِّنْ أَعْيَانِ أَوَانِهَا، أَوْحَرَّرَتْهُ مِنْ فَتْوَى، أَوِ اجْتَهَدَتْ فِيْهِ مِنْ رَأْيٍ رَأَتْهُ أَقْوَى[١].

علم عائشة بالتفسير:

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ عُرْوَةُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}[٢]، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}، قَالَتْ عَائِشَةُ: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا»[٣].

---

١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٣١).

٢) سورة البقرة، آية (١٥٨).

٣) أخرجه: البخاري/ صحيحه(٢/ ١٥٨).

وعَـنْ هِشَـامٍ، عَـنْ أَبِيـهِ، عَـنْ عَائِشَـةَ، {وَإِنْ خِفْـتُمْ أَلَّا تُقْسِـطُوا فِـي الْيَتَامَى}[١]قَالَتْ: «اليَتِيمَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَهُوَ وَلِيُّهَا، فَيَتَزَوَّجُهَا عَلَى مَالِهَا، وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا، وَلاَ يَعْدِلُ فِي مَالِهَا، فَلْيَتَزَوَّجْ مَا طَابَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا، مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ»[٢].

وعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فِي هَذِهِ الآيَةِ: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا}[٣] ، قَالَتْ: "الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ المَرْأَةُ، لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا، يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ"

وعَنْ أُمَيَّةَ، أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}[٤] وَعَنْ قَوْلِهِ: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}[٥] ، فَقَالَتْ: مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم فَقَالَ: «هَذِهِ مُعَاتَبَةُ اللَّهِ العَبْدَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الحُمَّى وَالنَّكْبَةِ حَتَّى البِضَاعَةُ يَضَعُهَا فِي كُمِّ قَمِيصِهِ فَيَفْقِدُهَا فَيَفْزَعُ لَهَا حَتَّى إِنَّ العَبْدَ لَيَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ التِّبْرُ الأَحْمَرُ مِنَ الكِيرِ»[٦].

---

١) سورة النساء_ آية ٣.
٢) أخرجه: البخاري/ صحيحه(٢/ ١٥٨).
٣) سورة النساء، الآية ١٢٨.
٤) سورة البقرة_ الآية ٢٨٤.
٥) سورة النساء _ الآية ١٢٣.
٦) أخرجه: الترمذي/ سننه (٥/ ٢٢١). ضعيف.

توثيق عائشة للمسائل العلمية:

فعَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قالت: إِنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ أَهْدَى هَدْيًا حَرُمَ عَلَيْهِ مَا يَحْرُمُ عَلَى الحَاجِّ حَتَّى يُنْحَرَ هَدْيُهُ، قَالَتْ عَمْرَةُ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، «أَنَا فَتَلْتُ قَلاَئِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم بِيَدَيَّ، ثُمَّ قَلَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم بِيَدَيْهِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا مَعَ أَبِي، فَلَمْ يَحْرُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم شَيْءٌ أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى نُحِرَ الهَدْيُ» (١).

وعن عبد الله بن عمرو بن أمية، عن أبيه أن عمر أتى عليه في السوق وهو يسوم بمرط فقال ما هذا يا عمرو؟ قال: مرط اشتريته فأتصدق به. فقال له عمر: فأنت أنت إذاً. ثم أتى عليه بعد، فقال يا عمرو ما صنع المرط؟ قال: تصدقت به؟ قال: عَلَى مَنْ؟ قال: على رُقَيْقَةَ امرأته قال: أليس زعمت أنك تصدق به؟ قال: بلى وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم يقول: ما أعطيتموهن من شيء فهو لكم صدقة "قال: فقال عمر: يا عمرو لا تكذب عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم فقال: والله لا أفارقك حتى تأتي أم المؤمنين عائشة، فاستأذنوا على عائشة، فقال عمرو: أَنْشُدُكَ الله: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَم يَقُولُ: ما

---

١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٢/ ١٦٩).

أعطيتموهن فهو لكم صدقة؟".فقالت اللهم نعم، اللهم نعم. فقال عمر: أين كنت، عن هذا؟ ألهاني الصفق بالأسواق[١].

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُصُّ، يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: «مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلَا يَصُمْ»، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ – لِأَبِيهِ – فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَم يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ» قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا ذَهَبْتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ: قَالَ: فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ، قَالَ: فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هُمَا أَعْلَمُ[٢].

وعن عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ مُسْتَنِدَيْنِ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسِّوَاكِ تَسْتَنُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَم فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيْ أُمَّتَاهُ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَم فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: «يَغْفِرُ

---

١) البزار/ مسنده (١٨/ ١٩٥).

٢) أخرجه: مسلم/ صحيحه(٢/ ٧٧٩).

اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلَّا وَإِنَّهُ لَمَعَهُ» قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ، فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ(١)

وكانت عائشة في بعض المسائل تحيل السائل على غيرها:

فعَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلَم، فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: «جَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ» (٢).

وعَنْ كُرَيْبٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَالمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ أَزْهَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا، وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّا أُخْبِرْنَا عَنْكِ أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَم نَهَى عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ عَنْهَا، فَقَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي، فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا، فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَم يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الجَارِيَةَ، فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ

---

١) أخرجه: مسلم/ صحيحه(٢/ ٩١٦).
٢) أخرجه: مسلم/ صحيحه (١/ ٢٣٢).

أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ»(١).

وروى لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان حديث وعشرة أحاديث (٢٢١٠) اتفق الشيخان منهما على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم " ثمانية وسبعين .

وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

- **أخي المسلم . . أختي المسلمة :**

تعالوا معي لننظر كم سنة صحبت عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ ، روى مسلم عنها: أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزفت إليه وهى بنت تسع سنين ولُعبها معها، ومات عنها وهى بنت ثمان عشر سنة.

نجدها صحبت رسول الله ﷺ تسع سنوات، فكان محصلتها هذا العلم الكثير، وقد ورد فيها حديث قال عنه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية أنه لا يثبت " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ".

- **وأنت أخت المسلمة:**

كم سنة صحبتي زوجك ؟ كم تعلمتّ منه ؟!!

فلا أدرى العيب فيك أم في زوجك ؟

---

١) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٢/ ٦٩).

صراحة لا نظلمك، فالعيب في الرجال، لأنهم في خارج البيت دعاة، وداخل البيت، أصحاب الطعام والشراب وقضاء الحاجات والشهوات(إلا من رحم ربي)، ونسوا قول الله تعالى : ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاّ يَعْصُونَ اللّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

- والمرأة ظل الرجل ولا يستقيم الظل والعود أعوج.
- والمشايخ كل يوم يقولون يا أحباب اتقوا الله في النساء، وأقيموا حلقة التعليم في البيت ولكن لا حياة لمن تنادى !! إلا من رحم ربى.
- نسأل الله عز وجل أن يجعل بيوتنا كبيت النبي ﷺ ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىَ فِي بُيُوتِكُنّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنّ اللّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ (٢).
- **قالت أم سلمة رضي الله عنها:** كان الناس علي عهد رسول الله ﷺ يضعون أبصارهم في الصلاة موضع سجودهم، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه قريبا من سجودهم، وفي عهد عمر طمحت أبصارهم إلي القبلة، وفي عهد عثمان رضي الله عنه التفتوا يمينا وشمالا فحدثت الفتنة .

وهذا يدل علي فقه أم سلمة رضي الله عنها وفهمها ، حيث ربطت حال الأمة بحالهم في صلاتهم .. ودليل علي قوة استنباطها للأحكام الفقهية الموافقة للنبي ﷺ، **فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم**

---

١) سورة التحريم – الآية ٦ .

٢) سورة الأحزاب – الآية ٣٤.

يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ ، حَتَّى رَأَى أَنْ قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ فَرَأَى رَجُلا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ ، فَقَالَ: " عِبَادَ اللَّهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ " متفق عليه [١].

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَغَيْرِهِ ، عَنِ النُّعْمَانِ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : " أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثَلاثًا وَاللَّهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ " ، قَالَ : فَرَأَيْت الرَّجُلَ يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَةِ صَاحِبِهِ وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ ".

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ: لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ . [٢].

وقد رزقت أم سلمة هذا الفهم بسبب تضحيتها لدين الله عز وجل .

- فقـــه أم كلثوم بنت عقبة :

عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَكَرِهَتْهُ، وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَتْ لِلزُّبَيْرِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، رَوِّحْنِي بِتَطْلِيقَةٍ.

---

١) المرجع السابق.

٢) رياض الصالحين _ باب فضل الصف الأول ص ٣٩٥.

قَالَتْ: وَذَلِكَ حِينَ وَجَدَتِ الطَّلْقَ. قَالَ: وَمَا يَنْفَعُكِ أَنْ أُطَلِّقَكِ تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُرَاجِعَكَ ؟ قَالَتْ: إِنِّي أَجِدُنِي أَسْتَرْوِحُ إِلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَتْ لِجَارِيَتِهَا: أَغْلِقِي الْأَبْوَابَ، قَالَ: فَوَضَعَتْ جَارِيَةً، فَقَالَ: فَأَتَى الزُّبَيْرُ فَبُشِّرَ بِهَا ، فَقَالَ: مَكَرَتْ بِي ابْنَةُ أَبِي مُعَيْطٍ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، " فَأَبَانَهَا مِنْهُ "(١) .

- فقه أم الشافعي (رحمها الله) :

شهدت أم الشافعى عند القاضي هي ورفيقتها، فأراد القاضي أن يفصل بينهما، فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك، لأن الله تعالي يقول: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾(٢).

- فقه رباب بنت سيد التابعين (سعيد بن المسيب) :

ومن حلقة التعليم في البيت تخرجت ابنة سيد التابعين سعيد بن المسيب (رحمه الله) التي خطبها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لابنه الوليد.. فرفض سعيد بن المسيب وخشي على ابنته من الترف في قصور بني أمية فتنسى ربها .... وفي يوم من الأيام غاب عن مجلسه تلميذه عبد الله بن وداعة ، لبضعة أيام ثم عاد مرة ثانيه ، فسأله ابن المسيب : عن غيابه ؟ فأخبره بوفاة زوجته وانشغاله بذلك، فقال ابن المسيب: فهلا أخبرتنا حتى نشهدها ونشاطرك العزاء ؟ ثم سأله: هل

---

١) المستدرك على الصحيحين _ كتاب الطلاق _ عدة الحامل المتوفى عنها زوجها_ رقم ٢٨٨٩.

٢) سورة البقرة – الآية ٢٨٢.

استحدثت امرأة؟ هل تزوجت بأخرى ؟ قال ابن وداعه: لا ومن الذي يزوجني لا أملك من الدنيا إلا ثلاثة دراهم، فقال ابن المسيب: أنا ثم وضع يده في يد عبد الله بن وداعة أمام الحاضرين إلى لمجلسه فى مسجد رسول الله ﷺ ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى علي نبيه ﷺ، ثم أشهد جماعة المسلمين أنه زوج كريمته لعبد الله بن وداعة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأخذ سعيد بن المسيب ابنته ثم ذهب إلى بيت عبدالله بن وداعة ثم طرق الباب فخرج عبد الله فقال له سعيد: إنك كنت رجلا عزباً فتزوجت، فكرهت أ ن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك ، ثم تركهم وانصرف، ولما أراد ابن وداعة أن يخرج، قالت له زوجته: إلى أين ؟ قال: لأحضر درس سعيد. فقالت له: اجلس هنا أعلمك علم سعيد.

- **ولهذه الزيجة من فوائد عظيمة جداً :**

١- درس وعبره لكل من ينتظر من يَطرق عليه الباب خاطباً لابنته، فمن ينتظر ؟ دكتور.. مهندس.. صاحب الشركة.. صاحب المصنع.. أم صاحب الدين ؟!!

٢- كم كان في هذا الزواج من بساطة ؟

٣- **ماذا تدل كلمة المرأة لزوجها** " اجلس حتى أعلمك علم سعيد " ؟

تدل: على حلقات التعليم التي كان يبثها سعيد في بيته لزوجه ولأولاده.

فلا تتعجب فأن أبيها سيد فقهاء التابعين.. وأمها بنت أبي هريرة رضي الله عنه.

- **نبذة عن بعض النساء الفقيهات :**

١) نظر رجل إلى امرأته وهى صاعدة على السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت وطالق إن نزلت . وطالق إن وقفت .. فرمت بنفسها على السلم وسط الدار،

فقال لها: فداك أبى وأمي ، إن مات الإمام مالك أحتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

٢) وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شئ من القراءة، قال: اذهبوا فاسألوا حفصة بنت سيرين لأخته كيف تقرأ (١).

٣) وكانت أم عيسي بنت إبراهيم الحربي فاضلة عالمة تفتي في الفقه (٢).

٤) قال أبو الحسن الدار قطني: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحاملي .. حفظت القرآن والفقه علي مذهب الشافعي، والفرائض وحسابها، والنحو وغير ذلك من العلوم .. مسارعة في الخيرات، وحدثت وكتب عنها الحديث (٣) .

٥) وهذه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي الحنفي صاحب كتاب " تحفة الفقهاء " حفظت التحفة فكانت فقيهة ، طلبها كثير من الرجال فلم يزوجها والدها، وعندما صنف أبو بكر الكاساني كتابه " بدائع الصنائع" وهو شرح التحفة عرضه على شيخه – أبوها – ففرح به كثيراً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا: شرح تحفته فزوجه ابنته، مهرها كتاب وأم سليم مهرها إسلام أبو طلحة.

٦) فكانت تحتل المكانة العالية الرفيعة في الفقه والفتوى، وتصدرت للتدريس وألفت عددًا من الكتب، وكان الملك العادل "نور الدين محمود"، يستشيرها في بعض أمور الدولة الداخلية، ويسألها في بعض المسائل الفقهية، أما زوجها الفقيه الكبير "الكاساني" صاحب كتاب "البدائع" فربما هام في الفتيا فترده إلى

---

١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ / ١٤ .

٢) المرجع السابق.

٣) المرجع السابق.

الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتي ويحترم زوجها فتواها، وكانت الفتوى تخرج وعليها توقيعها وتوقيع أبيها وزوجها، فلما مات أبوها كانت توقع على الفتوى هي وزوجها "الكاساني" لرسوخها في العلم وفقهها الواسع .

٧) أورد "السخاوي" في موسوعته الضخمة "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" أكثر من (١٠٧٠) ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن، معظمهن من المحدثات الفقيهات .

٨) الأميرة مفسرة القرآن، زيب النساء(زين النساء)، بنت الملك أورنك زيب عالمكير سلطان الهند، كانت حافظة للقرآن مفسرة له، كتبت تفسيراً لكتاب الله عز وجل، ويعد تفسيرها هذا من أوائل التفاسير التي انفردت بها النساء، تفردت بتفسير القرآن العظيم كاملاً.

٩) فاطمة الفهرية أم البنين، التي بنت جامع القرويين في فاس في القرن الثالث الهجري، الذي صار بعد فترة وجيزة من بنائه، جامعة إسلامية هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي، بل في العالم كله، كانت عالمة فاضلة محسنة، كما كانت أختُها مريم، التي بنت جامع الأندلس في فاس أيضا.

١٠) ومن أشهر المحدّثات في الأندلس، أم الحسن بنت سليمان، ذكر أنها روت عن محدث الأندلس بقي بن مخلد سماعاً منه وقراءة عليه، وقد حجت والتقت بعلماء الحجاز، وسمعت منهم الحديث والفقه، وعادت إلى الأندلس ثم حجت مرة ثانية، وتوفيت في مكة المكرمة.

١١) ومن المحدثات الفقيهات في الغرب الإسلامي أيضا، أسماء بنت أسد بن الفرات، التي تعلمت على يد أبيها صاحب الإمامين الكبيرين أبي حنيفة ومالك بن أنس، واشتهرت برواية الحديث والفقه على مذهب أبي حنيفة.

١٢)وخديجة بنت الإمام سحنون العالمة الجليلة التي قال عنها الإمام القاضي عياض في كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) : كانت خديجة عاقلة عالمة ذات صيانة ودين، وكان نساء زمانها يستفتينها في مسائل الدين ويقتدين بها في معضلات الأمور.

١٣)وقد ذكر ابن حزم في كتابه الشهير المترجم إلى معظم لغات العالم (طوق الحمامة في الألفة والإيلاف)، أن النساء في الأندلس كن يعملن في مهن متعددة، منها الطب والدلالة والتعليم والصنائع كالغزل والنسيج، وقد ذكر فيه أنه تعلم عليهن في صغره.

١٤)وفي العصر المرابطي بالغرب الإسلامي، كانت تميمة بنت السلطان المغربي يوسف بن تاشفين، من البارعات في العلم، كذلك كانت أم عمرو بن زهر أختُ الطبيب المشهور أبي بكر بن زهر ماهرة في الطب النظري والعملي.

١٥)وفي العصر المريني بالمغرب، اشتهرت نساء عالمات، منهن الفقيهة أم هاني بنت محمد العبدوسي، والأديبة العالمة صفية العزفية.

١٦)وفي العصر السعدي بالمغرب أيضا، اشتهرت نساء عالمات، منهن مسعودة الوزكتية التي اعتنت بإصلاح السبل، وبنت القناطر والجسور والمدارس.

١٧)فاطمة ست الملوك: سمع منها أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شامة، وأبو العلاء محمود بن أبي بكر الفرضي، وذكرها في معجمه، وسمع منها الأمام تاج الدين أبو الحسن علي بن سنجر بن السباك، وأبو الفضل عبد

الأحد بن سعد الله بن نجيح الحرَّاني، والشيخ سراج الدين عمر بن علي القزويني، وأجازت أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الكازروني، وحدَّث عنها بدمشق وقال:ست الملوك كانت مولعة بالعلم والتعلم، وطلب العلم، يدل على ذلك كثرة شيوخها ومن تعلمت على أيديهم، وكثرة من أجازها من العلماء والمحدثين. وترى كذلك أن ست الملوك كانت ذات سمعة طيبة بين الفقهاء والمحدثين، وكانت ثقة عدل بين العلماء؛ يدل على ذلك كثرة طلابها ومريديها من فحول العلماء، وكثرة من أجازتهم، وخاصة من العلماء كالسباك، والحراني، والقزويني.

١٨) فاطمة بنت المنذر: كان الرجال يحرصون على حضور دروسها، ويفتخرون بأنها شيختهم في الحديث .

١٩) فاطمة بنت عباس أبي الفتح: كانت وافرة العلم ،تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقة اتقانا بالغا، يقول ابن كثير فيها: كانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتفعل مالا يقدر عليه الرجال، وكان ابن تيمية يثني عليها ، وإذا علم أنها ستحضر درسهاستعد لها لكثرة وحسن مسائلها وسرعة فهمها.

٢٠) نضار بنت محمد الأندلسي النحوي: كانت عالمة فاضلة قال عنها النابلسي: كانت تفوق كثير من الرجال في العبادة والفقة، وكان أبوها يقول: ليت أخاها مثلها.

٢١) شيخة بنت آل حاتم: أرسلها أبوها إلى كتاب فتيات ولما وصلت سن التميز منعها أبوها من تكملة علمها، فكانت تذهب سرا الى زميلاتها لتأخذ العلم

منهن، فحفظت القرآن وكانت ذكية جادة، وكانت تباحث العلماء، ودرست الفتيات بعد ذلك الفقة والعبادات.

٢٢) فالمؤرخ والمحدث الشهير "الخطيب البغدادي" صاحب كتاب "تاريخ بغداد" سمع من الفقيهة المحدثة "طاهرة بنت أحمد بن يوسف التنوخية" المتوفاة ٤٦٣هـ.

٢٣) "جليلة بنت علي بن الحسن الشجري" في القرن الخامس الهجري، فكانت ممن رحلن في طلب الحديث في العراق والشام وسمع منها بعض كبار العلماء كالسمعاني، وكانت تعلم الصبيان القرآن الكريم .

٢٤) وكانت "زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني" المتوفاة سنة (٦٨٨هـ) من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق، فسمعوا منها الحديث، وقرأوا عليها كثيرًا من الكتب.

٢٥) زينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام" المتوفاة ٧٣٥هـ، فقد تفردت برواية المعجم الصغير بالسماع المتصل، وقال عنها مؤرخ الإسلام "شمس الدين الذهبي" إنه كان فيها خير وعبادة وحب للرواية بحيث أنه قُرئ عليها يوم موتها عدة أجزاء.

٢٦) زينب بن أحمد بن عمر الدمشقية، المتوفاة (٧٢٢هـ) من المحدثات البارعات ذات السند في الحديث، ورحل إليها كثير من الطلاب .

٢٧) ويحكي الرحالة العظيم "ابن بطوطة" أنه في رحلته زار المسجد الأموي بدمشق، وسمع فيه من عدد من محدثات ذلك العصر، مثل "زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم، وكانت امرأة ذات قدم راسخ في العلم والحديث، و"عائشة بنت

محمد بن المسلم الحرانية" التي كان لها مجلس علم بالمسجد، وكانت تتكسب بالخياطة، وقرأ عليها "ابن بطوطة" عددًا من الكتب .

٢٨) وقد تفردت بعض المحدثات ببعض الروايات، مثل "زينب بنت سليمان بن إبراهيم "المتوفاة (٧٠٥هـ)، والتي أخذ العلم عنها "تقي الدين السبكي".

٢٩) كما أجازت بعض العالمات المحدثات لعدد من كبار العلماء، فزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية المتوفاة (٧٢٥هـ) أجازت "ابن حجر العسقلاني" الذي روى –أيضًا– عن "عائشة بنت محمد بن عبد الهادي" التي كانت ذات سند قويم في الحديث، وحدّث عنها خلق كثير، وكانت توصف بأنها سهلة الإسماع لينة الجانب، وروت عن محدثتين هما: ست الفقهاء بنت الواسطي، وزينب بنت الكمال .

٣٠) وقد أورد "ابن حجر" في كتابه "المعجم المؤسس للمعجم المفهرس" كثيرًا من شيخاته اللاتي أخذ عنهن العلم، وعن اشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهن، ووصف بعضهن بأنها مصنفة وهي عائشة بن عبد الله الحلبية".

٢٨) وأورد الإمام الذهبي في كتابه "معجم شيوخ الذهبي" كثيرًا من شيخاته، وكان يقول عن بعضهن "توفيت شيختنا.

٣١) وكان للنساء دور بارز في تثقيف وتربية الفقيه والعالم الجليل "ابن حزم الأندلسي"؛ حيث علمنه القرآن الكريم والقراءة والكتابة والشعر وظل في رعايتهن حتى مرحلة البلوغ، ويحكي تجربته فيقول: "ربيت في حجر النساء، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب.. وهن علمنني القرآن، ورويننني كثيرًا من الأشعار، ودربننني في الخط"، وكان لهذه التربية والتثقيف أثرها الكبير في ذوقه وشخصيته .

٣٢) وهذا العالم الموسوعي "جلال الدين السيوطي" أخذ العلم عن: فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي، وأم هانئ بنت الهوريني التي لقّبها بالمسند، وكانت عالمة بالنحو، وأورد لها ترجمة في كتابه "بغية الوعاة في أخبار النحاة"، وأخذ – أيضًا– عن "أم الفضل بنت محمد المقدسي، وخديجة بنت أبي الحسن المقن، ونشوان بنت عبد الله الكناني، وهاجر بنت محمد المصرية، وأمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي، وغيرهن كثير .

وبعد فالمرأة المسلمة كان لها حضور بارز في المجتمع العلمي الإسلامي، فكانت تَتَعلم، وتُعلم، ويقصدها الطلاب لأخذ العلم عنها، وتصنف الكتب، وتفتي، وتستشار في الأمور العامة، في ظل الشريعة الغراء، وبرعاه الطهر والعفاف.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

وَفَـيَّاتْ لأزواجهن

- امرأة نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ (عليه السلام)[١]:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَانَ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ، وَهُوَ أَيُّوبُ بْنُ مُوصَ بْنَ رَزَاحَ بْنِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ أَيُّوبُ بْنُ مُوصَ بْنِ رَغْوِيلَ بْنِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ .

وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي نَسَبِهِ، وَحَكَى ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقِيلَ: كَانَ أَبُوهُ مِمَّنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَلَمْ تَحْرِقْهُ.

وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، كَمَا قَرَّرْنَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :{ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ }[٢]، والصَّحِيحَ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ دُونَ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَهُوَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَنْصُوصِ عَلَى الْإِيحَاءِ إِلَيْهِمْ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :{إِنَّا أَوْحَيْنَا

---

١) قيل: أن اسمها رحمة بنت إفراثيم، وقيل: ليا بنت يعقوب وقيل: ليا بنت منسا بن يعقوب.

٢) سورة الْأَنْعَامِ: الآية ٨٤.

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ }[1]. الْآيَةَ .

فَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَامْرَأَتُهُ قِيلَ : اسْمُهَا لَيَا بِنْتُ يَعْقُوبَ . وَقِيلَ : رَحْمَةُ بِنْتُ أَفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ، وَهَذَا أَشْهَرُ فَلِهَذَا ذَكَرْنَاهُ هَاهُنَا ، ثُمَّ نَعْطِفُ بِذِكْرِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثِّقَةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى :{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } [3] .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ إِدْرِيسُ ، ثُمَّتُوحٌ ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ إِسْمَاعِيلُ ، ثُمَّ إِسْحَاقُ ، ثُمَّ يَعْقُوبُ ، ثُمَّ يُوسُفُ ، ثُمَّ لُوطٌ ، ثُمَّ هُودٌ ، ثُمَّ صَالِحٌ ، ثُمَّ شُعَيْبٌ ، ثُمَّ مُوسَى وَهَارُونُ ، ثُمَّ إِلْيَاسُ، ثُمَّ الْيَسَعُ ،

---

١) سورة النِّسَاءِ : الآية ١٦٣.

٢) سورة الأنبياء _ الآيتان ٨٣ ، ٨٤.

٣) سورة ص _ الآية ٤٢.

ثُمَّ عُرْفِيُّ بْنُ سَوِيلَخَ بْنِ أَفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ، ثُمَّ يُونُسُ بْنُ مَتَّى مِنْ بَنِي يَعْقُوبَ ، ثُمَّ أَيُّوبَ بْنِ رَزَاحَ بْنِ آمُوصَ بْنِ لِيفَرَزَ بْنِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي بَعْضِ هَذَا التَّرْتِيبِ نَظَرٌ فَإِنَّ هُودًا وَصَالِحًا الْمَشْهُورُ أَنَّهُمَا بَعْدَ نُوحٍ ، وَقَبْلَ إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ ، وَالتَّارِيخِ ، وَغَيْرُهُمْ : كَانَ أَيُّوبُ رَجُلًا كَثِيرَ الْمَالِ مِنْ سَائِرِ صُنُوفِهِ وَأَنْوَاعِهِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْعَبِيدِ وَالْمَوَاشِي وَالْأَرَاضِي الْمُتَّسِعَةِ بِأَرْضِ الْبَثْنِيَّةِ مِنْ أَرْضِ حُورَانَ .

وَحَكَى ابْنُ عَسَاكِرَ :أَنَّهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ ، وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ وَأَهْلُونَ كَثِيرٌ ، فَسُلِبَ مِنْ ذَلِكَ جَمِيعِهِ ، وَابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ عُضْوٌ سَلِيمٌ سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ذَاكِرٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَصَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ ، وَطَالَ مَرَضُهُ حَتَّى عَافَهُ الْجَلِيسُ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُ الْأَنِيسُ ، وَأُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ وَأُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ خَارِجَهَا ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ النَّاسُ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَحْنُو عَلَيْهِ سِوَى زَوْجَتِهِ كَانَتْ تَرْعَى لَهُ حَقَّهُ ، وَتَعْرِفُ قَدِيمَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهَا وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ تَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ فَتُصْلِحُ مِنْ شَأْنِهِ ، وَتُعِينُهُ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ وَتَقُومُ بِمَصْلَحَتِهِ ، وَضَعُفَ حَالُهَا ، وَقَلَّ مَالُهَا حَتَّى كَانَتْ تَخْدِمُ النَّاسَ بِالْأَجْرِ لِتُطْعِمَهُ ، وَتَقُومَ بِأَوَدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا وَهِيَ صَابِرَةٌ مَعَهُ عَلَى مَا حَلَّ بِهِمَا مِنْ فِرَاقِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا مِنَ الْمُصِيبَةِ بِالزَّوْجِ ، وَضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ ، وَخِدْمَةِ النَّاسِ بَعْدَ السَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالْخِدْمَةِ ، وَالْحُرْمَةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ .

وَلَمْ يَزِدْ هَذَا كُلُّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا صَبْرًا وَاحْتِسَابًا، وَحَمْدًا وَشُكْرًا ، حَتَّى إِنَّ الْمَثَّلَ لَيُضْرَبُ بِصَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُضْرَبُ الْمَثَلُ أَيْضًا بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ خَبَرٌ طَوِيلٌ فِي كَيْفِيَّةِ ذَهَابِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ ، وَبَلَائِهِ فِي جَسَدِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَهُ الْجُدَرِيُّ .

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ بَلْوَاهُ عَلَى أَقْوَالٍ ؛ فَزَعَمَ وَهْبٌ أَنَّهُ ابْتُلِيَ ثَلَاثَ سِنِينَ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ .

وَقَالَ أَنَسٌ ابْتُلِيَ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا ، وَأُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ تَخْتَلِفُ الدَّوَابُّ فِي جَسَدِهِ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَظَّمَ لَهُ الْأَجْرَ ، وَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ حُمَيْدٌ : مَكَثَ فِي بَلْوَاهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَقَالَ السُّدِّيُّ : تَسَاقَطَ لَحْمُهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَظْمُ وَالْعَصَبُ ، فَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَأْتِيهِ بِالرَّمَادِ تَفْرُشُهُ تَحْتَهُ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهَا قَالَتْ : يَا أَيُّوبُ لَوْ دَعَوْتَ رَبَّكَ لَفَرَّجَ عَنْكَ . فَقَالَ : قَدْ عِشْتُ سَبْعِينَ سَنَةً صَحِيحًا فَهُوَ قَلِيلٌ لِلَّهِ أَنْ أَصْبِرَ لَهُ سَبْعِينَ سَنَةً ، فَجَزِعَتْ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأَجْرِ ، وَتُطْعِمُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَسْتَخْدِمُونَهَا لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا

امْرَأَةُ أَيُّوبَ خَوْفًا أَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ بَلَائِهِ أَوْ تُعْدِيَهُمْ بِمُخَالَطَتِهِ ، فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَسْتَخْدِمُهَا عَمَدَتْ فَبَاعَتْ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْأَشْرَافِ إِحْدَى ضَفِيرَتَيْهَا بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ فَأَتَتْ بِهِ أَيُّوبَ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا ؟ وَأَنْكَرَهُ فَقَالَتْ : خَدَمْتُ بِهِ أُنَاسًا . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا فَبَاعَتِ الضَّفِيرَةَ الْأُخْرَى بِطَعَامٍ فَأَتَتْهُ بِهِ فَأَنْكَرَهُ أَيْضًا ، وَحَلَفَ لَا يَأْكُلُهُ حَتَّى تُخْبِرَهُ مِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الطَّعَامُ ؟ فَكَشَفَتْ عَنْ رَأْسِهَا خِمَارَهَا ، فَلَمَّا رَأَى رَأْسَهَا مَحْلُوقًا . قَالَ فِي دُعَائِهِ:(أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : كَانَ لِأَيُّوبَ أَخَوَانِ فَجَاءَا يَوْمًا فَلَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَدْنُوَا مِنْهُ مِنْ رِيحِهِ فَقَامَا مِنْ بَعِيدٍ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَوْ كَانَ اللَّهُ عَلِمَ مِنْ أَيُّوبَ خَيْرًا مَا ابْتَلَاهُ بِهَذَا .فَجَزِعَ أَيُّوبُ مِنْ قَوْلِهِمَا جَزَعًا لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ مِثْلَهُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَبِتْ لَيْلَةً قَطُّ شَبْعَانًا ، وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ جَائِعٍ فَصَدِّقْنِي . فَصُدِّقَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُمَا يَسْمَعَانِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ يَكُنْ لِي قَمِيصَانِ قَطُّ ، وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ عَارٍ فَصَدِّقْنِي . فَصُدِّقَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُمَا يَسْمَعَانِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ وَخَرَّ سَاجِدًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي أَبَدًا حَتَّى تَكْشِفَ عَنِّي فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى كَشَفَ عَنْهُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : وَ ابْنُ جَرِيرٍ جَمِيعًا ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ لَهُ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ رَبُّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ . فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ أَيُّوبُ :لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى

الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا فِي حَقٍّ .قَالَ : وَكَانَ يَخْرُجُ فِي حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَرْجِعَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنِ: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ : أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى ؟ فَوَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا . قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ . قَالَ : وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ ؛ أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ . هَذَا لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ . وَهَكَذَا رَوَاهُ بِتَمَامِهِ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، عَنْ حَرْمَلَةَ ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ بِهِ . وَهَذَا غَرِيبٌ رَفْعُهُ جِدًّا ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مَوْقُوفًا .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي ثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ فَتَنَحَّى أَيُّوب ، وَجَلَسَ فِي نَاحِيَةٍ ، وَجَاءَتِ امْرَأَتُهُ فَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى الَّذِي كَانَ هَاهُنَا ، لَعَلَّ الْكِلَابَ ذَهَبَتْ بِهِ أَوِ الذِّئَابَ ؟ وَجَعَلَتْ تُكَلِّمُهُ سَاعَةً . قَالَ: وَيْحَكِ أَنَا أَيُّوبُ . قَالَتْ: أَتَسْخَرُ مِنِّي يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكِ أَنَا أَيُّوبُ قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ جَسَدِي.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَوَلَدَهُ بِأَعْيَانِهِمْ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، فَاغْتَسِلْ بِهَذَا الْمَاءِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءَكَ وَقَرِّبْ عَنْ صَحَابَتِكَ قُرْبَانًا ، وَاسْتَغْفِرْ

لَهُـــمْ فَـــإِنَّهُمْ قَـــدْ عَصَـــوْنِي فِيـــكَ . رَوَاهُ ابْـــنُ أَبِـــي حَـــاتِمٍ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمَّا عَافَى اللَّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ ، وَيَجْعَلُ فِي ثَوْبِهِ . قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : يَا أَيُّوبُ أَمَا تَشْبَعُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ . وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ " رواه البخاري [1].

وَقَوْلُهُ :(**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**) **أَيِ اضْرِبِ الْأَرْضَ بِرِجْلِكَ** فَامْتَثَلَ مَا أُمِرَ بِهِ فَأَنْبَعَ اللَّهُ لَهُ عَيْنًا بَارِدَةَ الْمَاءِ، وَأُمِرَ أَنْ يَغْتَسِلَ فِيهَا ، وَيَشْرَبَ مِنْهَا، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْأَلَمِ وَالْأَذَى وَالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ، الَّذِي كَانَ فِي جَسَدِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ صِحَّةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَجَمَالًا تَامًّا، وَمَالًا كَثِيرًا حَتَّى صَبَّ لَهُ مِنَ الْمَالِ صَبًّا مَطَرًا عَظِيمًا جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ أَهْلَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

فَقِيلَ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ بِأَعْيَانِهِمْ .

وَقِيلَ : آجَرَهُ فِيمَنْ سَلَفَ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا بَدَلَهُمْ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ بِكُلِّهِمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَقَوْلُهُ: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا .أَيْ رَفَعْنَا عَنْهُ شِدَّتَهُ ، وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ رَحْمَةً مِنَّا بِهِ وَرَأْفَةً وَإِحْسَانًا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ أَيْ تَذْكِرَةً لِمَنِ ابْتُلِيَ فِي

---

١) صحيح البخاري _ كتاب أحاديث الأنبياء _ باب قول الله تعالى:(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) رقم: ٣٢١١.

جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ فَلَهُ أُسْوَةٌ بِنَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ ، حَيْثُ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَنْ فَهِمَ مِنْ هَذَا اسْمَ امْرَأَتِهِ . فَقَالَ : هِيَ رَحْمَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ ، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهَا شَبَابَهَا وَزَادَهَا حَتَّى وَلَدَتْ لَهُ سِتَّةً وَعِشْرِينَ وَلَدًا ذَكَرًا .

وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعِينَ سَنَةً بِأَرْضِ الرُّومِ عَلَى دِينِ الْحَنِيفِيَّةِ ، ثُمَّ غَيَّرُوا بَعْدَهُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَقَوْلُهُ : خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ .هَذِهِ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا كَانَ مِنْ حَلِفِهِ لَيَضْرِبَنَّ امْرَأَتَهُ مِائَةَ سَوْطٍ .

فَقِيلَ : حَلِفُهُ ذَلِكَ لِبَيْعِهَا ضَفَائِرَهَا . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ اعْتَرَضَهَا الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ طَبِيبٍ يَصِفُ لَهَا دَوَاءً لِأَيُّوبَ ، فَأَتَتْهُ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ فَحَلَفَ لَيَضْرِبَنَّهَا مِائَةَ سَوْطٍ ، فَلَمَّا عَافَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَفْتَاهُ أَنْ يَأْخُذَ ضِغْثًا ، وَهُوَ كَالْعِثْكَالِ الَّذِي يَجْمَعُ الشَّمَارِيخَ فَيَجْمَعَهَا كُلَّهَا وَيَضْرِبَهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، وَيَكُونُ هَذَا مُنْزَلًا مَنْزِلَةَ الضَّرْبِ بِمِائَةِ سَوْطٍ ، وَيَبَرُّ وَلَا يَحْنَثُ . وَهَذَا مِنَ الْفَرَجِ وَالْمَخْرَجِ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ ، وَأَطَاعَهُ ، وَلَا سِيَّمَا فِي حَقِّ امْرَأَتِهِ الصَّابِرَةِ الْمُحْتَسِبَةِ الْمُكَابِدَةِ الصِّدِّيقَةِ الْبَارَّةِ الرَّاشِدَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ وَلِهَذَا عَقَّبَ اللَّهُ هَذِهِ الرُّخْصَةَ ، وَعَلَّلَهَا بِقَوْلِهِ : إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ .وَقَدِ اسْتَعْمَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ هَذِهِ الرُّخْصَةَ فِي بَابِ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ ، وَتَوَسَّعَ آخَرُونَ فِيهَا حَتَّى وَضَعُوا كِتَابَ الْحِيَلِ فِي الْخَلَاصِ مِنَ الْأَيْمَانِ ، وَصَدَّرُوهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَأَتَوْا فِيهِ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ ، وَسَنَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ إِنْ

شَـــــــاءَ اللَّـــــــهُ تَعَـــــــالَى .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ أَنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تُوُفِّيَ كَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً .

وَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ رَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ مَا مَعْنَاهُ : أَنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ ، وَبِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْأَرِقَّاءِ ، وَبِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِمَعْنَاهُ ، وَأَنَّهُ أَوْصَى إِلَى وَلَدِهِ حَوْمَلَ ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ بِشْرُ بْنُ أَيُّوبَ ، وَهُوَ الَّذِي يَزْعُمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ ذُو الْكِفْلِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمَاتَ ابْنُهُ هَذَا ، وَكَانَ نَبِيًّا فِيمَا يَزْعُمُونَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِنَ السِّنِينَ خَمْسًا وَسَبْعِينَ ، وَلْنَذْكُرْ هَاهُنَا قِصَّةَ ذِي الْكِفْلِ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ ابْنُ أَيُّوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

أختي المسلمة: انظري إلي إخلاص هذه المرأة العظيمة لزوجها، وصبرها عليه، ووفاءها له، وصيانتها لنفسها، وتفانيها في خدمته، ولم تتركه في أيام محنته.. كل ذلك ابتغاء مرضاة ربها (١).

- نائلة بنت الفرافصة: زوجة عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) :

نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبي، ، ولدت من عائلة نصرانية في الكوفة، من بني كلب، أحد أشهر بطون العرب في الفصاحة والبلاغة، ولم تكن فصاحة قومها تقتصر على رجالهم بل شملت نساءهم أيضًا.. خطبها عثمان بن عفان ﷺ في العام الثامن والعشرين من الهجرة، وقد

---

١) البداية والنهاية « باب ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام _ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٧٢.

زوجّها له أخوها ضب، وحملها إلى عثمان في المدينة، وكان مسلمًا وكان أبوها نصرانيًّا، وقد تزوجها عثمان وهى نصرانية، وقبيلتها – قبيلة كلب – كلها يومئذ نصارى.

وقد أسلمت نائلة على يديه، وقيل: علي يد عائشة بنت أبي بكر.

وأنجبت له من الولد ثلاثًا: أم خالد، وأروي، وأم أبان الصغرى.

وحين اجتمع بها رفع قلنسوته عن رأسه فظهر الصلع فيه، فقال لها: يا بنت الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي! فإن تحته ما تحبين. فأمسكت عن الكلام.. فبادرها بقوله: إمَّا تقومي إليَّ، وإمَّا أن أقوم إليك. فقالت: أمَّا ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع، وأما قولك: إمّا أن تقومي إليَّ، وإما أن أقوم إليك، فو الله إنّ ما تجشمته من قطع الصحراء الواسعة والسفر الطويل، لأبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك.

فقامت وجلست إلى جواره.. فمسح على رأسها ودعا لها بالبركة، فبوركت بفضل من الله عز وجل.

أنجبت نائلة بنت الفرافصة لعثمان بنتًا، وقيل: بنتًا وولدًا.. وكانت له طيلة حياتها معه الزوجة المطيعة الحانية، حتى وصل الطوفان إلى المدينة قادمًا من البصرة والفسطاط، يحمل معه آلافًا من الغوغاء الذين تأبّطوا الشر بسيوفهم يريدون قتل الخليفة عثمان بن عفان.. فحاصروا بيته ونائلة معه تشد من عزيمته، وتؤنس وحدته.

حتى إذا خشي الرعاع من المحاصرين قدوم جيش من الشام لإنقاذ الخليفة المحاصر، قفزوا على داره لا يألون لبيته حرمة، ولا لصحبته مكانة، ولا لفضائله ذكرًا في نفوسهم الآثمة، فقرروا قتله وهو صائم يقرأ القرآن!.

عندها أرادت نائلة بنت الفرافصة أن تمنع دخولهم إلى منزلها، فنشرت شعرها ظنًّا منها أن في قلوبهم بضعًا من إيمان وغض طرف يصون عليهم دينهم.. لكن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) منعها في قوله لها: "خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليَّ أهون من حرمة شعرك.

فلم يكن من نائلة وهي ترى السيوف تقترب من زوجها الحبيب إلا وضعت يديها لتتقي السيف عن عثمان، فقطع السيف أصابعها ومضى في بطن الخليفة الراشد وزوجته تحاول صدّ السيوف عن جسده حتى قُتل.

إنها لم تكن من صحابيات رسول الله ﷺ يومًا، ولكنها نهلت من معين أحد صحابته زوجها عثمان بن عفان.. كانت بجانبه يوم شدته، ودافعت عنه بجسدها حتى قُطعت أصابعها.. وحين هجم عليه أحدهم وهوى عليه بسيفه تلقت السيف بيدها فقطعت أناملها، فصرخت على رباح غلام عثمان، فأسرع نحو الرجل فقتله، وبينما كانت تهرع لإمساك سيف رجل ثانٍ لكن الرجل تمكن من أن يقطع أصابع يدها الأخرى وهو يدخل السيف في بطن عثمان ليقتله، وحين هموا بقطع رأسه ألقت عليه بنفسها إلا أنهم لم يرحموا ضعفها، ولم يعرفوا لعثمان قدره، فحزوا رأسه، ومثَّلوا به، فصاحت والدم يسيل من أطرافها: إن أمير المؤمنين قد قُتل، إن أمير المؤمنين قد قُتِل. ثم دخل رجل عقب مقتل عثمان، فإذا رأسه في حجرها. فقال لها: اكشفى عن وجهه. قالت: ولِمَ؟ قال الرجل: ألِطم حُرَّ وجهه فقد أقسمت بذلك. فقالت: أما ترضى ما قال فيه رسول اللَّه (، قال فيه كذا وكذا. فقال: اكشفى عن وجهه. ثم هجم عليها فلطم وجه عثمان، فدعت عليه قائلة: يبَّس اللَّه يدك، وأعمى بصرك.

فلم يخرج الرجل من الباب إلا وقد يبست يداه، وعمى بصره.

وتُركت جثة عثمان في مكانها دون أن يجرؤ أحد على تجهيزه ودفنه، فأرسلت إلى حويطب بن عبد العزى وجبير بن مطعم، وأبى جهم بن حذيفة، وحكيم بن حزام، ليُجَهِّزُوا عثمان، فقالوا: لا نقدر أن نخرج به نهارًا. وحين حلّ الظلام خرجوا به بين المغرب والعشاء نحو البقيع، وهى تتقدمهم بسراج ينير لهم وحشة الظلام حتى تم دفنه بعد أن صلى عليه جبير بن مطعم وجماعة من المسلمين، ثم ألقوا عليها جدارا ليعفي أثره، حتي لاينبشه الثوار، ثم قالت ترثيه:

ومالى لا أَبْكى وأُبكى قرابتــى وقد ذهبتْ عنا فضول أبى عَمْرِو

وبعد أن دُفن عثمان رضي الله عنه خطبت نائلة –رضى الله عنها– في المسلمين، فقالت: معاشر المؤمنين وأهل اللَّه لا تستكثروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإنى حزينة أُصِبْتُ بعظيم وتذوقت ثكلا من عثمان بن عفان ثالث الأركان من أصحاب رسول اللَّه، فقد تراجع الناس في الشورى حين تقدم، فلم يتقدمه متقدم ولم يشك في فضله متأثم.

ولم تكتف نائلة بذلك بل أرسلت إلى معاوية بكتاب مرفق معه قميص عثمان ممزقًا مليئًا بالدماء، وعقدت في زر القميص خصلة من شعر لحيته، قطعها أحد قاتليه من ذقنه، وخمسة أصابع من أصابعها المقطوعة.

وأوصت إليه أن يعلق كل أولئك في المسجد الجامع في دمشق، وأن يقرأ على المجتمعين ذلك الكتاب، وكان بعض ما جاء فيه: إلى معاوية بن أبى سفيان، أما بعد: فإنى أدعوكم إلى اللَّه الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأنشدكم اللَّه وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم اللَّه عليكم، فإنه قال:﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى**

فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١].

وقد اجتمع لسماعه خمسون ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وأصابعها.

وعاشت نائلة حافظة لذكرى عثمان بن عفان ﷺ وظلتْ وفية له، فلم تتزوج وكانت من أجمل النساء.

فتردد عليها الخطاب، وكلما جاءها خاطب رَدَّتْه، وكانت نائلة مليحة الثغر، فتقدم معاوية (ﷺ) لخطبتها فأَبَتْ، وسألت النساء عما يعجب الخطاب فيها، فقلن: ثناياك فكسرت ثناياها بحجر، وأرسلت بهن إلى معاوية وقالت: والله لا يجتليكن أحد بعد عثمان [٢].

ولما سُئلت عما صنعتْ، قالت: حتى لا يطمع في الرجال بعد عثمان(ﷺ).

وقالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان، فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان، وذلك ما لا يكون أبدًا.

عاشت طيلة حياتها معه له زوجة مخلصة وفية ومطيعة، وكان عثمان يستشيرها دائمًا لسداد رأيها، وقد حظيت في بيته بمكانة كبيرة.. وقد روت السيدة نائلة عن عائشة –رضى اللَّه عنها– بعضًا من أحاديث رسول الله، ثم توفيت بعد جهاد عظيم لخدمة الإسلام.

كم كان حبها ووفاؤها النادر لزوجها الحبيب الذي بقي خالدًا في ذكراها.

---

١) سورة الحجرات _ الآية ٩.

٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٣٩/١٢ .

فأين أنت أختي المسلمة من نائلة بنت الفرافصة تلميذة مدرسة عثمان بن عفان، التي تعلمت فيها حب الزوج حين أحبها، فوهبته حياتها حيًّا وميتًا.. ودافعت عنه بجسدها حين داهمه الخطر؟.

وأقول لكل رجل: أحبَّ زوجتك لتحبك واعطها ودك لتودك، وأكرمها لتكرمك.

- أم الدرداء (رضي الله عنهما):

أُمُّ الـدَّرْدَاءِ: السَّيِّدَةُ الْعَالِمَـةُ الْفَقِيهَـةُ ، هُجَيْمَـةُ –وَقِيلَ : جُهَيْمَـةُ– الْأَوْصَـابِيَّةُ الْحِمْيَرِيَّةُ الدِّمَشْقِيَّةُ ، وَهِيَ أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى .

وَعَرَضَتِ الْقُرْآنَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ . وَطَالَ عُمْرُهَا ، وَاشْتَهَرَتْ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالزُّهْدِ

يأتيها معاوية بن أبي سفيان ﷺ خاطبا بعد موت أبي الدرداء ، فأبت أن تتزوجه: **فعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ ، قَالَ : " خَطَبَ مُعَاوِيَةُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ، فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ، قَالَتْ : سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْأَةُ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا " ، وَلَسْتُ أُرِيدُ بِأَبِي الدَّرْدَاءِ بَدَلا** [1].

عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ قَيْسٍ الْكِلابِيِّ، قَالَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: "إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاء ،

---

١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» كِتَابُ النِّكَاحِ» بَابٌ: الزَّجْرُ عَنِ الِانْتِسَابِ إِلَى غَيْرِ .... رقم الحديث: ٢٤٩٠، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ... رقم الحديث: ١٧٨٢.

يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:" أَيُّمَا امْرَأَةٍ تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لآخِرِ أَزْوَاجِهَ " ، وَمَا كُنْتُ لأَخْتَارَكَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ: فَعَلَيْكِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ مَحْسَمَةٌ (١).

وعنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، أَنَّهَا قَالَتْ لأَبِي الدَّرْدَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ: إِنَّكَ خَطَبْتَنِي إِلَى أَبَوَيَّ فِي الدُّنْيَا فَأَنْكَحَاكَ ، وَإِنِّي أَخْطُبُكَ إِلَى نَفْسِكَ فِي الآخِرَةِ . قَالَ: فَلا تَنْكِحِي بَعْدِي. فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ، فَأَخْبَرَتْهُ بِالَّذِي كَانَ، فَقَالَ: عَلَيْكِ بِالصِّيَامِ. (٢).

وَرَوَى مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَا تَسْأَلِي أَحَدًا شَيْئًا . فَقُلْتُ : إِنِ احْتَجْتُ؟ قَالَ : تَتَبَّعِي الْحَصَّادِينَ ، فَانْظُرِي مَا يَسْقُطُ مِنْهُمْ فَخُذِيهِ فَاخْبِطِيهِ ثُمَّ اطْحَنِيهِ وَكُلِيهِ(٣).

- فاطمة بنت عبد الملك بن مروان :

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموية، كان أبوها أحد أمراء بني أمية، وأمها أم المغيرة بنت خالد بن العاص المخزومية، وقد تزوجها عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد رحمه الله تعالى، وهي

---

١) المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْبَاءِ» مَنِ اسْمُهُ : بَكْرٌ _ رقم الحديث: ٣٢٢٥.
٢) مشكل الآثار للطحاوي » بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عنه عَلَيْهِ السَّلامُ ..رقم الحديث: ٥٥٦، سير أعلام النبلاء» بقية الطبقة الأولى من كبراء التابعين» أم الدرداء.
٣) سير أعلام النبلاء» بقية الطبقة الأولى من كبراء التابعين» أم الدرداء.

أم بعض بنيه. وكانت عونا له على حياة الورع والزهد، وصبرت معه على تقشفه وزهده، وروت عنه كثيرا من العلم.

وقد اكتمل عقد فضلها حين أضفت عليه من جواهر العلم ودرره الشيء الكثير، فقد حرصت على طلبه، حتى أضحت راوية للحديث، وقد كانت ممن ذكرها أبو زرعة فيمن حدّث بالشام من النساء، وقد روى عنها عدد من العلماء والتابعين أمثال عطاء بن أبي رباح المكي التابعي مفتي أهل مكة ومحدثهم، وكذلك روى عنها أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وغيرهما.

وبذا اكتمل لفاطمة عقد كمال، بخيرة الرجال وهو الزوج الصالح، فأتمّ الله نعمته عليها وهو الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

فقد تربّى ابن عمها عمر بين إخوتها في قصر والدها بعد وفاة أبيها عبد العزيز بن مروان حيث ضمه عبد الملك إليه وربّاه بين أبنائه، وحين بلغت فاطمة سن الصبا اليافع، ونضج شبابهما، اختار لها أبوها ابن عمها عمر زوجاً وكفؤاً لها.

فأعجبها اختيار أبيها، وفرح عمر بها، وأجاب عمه قائلاً: وصلك الله يا أمير المؤمنين، فقد كفيت المسألة وأجزلت العطية، فازداد عمه إعجاباً به.

وكان عمر منذ نشأته فصيحاً لَسِناً، فلما سأله عمه عن نفقته –ضماناً لمعيشة ابنته– فأجابه: هي بين السيئتين. قال: وما هما؟

قال: قول الله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾[1] فسُرّ عبد الملك به وتساءل عمّن علّمه هذا؟!

---

١) سورة الفرقان _ الآية ٦٧.

وزُفّت فاطمة إلى زوجها، فكان يوم زفافهما من الأيام المشهودة في دمشق، فقد ذكر من حضر عرسهما أنهم كانوا يسرجون القناديل بالغالية بدلاً من الزيت.

وهي التي يقول فيها وضاح اليمن:

بنت الخليفة والخليفة جدها أخت الخلائف والخليفة زوجها

فقد كان أبوها وجدها خليفتين من خلفاء بني أمية، وقد ولي الخلافة زوجها عمر بن عبد العزيز، ووليها أربعة من إخوتها وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وقد ذكر الزبير بن بكار والسيوطي أنه لم يحصل هذا لغيرها من النساء.

وعاشت فاطمة مع عمر عيشة مترفة منعمة، فقد أضحى عمر والي المدينة، ورزقهما الله منه بابنين اثنين هما: إسحاق ويعقوب.

ودامت هذه الحياة الهنيئة حتى كان عام تسع وتسعين من الهجرة حين تولى زوجها خلافة الأمة، فانقلبت حياته، وغدا _ وهو الشاب الذي غُذّي من آنية الملك– إماماً زاهداً تثقل مسئولية الخلافة كاهله.

قال لها عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة (وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله): اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد، قالت: لا بل اختارك عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك، قالت لا والله ، لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته.

وفي الزهد لابن المبارك أخبرنا إبراهيم بن نشيط حدثنا سليمان بن حميد عن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال ألا تخبريني عن عمر قالت ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ولا احتلام منذ استخلف(١).

ومع ذلك بكت عليه حتى عشى بصرها.. إنه الحب .. إنه الوفاء .. إنه الرباط الوثيق الذي لا يستطيع أحد أن يقطعه [٢].

- سـعدي الوفية ! ! ! :

ذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يومٍ بمجلسٍ كان له بدمشق على قارعة الطّريق، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول النّسيم، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجلٍ يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ ، فتأمّله معاوية، ثمّ قال لجلسائه: لم يخلق الله ممّن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثمّ قال: يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصّته فوالله لئن كان فقيراً لأغنيّنه، ولئن كان شاكياً لأنصفنّه، ولئن كان مظلوماً لأنصرنّه، ولئن كان غنياً لأفقرنّه. فخرج إليه الرسول متلقياً فسلّم عليه فردّ عليه السّلام. ثمّ قال له: ممّن الرّجل؟ قال: سيّدي أنا رجلٌ أعرابيٌّ من بني عذرة، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامةٍ نزلت بي من بعض عمّاله.

فقال له الرّسول: أصبحت يا أعرابي؟ ثمّ سار به حتّى وقف بين يديه فسلّم عليه بالخلافة ثمّ أنشأ يقول:

---

١) سير أعلام النبلاء . باب ترجمة عمر بن عبد العزيز .

٢) انظر ترجمتها في تاريخ الخلفاء للسيوطي،٩٥/١، حلية الأولياء لأبي نعيم، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رقم الحديث: ٧٣٥٠، تاريخ دمشق

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضـل ... ويا ذا النّدى والجود والنّابل الجزل
أتيتك لمّا ضاق في الأرض مذهبي ... فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بإنصافٍ من الجّائر الذي ... شـواني شيّاً كان أيسره قتـلي
سباني سـعدى وانبرى لخصومتي ... وجـار ولم يعدل، وأغصبني أهلي
قصـدت لأرجو نفعـه فأثابني ... بسجنٍ وأنـواع العذاب مع الكبل
وهمّ بقتـلي غـير أن منيّتـي ... تأبّت، ولم أستكمل الرّزق من أجلي
أغثني جـزاك الله عنّي جنّـة ... فقد طار من وجدٍ بسعدى لها عقلي

فلمّا فرغ من شعره قال له معاوية: يا أعرابي إنّي أراك تشتكي عاملاً من عمّالنا ولم تسمه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وهو والله ابن عمّك مروان بن الحكم عامل المدينة.

قال معاوية: وما قصّتك معه يا أعرابي. قال: أصلح الله الأمير، كانت لي بنت عمٍّ خطبتها إلى أبيها فزوّجني منها. وكنت كلفاً بها لما كانت فيه من كمال جمالها، وعقلها والقرابة.

فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حالٍ وأنعم بالٍ، مسروراً زماناً، قرير العين.

وكانت لي صرمةً من إبلٍ، وشويهات، فكنت أعولها ونفسي بها.

فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدّهر، فوقع فيها داءٌ فذهبت بقدرة الله.

فبقيت لا أملك شيئاً، وصرت مهيناً مفكّراً، قد ذهب عقلي، وساءت حالي، وصرت ثقلاً على وجه الأرض. فلمّا بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردني، ودفعها عنّي.

فلم أدر لنفسي بحيلةٍ ولا نصرةٍ. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمّي، فبعث إليه، فلمّا وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيّها الرّجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط.

قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راضٍ بالجّارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجّارية مسرعةً، فلمّا وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني، وأمر بي إلى السّجن.

فبقيت كأني خررت من السّماء في مكانٍ سحيقٍ، ثمّ قال لأبي بعدي: هل لك أن تزوّجها منّي، وأنقدك ألف دينارٍ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهمٍ تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوّجتها منك.

فلمّا كان من الغد بعث إليّ، فلمّا أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: ياأعرابي طلّق سعدى. قلت: لا أفعل.

فأمر بضربي ثم ردّني إلى السّجن، فلمّا كان في اليوم الثّاني قال: عليّ بالأعرابي.

فلمّا وقفت بين يديه، قال: طلّق سعدى.

فقلت: لا أفعل.

فسلّط عليّ يا أمير المؤمنين خدّامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحدٌ على وصفه، ثمّ أمر بي إلى السّجن؛ فلمّا كان في اليوم الثّالث قال: عليّ بالإعرابي، فلمّا وقفت بين يديه قال: عليّ بالسّيف والنّطع وأحضر السيّاف، ثمّ قال: يا أعرابي، وجلالة ربّي، وكرامة والدي، لئن لم تطلّق سعدى لأفرّقنّ بين جسدك وموضع لسانك.

فخشيت على نفسي القتل فطلّقتها طلقةً واحدةً على طلاق السّنّة، ثمّ أمر بي إلى السّجن فحبسني فيه حتّى تمّت عدّتها ثمّ تزوّجها، فبنى بها، ثمّ أطلقني.

فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين.

فو الله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبّها بلا عقلٍ، ثمّ انتحب حتىّ كادت نفسه تفيض. ثمّ أنشأ يقول:

في القلب منّي نارٌ ... والنّار فيه الدّمار

والجّسم منّي سقيمٌ ... فيه الطّبيب يحار

والعين تهطل دمعاً ... فدمعها مدرار

حملت منه عظيماً ... فما عليه اصطبار

فليس ليلي ليلٌ ... ولا نهاري نهار

فارحم كئيباً حزيناً ... فؤاده مستطار

اردد عليّ سعادي ... يثيبك الجبّار

ثمّ خرّ مغشيّاً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنّه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكّئاً، فلمّا نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثمّ جلس، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

اعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدّين، وإحساراً في حرم المسلمين، ثمّ قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديثٍ ما سمعت بمثله.

ثمّ قال: يا غلام عليّ بداوةٍ وقرطاسٍ فكتب إلى مروان: أمّا بعد، فإنّه بلغني عنك أنّك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدّين، وانتهكت حرمةً لرجلٍ من المسلمين.

وإنّما ينبغي لمن كان والياً على كورةٍ أو إقليمٍ أن يغضّ بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذّاته.

وإنّما الوالي كالرّاعي لغنمةٍ، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذئباً فمن يحوطها بعده.

ثمّ كتب بهذه الأبيات:

ولّيت، ويحك أمراً لست تحكمه ... فاستغفر الله من فعل امرئٍ زاني

قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ ... مع القراطيس تمثالاً وفرقان

حتّى أتانا الفتى العذريّ منتحباً ... يشكو إلينا ببثٍّ ثمّ أحزان

أعطي الإله يميناً لا أكفّرها ... حقّاً وأبرأ من ديني ودياني

إن أنت خالفتني فيما كتبت به ... لأجعلنّك لحماً بين عقباني

طلّق سعاد وعجّلها مجهّزةً ... مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان

فما سمعت كما بلّغت في بشرٍ ... ولا كفعلك حقاً فعل إنسان

فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها ... أو أن تلاقي المنايا بين أكفان

ثمّ ختم الكتاب، وقال: عليّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبيّ البريد.

فلمّا وقفا بين يده قال: أخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلاّ بيده.

قال: فخرجا بالكتاب حتّى وردا به عليه، فسلّما ثمّ ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردّده، ثمّ قام ودخل على سعدى وهو باكٍ، فلمّا نظرت إليه قالت له: سيّدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد عليّ في أمرك يأمرني فيه أن أطلّقك وأجهّزك وأبعث بك إليه.

وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثمّ يقتلني، فكان ذلك أحبّ إليّ.

فطلّقها وجهّزها ثمّ كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد ... أوفي بنذرك في رفقٍ وإحسان

وما ركبت حراماً حين أعجبني ... فكيف أدعى باسم الخائن الزاني

أعذر فإنّك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماقي على أمثال إنسان

فسوف يأتيك شمسٌ لا يعادلها ... عند الخليفة إنسٌ لا ولا جان

لولا الخليفة ما طلّقتها أبداً ... حتّى أضمّنّ في لحدٍ وأكفان

على سعادٍ سلامٌ من فتىً قلقٍ ... حتّى خلّفته بأوصابٍ وأحزان

ثمّ دفعه إليهما، ودفع الجّارية على الصّفة التي حدّث له. فلمّا وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثمّ قال: والله لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء إلى نفسه.

ثمّ أمر بالجّارية فأدخلت إليه، فإذا بجاريةٍ رعبوبةٍ لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها.

فعجب معاوية من حسنها ثمّ تحوّل إلى جلسائه وقال: والله إنّ هذه الجّارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النّعمة مع حسن الصّفة، لقد كملت النّعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب.

ثمّ قال: عليّ بالأعرابي.

فلمّا وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلوٍ، وأعوّضك عنها ثلاث جوارٍ أبكارٍ مع كلّ جاريةٍ منهنٍ ألف درهمٍ، على كلّ واحدةٍ منهنّ عشر خلعٍ من الخزّ والدّيباج والحرير والكتّان، وأجري عليك وعليهنّ ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهنّ حظاً من الصّلات والنّفقات؟ فلما أتمّ معاوية كلامه غشي على الأعرابيّ وشهق شهقةً ظنّ معاوية أنه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما

بالك يا أعرابي؟ قال: شر بال، وأسوأ حال، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثمّ أنشأ يقول:

لا تجعلني هداك الله من ملكٍ كالمستجير من الرّمضاء بالنّار
أردد سعاد على حرّان مكتئبٍ يمسي ويصبح في همٍّ وتذكار
قد شفّته قلقٌ ما مثله قلقٌ وأسعر القلب منه أيّ إسعار
والله والله لا أنسى محبّتها حتّى أغيّب في قبري وأحجاري
كيف السّلوّ وقد هام الفؤاد بها فإن فعلت فإني غير كفّار
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرمٍ لا فعل غيرك، فعل اللؤم والعار

ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلّ ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول:

أبى القلب إلاّ حبّ ليلى وبغّضت إليّ نساءً ما لهن ذنوب
وما هي إلاّ أن أراها فجاءةً فأبهت حتّى لا أكاد أجيب

فلمّا فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مقرٌّ عندنا أنّك قد طلّقتها، وقد بانت منك ومن مروان، ولكن نخيّرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحوّل معاوية نحوها ثمّ قال لها: يا سعدى أيّنا أحبّ إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره، أو مروان في غصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟. فأشارت الجّارية نحو ابن عمّها الأعرابي، ثمّ أنشأت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأطمار أعزّ عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التّاج أو مروان عامله وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثمّ قالت: لست، والله، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحقّ من صبر معه على السّرّاء والضّرّاء، وعلى الشّدّة والرّخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين [١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) أخبار النساء لابن الجوزي _ باب ما جاء في وصف النساء.

نساء صابرات

- أم سليم (رضي الله عنها) :

عن أنس قال مات بن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون انا أحدثه، قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة! أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا ، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله (ﷺ) فأخبره بما كان فقال رسول الله (ﷺ):" بارك الله لكما في غابر ليلتكما " قال فحملت قال فكان رسول الله (ﷺ) في سفر وهي معه وكان رسول الله (ﷺ) إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله (ﷺ) ، قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب! أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة! ما أجد الذي كنت أجد، انطلق فانطلقنا، قال وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاما فقالت لي أمي يا أنس لا يرضعه أحد حتى نغدو به على رسول الله(ﷺ)، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله (ﷺ) قال: فصادفته ومعه ميسم فلما رآني قال

لعل أم سليم ولدت، قلت: نعم ، فوضع الميسم قال وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله (ﷺ) بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله (ﷺ):" انظروا إلى حب الأنصار التمر" قال فمسح وجهه وسماه عبد الله[1].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِى طَلْحَةَ فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَتُوُفِّىَ الْغُلاَمُ فَهَيَّأَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَيِّتَ وَقَالَتْ لأَهْلِهَا لاَ يُخْبِرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَا طَلْحَةَ بِوَفَاةِ ابْنِهِ . فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ مَا فَعَلَ الْغُلاَمُ قَالَتْ خَيْرٌ مَا كَانَ. فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ عَشَاءَهُمْ فَتَعَشَّوْا وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى مَا تَقُومُ إِلَيْهِ الْمَرْأَةُ فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ فُلاَنٍ اسْتَعَارُوا عَارِيَةً فَتَمَتَّعُوا بِهَا فَلَمَّا طُلِبَتْ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَاكَ. قَالَ مَا أَنْصَفُوا. قَالَتْ فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِنَّ اللَّهَ قَبَضَهُ. فَاسْتَرْجَعَ وَحَمِدَ اللَّهَ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا رَآهُ قَالَ « بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِى لَيْلَتِكُمَا ». فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ فَوَلَدَتْهُ لَيْلاً وَكَرِهَتْ أَنْ تُحَنِّكَهُ حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَحَمَلْتُهُ غُدْوَةً وَمَعِى تَمَرَاتُ عَجْوَةٍ فَوَجَدْتُهُ يَهْنَأُ أَبَاعِرَ لَهُ أَوْ يَسِمُهَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتِ اللَّيْلَةَ فَكَرِهَتْ أَنْ تُحَنِّكَهُ حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله

---

١) صحيح مسلم _ باب فضائل أبي طلحة الأنصاري ﷺ.

عليه وسلم- فَقَالَ « أَمَعَكَ شَىْءٌ ». قُلْتُ تَمَرَاتُ عَجْوَةٍ. فَأَخَذَ بَعْضَهُنَّ فَمَضَغَهُنَّ ثُمَّ جَمَعَ بُزَاقَهُ فَأَوْجَرَهُ إِيَّاهُ فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُ فَقَالَ « حُبُّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِّهِ. قَالَ « هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ».[1].

ولقد وجدت لها شبيهة في بني إسرائيل، فعن القاسم بن محمد، قال: هلكت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني فيها،فقال: إنه قد كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم، عابد مجتهد، وكانت له امرأ ة، وكان بها معجبا ولها محبا ،فماتت فوجد عليها وجدا شديدا، وألقي عليها أسفا حتى خلى في بيت، وأغلق على نفسه، واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه أحد،وإن امرأة سمعت به، فجاءته، فقالت: إن لي إليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها، فذهب الناس، ولزمت الباب، فأخبر، فأذن لها، فقالت: إني جئتك أستفتيك في أمر، قال: وما هو؟ قالت: إني استعرت من جارة لي حُليا فكنت ألبسه وأعيره زمانا، ثم إنهم أرسلوا إليَ فيه أفأرده إليهم ؟ فقال: نعم والله، قالت: إنه مكث عندي زمانا، فقال: ذلك أحق لردك إياه حين أعار وكوه زمانا، فقالت له: يرحمك الله! فأتأسف علي ما أعارك الله! ثم أخذه منك وهو أحق به منك ؟ ! فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها[2].

ولكن هناك فرق كبير بين أم سليم وامرأة بني إسارئيل، لأن أم سليم، المصاب هو فلذة كبدها، والإسرائيلية ليست المصيبة مصيبتها فكان الشبه في الموعظة فقط.

---

١) مسند أحمد(١٢٣٥٤) ١٠٦/٣ صحيح ..

٢) رواه مالك في الموطأ – كتاب الجنائز – باب جامع الحسبة في المصيبة.

– أم سعد بن معاذ (رضي الله عنها) :

عندما قتل ابنها عمرو بن معاذ (رضي الله عنه) جاءت تعدو، وسعد وسعد أخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله ! أمي، فقال: " **مرحباً بها** " ووقف لها.. فلما دنت عزاها بابنها عمر بن معاذ، فقالت: أما إذا رأيتك سالماً ، فقد اشتوت المصيبة (أي قلتَّ) ثم دعا لأهل من قتل بأحد وقال: يا أم سعد ! أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفعوا في أهلهم جميعاً قالت: رضينا يا رسول الله ! ومن يبكى عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ! أدع لمن خلفوا منهم ، فقال: " **اللهم اذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا** " (١)

وما أن تمر سنتين من موت عمرو إلا ويلحق به أخيه البطل الشهيد سعد بن معاذ (ﷺ) الذي اهتز له عرش الرحمن فرحا بقدوم روحه، علي أثر جرح قد أصابه في غزوة الخندق، بعد أن حكمه رسول الله (ﷺ) في بني قريظة – وهو ابن سبع وثلاثون سنة – فصاحت أمه، **فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلا يَرْقَأُ دَمْعُكِ وَيَذْهَبُ حُزْنُكِ ؟ فَإِنَّ ابْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ** " (٢).

---

١) السيرة الحلبية ٤٧/٢ – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٥/٤.

٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ١٠٦/٣.

فجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد، فردها الناس فقال رسول الله (ﷺ): " **دعوها** "، فأقبلت حتي نظرت إليه وهو في اللحد قبل أن يبني عليه اللبن والتراب، فقالت: أحتسبك عند الله، وعزاها رسول الله ﷺ علي قبره (١).

وماتت أم سعد رضي الله عنها في السنة الخامسة من الهجرة، في نفس السنة التي مات فيها ابنها سعد رضي الله عنه (٢).

– أم كلثوم بنت عقبة (رضي الله عنها) :

أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ ، وَبَايَعَتْ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهَا هِجْرَةٌ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ، وَكَانَ خُرُوجُهَا زَمَنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ ، فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا أَخَوَاهَا الْوَلِيدُ وَعِمَارَةُ، فَمَا زَالَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَا: يَا مُحَمَّدُ، فِ لَنَا بِشَرْطِنَا، فَقَالَتْ: أَتَرُدُّنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْكُفَّارِ يَفْتِنُونِي عَنْ دِينِي وَلَا صَبْرَ لِي ، وَحَالُ النِّسَاءِ فِي الضَّعْفِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ }الْآيَتَيْنِ.

فَكَانَ يَقُولُ: آللَّهِ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِسْلَامُ ! مَا خَرَجْتُنَّ لِزَوْجٍ وَلَا مَالٍ، فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ، لَمْ يُرْجِعْهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ.

---

١) الطبقات الكبري لابن سعد ٤٣٢/٣.

٢) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٨٦/١٣.

وَلَمْ يَكُنْ لِأُمِّ كُلْثُومٍ بِمَكَّةَ زَوْجٌ فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، ثُمَّ طَلَّقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ : إِبْرَاهِيمَ ، وَحُمَيْدًا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا ، تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ؛ فَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ(١).

انظرن أيتها المسلمات: إلي صاحبة هذه السيرة العطرة، كيف فعلت عندما غُشي علي زوجها: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :{ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ }(٢)، قَالَتْ: غُشِيَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ غَشْيَةً ، فَظُنُّوا أَنَّهُ فَاضَ نَفْسُهُ فِيهَا، فَخَرَجَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، تَسْتَعِينُ بِمَا أُمِرَتْ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: أُغْشِيَ عَلَيَّ آنِفًا ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " صَدَقْتُمْ إِنَّهُ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فَقَالا: انْطَلِقْ نُحَاكِمْكَ إِلَى الْعَزِيزِ الأَمِينِ، فَقَالَ مَلَكٌ آخَرُ: أَرْجِعَاهُ، فَإِنَّ هَذَا مِمَّنْ كَتَبْتُمْ لَهُ السَّعَادَةَ وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيَسْتَمْتِعُ بِهِ بَنُوهُ مَا شَاءَ اللَّهُ "، فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا ثُمَّ مَاتَ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . (٣).

ما لطمت الخدود، ولا شقت الجيوب.. بل لجأت إلي علام الغيوب، الحي القيوم، تستعينُ بها ليرزقها الصبر، تتأول الآية ، والله إنه لفهم القرآن .

---

١) سير أعلام النبلاء_ أم كلثوم بنت عقبة.

٢) سورة البقرة _ الآية ٤٥.

٣) المستدرك على الصحيحين(رقم الحديث: ٢٩٩٢).

- **الصحابية الجليلة سُعَيْرَة الأسدية، من الحبشة، عرفت بأم زُفَر**

– رضي الله عنها:فعن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ :"إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ " ؟ فَقَالَتْ أَصْبِرُ، فَقَالَتْ :إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا [1]

- **العجـــوز المؤمنة :**

وقفت عجوز أمام الحجاج بن يوسف الثقفي، يوم أن سجن ابنها، وحلف بالله للعجوز أن يقتله، فقالت في ثقة: لو لم تقتله لمات!.

ما أعقلك أيتها العجوز المؤمنة، الواثقة بربها.. كيف أخذت هذا الأمر ببساطة؟.

فما أحلي الإيمان، إذا امتلأ به القلب، وتنور به العقل، وفاض علي اللسان ، وتزينت به الأركان.

- **أعرابية مؤمنة**

قال الأصمعي: أصيبت أعرابية بابنها وهي حاجة، فلما دفنته، قامت علي قبره وقالت: والله ! يا بني ، لقد غذوتك رضيعا ، وفقدتك سريعا ، وكأنه لم يكن بين

---

١) صحيح البخاري – كتاب المرضى – باب فضل من يصرع من الريح _ حديث رقم :٥٦٥٢ ، صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب _ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك _ حديث رقم : ٢٥٧٦ .

الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها ، فأصبحت بعض النضارة والغضارة ورونق الحياة ، والتنسم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى ، جسدا هامدا ، ورفاة سحيقا ، وصعيداً جرزاً .

أي بني: لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء، وأسكنتك دار البلى، ورمتني بعدك بنكبة الردى.

أي بني: لقد أسفر لي عن وجه الدنيا، صباح داج ظلامه. ثم قالت: أي رب: منك العدل.. وهبته لي قرة عين، فلم تمتعني به كثيرا بل سلبتنيه وشيكا ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضائك ، فرحم الله علي من ترحم علي من استودعته الروح ، ووسدته الثرى – اللهم : ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تتكشف الهنات والسوءات .

ولما أرادت الرجوع إلي أهلها، قالت: أي بني ! إنني قد تزودت لسفري، فليت شعري، ما زادك لبعد طريقك، يوم معادك ؟

اللهم إني أسألك له الرضا، برضائي عنه.

اللهم إني أستودعك من استودعتني إياه في أحشائي جنينا واثكل الوالدات، ما أمضى حرارة قلوبهن، وأقلق مضاجعهن، وأقصر نهارهن، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن من السرور، وأقربهن من الأحزان.. ثم حمدت الله ﷻ واسترجعت وانصرفت وأبكت كل الحاضرين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

مُتصدقات

قال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١).

وعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَامَ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَكَانَ يَقُولُ:" تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ". رواه مسلم(٢)

- إنفاق أم المؤمنين : عائشة (رضي الله عنها):

عن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما)، قال: مات رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء(رضي الله عنهما) وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلي الشيء، حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، أما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغد (٣).

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٣٥.

٢) صحيح مسلم _ كتاب صلاة العيدين _ رقم الحديث : ٨٨٩.

٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٤٣ .

وأخرج ابن سعد: عن أم درة، قالت: أتيت عائشة (رضي الله عنها) بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها ما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت لو كنت أذكرتين لفعلت ٠(١).

وكانت (رضي الله عنها) إذا أخرجت الصدقة تعطرها، وتقول: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل.

وإذا قال السائل: جزاك الله خيرا، تقول للخادم قول له: جزاك الله خيرا٠(لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

- إنفاق أم المؤمنين: سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) :

أخرج ابن سعد، عن محمد بن سيرين: أن عمر (رضي الله عنه) بعث إلي سودة (رضي الله عنها) بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت في غرارة مثل التمر ! ففرقتها.

- إنفاق أم المؤمنين: زينب بنت جحش (رضي الله عنها) :

عن عائشة (رضي الله عنها) **قالت: قال رسول الله (ﷺ)** : **" أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا "، قالت: فكن يتطاولن، أيتهن أطول يداً، قالت: وكان أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ٠ رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم** (٢).

---

١) كذا في الإصابة(حياة الصحابة – باب الإنفاق – قسم عائشة ٢١٩/٢).

٢) صحيح مسلم شرح النووي – باب فضائل أم المؤمنين زينب ٨/١٦ .

وفي لفظ البخاري: قالت عائشة (رضي الله عنها): فكنَّ إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي (ﷺ) إنما أراد طول اليد بالصدقة (١).

وكانت زينب امرأة صناع اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله. كذا في الإصابة لابن حجر.

وكانت زينب رضي الله عنها تخاف من فتنة المال.. يروي لنا ذلك بن سعد عن برة بنت رافع، قالت: لما خرج العطاء، أرسل عمر (رضي الله عنه) إلي زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها، قالت: غفر الله لعمر! غيري من إخواني كان أقوي علي قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، وقالت: صفوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي به إلي بني فلان، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ! حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برة: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله ! لقد كان لنا في هذا حق ! قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلي السماء، فقالت: اللهم! لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، فماتت.

وفي رواية أخري لابن سعد: عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش (رضي الله عنها) اثني عشر ألفا، لم تأخذه إلا عاما واحدا، فجعلت

---

١) مشكاة المصابيح – باب الإنفاق وكراهية الإمسك ١/٥٨٦.

تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر (رضي الله عنه)، فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام، وقال: بلغني ما فرقت، فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت به هذا المسلك كذا في الإصابة

- **إنفاق أم الدحداح (رضي الله عنها):**

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَأَبَى (١) فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ:

---

١) ورد اسم الرجل الذي قال له النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ) فَأَبَى ، عند البيهقي في "سننه" (٦/ ٢٦٠ .

فروى عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ : " أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَتَبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ : أَنَّهُ خَاصَمَ يَتِيمًا لَهُ فِي عِذْقِ نَخْلَةٍ ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي لُبَابَةَ بِالْعِذْقِ .فَضَجَّ الْيَتِيمُ وَاشْتَكَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي لُبَابَةَ : (هَبْ لِي هَذَا الْعِذْقَ يَا أَبَا لُبَابَةَ ؛ لِكَيْ نَرُدَّهُ إِلَى الْيَتِيمِ) .فَأَبَى أَبُو لُبَابَةَ أَنْ يَهَبَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَعْطِهِ هَذَا الْيَتِيمَ وَلَكَ مِثْلُهُ فِي الْجَنَّةِ) . فَأَبَى أَبُو لُبَابَةَ أَنْ يُعْطِيَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنِ ابْتَعْتُ هَذَا الْعِذْقَ فَأَعْطَيْتُ الْيَتِيمَ ؛ أَلِي مِثْلُهُ فِي الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَعَمْ) . فَانْطَلَقَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا لُبَابَةَ فَقَالَ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَبْتَاعُ مِنْكَ هَذَا الْعِذْقَ بِحَدِيقَتِي ، وَكَانَتْ لَهُ حَدِيقَةُ نَخْلٍ . فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ : نَعَمْ ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ بِحَدِيقَةٍ . فَلَمْ يَلْبَثِ ابْنُ الدَّحْدَاحَةِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ شَهِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (رُبَّ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ لِابْنِ الدَّحْدَاحَةِ فِي الْجَنَّةِ) .

بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. فَفَعَلَ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَاجْعَلْهَا لَهُ ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا .فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ مِنْ عِذْقٍ (١). رَدَاحٍ (٢) لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ) قَالَهَا مِرَارًا .فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ – أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا (٣).

ففي هذه الرواية أن هذا الرجل هو أبو لبابة، واسمه: بشير بن عبد المنذر الأنصاري ، وقيل اسمه رفاعة ، وقيل غير ذلك ، والمشهور الأول ."الإصابة" (٧/ ٢٨٩-٢٩٠) وهذا الإسناد ضعيف لإرساله ، ولكنه من مراسيل سعيد بن المسيب ، ومراسيل ابن المسيب قوية عند بعض أهل العلم، قال الذهبي: " مَرَاسِيْلُ سَعِيْدٍ مُحْتَجٌّ بِهَا " انتهى من "سير أعلام النبلاء" (٥/ ١٢٥) .

وقال الحافظ: اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل " ."تقريب التهذيب" (ص ٢٤١).

قال النووي رحمه الله: " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ مِنْ عِذْق مُعَلَّق فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح)، قَالُوا: سَبَبه أَنَّ يَتِيمًا خَاصَمَ أَبَا لُبَابَة فِي نَخْلَة فَبَكَى الْغُلَام ؛ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : " أَعْطِهِ إِيَّاهَا وَلَك بِهَا عِذْق فِي الْجَنَّة " ، فَقَالَ : لَا ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو الدَّحْدَاح ، فَاشْتَرَاهَا مِنْ أَبِي لُبَابَة بِحَدِيقَةٍ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلِيَ بِهَا عِذْقٌ إِنْ أَعْطَيْتهَا الْيَتِيم ؟ قَالَ : (نَعَمْ) ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ عِذْق مُعَلَّق فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح) " انتهى .

١) قال النووي رحمه الله : " الْعِذْقُ هُنَا بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ الْغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ . وَأَمَّا الْعَذْقُ بِفَتْحِهَا فَهُوَ النَّخْلَةُ بِكَمَالِهَا ، وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا " انتهى.

٢) والرداح : الثقيل .

٣) الإمام أحمد (١٢٤٨٢) ، وابن حبان (٧١٥٩) ، والحاكم (٢١٩٤)وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم " ، وكذا صححه الألباني في " الصحيحة "(٢٩٦٤) على شرط مسلم ..

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ: " صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ : ثُمَّ أُتِيَ بِفَرَسٍ عُرْيٍ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ ، وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ ، نَسْعَى خَلْفَهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ – أَوْ مُدَلًّى – فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ) أَوْ قَالَ شُعْبَةُ – راوي الحديث – : (لِأَبِي الدَّحْدَاحِ) (١).

وروى الطبراني في "الكبير" (٧٦٤) بسند ضعيف عَنْ ابن مَسْعُودٍ ، قَالَ : " لَمَّا نَزَلَتْ (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) ، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ ؟ قَالَ: (نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ). قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ.فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، وَهِيَ فِي الْحَائِطِ.فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي. "

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (٢) قال أبو الدَّحداح: يا رسول الله أو إن الله تعالى يريد منا القَرْضَ؟ قال: " نعم يا أبا الدَّحداح" قال: أرني يدك؛ قال فناوله؛ قال: فإني أقرضتُ الله حائطًا فيه ستمائة نخلةٍ، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدَّحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أم الدَّحداح؛ قالت: لبيك؛

---

١) صحيح مسلم (٩٦٥).

١) سورة البقرة _ الآية ٢٤٥.

قال: اخرجي، قد أقرضتُ ربي عز وجل الحائط. قالت أمُّ الدَّحداح: ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم؛ حتى أفضت إلى الحائط الآخر (١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةُ :(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً). قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْتَاجُ إِلَى الْقَرْضِ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ . قَالَ : " يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ " . قَالَ : فَاسْتَقَلَّ الأَنْصَارِيُّ إِلَى أَبِي الدَّحْدَاحِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً مُحْكَمَةً فِيهَا شِفَاءٌ لِلصُّدُورِ يَبْلُغُ بِهَا صَاحِبُهَا دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ :(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) . فَأَقْبَلَ أَبُو الدَّحْدَاحِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةَ:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)؟ قَالَ : " نَعَمْ ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ " . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُ النَّاسَ الْقَرْضَ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ. فَقَالَ: " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ . قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقْرَضْتُ اللَّهُ قَرْضًا تَضْمَنُ لِيَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: " نَعَمْ ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ". قَالَ: وَزَوْجَتِي ؟ قَالَ: " وَزَوْجَتُكَ ". قَالَ: وَصِبْيَانِي ؟ قَالَ: " اللَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ وَالصِّبْيَانُ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ

١) تفسير القرطبي – الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

جَعَلْتُ حَائِطِي لِلَّهُ سُبْحَانَهُ قَرْضًا ، قَالَ: " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، إِنَّا لَمْ نَسْأَلْكَ كِلاهُمَا، فَاجْعَلْ أَحَدَهُمَا ، وَيَكُونُ الآخَرُ مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ " . قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا ، فَقَالَ: " يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ إِذًا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ ". قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيُّ حَتَّى أَتَى أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صِبْيَانِهَا تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ: هدَاكَ اللَّهُ سُبُلَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ بَيْتِي مِنَ الْحَائِطِ الَّذِي فِي الْوَادِي فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِ أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى اعْتِمَادِي بِالطَّوْعِ لا مَنٌّ وَلا ارْتِدَادِ إِلا رَجَاءَ التَّضْعِيفِ فِي الْمَعَادِ فَوَدِّعِي الْحَائِطَ وَدَاعَ الْغَادِي وَارْتَحِلِي بِالْفَضْلِ وَالأَوْلادِ وَاسْتَبْقِي هُدِيتِ لِلرَّشَادِ إِنَّ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى لَخَيْرُ زَادٍ قَدَّمَهُ الْمَرْءُ إِلَى الْمَعَادِ قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ : أَمَا إِذْ بِعْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبَيْعٌ مُرْبِحٌ ، لا يُقَالُ وَلا يُسْتَقَالُ ، وَلَوْلا ذَلِكَ ايْمُ اللَّهِ لَمْ تَمْلِكْ إِلا حِصَّتَكَ ، قَالَ لَهَا : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، لا أُبَالِكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : مِثْلُكَ أَدَّى مَا لَدَيْهِ وَنَصَحَ وَلَكَ الْحَظُّ إِذَا الْحَظُّ وَضُحَ قَدْ مَتَّعَ اللَّهُ عِيَالِي مَا صَلُحَ بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوَ الْبَلَحَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِي كَانَ مَنَحَ فِي وَاجِبِ الْحَقِّ مَعَ مَا قَدْ شَرَحَ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَدَحَ طُولَ اللَّيَالِي وَعَلَيْهِ مَا اكْتَدَحَ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْفُضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْحَائِطِ (١).

الله أكبر ! ما أجمل هذه الكلمات التي أنطق الله بها فوهكِ يا أم الدحداح: (**ربح بيعك.. بارك الله لك فيما اشتريت .. أَمَا إِذْ بِعْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبَيْعٌ**

١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(٤٤٤١).

مُرْبِحٌ ، لا يُقَالُ وَلا يُسْتَقَالُ ، وَلَوْلا ذَلِكَ ايْمُ اللَّهِ لَمْ تَمْلِكْ إلا حِصَّتَكَ)، والذي أجمل من قولك فهو فعلك (. **ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْفُضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْحَائِطِ).**

القول: (ربح بيعك) يدل علي قوة الإيمان بالغيب ورؤية القلب ماعند الله في جنته من النعيم.

ماذا تقولين لو كنت مكانها؟

تصوري، لو أن زوجك عاد إليك يوما من عمله، فقال: يا أم فلان! وأنا في عودتي إليك من العمل، وجدت قوما منكوبين، ويحتاجون إلي المال، فأعطيتهم كل مرتبي لهذ الشهر؟ أدع لك الإجابة، أما أم الدحداح فقد تصدق زوجها بالحائط كله، الذي يقتاتون منه طول العام، ولكن السعادة تملأ قلبها، وتقول: ربح البيع.. يا لها من كلمة مملوءة بالإيمان بالله (ﷻ)، والثقة فيما عند الله عز وجل (١).

- إنفاق خَيْرَةُ امْرَأَةُ كَعْبِ بن مالك الأنصاري(رضي الله عنها):

عن الليث بن سعد، عن رجل من ولد كعب بن مالك، يقال له: عَبْد الله بن يحيى، عن أبيه، عن جدته خيرة امْرَأَة كعب بن مالك أنها أتت رسول الله (ﷺ) بحليٍّ لها فقالت: إني تصدَّقت بهذا. فقال رسول الله (ﷺ): " إنه لا يجوز للمرأة في مالها أمرٌ إلاّ بإذن زوجها. فهل استأذنتِ كعباً؟" فقالت: نعم. فبعث رسول

---

١) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبغوي (انظر كتاب حياة الصحابة٢/١٤).

الله (ﷺ) إلى كعب فقال: "هل أذنت لخيرة أن تتصدَّقَ بحليِّها؟" فقال: نعم. فقبله رسول الله (ﷺ) منها [١].

وجدير بنا أن نختم هذا الباب بوصية النبي(ﷺ) لأسماء بنت أبي بكر: " **عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْفِقِي – أَوْ انْضَحِي، أَوْ انْفَحِي – وَلَا تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ» متفق عليه** (٢).(٣).

---

١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ خيرة امرأة كعب بن مالك.

٢) صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء حديث رقم ١٠٢٩.

٢) قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنْفِقِي وَانْفَحِي وَانْضَحِي) أَمَّا انْفَحِي فَبِفَتْحِ الْفَاءِ وَبِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ.

وَأَمَّا انْضِحِي فَبِكَسْرِ الضَّادِ وَمَعْنَى انْفَحِي وَانْضِحِي أَعْطِي وَالنَّفْحُ وَالنَّضْحُ الْعَطَاءُ وَيُطْلَقُ النَّضْحُ أَيْضًا عَلَى الصَّبِّ فَلَعَلَّهُ الْمُرَادُ هُنَا وَيَكُونُ أَبْلَغَ مِنَ النَّفْحِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (انْفَحِي وَانْضِحِي وَأَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ) مَعْنَاهُ الحث علىالنَّفَقَةِ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْإِمْسَاكِ وَالْبُخْلِ وَعَنِ ادِّخَارِ الْمَالِ فِي الْوِعَاءِ قَوْلُهُ (عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَيْسَ لِي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَا أَدْخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَرْضَخَ مِمَّا يُدْخِلُ عَلَيَّ فَقَالَ ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ) هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى مَا أَعْطَاهَا الزُّبَيْرُ لِنَفْسِهَا بِسَبَبِ نَفَقَةٍ وَغَيْرِهَا أَوْ مِمَّا هُوَ مِلْكُ الزُّبَيْرِ وَلَا يَكْرَهُ الصَّدَقَةَ مِنْهُ بَلْ رَضِيَ بِهَا عَلَى عَادَةِ غَالِبِ النَّاسِ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَرِيبًا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ) مَعْنَاهُ مِمَّا يَرْضَى بِهِ الزُّبَيْرُ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ لَكِ فِي الرَّضْخِ مَرَاتِبَ مُبَاحَةً بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَكُلُّهَا يَرْضَاهَا الزُّبَيْرُ فَافْعَلِي أَعْلَاهَا أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ مَا

يُطعمن الطعام

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ تَجْعَلُ عَلَى أَرْبِعَاءَ فِي مَزْرَعَةٍ لَهَا سِلْقًا فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ تَنْزِعُ أُصُولَ السِّلْقِ فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ ثُمَّ تَجْعَلُ عَلَيْهِ قَبْضَةً مِنْ شَعِيرٍ تَطْحَنُهَا فَتَكُونُ أُصُولُ السِّلْقِ عَرْقَهُ وَكُنَّا نَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَتُقَرِّبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا فَنَلْعَقُهُ وَكُنَّا نَتَمَنَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذَلِكَ.وَقَالَ مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ (١).

وفي رواية: ليس فيها شحم ولا ودك، وكنا نفرح بيوم الجمعة. (٢).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

اسْتَطَعْتِ مِمَّا هُوَ مِلْكٌ لَكِ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَيُوعِيَ عَلَيْكِ) هُوَ مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ لِلتَّجْنِيسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَمَكَرُوا ومكر الله وَمَعْنَاهُ يَمْنَعُكِ كَمَا مَنَعْتِ وَيَقْتُرُ عَلَيْكِ كَمَا قَتَرْتِ وَيُمْسِكُ فَضْلَهُ عَنْكِ كَمَا أَمْسَكْتِهِ وَقِيلَ مَعْنَى لَا تُحْصِي أَيْ لَا تَعُدِّيهِ فَتَسْتَكْثِرِيهِ فَيَكُونُ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ إِنْفَاقِكِ (باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ وَلَا تَمْتَنِعُ مِنْ الْقَلِيلِ لِاحْتِقَارِهِ).

١) صحيح البخاري « كتاب الجمعة « باب قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله رقم الحديث : ٨٩٦.

٢) كذا في الترغيب (١٧٣/٥)..

داعيات إلي الله ﷻ

- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها):

كان إسلام خديجة خير وبركة علي كثير من نساء قريش، فكانت لها الأثر الكبير علي النساء لرجاحة عقلها، وثقلها بين النساء، فقد ذكر ابن سعد في الطبقات: رقية بنت رسول الله (ﷺ) أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (١).

وذكر أيضا: أم كلثوم بنت رسول الله (ﷺ) أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (٢).

فكانت تجتهد علي النساء تدعوهن إلي الله فيسلمن ويدخلن في الإسلام.

فكانت النساء تقبلُ منها،لأنها كانت محبوبة لمالها وحسبها وعقلها وخُلقها ودينها.

- أم شريك (رضي الله عنها):

واسمها غزيلة، ويقال غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية من الأزد(٣).

وقد اختلف في نسبها فجمع ابن حجر بين الروايات، فقال: والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة، اختلف في نسبتها أنصارية أو عامرية من قريش، أو

---

١) الطبقات الكبري لابن سعد ٣٦/٨ .

٢) المرجع السابق ٣٧/٨ .

٣) أسد الغابة ١/ ١٣٩١.

أزدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاث، ممكن كأن يقال: قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، أو لم تتزوج بل هي أنصارية بالمعني الأعم(١).

هذه المرأة المسلمة التي أسلمت قديماً في مكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس ﷺ: قال وقع في قلب أم شريك رضي الله عنها الإسلام، فأسلمت وهى بمكة وكانت تحت (أبى العسكر الدوسى)، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهم إلى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لها لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم. قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى شيئ موطأ ولا غيره ثم تركونى ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقوننى، قال: فما أتت على ثلاث حتى ما فى الأرض شيئ أسمعه، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا أوثقونى فى الشمس وأستظلوا وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأثر شيئ على برد منه، ثم رفع ، ثم عاد فتناولت، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ، ثم نزع منى، ثم عاد، فتناولته فشربته منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، ثم رفع، فصنع ذلك مراراً، حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا، فإذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: انحللتى فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ فقالت: لا الله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتى صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها وأسلموا بعد ذلك (٢) .

أسلم زوجها وهو أبو العسكر فهاجر إلى رسول الله مع أبي هريرة مع دوس حين هاجروا، قالت: أم شريك فجاءني أهل أبي العكسر، فقالوا: لعلك على دينه،

---

١) الإصابة لابن حجر ٨ /٤٢٠ ، حلية الأولياء لأبي نعيم ٦٦/٢.

١) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٤٢/٢ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٣٨/٨ .

قلت: أي والله! إني لعلي دينه، قالوا: لا جرم، والله! لنعذبنك عذابا شديدا، فارتحلوا بنا من دارنا، ونحن كنا بذي الخلصة وهو موضعنا فساروا يريدون منزلا وحملوني على جمل ثفال شر ركابهم وأغلظه يطعموني الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء، حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس ونحن قائظون فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ففعلوا ذلك بي ثلاثة أيام، فقالوا لي في اليوم الثالث: اتركي ما أنت عليه، قالت: فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد قالت: فوالله! إني لعلي ذلك وقد بلغني الجهد، إذ وجدت برد دلو على صدري فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ثم انتزع مني فذهبت انظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض فلم أقدر عليه، ثم دلي إلي ثانية فشربت منه نفسا ثم رفع، فذهبت أنظر فإذا هو بين السماء والأرض ثم دلي إلي الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي قالت فخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله، قالت: فقلت لهم: إن عدوة الله غيري من خالف دينه، وأما قولكم من أين هذا؟ فمن عند الله رزقا رزقنيه الله، قالت: فانطلقوا سراعا إلى قربهم وإدواهم فوجدوها موكأة لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا وأن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعا إلى رسول الله وكانوا يعرفون فضلي عليهم وما صنع الله إلي وهي التي وهبت نفسها للنبي (ﷺ) وهي من الأزد، فعرضت نفسها على النبي (ﷺ) وكانت جميلة وقد أسنت، فقالت: إني أهب نفسي لك وأتصدق بها عليك فقبلها النبي (ﷺ) فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك فسماها الله مؤمنة فقال﴿: وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً

إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة إن الله ليسرع لك في هواك(٢).

- أم المومنين عائشة (رضي الله عنها):

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الأَصَمِّ ، قَالَ : تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ ، أَنَا وَابْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا ، وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ ، فَبَلَغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعْذِلُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعَظَتْنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ ؟ ذَهَبَتْ وَاللَّهِ مَيْمُونَةُ وَرَمَى بِحَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ (٣).

رحم الله أمنا عاشة رضي الله عنها المؤمنة التقية النقية الطاهرة العفيفة الداعية إلي الواعظة.. فهي عندما رأت الخطأ ذكرت بالله ووعظت.

---

١) سورة الأحزاب _ الآية ٥٠.

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد .

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد « طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ « ذِكْرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ » مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بن حزن بن بجير بن الهزم ١٣٨/٨_ رقم١٠٠٧٦، ومستدرك الحاكم ٣٢/٤ .

- **أم سليم(رضي الله عنها):**

يأتيها أبو طلحة خاطبا، وهو مشرك فتدعوه للإسلام فقالت: يا أبا طلحة ! ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده نبت من الأرض ؟ قال: بلي. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غيره، قال: حتى انظر في أمري، فذهب ثم جاء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحه فزوجها.**كذا في الإصابة.**

- **سفانة بنت حاتم الطائي(رضي الله عنها):**

كان لسفانة بنت حاتم دور كبير في دعوة أخيها عدي بن حاتم وأثرها عليه حتى دخل في الإسلام ، حيثُ أنها عاشرت بيئة الإسلام والدعوة في مسجد النبي بالمدينة المنورة، علي ساكنها أفضل التحية وأتم السلام، فعَنْ شَيْبَانَ بْنِ سَعْدٍ الطَّائِيِّ ، قَالَ: كَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ طَيِّئٍ، يَقُولُ، فِيمَا بَلَغَنِي: " مَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي، أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ امْرَأً شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا أَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالْمِرْبَاعِ، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ؛ كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لِغُلامٍ، كَانَ لِي عَرَبِيٌّ وَكَانَ رَاعِيًا لإِبِلِي: لا أَبَا لَكَ ، أَعْدِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالا ذُلُلا سِمَانًا مِسَانًا فَاحْبِسْهَا قَرِيبًا مِنِّي ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلادَ ، فَآذِنِّي، فَفَعَلَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ مَا

كُنْتَ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الآنَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ قَالَ: فَقُلْتُ: قَرِّبْ لِي جِمَالِي، فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقُ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ، فَسَلَكْتُ الْحُوشِيَّةَ وَخَلَفْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ، أَقَمْتُ بِهَا. وَتَخَالَفَنِي خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِيمَنْ أُصِيبَ ، فَقُدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي سَبَايَا طَيِّئٍ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) هَرَبِي إِلَى الشَّامِ، قَالَ: فَجُعِلَتْ ابْنَةُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتِ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ بِهَا. فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَامَتْ إِلَيْهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ: " وَمَنْ وَافِدُكِ ؟ " قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ: " الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ " قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ مَرَّ بِي وَقَدْ أَيِسْتُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قُومِي إِلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ. قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: " قَدْ فَعَلْتُ، فَلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً، حَتَّى يُبَلِّغَكِ إِلَى بِلادِكِ ثُمَّ آذِنِينِي" . قَالَتْ: فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ كَلِّمِيهِ . فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. قَالَتْ: وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ مِنْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ ، قَالَتْ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلاغٌ،

قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَحَمَلَنِي وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ. قَالَ عَدِيٌّ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تُصَوِّبُ إِلَيَّ تَؤُمُّنَا، قَالَ: فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ. قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ، تَقُولُ: الْقَاطِعُ الظَّالِمُ احْتَمَلْتَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَتَرَكْتَ بُنَيَّةَ وَالِدِكَ وَعَوْرَتَهُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أُخَيَّةُ لا تَقُولِي إِلا خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا لِي عُذْرٌ لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً: مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا ؛ فَالسَّابِقُ إِلَيْهِ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا ؛ فَلَنْ تُذَلَّ فِي عِزِّ الْيَمَنِ وَأَنْتَ أَنْتَ. قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِلرَّأْيُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: " مَنِ الرَّجُلُ ؟ " فَقُلْتُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَتَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةً لِيفًا فَقَذَفَهَا إِلَيَّ، فَقَالَ لِي: " اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ "، قَالَ: قُلْتُ : لا بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا. قَالَ: " لا بَلْ أَنْتَ "، فَجَلَسْتُ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ). قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ! ثُمَّ قَالَ: " إِيهٍ يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا ؟ " ، قَالَ : قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: " أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرَ فِي قَوْمِكَ بِالْمِرْبَاعِ "، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ: "

فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ ". قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " لَعَلَّهُ يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ يَفِيضُ فِيهِمْ حَتَّى لا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فَوَ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ ، لا تَخَافُ إِلا اللَّهَ وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ ؛ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ، وَايْمُ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ " . قَالَ : فَأَسْلَمْتُ ". فَكَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَقُولُ: مَضَتِ الثِّنْتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ، قَدْ رَأَيْتُ الْقُصُورَ الْبِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ ، وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لا تَخَافُ شَيْئًا حَتَّى تَحُجَّ هَذَا الْبَيْتِ، وَايْمُ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ.

قَالَ الواقدي: وَفِيهَا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ. . تم الطّائي. تقدم نسبها عند أخيها عَدي، وكان أبوها حاتم يكنى أبا سفَّانة. [1].

---

١) تاريخ الطبري _ ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ٣/٥٦ ، وقد ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة . كتاب النساء _ ترجمة سفانة بنت حاتم.

- فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها):

فاطمة بنت الخطاب بْن نفيل بْن عبد العزى القرشية العدوية، أخت عُمَر بْن الْخَطَّابِ زوجة سَعِيد بْن زيد بْن عَمْرو بْن نفيل، أسلمت قديمًا.

وقيل : أسلمت قبل زوجها، وقيل مَعَ زوجها وذلك قبل إسلام عمر أخيها رضي اللَّه عنها، وخبرها فِي إسلام عمر خبر عجيب وقد ذكر في أبواب أخري من هذا الكتاب، فأعرضنا عن ذكره هنا خشية التكرار.

وكل النساء في عهد النبوة كن داعيات إلي الله (ﷻ) ولكن ذكرنا بعض الذي ذكرت لنا كتب السيرة دعوتهن.

- سعدي بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس (رضي الله عنها):

والتي أثمرت دعوتها هداية ابن اختها: السيد الإمام ثالث الخلفاء، أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو عمرو وأبو عبد الله القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. وأمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس.

وأمها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

أسلم عثمان رضي الله عنه قديما على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر، وملخص ذلك: أنه لما بلغه أن رسول الله زوج ابنته رقية – وكانت ذات جمال – من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما، فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز - وكانت كاهنة - فقالت له: أبشر وحييت ثلاثا تترا، ثم ثلاثا وثلاثا أخرى، ثم بأخرى كي تتم عشرا، أتاك خير، ووقيت شرا، أنكحت والله حصانا زهرا، وأنت بكر، ولقيت بكرا، وافيتها بنت عظيم قدرا، بنيت أمرا قد أشاد ذكرا.

قال عثمان: فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد تزوجت بغيري، فقلت: يا خالة ! ما تقولين ؟.

فقالت: عثمان لك الجمال، ولكِ اللسان، هذا النبي معه البرهان. أرسله بحقه الديان، وجاءه التنزيل والفرقان، فاتبعه لا تغتالك الأوثان.

قال: فقلت: إنك لتذكرين أمرا ما وقع ببلدنا.

فقالت: محمد بن عبد الله رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله يدعو به إلى الله، ثم قالت: مصباحه مصباح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، ذلَّت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح ومدت الرماح.

قال عثمان: فانطلقت مفكرا، فلقيني أبو بكر فأخبرته، فقال: ويحك يا عثمان، إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟.

قال: قلت بلى! والله إنها لكذلك.

فقال: والله لقد صدقتك خالتك هذا رسول الله محمد بن عبد الله، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته، هل لك أن تأتيه؟.

فاجتمعنا برسول الله، فقال: يا عثمان، أجب الله إلى حقه، فأنا رسول الله إليك وإلى خلقه.

قال: فوالله ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله ، فكان يقال:

أحسن زوج رآه إنسان رقية وزوجها عثمانُ

فقالت في ذلك سُعدى بنت كريز:

هدى الله عثمانا بقولي إلى الهدى وأرشده والله يهدي إلى الحقِ
فتابع بالرأي السديد محمدا وكان برأي لا يصد عن الصدقِ
وأنكحه المبعوث بالحق بنته فكانا كبدر مازج الشمس في الأفقِ
فداؤك يا ابن الهاشميين مُهجتي وأنت أمين الله أرسلت للخلقِ

قال: ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون، وبأبي عبيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا، وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلا.

وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة.

فلما كانت وقعة بدر اشتغل (ﷺ) بتمريض ابنة رسول الله، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله بسهمه منها، وأجره فيها فهو معدود فيمن شهدها.

فلما توفيت زوَّجه رسول الله بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا في صحبته، وقال رسول الله : » لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان.«

وشهد أحدا، وفر يومئذ فيمن تولى، وقد نص الله على العفو عنهم، وشهد الخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله يومئذٍ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك، وجهز جيش العسرة.

وتقدم عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذٍ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها، وعن عبد الرحمن بن سمرة: أنه جاء يومئذٍ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ، فقال : » ماضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين.

وحج مع رسول الله حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راضٍ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راضٍ، وصحب عمر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راضٍ.

ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خيرهم كما سيأتي.

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيرا من الأقاليم والأمصار، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنا﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢).

---

١) سورة النور _ الآية ٥٥.

٢) سورة التوبة _ الآية ٣٣.

وقوله (ﷺ): "إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١) (٢).

وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد زمان عثمان رضي الله عنه.

وقد كان رضي الله عنه حسن الشكل، مليح الوجه، كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، يُؤثر أهله وأقاربه في الله، تأليفا لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبي(ﷺ) يعطي

---

١) سنن الترمذي » كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء إذا ذهب كسرى فلا كسرى بعده.

٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ : قَدِ اسْتُشْكِلَ هَذَا مَعَ بَقَاءِ مَمْلَكَةِ الْفُرْسِ لِأَنَّ آخِرَهُمْ قُتِلَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ ، وَاسْتُشْكِلَ أَيْضًا مَعَ بَقَاءِ مَمْلَكَةِ الرُّومِ وَأُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُرَادَ لَا يَبْقَى كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلَا قَيْصَرَ بِالشَّامِ وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ ، قَالَ وَسَبَبُ الْحَدِيثِ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَأْتُونَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ تُجَّارًا ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا خَافُوا انْقِطَاعَ سَفَرِهِمْ إِلَيْهِمَا لِدُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَهُمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ وَتَبْشِيرًا لَهُمْ بِأَنَّ مُلْكَهُمَا سَيَزُولُ عَنِ الْإِقْلِيمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ، وَقِيلَ الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ قَيْصَرَ بَقِيَ مُلْكُهُ وَإِنَّمَا ارْتَفَعَ مِنَ الشَّامِ وَمَا وَالَاهَا وَكِسْرَى ذَهَبَ مُلْكُهُ أَصْلًا وَرَأْسًا ، أَنَّ قَيْصَرَ لَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِلَهُ وَكَادَ أَنْ يُسْلِمَ ، وَكِسْرَى لَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَزَّقَهُ ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقَ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، قَالَ الْخَطَّابُ مَعْنَاهُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ يَمْلِكُ مِثْلَ مَا يَمْلِكُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ وَبِهَا بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّذِي لَا يَتِمُّ لِلنَّصَارَى نُسُكٌ إِلَّا بِهِ وَلَا يَمْلِكُ عَلَى الرُّومِ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ قَدْ دَخَلَهُ إِمَّا سِرًّا وَإِمَّا جَهْرًا ، فَانْجَلَى عَنْهَا قَيْصَرُ ، وَاسْتُفْتِحَتْ خَزَائِنُهُ وَلَمْ يَخْلُفْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَيَاصِرَةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ بَعْدَهُ ، انْتَهَى.

أقواما ويدع آخرين، يعطي أقواما خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان.

وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله في الإيثار.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

مُضَحِيَات

– آسية بنت مزاحم (عليها السلام) : زوجة الطاغية فرعون حاكم مصر عليه اللعنة الذي تجبر وعلا حين ادعي الربوبية والألوهية، فقال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾[١] ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[٢].

فأكرمها الله بالهداية، فآمنت بموسي عليه السلام وأحبته، وكانت تنفق عليه وعلي كل من اتبعه، فلما علم فرعون عليه اللعنة أمر بتعذيبها، بالشمس، فإذا انصرف عنها، أظلتها الملائكة بأجنحتها، فلما اشتد بها التعذيب﴿ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين﴾ (٣)، **قال العلماء:** ما أحسن هذا الكلام اختارت الجار قبل الدار، فهي تطمع في جوار الله قبل القصور، وفي الآية دليل علي قوة إيمانها وتصديقها بالبعث ، وبعد أن طلبت جوار الله ، طلبت النجاة من فرعون وطغيانه، وأتباعه (وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين) فشد يديها ورجليها، وهي صابرة، فرأت بيتها في الجنة، فضحكت حين رأته، فقال: فرعون: ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها ونجاها الله تعالي أكرم نجاة، فرفعها إلي الجنة تأكل وتشرب وتتنعم.

---

١) سورة النازعات _ الآية ٢٤.

٢) سورة القصص _ الآية ٣٨.

٣) سورة التحريم – الآية ١١.

فجعل الله حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعدي أعداء الله (فرعون) وهي في أعلي غرف الجنة..فلم يضرها اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح ولوط، اتصالهن بهما وهما رسولا رب العالمين ٠

وبهذه التضحيات العظيمة التي ضحت بها السيدة آسية، حيث ضحت بالأبهة والعظمة، حيث أنها كانت سيدة القصر الفرعوني، حيث الخدم والحشم.. فالله جل جلاله أعزها ورفع شأنها وذكرها في أشرف كتبه المنزلة، وزوجها بخير البشر (محمد ﷺ) في الجنة٠

الأحاديث التي وردت في فضلها:

١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ " [١].

٢) عن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا : آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) متفق عليه [٢].

---

١) المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْمِيمِ» مَنِ اسْمُهُ : مُحَمَّدٌ(٧٦٢٤).

٢) رواه البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١)..

٣) عن سعد بن جنادة، هو العوفي، قال: قال رسول ﷺ: " إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وامرأة فرعون وأخت موسي" رواه الطبراني.

٤) وَذَكَرَ الْحَافِظ اِبْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلَام مِنْ طَرِيق سُوَيْد بْن سَعِيد ثَنَا مُحَمَّد بْن صَالِح بْن عُمَر عَنْ الضَّحَّاك وَمُجَاهِد عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ : جَاءَ جِبْرِيل إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّتْ خَدِيجَة فَقَالَ إِنَّ اللَّه يُقْرِئُهَا السَّلَام وَيُبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّة مِنْ قَصَب بَعِيد مِنْ اللَّهَب لَا نَصَب فِيهِ وَلَا صَخَب مِنْ لُؤْلُؤَة جَوْفَاء بَيْن بَيْت مَرْيَم بِنْت عِمْرَان وَبَيْت آسِيَة بِنْت مُزَاحِم .

٥) وَمِنْ حَدِيث أَبِي بَكْر الْهُذَلِيّ عَنْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى خَدِيجَة وَهِيَ فِي الْمَوْت فَقَالَ " يَا خَدِيجَة إِذَا لَقِيت ضَرَائِرَك فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّي السَّلَام " فَقَالَتْ يَا رَسُول اللَّه وَهَلْ تَزَوَّجْت قَبْلِي ؟ قَالَ " لَا وَلَكِنَّ اللَّه زَوَّجَنِي مَرْيَم بِنْتَ عِمْرَان وَآسِيَةَ اِمْرَأَة فِرْعَوْن وَكَلْثَمَ أُخْت مُوسَى"[1].

وَفي رواية أَبُو يَعْلَى : عَنْ أَبِي أُمَامَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أُعْلِمْت أَنَّ اللَّه زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّة مَرْيَم بِنْت عِمْرَان وَكَلْثَمَ

١) المعجم الكبير للطبراني » بَابُ السِّينِ» سَعْدُ بْنُ جُنَادَةَ الْعَوْفِيُّ (٥٣٤٧)..

أُخْت مُوسَى وَآسِيَة اِمْرَأَة فِرْعَوْن ؟ " فَقُلْت هَنِيئًا لَك يَا رَسُول اللَّه وَرُوِيَ مُرْسَلًا عَنْ اِبْن أَبِي دَاوُد .

– أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) :

كانت خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها فلما بلغها من صدق رسول الله ﷺ، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، فبعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلي الشام، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذاك، وخرج معه غلامها (ميسرة) حتى نزل الشام ، فنزل ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى "ميسرة" فقال: من هذا الرجل الذي تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

وكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه.. فلما قدم مكة أخبر ميسرة خديجة بما رأى من إظلال الملائكة لمحمد ﷺ وما سمع من قول الراهب فيه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، فذكرت ذلك لورقة بن نوفل وكان ابن عمها ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن "محمداً " لنبي هذه الأمة .. عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه .

فبعثت خديجة للنبي ﷺ وأخبرته بإرادتها للزواج منه ، وتزوجته ﷺ. . فلما بلغ سن الأربعين حُبب إليه الخلاء، فكان ﷺ يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو

التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها.. حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .. فجاءه الملك فقال : أقرأ فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : أقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبّكَ الأَكْرَمُ* الّذِى عَلّمَ بِالْقَلَمِ * عَلّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١).

فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال:" زملوني، زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع .. فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله ، لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم .. وتقرى الضيف، وتحمل الكَلَّ وُتكسب المعدوم، وُتعين علي نوائب الحق .. فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل – ابن عم خديجة وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية.. وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب.. وكان شيخاً كبيراً قد عمى. فقالت له خديجة: يا بن عم ! أسمع من ابن أخيك . فقال له (ورقة): يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي كان ينزل على "موسى " يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ:" أو مخرجي هم ؟! " فقال: نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا . ثم لم ينشب " ورقة " أن توفى وفتر الوحي فترة . رواه البخاري .

---

١) سورة العلق – الآيات من ١ : ٥ .

وقالت خديجة لرسول الله ﷺ : يا ابن عم ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذ جاءك ؟ قال:" نعم ". قالت : فإذا جاء فأخبرني به .

فجاء جبريل ، فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت : قم يا بن عمى فاجلس على فخذي اليسرى : فقام رسول الله فجلس عليها .

فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول واقعد على فخذي اليمني ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخدها اليمني ، فقالت هل تراه ؟ قال: " نعم "، فحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال:لا . قالت: يا بن عم اثبت وأبشر فو الله! إنه بملك ما هذا بشيطان " رواه البيهقي (١)

فكانت (رضي الله عنها) عاقلة لبيبة .. فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاء به من عند الله ووازر ته على أمره ، فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع بشيء يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله بذلك عنه، إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس يرحمها الله تعالى .(٢)

وحينما قاطعت قريش رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني عبد مناف وفرضوا عليهم الحصار في شعب أبي طالب ، لمدة ثلاث سنوات حتي أكلوا ورق الشجر ، وداموا علي ذلك ثلاث سنوات، كما قال ابن اسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول

---

١) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٣١٤/٢ – وصفوة السيرة النبوية لابن كثير ١٤٧/١ .

٢) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ نقلا من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٠٢/٢.

الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا (بينهم) أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش ، فظاهرهم (١).

وفي ذلك الوقت العصيب لم تتخلي خديجة عن زوجها وحبيب قلبها النبي ﷺ بل ظلت بجواره تؤازره وتسانده في هذه المحنة حتي ماتت، يقول ابن هشام: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت علي رسول الله المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق علي الإسلام(٢)

وبسب هذه التضحيات العظيمة التي قدمتها أمنا خديجة، ووقوفها بجوار حبيبه ونبيه محمد ﷺ بشرها الله ﷻ بيت في الجنة، كما في الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت

---

١) المرجع السابق ١/٣٧٥.
٢) المرجع السابق ١/٣٧٥.

معها إناء فيه إدام وطعام، فإذا أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" متفق عليه . (١)

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرأ على خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام ، وعليه السلام ورحمة الله " (٢)

وقد سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ خَدِيجَةَ لأَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ : " أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ " (٣).

قال السُهيلى في الروض الآنف : النكتة في قوله " من قصب " ولم يقل " من لؤلؤ، أن في لفظ القصب مناسبة ، لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها . (٤)

وفى العام الذي ماتت فيه خديجة وعمه أبو طالب سمى عام الحزن .. لحزن رسول الله ﷺ على موتهما .. فكانُ يكثر الثناء عليها فروى الإمام أحمد بسند جيد

---

١) المرجع السابق .

٢) رواه النسائي ، والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة – خديجة – وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٣) مسند أبي يعلى الموصلي» تَابِعْ : مُسْنَدُ جَابِرٍ _ رقم الحديث: ٢٠٢٠، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جزء » كِتَابُ الْمَنَاقِبِ (١٣٠٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر» حرف الواو» ذكر من اسمه ورقة(٦٨٢٧٨ ، ٦٨٢٧٩ ، ٦٨٢٨٠ ، ٧٢١٠٤) ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان(سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٧/١٢).

٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٧/١٢ .

وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ ، أَثْنَى عَلَيْهَا ، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ ، قَالَتْ : فَغِرْتُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ: (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ) رواه أحمد(١) .

حتى غارت منها أمنا عائشة رضي الله عنها غيرة شديدةً، **قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكَدْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارٍ لَهَا، فَذَكَرَهَا يَوْمًا، فَحَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ، فَقُلْتُ: لَقَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ. قَالَتْ: فَرَأَيْتُهُ غَضِبَ غَضَبًا. أُسْقِطْتُ فِي خَلَدِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ إِنْ أَذْهَبْتَ غَضَبَ رَسُولِكَ عَنِّي لَمْ أَعُدْ أَذْكُرُهَا بِسُوءٍ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا لَقِيتُ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتِ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَرُزِقْتُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحُرِمْتُمُوهُ مِنِّي قَالَتْ: فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا .**

وبهذه التضحيات قد تحصلت على الخيرية ، ففي الحديث قَالَ – عليه الصلاة والسلام – : " **خَيرُ نِسَائِهَا مَريمُ بِنتُ عِمرَانَ، وَخَيرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ** " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ [٢].

---

١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » سادس عشر الأنصار _ رقم الحديث:(٢٤٣٠٢).

٣) المرجع السابق.

وَقَالَ – عليه الصلاة والسلام –: " خَيرُ نِسَاءِ العَالمِينَ أَربَعٌ: مَريمُ بِنتُ عِمرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنتُ محمَّدٍ، وَآسِيَةُ امرَأَةُ فِرعَونَ " رَوَاهُ أَحمَدُ وَغَيرُهُ وَصَحَّحَهُ الأَلبَانيُّ.

يقول د / نعمان أبو الليل [1] :

لماذا فضلت خديجة (رضي الله عنها) علي عائشة (رضي الله عنها) ؟.

فرغم علم عائشة(رضي الله عنها) وفقهها ، وكثرة روايتها للحديث، وخديجة (رضي الله عنها) لم ترو حديث واحد ، وعائشة بنت الصديق أبو بكر، وخديجة لم يدرك أبيها الإسلام .. مع ذلك فالفرق واضح في تفضيل خديجة علي عائشة، وذلك لأن خديجة عاشت مع النبي في الفترة المكية التي كانت كلها مشاق وتعب وقلق واضطراب والنبي كل يوم يشتم ويضرب، ويتهم بالسحر.. والكذب.. والكهانة.. والشعر، ويؤذي في الله، وما يستطيع أن يعبد الله إلا سراً، فكانت تواسيه بمالها ونفسها، وتؤازره وتسانده وتثبته علي دعوته، فما أن يرجع إلي بيته، فلا يجد منها إلي صدر الأم الحنون.

وبالطبع إذا سب، وقيل له: ساحر .. فهي زوجة من ؟

وإذا قيل له (ﷺ): مجنون .. فهي زوجة من؟

أما عائشة (رضي الله عنها) تزوجت الرسول ﷺ في الفترة المدنية، التي لاقي فيها ترحيب أهل المدينة (طلع البدر علينا) والمسلمون ملتفون حول رسول الله ﷺ، وأبيها الصديق أبو بكر الوزير والصاحب الأول لرسول الله ﷺ (وثاني اثنين إذ هما في الغار) فأخذت مكانة اجتماعية عالية فتنادي: يا أم المؤمنين ! ..

---

١) إستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية ومن علماء التبليغ والدعوة بالأردن.

والرسول ﷺ يدللها **(يا عائش.. يا عويش.. يا موفقة.. يا ابنة الصديق)..**

وهذا هو السبب الأول.

أما السبب الثاني: في فضل خديجة هو قوة تضحيتها وإنفاقها، مثل آسية " امرأة فرعون " فقد ضحت بالجاه والمنصب والمكانة الاجتماعية المرموقة ، فهي زوجة الملك وسيدة القصر وتنادي بالملكة والأميرة.

أختي المسلمة : بعد أن قرأت كل هذا عن أول امرأة ضحت في سبيل الله ﷻ من أجل هداية الناس وانتشار الإسلام ، وكيف نالت كل الخير بسبب التضحيات التي قدمتها من أجل دين الله ﷻ ، حيث نالت محبة الله ﷻ ، ومحبة جبريل عليه السلام ، ومحبة محمد ﷺ ، بل محبة جميع خلق الله من المسلمين إلى أن تقوم الساعة .

فهل نويت أختي المسلمة أن تكوني مثلها، فتقومي بجانب زوجك جانباً لجنب ، وتؤازريه ، وتناصريه ، وتشجعيه ، على نصرة دين الله ﷻ وتجهزيه للحركة في الأرض والخروج في سبيل الله ﷻ لدعوة الناس إلى الله ﷻ لتنالي ما نلته أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) .

- زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (ﷺ) :

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ: حُدِّثْتُ عَنْ زَيْنَبَ ، بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَتْ : بَيْنَمَا أَنَا أَتَجَهَّزُ بِمَكَّةَ إِلَى أَبِي تَبِعَتْنِي هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالَتْ: يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكِ تُرِيدِينَ اللُّحُوقَ بِأَبِيكِ ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ: مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : أَيِ ابْنَةَ عَمٍّ ، لَا تَفْعَلِي إِنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ فِي مَتَاعٍ مِمَّا

يُرْفَقُ بِكِ فِي سَفَرِكِ وَتَبْلُغِينَ بِهِ إِلَى أَبِيكِ فَإِنَّ عِنْدِي حَاجَتَكِ ، قَالَتْ زَيْنَبُ : وَاللَّهِ مَا أُرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِتَفْعَلَ ، قَالَتْ : " وَلَكِنْ خِفْتُهَا ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ ، فَتَجَهَّزْتُ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ جَهَازِي قَدِمَ حَمْوِي كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخُو زَوْجِي ، فَقَدَّمَ لِي بَعِيرًا فَرَكِبْتُهُ وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ فَخَرَجَ بِي نَهَارًا يَقُودُهَا ، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا ، فَتَحَدَّثَ بِذَلِكَ رِجَالُ قُرَيْشٍ ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوًى ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَنَافِعُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ الْفِهْرِيُّ لَقَرَابَةٍ مِنْ بَنِي أَبِي عُبَيْدٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ يُرَوِّعُهَا هَبَّارٌ بِالرُّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ حَامِلًا فِيمَا يَزْعُمُونَ ، فَلَمَّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا ، فَبَرَكَ حَمْوُهَا وَنَثَلَ كِنَانَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا ، فَتَلَكَّأَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ فِي جِلَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، كُفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نُكَلِّمَكَ ، فَكَفَّ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُصِبْ ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ عَلَانِيَةً وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – ، فَيَظُنُّ النَّاسُ وَقَدْ أُخْرِجَ بِابْنَتِهِ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا أَنَّ ذَلِكَ عَنْ ذُلٍّ أَصَابَتْنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ ضَعْفٌ بِنَا وَوَهْنٌ ، وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بَحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا حَاجَةٌ وَلَكِنِ ارْجِعْ بِالْمَرْأَةِ ، حَتَّى إِذَا هَدَأَ الصَّوْتُ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّا قَدْ رَدَدْنَاهَا فَسِرْ بِهَا سِرًّا فَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا . قَالَ : فَفَعَلَ ، فَرَجَعَ فَأَقَامَتْ لَيَالِيَ

حَتَّى إِذَا هَدَأَ الصَّوْتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتَّى سَلَّمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ ، فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – رواه الحاكم (١).

وفي رواية أخري للحاكم: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، خَرَجَتِ ابْنَتُهُ زَيْنَبُ مِنْ مَكَّةَ مَعَ كِنَانَةَ ، أَوِ ابْنِ كِنَانَةَ ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهَا، فَأَدْرَكَهَا هَبَّارُ بْنُ الأَسْوَدِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْعَنُ بَعِيرَهَا بِرُمْحِهِ ، حَتَّى صَرَعَهَا، وَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا ، وَأُهْرِيقَتْ دَمًا، فَاشْتَجَرَ فِيهَا بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو أُمَيَّةَ، فَقَالَتْ بَنُو أُمَيَّةَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِهَا، وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهِمْ أَبِي الْعَاصِ، فَكَانَتْ عِنْدَ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا هِنْدٌ : هَذَا بِسَبَبِ أَبِيكِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ: " أَلا تَنْطَلِقُ تَجِيئَنِي بِزَيْنَبَ ؟ "، قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " فَخُذْ خَاتَمِي ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ "، فَانْطَلَقَ زَيْدٌ وَبَرَّكَ بَعِيرَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ حَتَّى لَقِيَ رَاعِيًا ، فَقَالَ: لِمَنْ تَرْعَى ؟ فَقَالَ : لأَبِي الْعَاصِ ، فَقَالَ: فَلِمَنْ هَذِهِ الأَغْنَامُ ؟ قَالَ: لِزَيْنَبَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ، فَسَارَ مَعَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا، وَلا تَذْكُرْهُ لأَحَدٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَاهُ الْخَاتَمَ، فَانْطَلَقَ الرَّاعِي ، فَأَدْخَلَ غَنَمَهُ، وَأَعْطَاهَا الْخَاتَمَ، فَعَرَفَتْهُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَعْطَاكَ هَذَا ؟ قَالَ: رَجُلٌ ، قَالَتْ: فَأَيْنَ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ: بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ،

---

١) في المستدرك وقال هَذَا حَدِيثٌ فِيهِ إِرْسَالٌ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَزَيْنَبَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَلَوْلاهُ لَحَكَمْتُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ مُخْتَصَرًا ٤/٤٢(٦٩١٨)٠

قَالَ: فَسَكَتَتْ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، خَرَجَتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا جَاءَتْهُ ، قَالَ لَهَا: ارْكَبِي بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى بَعِيرِهِ ، قَالَتْ: لا ، وَلَكِنِ ارْكَبْ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَرَكِبَ وَرَكِبَتْ وَرَاءَهُ حَتَّى أَتَتْ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " هِيَ أَفْضَلُ بَنَاتِي أُصِيبَتْ فِيَّ "، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، فَانْطَلَقَ إِلَى عُرْوَةَ ، فَقَالَ : مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ تُحَدِّثُهُ تَنْتَقِصُ فِيهِ حَقَّ فَاطِمَةَ ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنِّي أَنْتَقِصُ فَاطِمَةَ حَقًّا هُوَ لَهَا، وَأَمَّا بَعْدُ فَلَكَ أَنْ لا أُحَدِّثَ بِهِ أَبَدًا، قَالَ عُرْوَةُ: وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ :(ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) (١) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .(٢).

– الشهيدة ليلة العرس: أم حكيم بنت الحارث بن هشام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هُوَ آمِنٌ " ، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ ، وَمَعَهَا غُلامٌ لَهَا رُومِيٌّ ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ حَتَّى قَدِمَتْ بِهِ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكٍّ ، فَاسْتَغَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ ، فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا ، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ، وَقَدِ انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَ نُوتِيٌّ

---

١) سورة الأحزاب _ الآية ٥.

٢) المستدرك على الصحيحين(٢٧٣٨) التاريخ الأوسط للبخاري» حديث زينب بنت رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ(١٠) .

السَّفِينَةِ ، يَقُولُ لَهُ: أَخْلِصْ، قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟ قَالُوا: قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، قَالَ عِكْرِمَةُ: مَا هَرَبْتُ إِلا مِنْ هَذَا ، فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا مِنَ الأَمْرِ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إِلَيْهِ ، وَتَقُولُ: يَابْنَ عَمٍّ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ، لا تُهْلِكْ نَفْسَكَ، فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ، فَقَالَتْ : إِنِّي اسْتَأْمَنْتُ لَكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ، فَرَجَعَ مَعَهَا، وَقَالَ: مَا لَقِيتِ مِنْ غُلامِكِ الرُّومِيِّ ؟ وَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ، فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يُسْلِمْ ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ " : يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا ، فَلا تَسُبُّوا أَبَاهُ ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلا تَبْلُغُ الْمَيِّتَ " . قَالَ : وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ مِنَ امْرَأَتِهِ يُجَامِعُهَا ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ : إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ ، فَيَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ، وَمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءٌ، فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَدَقَتْ ، فَأَنْتَ آمِنٌ "، قَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ: " أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ "، حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلامِ ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتَ إِلا إِلَى الْحَقِّ ، وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، قَدْ كُنْتَ وَاللَّهِ فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا

دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقَنَا حَدِيثًا وَأَبَرَّنَا بِرًّا ، ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ ، فَقَالَ: " تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَقُولُ أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ "، فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تَسْأَلْنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلا أَعْطَيْتُكَهُ "، قَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ، أَوْ مُقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ، أَوْ أَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ ، وَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي، أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ "، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: أَنَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلا قِتَالا كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ الأَوَّلِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ رِجَالِهِ: وَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، يَعْنِي: يَوْمَ حُنَيْنٍ، لا يَجْتَبِرُهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ عِكْرِمَةُ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِقَوْلٍ، إِنَّ الأَمْرَ بِيَدِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ إِلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، إِنْ أُدِيلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَإِنَّ

لَهُ الْعَاقِبَةَ غَدًا، قَالَ: يَقُولُ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ عَهْدَكَ بِخِلافِهِ لَحَدِيثٌ، قَالَ: يَا أَبَا يَزِيدَ، إِنَّا كُنَّا وَاللَّهِ نُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَعُقُولُنَا عُقُولُنَا، نَعْبُدُ حَجَرًا لا يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ.

وَقَالَ بْنُ سَعْدٍ بَعْدَ تَلَفُّظِهِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَقُلْتُ: أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَصْدَقُ النَّاسِ، وَأَوْفَى النَّاسِ أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمُطَأْطِئٌ الرَّأْسَ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَرْكِبٍ أُوضِعْتُ فِيهِ أُرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ مَنْطِقٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ مَرْكِبٍ أَوْضَعَ فِيهِ، يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّ عَنْ سَبِيلِكَ "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِخَيْرٍ مَا تَعْلَمُ فَأَعْلَمَهُ، قَالَ: " قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ "، وَزَادَ ابْنُ سَعْدٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : قُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَ أَجْنَادِينَ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحَجِّ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى هَوَازِنَ يُصَدِّقُهَا ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِكْرِمَةُ يَوْمَئِذٍ بِتَبَالَةَ . [1].

كم من الفيافي والصحراء قطعتها أم حكيم، وكم جاء عليها من ليل ونهار، وهي تتبع زوجها، تتحرك علي قدميها، وتتحمل المشاق، لتحمل له نور الإيمان

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر» حَرْفُ الْخَاءِ » ذِكْرُ مِنِ اسْمُهُ عِكْرِمَةُ» عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلِ عَمْرِو بْنِ هِشَامِ ...رقم الحديث: ٤٢٥٠١، الطبقات الكبرى لابن سعد « الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك « ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي_ رقم الحديث : (١٠٨٨٧).

والهداية، وكم لاقت من غلامها الرومي في الطريق من المراودة عن النفس، وهي تتحمل وتصبر حتي جعل الله لها مخرجا.

وظلت عابدة مجاهدة في سبيل دينها وفية لزوجها، حتي جاء يوم اليرموك فخرجت معه، وكانت خلف الجيش مع النساء ترد المتراجعين والفارين من أرض القتال، وقفت هي وغيرها من النساء يشجعن الرجال، ويسقين الجرحى، ويداوين المرضى، وأمسكت بعضهن بأعمدة الخيام يرجعن من فر من أرض المعركة، أو يوبخنه قائلات: إلى أين يا لكع، أتتركوننا للعلوج والكفار؟

فكان لكلماتهن أكبر الأثر في رفع همم الرجال. لما علمت أم حكيم بمقتل زوجها عكرمة وأبيها الحارث بن هشام، تأثرت بذلك كثيراً، ولكنها هدأت وقرت عينها حين تذكرت أنهما شهيدان، وأنهما قتلا في سبيل الله.

ولما أكملت عدتها تقدم لخطبتها اثنان من كبار قواد المسلمين يزيد بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وافقت أم حكيم على الزواج من خالد بن سعيد وقدم مهرها، لكن الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والروم، والمفروض أن يؤجل الزواج حتى تنتهي الحرب، لكن خالد بن سعيد الصحابي الجليل رأى الزواج في الحال دون انتظار فرفضت أم حكيم، فالوقت غير مناسب، ولأنها رأت أعداداً من الروم قد اتجهت نحو المكان، فقالت: لو أخرت الدخول حتى يصد الله هذه الجموع !.

لكن خالداً أصر على موقفه وقال: إن نفسي تحدثني أنني سأصاب في جموعهم وسأقتل، فوافقت أم حكيم مرغمة، وقالت له: الرأي ما ترى .

أقيمت الأعراس، ونصبت الخيام للولائم في مرج الصفر عند قنطرة على النهر، سميت بقنطرة أم حكيم ثم بدأت المبارزة فخرج العريس، وقاتل قتال المستميت، فقتل

منهم عدداً لا يستهان به، لكنهم تكاثروا عليه وقتلوه كما قتلوا ابنه من قبل، ترك عروسه التي في الدنيا، واستقبلته الحور العين.

كانت العروس أم حكيم في خيمتها تسمع وترى ما يجري في المعركة وتراقب الأحداث، فلما علمت بمقتل زوجها اندفعت هي الأخرى تقاتل، فشدت عليها ثيابها، واقتلعت عموداً من خيمة عرسها، وانتظرت قدوم الروم من نحوها وسلاحها في يديها، مر الرومي الأول فضربته بالعمود فأردته قتيلاً، ثم مر الثاني فأردته قتيلاً، ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس، حتى قتلت سبعة؛ وما أن ابتعد الروم قليلاً حتى خرجت تقاتل مع الرجال، فأصيبت بسهم كان سبب مصرعها، فخرت شهيدة رضي الله عنها.

وانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير، وأسفرت المعركة عن استشهاد العروسين في صبيحة عرسهما.

فضربت أروع الأمثلة في العفة والتضحية من أجل حب الله وحب رسوله صلي الله عليه وسلم.

- أم شريك (رضي الله عنها) :

هذه المرأة المسلمة التي أسلمت قديماً في مكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس ﷺ: قال وقع في قلب أم شريك رضي الله عنها الإسلام، فأسلمت وهى بمكة وكانت تحت (أبى العسكر الدوسى)، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهم إلى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لها لو قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم . قالت : فحملونى على بعير ليس تحتى شيئ موطأ ولا غيره ثم تركونى ثلاثاً لا يطعموننى ولا يسقوننى، قال: فما أتت على ثلاث حتى ما فى الأرض شيئ أسمعه، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا أوثقونى فى الشمس وأستظلوا وحبسوا عنى الطعام والشراب

حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأثر شيئ على برد منه، ثم رفع ، ثم عاد فتناولت، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ، ثم نزع منى، ثم عاد، فتناولته فشربته منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، ثم رفع ، فصنع ذلك مراراً، حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا، فإذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: انحللتى فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ فقالت: لا الله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتى صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها وأسلموا بعد ذلك [١] .

فجهد المرأة على المرأة مثلها، من أحسن الجهود قبولا، حيث أن المرأة كثيراً ما تأثر في زوجها وأولادها، وذوى رحمها، ولا سيما إذا كان بينهم المودة والمحبة ، كما فعلت أم حكيم بنت حزام رضي الله عنها ، حيث كانت حريصة على إسلام زوجها عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه .

– أم سليم (رضي الله عنها) :

تضحي بصداقها إذا أسلم زوجها .. فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس ﷺ أن أبا طلحة ﷺ خطب أم سليم ﷺ قبل أن يُسلم، فقالت: يا أبا طلحة ! ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده نبت من الأرض ؟ قال: بلي. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غيره، قال : حتى انظر في أمري، فذهب ثم جاء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحه فزوجها . كذا في الإصابة .

انظروا إلى عقل هذه المرأة العظيمة التي ما رضيت بصداق غير الإسلام فكان صداقها أعظم صداقاً في الإسلام.. وقصة أم سليم أكبر مظهر من مظاهر مسؤولية المرأة عن الدعوة إلى الله ﷻ وتضحياتها.

---

١) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٤٢/٢ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٣٨/٨ .

- أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها) :

أخرج الطبرانى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ : "كُنْتُ مَرَّةً فِي أَرْضٍ قَطَعَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي سَلَمَةَ ، وَالزُّبَيْرِ مِنْ أَرْضِ النَّضِيرِ ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَنَا جَارٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَذَبَحَ شَاةً فَطُبِخَتْ فَوَجَدْتُ رِيحَهَا ، فَدَخَلَنِي مِنْ رِيحِ اللَّحْمِ مَا لَمْ يُدْخِلْنِي مِنْ شَيْءٍ قَطُّ وَأَنَا حَامِلٌ بِابْنَةٍ لِي تُدْعَى خَدِيجَةَ ، فَلَمْ أَصْبِرْ فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِهِ أَقْتَبِسُ مِنْهَا نَارًا لَعَلَّهَا تُطْعِمُنِي ، وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ إِلَى النَّارِ ، فَلَمَّا شَمَمْتُ رِيحَهُ ، وَرَأَيْتُهُ ازْدَدْتُ شَرًّا، فَأَطْفَأْتُهُ ، ثُمَّ جِئْتُ الثَّانِيَةَ أَقْتَبِسُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قَعَدْتُ أَبْكِي وَأَدْعُو اللَّهَ ، فَجَاءَ زَوْجُ الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ: أَدَخَلَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : لا إلا الْعَرَبِيَّةُ أَتَتْ تَقْتَبِسُ نَارًا ، فَقَالَ : فَلا آكُلُ مِنْهَا أَبَدًا أَوْ تُرْسِلِي مِنْهَا إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بِقَدْحَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ شَيْءٌ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ تِلْكَ الأَكْلَةِ " قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ: الْقَدْحَةُ عَرْقَةٌ .(١).

- أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ [٢] ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

---

١) المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث: ١٩٧٩٥.

٢) وهي هند بنت أبي أمية – واسمه حذيفة ، وقيل سهيل – ويدعي زاد الركب وكانت قبل زواجها بالنبي ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد، ابن عمة النبي برة بنت عبد المطلب، وكان أخا النبي من الرضاعة، أرضعتهما وحمزة ثويبة مولاة أبي لهب.. ولدت

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ ؟ قَالَتْ : فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ . قَالَتْ : وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا . قَالَتْ : فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلِمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَتْ : فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي . قَالَتْ : فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي ، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي ، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ : أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا قَالَتْ : فَقَالُوا لِي : الْحَقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتِ . قَالَتْ : وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي . قَالَتْ : فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَتْ : وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ

لـه (سلمة.. وعمرة.. ودرة) أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أول من هاجر إلي الحبشة.. وأول من هاجر إلي المدينة، وكان قد جرح بأحد جرحا، ثم انتقض عليه – ولما مات كان الذي أغمضه النبي ثم دعا لـه، فمات سنة أربع، فتزوجها النبي وكانت من أجمل النساء – وهي آخر نساءه وفاة (تاريخ الإسلام ١/ ٣٥١) .

حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي : إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَ : أَوَمَا مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : لَا وَاَللَّهِ ، إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا . قَالَ : وَاَللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ ، فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي ، فَوَاَللَّهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي ، فَحَطَّ عَنْهُ ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ تَنَحَّى (عَنِّي) إِلَى شَجَرَةٍ ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا ، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي ، وَقَالَ : ارْكَبِي . فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ ، فَقَادَهُ ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي . فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ – وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا – فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ (١) (٢) .

---

١) ولذا أكرمه الله عز وجل بالإسلام بعد الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما) معا (البداية ١٦٩/٣) .

٢) السيرة النبوية لابن هشام» [إذنه صلى الله عليه وسلم لمسلمي مكة بالهجرة _ ذِكْرُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ [هِجْرَةُ أَبِي سَلَمَةَ وَزَوْجُهُ وَحَدِيثُهَا عَمَّا لَقِيَا].

- سُمية بنت الخياط (أول شهيدة في الإسلام):

سمية بنت الخُياط، هي أم عمار بن ياسر، أول شهيده استشهدت في الإسلام، وهي ممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهي من المبايعات الصابرات الخيرات اللاتي احتملن الأذى في ذات الله.

كانت سمية بنت خياط أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، تزوجت من حليفه ياسر بن عامر بن مالك بن كنانه بن قيس العنسي. وكان ياسر عربياً قحطانياً مذحجيًا من بني عنس، أتى إلى مكة هو وأخويه الحارث والمالك طلباً في أخيهما الرابع عبد الله، فرجع الحارث والمالك إلى اليمن وبقي هو في مكة، حالف ياسر أبا حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج من أمته سمية وانجب منها عماراً، فأعتقه أبوحذيفة، وظل ياسر وابنه عمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وأخوه عبد الله وسمية وعمار.

فكانت سمية من الأولين الذين دخلوا في الدين الإسلامي وسابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد الرسول وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها.

فالرسول قد منعه عمه، أما أبوبكر الصديق فقد منعه قومه، أما الباقون فقد ذاقوا أصناف العذاب وألبسوا أدراع الحديد وصهروا تحت لهيب الشمس الحارقة.

عن مجاهد، قال: أول شهيد استشهد في الإسلام سمية أم عمار.

قال: وأول من أظهر الإسلام رسول الله، وأبوبكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وسمية أم عمار.

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ والْبَيْهَقِيُّ وَابْن عَسَاكِرُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِعَمارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَبُونَ. فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةِ». قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: رِجَالُ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُقوم وَهُوَ ثِقَةٌ.

وَأَخْرَجَ أَبُو أحمد الْحَاكِم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن جَعْفَرٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وَأُمِّ عَمَّارٍ وَهُمْ يُؤْذَوْنَ فِي اللهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ: «صَبْرًا آل يَاسِرٍ صَبْرًا آل يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما نَحْوَهُ وَزَادَ: وَعَبْدِ اللهِ بْنِ يَاسِرٍ. وَزَادَ: وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمَيَّةِ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ وَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ وَرُمِيَ عَبْدُ اللهِ فَسَقَطَ.

وَعِنْدَ أحمد عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أَوْلُ شَهِيدٍ فِي أَوَّلِ الإِسْلامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةُ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا. وَعَنْ عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: أَحْرَقَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ بِالنَّارِ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ بِهِ وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فيَقُولُ: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى عَمَّارٍ كَمَا كُنْتِ عَلَى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلامُ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةِ». فَقَتَلَهُ أَحَدُ الْمُقَاتِلِينَ مَعَ مُعَاوِيَةِ.

وَلا غُرْوَ بِالأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمُ ** كِلابُ الأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ
فَحَرْبَةُ وَحْشِيٍّ سَقَتْ حَمْزَةَ الرّدَى ** وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلَجَّمِ

وَعِنْد الْحَاكِمِ فِي الْكُنَى وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالْبَطْحَاءِ إِذْ بِعَمَّارٍ وَأَبِيهِ وَأُمِّهِ يُعَذَّبُونَ فِي الشَّمْسِ لِيَرْتَدُوا عَنْ الإِسْلامِ. فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ: يَا رَسُول اللهِ الدَّهْرُ هَكَذَا؟ فَقَالَ: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتَ».

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمُ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّد بْن عَمَّارٍ قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم. مَا تُرِكْتُ حتَّى نِلْتُ مِنْكَ وذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ. قَالَ: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ». (١).

وأخرجه ابن سعد عن أبي عبيدة نحوه. وأخرج أيضاً عن محمد: أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول: «أخذك الكفار فغطُّوك في الماء؛ فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم ». وأخرج أيضاً عن

---

١) رواه الحاكم في " المستدرك " (٢ / ٣٨٩) والبيهقي في" السنن الكبرى " (٨ / ٢٠٨). وإسناده ضعيف ، وروي من طرق كثيرة متعددة ، يدل على أن للقصة أصلاً . قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وهذه المراسيل تقوى بعضها ببعض ." فتح الباري " (١٢ / ٣١٢) ..

عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرّ به ويمر يده على رأسه فيقول: «يا نارُ كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية».

وقد أنزلت آيه في شأن عمار في قوله عزوجل:﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمَكَّة سبعة: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعَمَّار، وسميّة، فأما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر فمنعهما قومهما، وأما الآخرون فأُلبسوا أدراع الحديد، ثم صُهروا في الشمس؛ وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها.

نالت سمية الشهادة بعد أن طعنها أبوجهل بحربتة في قُبلها فماتت على إثرها. وكانت سمية حين استشهدت امرأة عجوز، فقيرة، متمسكة بالدين الإسلامي، ثابته عليه لا يزحزحها عنه أحد، وكان إيمانها الراسخ في قلبها هو مصدر ثباتها وصبرها على احتمال الأذى الذي لاقته على أيدي المشركين.

هاجر عمار إلى المدينة عندما اشتد عذاب المشركين للمسلمين، وشهد معركة بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان والجمل واستشهد في معركة صفين في الربيع الأول أو الآخر من سنة سبع وثلاثين للهجرة، ومن مناقبه، بناء أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء.

---

١) سورةآل عمران – الآية١٦٩.

- **أم الشهداء : عفراء بنت بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار:**

أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تزوجت الحارث بن رفاعة فأنجبت منه معاذ ومعوذ ثم إنه طلقها، فقدمت مكة حاجة، فتزوجها بكير بن عبد ياليل فأنجبت له خالد وإياس وعاقل وعامر ثم طلقها، ثم رجعت إلى المدينة، فراجعها زوجها الأول الحارث بن رفاعة ، فولدت له عوفا.

في غزوة بدر: قتل معاذ وعاقل.

وفي غزوة أحد: استشهد خالد في سرية الرجيع.

وفي بئر معونة: استشهد عامر.

وفي حرب مسيلمة الكذاب: استشهد معاذ وإياس وبقي عوف.

فقدمت رضي الله عنها ستة من أولادها، وكانت كلما جاءها خبر استشهاد أحد أولادها، تحمد الله وتردد ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].ثم تعد باقي أولادها وتحمسهم وترغبهم علي الجهاد، حتي استشد منم ستة، ولما بقي عوف ظنت أنه شر، قال ابن الكلبي: لما قتل معاذ ومعوذ، جاءت عفراء بنت عبيد إلى النبي ﷺ، فقالت لعوف: يا رسول الله، هذا شر بني، فقال: لا.

ومن شدة احتضانها لأولادها وحسن تربيتها لهم علي التضحية والجهاد، أصبح إسمها علما لهم، فلا يعرفون إلا بإسمها.

---

١) سورةآل عمران – الآية١٦٩.

- زنيرة الرومية:

كانت زنيرة(١) من السابقات إلى الإسلام، أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون.

قيل: كانت مولاة بني مخزوم، فكان أبو جهل يعذبها.

وقيل: كانت مولاة بني عَبْد الدار، فلما أسلمت عَمِيت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما! فقالت: وما يدري اللات والعزى من يعَبْدهما، إنما هذا من السماء، وربي قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد ورد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر مُحَمَّد. ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه ما ينالها من العذاب، اشتراها فأعتقها، وهي أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر(٢).

- الشهيدة أم الشهداء (رحمهم الله تعالي) :

عَنْ وهب بْن منبه، قَالَ : أتي بامرأة من بني إسرائيل، يقال سارة وسبعة بنين لها إِلَى ملك كان يفتن الناس عَلَى أكل لحم الخنزير فدعا أكبرهم فقرب إليه لحم الخنزير ، فَقَالَ: كل، فَقَالَ: ما كنت لآكل شيئا حرمه اللَّه عز وجل أبدا فأمر بِهِ فقطعت يداه ورجلاه، ثم قطعه عضوا عضوا حَتَّى قتله، ثم دعا بالذي يليه، فَقَالَ: كل ، فَقَالَ: ما كنت لآكل شيئا حرمه اللَّه تعالى، فأمر بقدر من نحاس فملئت زيتا ثم أغليت حَتَّى إذا غليت ألقاه فيها، ثم دعا الذي يليه، فَقَالَ: كل، فَقَالَ: ما كنت لآكل شيئا حرمه اللَّه تعالى ، فقتله، ثم دعا الذي يليه، فَقَالَ: أنت أذل وأقل وأهون

---

١) زِنيرة: بكسر الزاي، والنون المشددة، وتسكين الياء تحتها نقطتان، وآخره راء، ثم هاء. (أسد الغابة في معرفة الصحابة_كتاب النساء _ زنيرة الرومية ج ٨).

٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة_كتاب النساء _ زنيرة الرومية ج ٨ .

عَلَى اللَّه من أن آكل شيئا حرمه اللَّه تعالى علي فضحك الملك، وَقَالَ: أتدرون ما أراد بشتمه إياي ؟ أراد أن يغضبني، فأعجل قتله وليخطئه ذلك وأمر به، فجز جلدة عنقه ، ثم أمر به أن يسلخ جلدة رأسه ووجهه سلخا ، فلم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه حَتَّى بقي أصغرهم ، فالتفت بِهِ إِلَى أمه ، فَقَالَ : لقد رثيت لك مما رأيت ، فانطلقي بابنك هَذَا ، فاخلي به وأنقذيه عَلَى أن لقمة واحدة ، فيعيش لك، قالت: نعم، فخلت به ، فقالت: أي بني إنه كان لي عَلَى كل رجل من إخوانك حق ، ولي عليك حقان ، وذلك أني أرضعت كل واحد حولين ، فمات أبوك وأنت حمل ،. فأرضعتك لضعفك ورحمتي إياك. أربعة أعوام ،. فأسألك بالله وحقي أما صبرت ولم تأكل شيئا مما حرمه عليك ولا تلقين أخوتك يوم القيامة ، ولست معهم، فَقَالَ: الحمد لله الذي أسمعني هَذَا منك أما كنت أخاف أن تريديني عَلَى أن آكل مما حرمه اللَّه ، ثم جاءت به إِلَى الملك ، فقالت ها هو ذا قد أردته وعرضت عَلَيْهِ ،. فأمره الملك أن. يأكل ،. فَقَال.: ما كنت لآكل شيئا حرمه علي ،. فقتله وألحقه بأخوته ، وَقَالَ لأمهم: إني لأجدني أرثي لك، فما رأيت اليوم ، ويحك، فكلي لقمة، ثم أصنع بك ما شئت وأعطيك ما أحببت تعيشين به،. قالت: ما أجمع بين ثكل ولدي ومعصية اللَّه عز وجل، فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك ، وما كنت لآكل شيئا مما حرمه اللَّه أبدا فقتلها وألحقها ببنيها (١).

---

١) المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي» أبواب ذكر المخلوقات» باب عدد الأنبياء والمرسلين» ذكر أقوام من القدماء الجزء الثاني .

- أم الشهداء الأربعة: الخنساء (رضي الله عنها) :

وقد ضربت أروع الأمثلة في التضحية بفلذات كبدها في موقعة القادسية، فقد وقفت بين أبنائها الأربعة، عندما تهيئوا للخروج مجاهدين في سبيل الله، توصيهم بالصبر عند اللقاء، وتحرضهم على التضحية والفداء، فقد ذكر الزبير بن بكار، عن مُحَمَّد بن الحسن المخزومي، عن عَبْد الرَّحْمَن بن عَبْد الله عن أبيه عن أبي وَجْزة، عن أبيه: أن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يا بنيّ، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امْرَأَة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عَزَّ وجَلّ: ﴿ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتّقُواْ اللّهَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

وإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سِياقها، وجُلِّلت ناراً على أرواقها، فتيمّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغُنْم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنُصْحها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهدوا رحمهم الله. فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مُستقَرّ رحمته(٢).

---

١) سورة آل عمران – الآية ٢٠٠.

٢) أسد الغابة « كتاب النساء « باب الخاء: خنساء بنت عمرو الشريد بن رباح بن ثعلبة، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

- صاحبة الذأبتين:

لما سبى الروم بعض نساء المسلمين، فبلغ الخبر الرقة وبها أمير المؤمنين هارون الرشيد.. فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت محل بالقرب من أمير المؤمنين، فحرضت الناس على الغزو، ففعل ، فبينما هو يذكرهم ويحرض، إذا نحن بخرقه مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، ففك الكتاب، فقرأه ، فإذا فيه: إني امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمين، وسمعت تحريضك الناس علي الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شئ من بدني، وهما ذأبتاى، فقطعتهما، وصررتها في هذه الخرقة المختومة ، وأناشدك بالله العظيم، لما جعلتهما قيد فرس غازٍ في سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر إلىَّ على تلك الحال نظرةً فيرحمني بها. قال : فبكى وأبكى الناس ، وأمر هارون أن ينادى النفير ، فغزا بنفسه ، فأنكي فيهم ، وفتح الله عليهم . انظروا إلى هذه المرأة العظيمة التي لم تجد مالا تضحي به فضحت بأكرم شئ عليها .. وأعز شئ على المرأة شعرها الذي به تتزين ، فعمدت إليه وقصته ليكون قيدا لفرس في سبيل الله ... فيا من امتلأت يديها وصدرها بالذهب ماذا نويت أن تقدمين ؟؟ .

- امرأة وبنوها :

يحكى الإمام الطبري في تاريخه: أن امرأة كان لها أربعة من البنون، شهدوا القادسية، فقالت لهم: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تثوبوا (١) ولم تنب بكم البلاد (٢) ولم تقحمكم السنة (٣) ثم جئتم بأمكم عجوز كبير فوضعتموها بين يدي

---

١) أى لم ترجعوا عن هجرتكم .
٢) أى لم يستثقلكم الناس .
٣) أي لم يضعفكم القحط والجوع .

أهل فارس ... انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره ، فأقبلوا يشتدون ، فلما غابوا عنها، رفعت يديها إلى السماء، وهى تقول: اللهم ادفع عن بني ، فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال، ما كلم منهم رجل كلما(١)(٢) .

- **عصمت الدين خاتون (ابنة معين الدين أنر حاكم دمشق) :**

من أبرز الشخصيات النسائية التي لعبت دورًا مهمًّا في مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، وذلك أثناء الهجمة الصليبية الشرسة على العالم الإسلامي، حيث أسهمت بشكل غير مباشر في التمهيد لتحرير بيت المقدس من براثن الصليبيين.

نالت الشرف مرتين؛ مرَّة حين تزوجت من البطل نور الدين محمود زنكي سلطان مصر والشام، والمرة الثانية حين تزوجت من خَلَفه الناصر صلاح الدين الأيوبي، رحمهما الله.

نشأت عصمة الدين في بيت منشغل بقضايا الأمة، متفاعل معها؛ فأبوها الأتابك معين الدين أنر كان القائم بتسيير أمور الدولة بدمشق في عهد حكم (السلاجقة الأتابكة)، واستطاع أن يسيطر على الحكم الفعلي للدولة في ظل ضعف الملك " مجير الدين أبق " حاكم دمشق وتوابعها.

في بداية أمره تحالف مع الفرنجة لحماية دولة دمشق من الوقوع في سيطرة آل زنكي حكّام حلب والمَوْصل، إلا أنه عاد عن ذلك وتحالف مع السلطان نور الدين زنكي في عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م.

ويذكر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي صاحب كتاب (الوافي بالوفيات)، والإمام الذهبي في كتابه (العِبَر في خبر من غبر) أنه: " كان عاقلاً سائسًا

---

١) يعنى لم يجرح أحدهم جرحا .

٢) التاريخ الكبير للإمام الطبري ٣/٥٤٤.

مدبِّرًا، حسن الديانة، ظاهر الشجاعة، جليل القدر، عالي الهمة، موصوفًا بالرأي، مُحِبًّا للعلماء والصُّلَحاء، كثير الصدَقة والبِر.

وورد في السيرة الزِّنكية لمؤلفه د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي أنّ عصمت الدين ظلّت في قلعة أبيها في دمشق حتى وقع عدد من التغيُّرات في الخريطة السياسية للعالم الإسلامي كان لها أثرها الكبير على حياتها، أبرزها محاولات البطل نور الدين زنكي الذي انتهج مع الإمارات الإسلامية سياسة التآلف والتناصح، فتحوَّل الصراع بين دمشق وآل زنكي إلى محاولات للوحدة والتقريب، وترددّت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين أنر حاكم دمشق، واستقرّت الحال بينهما على أجمل صفة، وتأكّدت الأمور على ما اقترح كل منهما، ولتأكيد هذه العلاقة خطب نور الدين من " معين الدين أنر" ابنته عصمت الدين ووافق الأخير، وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في شهر شوال، وما إن تمّ إعداد الجهاز حتى قفل الوفد عائدًا وبصحبته ابنة معين الدين.

فكان هذا الزواج رمزا لوحدة إسلامية، وبمثابة خطوة علي طريق تحرير بيت المقدس، ولما كانت الغاية نبيلة، بارك الله في هذه الزيجة

لم يكن التحالف مع معين الدين أنر هو الغرض الوحيد من التقدُّم للزواج من عصمة الدين، وإنما السمعة الطيبة التي كانت تحظى بها، إذ قال عنها المؤرخون ومنهم ابن كثير في (البداية والنهاية): " كانت من أحسن النساء، وأعفّهنَّ وأكثرهن خدمة، متمسِّكة من الدين بالعُروة الوثقى". هذه السيرة دفعت صلاح الدين بعد وفاة نور الدين ليتقدم لخِطبتها ويعقد عليها، فكانت له نِعْم الزوجة.

زوجها: نورالدين محمود زنكي والملقب بالملك العادل من أشهر وأعظم ملوك المسلمين المجاهدين والمدافعين للصليبين.

عرف عنه رحمه الله حبه للعلم وتكريم العلماء وإجلالهم، وكان يحرص على التشبه بهم والاقتداء بسيرة من سلف منهم، وكان العلماء عنده في المنزلة الاولى والمحل العظيم، يحضرهم الى مجلسه، فيدنيهم ويتواضع لهم، وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه، ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته، ويقبل عليه بجديته، كأنه أقرب الناس إليه، تعظيما وتوقيرا واحتراما، ووصف مجلسه بأنه يشبه مجلس رسول الله ﷺ ، فهو مجلس حلم وحياء، لا تؤبن فيه الحرم، ولا يذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين، والمشورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو.

أطلق عليه المؤرخون لقب: سادس الخلفاء الراشدين، لشبهه الكبير بعمر بن عبدالعزيز الذي عرف بخامس الخلفاء الراشدين.

أكرم الله نور الدين بذكر مجيد وسيرة عطرة ولم يقطف من هذه الدنيا سوى ثمانية وخمسين عاماً.

يقول الإمام ابن عساكر: بلغني أنه (نور الدين محمود) في الحرب رابط الجأش، ثابت القدم، شديد الانكماش، حسن الرمي بالسهام، صليب الضرب عند ضيق المقام، يقدُم أصحابه عند الكرة، ويحمي منهزمهم عند الفرة، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة.

وعن شجاعته وأقدامه: قال ابن الأثير : وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيهما، فإنه كان أصبر الناس في الحرب، وأحسنهم مكيدة ورأياً، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم، وبه كان يضرب المثل في ذلك، سمعت جمعاً كثيراً من الناس لا أحصيهم يقولون: إنهم لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه، كأنه خلق منه لا يتحرك و لا يتزلزل."

وعن زهده يقول سبط ابن الجوزي" :كان إذا أقام الولائم العظيمة لا يمد يده إليها إنما يأكل من طبق خاص فيه طعام بسيط.

وظل طيلة ثمانية وعشرين عاما لا يبتسم، فذكروا له حديثا نبويا عن الابتسامة فرد غاضبا: إني لأستحي من الله تعالي أن يراني متبسما والمسلمون محاصرون بالفرنج.

ولذا اجتهد في توحيد الشام وضمه إلي مملكته، وهذا مما زاد المسلمين هيئة أمام الروم، وجع

قال أبو شامة المقدسي صاحب كتاب (الروضتين في أخبار النورية والصلاحية): "وفي آخر صَفَر تزوّج السلطان بالخاتون المنعوتة عصمت الدين بنت الأمير معين أنر، وكانت في عصمة نور الدين –رحمه الله تعالى– فلما توفي أقامت في منزلها بقلعة دمشق، رفيعة القدر، مستقلة بأمرها، كثيرة الصدقات، والأعمال الصالحات. فأراد السلطان حفظ حرمتها، وصيانتها وعصمتها، فأحضر (شرف الدين بن أبي عصرون) وعُدُوله، وزوَّجه إياها بحضرتهم أخوها لأبيها الأمير سعد الدين مسعود بن أنر بإذنها، ودخل بها وبات عندها، وقرن بسعده سعدها". كما ذكر ابن كثير في تاريخه " محبة صلاح الدين لها، وأنه كان يكتب لها أثناء مرضه في حران كل يوم كتابًا طويلاً.

كما تميزت الخاتون عصمة الدين برجاحة العقل، اكتسبتها أثناء نشأتها في بيت والدها حيث اطّلعت على أوضاع أمتها، وأدركت حجم المخاطر التي تتعرض لها وتفاعلت معها؛ مما انعكس على حياتها الزوجية مع نور الدين زنكي الذي كان كثيرًا ما يأخذ برأيها.. ومن القصص الطريفة التي تُروى أن نور الدين شبهها ذات مرة بالقاضي الفاضل لرجاحة عقلها وسداد رأيها –وكان قاضيًا حكيمًا ووزيرًا من

الوزراء– فابتسمت الخاتون عصمة الدين وقالت لزوجها: " ولكني أجمل منه ". كما ذكر الإمام الذهبي أن " صلاح الدين كان يصدر عن رأيها.

أثر نور الدين في زوجته:

أثر مسلك نور الدين في حياة زوجته، وسرى حاله وعبادته إليها، فكانت عصمت الدين خاتون زوجته من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى وكانت لها اوقاف وصدقات كثيرة وبر عظيم، وكانت تكثر القيام في الليل، وحدث أنها نامت ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائمين لقيام الليل وخصص للضاربين أجرا جزيلا.

أثمر زواج الخاتون عصمة الدين من نور الدين زنكي عن ابنة وولدين، هما أحمد الذي توفي طفلاً، والصالح إسماعيل الذي توفي عنه أبوه وهو بعد غلام، فاهتمت أمه عصمة الدين بتربيته ولم تفسده بتدليلها – كونه ابنها الوحيد– بل عملت على تأهيله للقيام بالأعباء العِظام التي تنتظره.. فمَلَك الشام والجزيرة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٩هـ، وكان عمره إحدى عشرة سنة، وتلقّب بالملك الصالح. اشتُهر بتقواه وورعه، ذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) أنه رفض الأخذ برأي الأطباء في شرب شيء من الخمر للتداوي عندما ألحّت عليه علة " القولنج " – التي أودت بحياته – فقال: لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء. فاستفتى، فأفتاه فقيه من مدرِّسي الحنفية بجواز ذلك، فقال له: أرأيت إن قدر الله – تعالى– بقرب الأجل، أيؤخره شرب الخمر؟ فقال له الفقيه: لا. فقال: والله لا لقيت الله – سبحانه – وقد استعملت ما حرَّمه عليَّ. ولم يشربها، فتُوفي – رحمه الله– ولم يبلغ العشرين من العمر.

كما كانت الخاتون عصمة الدين نموذجًا للمرأة الصابرة؛ ذكر الدكتور ياسر نصر في كتابه (فجر أمة) أنها ظلت وزوجها نور الدين صابرين على قضاء الله وقدره لمدة عشرين عامًا حتى ولد لهما إسماعيل.

لم يقف دور عصمة الدين عند تربية الأبناء ومساندة زوجَيْها نور الدين ثم صلاح الدين – مجدِّدا حركة الجهاد في الأمة في القرن السادس الهجري– وشدّ أزرهما وعدم البخل عنهما بأية مشورة أو رأي، وإعانتهما على طاعة الله رغم عظم هذا الدور وأهميته.. لكنها تجاوزت ذلك إلى محاولة إصلاح المجتمع والنهوض به، وفي سبيل ذلك أوقفت أموالاً طائلة على أعمال الخير وتعليم الأمة وتربيتها، قال عنها عبد القادر بن محمد النُّعيمي الدمشقي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس): "هي من أعف النساء وأعصمهن وأَجَلّهن في الصيانة وأحزمهنّ، متمسكة من الدين بالعُروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقهاء، وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها.

وُصِفَت الخاتون عصمة الدين بأنها فقيهة في المذهب الحنفي، ولشدة اعتنائها بهذا المذهب بنَت المدرسة الخاتونية سنة ٥٧٣هـ على مذهب الإمام الحنفي بدمشق بمحلّة كانت تُعرف بحجر الذهب، وقد اهتمت بها؛ وتكفلت بتمويلها ماديًّا عن طريق الوقف وتسخير إيراداته للمدرِّسين والطلبة، ولقد توالى على التدريس في هذه المدرسة مجموعة من أكابر علماء الفقه الحنفي.

هكذا كان بيت عصمة الدين بيت قيادة، أسرة يتوق أفرادها لتحرير بيت المقدس، ويحملون بين جَنَباتهم همَّ الإسلام ونُصرته... كم نحن بأمسِّ الحاجة إلى الاسترشاد بهذه النماذج وإسقاطها على واقعنا روحانيًّا وفكريًّا وتربويًّا! وهذا – بلا أدنى ريب – سيكون له أثر كبير في تنشئة جيلٍ يحذو حذو البطلين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، رحمهما الله.

توفيت رحمها الله عام ٥٨١هـ، قبل أن تكحّل عينيها برؤية المسجد الأقصى محررًا، ودُفنت بالتُّربة التي بنتها على سفح قاسيون على نهر بردى، رحمها الله رحمة واسعة.

- جهـــــاد (وا إسلاماه) زوجة محمود الملقب بسيف الـدين قطز هازم التتار في عين جالوت:

خرج قطز يوم الإثنين الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م بجميع عسكر مصر ومن انضم إليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم من قلعة الجبل في القاهرة.

التقى الفريقان في المكان المعروف باسم عين جالوت في فلسطين في٢٥ رمضان٦٥٨ هـ _ سبتمبر ١٢٦٠ م (وقت وصول الجيشين تماما مختلف فيه).

قام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبئ بين التلال وفي الوديان المجاورة كقوات دعم أو لتنفيذ هجوم مضاد أو معاكس. وكان قطز قد اجتمع بالإمراء، فحضهم على قتال التتار وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وخوفهم وقوع مثل ذلك، وحضهم على استنقاذ الشام من التتار ونصرة الإسلام والمسلمين، فضجوا بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتار ودفعهم عن البلاد.

قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم إنسحبت متظاهرة بانهزام مزيف هدفه سحب خيالة المغول إلى الكمين، في حين كان قطز قد حشد جيشه استعدادا لهجوم مضاد كاسح، ومعه قوات الخيالة الفرسان الكامنين فوق الوادي.

وانطلت الحيلة على كتبغا فحمل بكل قواه على مقدمة جيش المسلمين واخترقه وبدأت المقدمة في التراجع إلى داخل الكمين، وفي تلك الأثناء خرج قطز وبقية

مشاة وفرسان الجيش وعملوا على تطويق ومحاصرة قوات كتبغا، حيث كانت جيوش المسلمين ينزلون من فوق تلال الجليل، والمغول يصعدون إليهم. ثم هجم كتبغا بعنف شديد إلى درجة أن مقدمة جيش المسلمين ازيحت جانبا، فاستبسل كتبغا في القتال، فاندحر جناح ميسرة عسكر المسلمين وإن ثبت الصدر والميمنة.

كانت الحرب ضارية.. أخرج التتار فيها كل إمكانياتهم، وظهر تفوق الميمنة التترية التي كانت تضغط على الجناح الأيسر للقوات الإسلامية، وبدأت القوات الإسلامية تتراجع تحت الضغط الرهيب للتتار، وبدأ التتار يخترقون الميسرة الإسلامية، وبدأ الشهداء يسقطون، ولو أكمل التتار اختراقهم للميسرة فسيلتفون حول الجيش المسلم.

كان قطز يقف في مكان عال خلف الصفوف يراقب الموقف بكامله، ويوجه فِرَق الجيش إلى سد الثغرات، ويخطط لكل كبيرة وصغيرة، وشاهد قطز المعاناة التي تعيشها ميسرة المسلمين، فدفع إليها بآخر الفرق النظاميه من خلف التلال، ولكن الضغط التتري استمر.

فما كان من قطز إلا أن نزل ساحة القتال بنفسه؛ وذلك لتثبيت الجنود ورفع روحهم المعنوية، ألقى بخوذته على الأرض تعبيرًا عن اشتياقه للشهادة، وعدم خوفه من الموت، وأطلق صيحته الشهيرة :" واإسلاماه ".

وقاتل قطز مع الجيش المسلم قتالاً شديدًا، حتى صوب أحد التتار سهمه نحو قطز فأخطأه ولكنه أصاب الفرس الذي كان يركب عليه قطز فقُتل الفرسُ من ساعته، فترجل قطز على الأرض، وقاتل ماشياً لا خيل له. ورآه أحد الأمراء المماليك وهو يقاتل ماشيًا، فجاء إليه مسرعًا، وتنازل له عن فرسه، إلا أن قطز

امتنع، وقال: "ما كنت لأحرم المسلمين نفعك!!"وظل يقاتل ماشياً إلى أن أتوه بفرس من الخيول الاحتياطية.

وقد لامه بعض الأمراء على هذا الموقف وقالوا له: لمَ لمْ تركب فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك، وهلك الإسلام بسببك.

فقال قطز: "أما أنا كنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه، وقد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقاً من الملوك (مثل عمر وعثمان وعلي) فأقام الله للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضع الإسلام.

أما جلنار حب الرمان هي زوجة الملك المظفر سيف الدين قطز وصاحبة العبارة الشهيرة ((وإسلاماه)) والتي كانت آخر كلمة نطقت بها قبل أن تموت شهيدة على يد التتر في عين جالوت.

ذكرت بعض الروايات: منها رواية (**واإسلاماه**) للمؤلف علي أحمد باكثير :

لما كان يوم عين جالوت حضر سيف الدين قطز ومعه زوجته جلنار حب الرمان المعركة وأثناء القتال تمكن التتر من زحزحة صفوف المسلمين حتى إنهم وصلوا إلى خيام المعسكر فضربوا جلنار وهب قطز إليها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة فقال (واحبيبتاه .. وازوجاه) فردت عليه وهي على حالها (**لا تقل واحبيبتاه بل قل واإسلاماه**) ثم فاضت روحها إلى بارئها ونهض قطز من مكانه وانقض على جيش التتر يقتل فيهم وهو يصرخ (**الله أكبر .. واإسلاماه**) فتحمس المسلمون واشتدوا في قتالهم حتى هزموهم بإذن الله، هزيمة منكرة.

لذا نجد أن المرأة المسلمة قد شاركت من أول يوم في التضحية للدين وتحمل المسئولية تجاه الدفاع عن دينها وعقيدتها.. حيث هاجرت وتحملت ما تحملت من

مشاق الغربة وترك الوطن ، من أجل الحفاظ علي دينها وإيمانها وإعلاء كلمة ربها (لا إله إلا الله) .

* * * * *

مهاجرات

يقول ابن القيم (رحمه الله) :

فلما اشتد البلاء على الصحابة رضى الله عنهم ، أذن الله سبحانه وتعالي لهم بالهجرة الأولي إلي الحبشة وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانوا اثني عشر رجلا وأربع نسوة :

- عثمان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ .
- وأبو حذيفة وامرأته سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلٍ (١).

---

١) سهلة بنت سهيل بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وأمها فاطمة بنت عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وولدت له هناك محمد بن أبي حذيفة وتزوجها بعد أبي حذيفة عبد الله بن الأسود بن عمرو من بني مالك بن حسل فولدت له سليط بن عبد الله ثم خلف عليها شماخ بن سعيد بن قانف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور فولدت له عامر بن شماخ ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة فولدت له سالم بن عبد الرحمن وقد كانت سهلة بنت سهيل قد تبنت سالما مولى أبي حذيفة وكان يدخل عليها فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترضعه خمس رضعات أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن الزهري أن سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة سألت رسول الله فقالت يا رسول الله إنا كنا نعد سالما ولدا وإنه يدخل علي وأنا فضل ويرى مني فقال رسول الله أرضعيه خمس رضعات وليدخل عليك قال الزهري وكانت عائشة تفتي بهذه الفتيا وأخبرني سالم أنه دخل على أم كلثوم بنت أبي بكر لترضعه خمس رضعات ليدخل على عائشة فيسمع منها فأرضعته رضعتين أو ثلاثا ثم

- وأبو سلمة وامرأته أم سلمة هند بنت عبد الأسد.
- وعامر بن ربيعة وامرأته ليلي بنت حثمة .
- **وفي الهجرة الثانية** : خرج ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء تسع نسوة منهم أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان مع زوجها عبد الله بن ربيعة الذي تنصر ومات كافرا (١) .

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): في كتابه حياة الصحابة في باب الهجرة: كيف تركت الصحابة أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس، بحيث أنّهم لم يرجعوا إلى أوطانهم إلى الموت؟ .

وكيف كان ذلك أحبَّ إليهم من الدنيا ومتاعها؟.

وكيف قدَّموا الدِّين على الدنيا، فلم يبالوا بضياعها ولم يلتفتوا إلى فنائها؟.

مرضت فلم يدخل عليها أخبرنا محمد بن عمر حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن أبي عبيدة عن عبد الله بن زمعة عن أمه عن أم سلمة قالت أبى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذن بهذا وقلن إنما هذه رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لسهلة بنت سهيل أخبرنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال حدثتني عمرة بنت عبد الرحمن أن امرأة أبي حذيفة بن عتبة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سالما مولى أبي حذيفة ودخوله عليها فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترضعه فأرضعته وهو رجل كبير بعدما شهد بدرا أخبرنا محمد بن عمر حدثنا محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن أبيه قال كان يحلب في مسعط أو إناء قدر رضعة فيشربه سالم كل يوم خمسة أيام وكان بعد يدخل عليها وهو حاسر رخصة من رسول الله لسهلة بنت سهيل(الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ ... » سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ ود).

١) زاد المعاد لابن القيم ٢/٨٠ .

وكيف يفرُّون من بلاد إلى بلاد إحتفاظاً لدينهم من الفتنة، فكأنهم كانوا قد خُلقوا للآخر وكانوا من أبنائها فصارت الدنيا كأنها خُلقت لهم.

والمتأمل يجد أن نسائهم كن لهم مثل الظل يهاجرن معهم ويؤذين معهم ويتحملن معهم المشقات والمجاهدات من أجل إحياء هذا الدين العظيم، فرضي الله عنهن.

مهاجرات الحبشة

مـــن قـــريش: من بني هاشم	رقية بنت رسول الله ﷺ، مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما.
من بني أمية	أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت: من مكة ، ورجعت بها معها
من بني مخزوم	أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك.
من بني تيم بن مرة :	ريطة بنت الحارث بن جبيلة: هلكت بالطريق، وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك:عائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعا، وأخوهن موسى بن الحار ، من ماء شربوه في الطريق، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرها، يقال لها فاطمة.
من بني سهم	رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة .
من بني عدي	ليلى بنت أبي حثمة بن غانم
من بني عامر	سودة بنت زمعة بن قيس ؟ وسهلة بنت سهيل بن عمرو .. وابنة

	المجلل .. وعمرة بنت السعدي بن وقدان . وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .
من غرائب العرب	أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية - وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار، وحسنة . أم شرحبيل بن حسنة .

أبنائهن بالحبشة

وهذه تسمية من ولد من أبنائهن بأرض الحبشة:

من بني هاشم	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
من بني عبد شمس	محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد.
من بني مخزوم	زينب بنت أبي سلمة بن الأسد
من بني زهرة	عبد الله بن المطلب بن أزهر .
من بني تيم	موسى بن الحارث بن خالد . وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .
الذكور منهم خمسة	عبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث
الإناث منهن	أمة بنت خالد وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر [١].

---

١) السيرة النبوية لابن هشام » ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة » مهاجرات الحبشة.

مهاجرات للمدينة المنورة

١) أم المؤمنين:عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ :

عَنْ عروة بن الزبير، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم خَلَّفَنَا وَخَلَّفَ بَنَاتِهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ بَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ، وَأَعْطَاهُمَا بَعِيرَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ أَخَذَهَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ يَشْتَرِيَانِ بِهَا مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ مِنَ الظُّهْرِ، وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُمَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ الدُّؤَلِيَّ بِبَعِيرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَحْمِلَ أَهْلَهُ أُمَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ رُومَانَ، وَأَنَا وَأَخِي وَأَسْمَاءُ امْرَأَةُ الزُّبَيْرِ، فَخَرَجُوا مُصْحِبِينَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قُدَيْدٍ، اشْتَرَى زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِتِلْكَ الْخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةَ أَبْعِرَةٍ، ثُمَّ دَخَلُوا مَكَّةَ جَمِيعًا، فَصَادَفُوا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ يُرِيدُ الْهِجْرَةَ، فَخَرَجْنَا جَمِيعًا، وَخَرَجَ زَيْدٌ وَأَبُو رَافِعٍ بِفَاطِمَةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ وَسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، وَحَمَلَ زَيْدٌ أُمَّ أَيْمَنَ وَوَلَدَهَا أَيْمَنَ، وَأُسَامَةَ، وَاصْطَحَبَنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْضِ مِنْ نَمِرَ نَفَرَ بَعِيرِي وَأَنَا فِي مِحَفَّةٍ مَعِي فِيهَا أُمِّي، فَجَعَلَتْ أُمِّي تَقُولُ: وَا ابْنَتَاهُ وَا عَرُوسَاهُ، حَتَّى إِذَا أُدْرِكَ بَعِيرُنَا وَقَدْ هَبَطَ مِنَ الثَّنِيَّةِ ثَنِيَّةِ هَرْشَا فَسَلَّمَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْتُ مَعَ عِيَالِ أَبِي بَكْرٍ، وَنَزَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَم وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم يَوْمَئِذٍ يَبْنِي الْمَسْجِدَ وَأَبْيَاتًا حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَنْزَلَ فِيهَا أَهْلَهُ، فَمَكَثْنَا فِيهَا أَيَّامًا، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَبْتَنِيَ بِأَهْلِكَ؟، قَالَ: «الصَّدَاقُ» ، فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ اثْنَتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، فَبَعَثَ بِهَا

إِلَيْنَا، وَبَنَى بِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم فِي بَيْتِي هَذَا الَّذِي أَنَا فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ وَدُفِنَ فِيهِ، وَأَدْخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَم سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ مَعَهُ أَحَدَ تِلْكَ الْبُيُوتِ، وَكَانَ يَكُونُ عِنْدَهَا، وَكَانَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَم إِيَّايَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْجَوَارِي، فَمَا حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلَم تَزَوَّجَنِي حَتَّى أَخَذَتْنِي أُمِّي فَحَبَسَتْنِي فِي الْبَيْتِ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنِّي تَزَوَّجْتُ، فَمَا سَأَلْتُهَا حَتَّى كَانَتْ هِيَ الَّتِي أَخْبَرَتْنِي (١).

٢) هجرة أم سلمة(رضي الله عنها): (٢).

٣) أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ(رضي الله عنها): ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

وأمها: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة في الهدنة هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقدما المدينة من الغد يوم قدمت فقالا يا محمد ف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه وقالت أم كلثوم يا

---

١) المعجم الكبير للطبراني » مُسْنَدُ مَنْ يُعْرَفُ بِالْكُنَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ... » ذِكْرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ...(١٨٦٢٥).

٢) وقد ذكرت قصة هجرتها وما نالت من المشقة في: (باب مضحيات) من هذا الكتاب.

رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي فقبض الله العهد في النساء في صلح الحديبية وأنزل فيهن المحنة وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم وفي أم كلثوم نزل فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فامتحنها رسول الله وامتحن النساء بعدها يقول والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال فإذا قلن ذلك تركن وحبسن فلم يرددن إلى أهليهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للوليد وعمارة ابني عقبة قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه فانصرفا ولم يكن لأم كلثوم بنت عقبة بمكة زوج، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي فولدت له وقتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام بن خويلد فولدت له زينب[١].

وعنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ تَحْتَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَكَانَتْ فِيهِ شِدَّةٌ عَلَى النِّسَاءِ، وَكَانَتْ لَهُ كَارِهَةٌ، فَكَانَتْ تَسْأَلُهُ الطَّلاقَ فَيَأْبَى عَلَيْهَا، حَتَّى ضَرَبَهَا الطَّلْقَ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ، فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً، ثُمَّ خَرَجَتْ فَوَضَعَتْ، فَأَدْرَكَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا قَدْ وَضَعَتْ ، فَقَالَ: خَدَعَتْنِي خَدَعَهَا اللَّهُ !، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ: " سَبَقَ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْطُبْهَا "، قَالَ: لا تَرْجِعُ إِلَيَّ أَبَدًا، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَحُمَيْدًا، وَمَاتَ عَنْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَتَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ[٢].

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ ... » أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أبي مُعَيْطٍ .

٢) المرجع السابق .

وعن ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ شَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ مَنْ جَاءَ مِنْ قِبَلِنَا وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْ قِبَلِكَ رَدَدْنَاهُ إِلَيْكَ، فَكَانَ يَرُدُّ إِلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ مِنْ قِبَلِهِمْ يَدْخُلُ فِي دِينِهِ، فَلَمَّا جَاءَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أبي مُعَيْطٍ مُهَاجِرَةً جَاءَ أَخَوَاهَا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاهَا وَيَرُدَّاهَا إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الصَّدَاقُ، (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) [١]، قَالَ: هِيَ الْمَرْأَةُ تُسْلِمُ فَيَرُدُّ الْمُسْلِمُونَ صَدَاقَهَا إِلَى الْكُفَّارِ، وَمَا طَلَّقَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ نِسَاءَ الْكُفَّارِ عِنْدَهُمْ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا صَدَاقَهُنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنْ أَمْسَكُوا صَدَاقًا مِنْ صَدَاقِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا فَارَقُوا مِنْ نِسَاءِ الْكُفَّارِ أَمْسَكَ الْمُسْلِمُونَ صَدَاقَ الْمُسْلِمَاتِ اللاتِي جِئْنَ مِنْ قِبَلِهِمْ . [٢].

---

١) سورة الممتحنة _ الآيتان ١٠ ، ١١.

٢) المرجع السابق .

مواقف بطولية

من صنع النساء

- تضحياتهن وثباتهن على الإيمان:

١. المرأة المؤمنة و الأخدود:

وهي التي ذكرها النبي ﷺ في قصة أصحاب الأخدود عندما آمن الناس برب الغلام ، وأمر الملك بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ... فجاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها خوفاً على ولدها فأنطق الله ولدها في المهد وقال لها : يا أمه اصبري فإنك على الحق "

انظري أختي المسلمة إلى هذا الثبات على الإيمان والتضحية من أجل الله ﷻ حيث ألقت بنفسها وولدها في النار.

فكتب الله ﷻ لها خلودين، خلود في الدنيا [١] فقد سجل الإمام مسلم في صحيحه تضحية هذه المرأة ، لتكون مثلا لأمة الحبيب محمد ﷺ رجالا ونساءً في التضحية والثبات على الإيمان والعقيدة ، حتى لو وصل الأمر إلى إزهاق النفوس والأرواح من أجل الله ﷻ.

والخلود الثاني في الفردوس مع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

---

١) انظر قصة أصحاب الأخدود بتمامها في كتاب رياض الصالحين باب الصبر صـ٦٠.

٢. مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: سلطان

مر الحبيب محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وهو فى طريقه إلى بيت المقدس فوجد ريحاً طيبةً ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِي قَالَتْ لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ قَالَتْ أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي قَالَتْ نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا قَالَ ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ (١)(١).

---

١) أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣٠٩/١) ، والطبراني (١٢٢٨٠) ، وابن حبان (٢٩٠٣) ، والحاكم (٤٩٦/٢) . قال الذهبي في " العلو " (٨٤) عن: " هذا حديث حسن الإسناد " ، وقال ابن كثير في " التفسير " (١٥/٣) : " إسناده لا بأس به " ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩٥/٤) ، وقال الأرنؤوط في تخريج المسند (٣٠/٥ – ٣١ رقم ٢٨٢١) : " إسناده حسن ، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة "

٣ . آسية بنت مزاحم (عليها السلام) :

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل، وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلمّا قتلت الماشطة، رأت آسية الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر إليها وهي تعذب فلمّا رأت الملائكة قوة إيمانها وازدادت يقينًا وتصديقًا لموسى فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون، فأخبرها خبر الماشطة، قالت: له آسية: الويل لك ما أجرأك على الله، فقال لها: لعلّك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت: ما بي جنون ولكنّي آمنت بالله تعالى ربي وربّك وربّ العالمين.

فدعا فرعون أمّها وقال لها: إنّ ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى، فأرادتها على موافقة فرعون، فأبت وقالت: أمّا أن أكفر بالله فلا والله فأمر فرعون حتى مدّت بين يديه أربعة أوتاد وعذّبت حتى ماتت فلما عاينت الموت قالت: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (٢) فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعدّ لها من الكرامة فضحكت فقال فرعون: انظروا إلى

.وبهذا يتبين أن هذه القصة صحيحة ثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، وليست مأخوذة من مصادر يهودية أو نصرانية .

١) وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ مَرَّتْ بِهِ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَنْ رَبُّكِ قَالَتْ رَبِّي وَرَبُّكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ .

٢) سورة التحريم – الآية ١١

الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب ثم ماتت(١).. وقد مر ذكرها في باب تضحيات نسائية، وقد كررنا ذكرها هنا لما كان في قصتها أعظم الثبات علي الإيمان.

٤. فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها) :

فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عُمر، وهي كانت سبب إسلام أخيها عُمر.

يدخل عليها عمر حين علم بإسلامها هي وزوجها سعيد بن زيد ، ويقول : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرؤون " طه " فقالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعكما صبوتما . قال له ختنه سعيد بن زيد ﷺ : أرأيت يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطئاً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ..... الخ (٢).

روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عُمر عن إسلامه، فقال: خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي وكان قد أسلم فقلت: تركت دين آبائك واتَّبعت دين مُحَمَّد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني! قلت:

---

١) سورة التحريم – الآية ١١

٢) انظر القصة بتمامها في حياة الصحابة باب تحمل الصحابة الشدائد في الدعوة إلى الله – تحمل سعيد بن زيد وزوجته.

من هو؟ قال: أختك وختَنك. قال: فانطلقت فوجدت الباب مغلقاً، وسمعت همهمة، ففتح الباب، فدخلت فقلت: ما هذا الذي أسمع؟ قالت: ما سمعت شيئا. فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس خَتني فضربته فأدميته، فقامت إليَّ أختي فأخذت رأسي فقالت: قد كان ذاك على رغم أنفك! قال: فاستحييت حين رأيت الدم، وقلت: أروني هذا الكتاب.. وذكر قصة إسلام عُمر في ترجمته.أخرجها الثلاثة.(١).

وفى رواية البزار قال: فلما فتحت لى أختي الباب، قلت: أيا عدوة نفسها ! صبوت؟ قال: ورفع شيئاً فضرب به على رأسها ، فبكت المرأة وقالت: يا بن الخطاب: اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت ... الخ . (٢).

وكانت هذه التضحية وتحمل الضرب والإيذاء سببا في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا.

رحمك الله ورضي عنك يا بنت الخطاب ، فحلقة التعليم التي أقمتيها في بيتك أنت وزوجك، كانت سببا في إسلام فاروق الأمة، وبشراك مابين مبين الآن في النساء ولا أقام حلقة التعليم إلا وذكرك يا فاطمة، فكانت حلقتك نبراسا للأمة إلي يوم القيامة.

٥ . سمية بنت الخياط: وكانت امرأة عجوزة كبيرة، وقد مر تعذيب أبا جهل لها، حتي رزقها الله الشهادة علي يديه وهي صابرة ثابتة علي دينها .

٦ . جارية بنت عمرو بن مومل: أسلمت بمكة قديما وكانت ممن يعذب في الله وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم هو الذي يعذبها ليردها عن الإسلام

---

١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ ترجمة فاطمة بنت الخطاب.

٢)المرجع السابق .

فيعذبها حتى يفتر ثم يدعها ويقول والله ما أدعك إلا سآمة فتقول كذلك يفعل بك ربك.

٧ . قصة الغلام وابن قدامة المقدسي رحمه الله : يحكى أنه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يقال له أبو قدامة الشامي، وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه ، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيت في الجهاد ؟ فقال أبو قدامة نعم إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملاً أشتريه ليحمل السلاح ، فبينما أنا يوماً جالساً إذ دخلت علي امرأة فقالت : يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رُزقتُ من الشَّعر ما لم يُرزقه غيري من النساء ، وقد قصعته وأصلحت منه شكالا للفرس وعفرته بالتراب كي لا ينظر إليه أحد ، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرتَ في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورُميت النبال وجُردت السيوف وشُرعت الأسنّة ، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله ، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قُتلوا في سبيل الله ولو كان عليّ جهاد لجاهدت.

وناولتني الشكال. وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قُتل خلف لي غلاماً من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي على القوس وهو قوام بالليل صوام بالنهار وله من العمر خمس عشرة سنة وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل وأنا أسألك بحرمة الإسلام، لا تحرمني ما طلبت من الثواب.

فأخذت الشكال منها فإذا هو مظفور من شعرها. فقالت: ألقه في بعض رحالك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي. فطرحته في رحلي وخرجتُ من الرقة ومعي

أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبدالملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلاً يرحمك الله، فوقفت وقلت لأصحابي تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا أنا بفارس قد دنا مني وعانقني وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً. قلت للصبي أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا به غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة.

قلت للصبي: ألك والد ؟ قال: لا بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي لأنه استشهد فلعل الله يرزقني الشهادة كما رزق أبي. قلت للصبي: ألك والدة ؟ قال: نعم . قلت: اذهب إليها فاستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد، لأن الجنة تحت ظلال السيوف وتحت أقدام الأمهات. قال: يا أبا قدامة أما تعرفني قلت: لا. قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، سألتك بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، فإني حافظ لكتاب الله عارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عارف بالفروسية والرمي وما خلفت ورائي أفرس مني فلا تحقرني لصغر سني وإن أمي قد أقسمت على أن لا أرجع، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله تعالى ومجاورة أبيك مع إخوانك الصالحين في الجنة فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيّ فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها ورفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي ومولاي هذا ولدي وريحانة قلبي وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه.

فلما سمعت كلام الغلام بكيت بكاءاً شديداً أسفاً على حسنه وجمال شبابه ورحمة لقلب والدته وتعجباً من صبرها عنه. فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكي لصغر سني فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه. قلت: لم أبك لصغر سنك ولكن أبكي لقلب والدتك كيف تكون بعدك.

وسرنا ونزلنا تلك الليلة فلما كان الغداة رحلنا والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب وخادمنا إذا نزلنا منزلا، وصار كلما سرنا يقوى عزمه ويزداد نشاطه ويصفو قلبه وتظهر علامات الفرح عليه. فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاما لإفطارنا وكنا صياما، فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينما هو نائم إذ تبسم في نومه فقلت لأصحابي ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه، فلما استيقظ قلت: بني رأيتك الساعة ضاحكاً مبتسماً في منامك، قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني. قلت: ما هي. قال: رأيت كأني في روضة خضراء أنيقة فبينما أنا أجول فيها إذ رأيت قصراً من فضة شُرفه من الدر والجواهر، وأبوابه من الذهب وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور وجوههن كالأقمار فلما رأينني قلن لي: مرحبا بك فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن فقالت: لا تعجل ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض هذا زوج المرضية، وقلن لي تقدم يرحمك الله فتقدمت أمامي فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر قوامه من الفضة البيضاء عليه جارية وجهها كأنه الشمس لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية. فلما رأتني الجارية قالت: مرحبا وأهلا وسهلا يا ولي الله وحبيبه أنت لي وأنا لك فأردت أن

أضمها إلى صدري فقالت: مهلا، لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا، وإن الميعاد بيني وبينك غداً بعد صلاة الظهر فأبشر.

قال أبو قدامة: قلت له: رأيت خيراً، وخيراً يكون. ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري، انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا. فما كان إلا ساعة، وإذا جيش الكفر خذله الله قد أقبل كالجراد المنتشر، فكان أول من حمل منّا فيهم الغلام فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالاً وجندل أبطالاً فلما رأيته كذلك لحقته فأخذت بعنان فرسه وقلت: يا بني ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب. فقال: يا عم ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾[1].

أتريد أن أدخل النار؟ فبينما هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، حالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه واشتغل كل واحد منا بنفسه.

وقُتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان إذ القتلى لا يحُصون عددا فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل على الأرض ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء، فبينما أنا أجول بين القتلى وإذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة فأقبلت عليه عندما سمعت صياحه فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب فقلت: أنا أبو قدامة. قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه

---

١) سورة الأنفال _ الآية: ١٥.

ومسحت التراب والدم عن محاسنه وقلت: يا بني لا تنس عمك أبا قدامة في شفاعتك يوم القيامة. فقال: مثلك لا يُنسى لا تمسح وجهي بثوبك ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحوراء التي وصفتها لك قائمة على رأسي تنتظر خروج روحي وتقول لي عجّل فأنا مشتاقة إليك، بالله يا عم إن ردّك الله سالماً فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلاء الحزينة وتسلمها إليها لتعلم أني لم أضيع وصيتها ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها أن الله قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة لها من العمر عشر سنين كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجتُ تكون آخر من يودعني عند مخرجي، وقد قالت لي بالله يا أخي لا تبط عنّا فإذا لقيتَها فاقرأ عليها مني السلام وقل لها يقول لك أخوك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ثم خرجت روحه فكفناه في ثيابه وورياه رضي الله عنه وعنا به.

فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله وهي قائمة بالباب وتقول لكل من مر بها: يا عم من أين جئت فيقول من الغزو، فتقول: أما رجع معكم أخي فيقولون لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها فقالت لي: يا عم من أين جئت، قلت: من الغزو قالت: أما رجع معكم أخي ثم بكت وقالت ما أبالي، يرجعون وأخي لم يرجع فغلبتني العبرة، ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة البيت أن أبا قدامة على الباب، فسمعت المرأة كلامي فخرجت وتغير لونها فسلمت عليها فردت السلام وقالت: أمبشراً جئت أم معزياً. قلت: بيّني لي البشارة من التعزية رحمك الله. قالت: إن كان

ولدي رجع سالماً فأنت معز، وإن كان قُتل في سبيل الله فأنت مبشر. فقلت: أبشري. فقد قُبلت هديتك فبكت وقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة يوم القيامة، قلت فما فعلت الجارية أخت الغلام. قالت: هي التي تكلمك الساعة فتقدمت إلي فقلت لها إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت ووقعت على وجهها مغشياً عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه وودعتها وانصرفت حزيناً على الغلام والجارية ومتعجباً من صبر أمهما(١).

صدق من قال وراء كل عظيم امرأة.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) صفة الصفوة: ذكر المصطفيات من عابدات الرقة .

مُبايعات

لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

معنى البيعة :

١) **البيعة لغةً:** مصدر من الباء والياء والعين، أصل واحد، وهو بيع الشَّيء، وربَّما سمِّي الشراء بيعًا، والمعنى واحد، وقيل: البيع ضد الشراء، وهو من الأضداد[٢].

٢) **والبيعة اصطلاحا هي:** الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايَعة والطاعة، والبيعة: المبايَعة والطاعة، وقد تبايَعوا على الأمر؛ كقولك: أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهَدَهُ(٣)، والبَيْعَةُ – بفتح الباء – مِن باع وبايع: صفقة البيع، وهي: المعاقَدة والمعاهَدة والتولية، وبذْل العهد على الطاعة والنُّصرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ﴾[٤][٥].

---

١) سورة الممتحنة؛ الآية: ١٠.

٢) ابن منظور، لسان العرب ٥٥٧/١.

٣) ابن منظور، "لسان العرب" (٥٥٧/١). .

٤) سورة الفتح؛ الآية: ١٠ .

٥) قلعجي، محمد رواس، وحامد صادق قنيبي، "معجم لغة الفقهاء"، (ص١١٥).

قـال ابـن حجـر: والمبايعـة: عبـارة عـن المعاهـدة؛ سُـميتْ بـذلك تشـبيهًا بالمعاوضة المالية[١].

وقال ابن خلدون في "مقدمته": اعلم أنَّ البيعة هي العَهْد على الطاعة، كأن المبايع يعاهِد أميره على أنه يسلم له النَّظَر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به منَ الأمر على المَنْشَطِ والمَكْرَه، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده، جعلوا أيديَهم في يده تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فِعْل البائع والمشتري، فسُمي بيعة، مصدر باع، وصارتِ البيعةُ مصافَحة بالأيدي، هذا مدلولها في عُرف اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ[٢].

فنخلص من ذلك بأنَّ معنى البيعة الاصطلاحي هو: عَهْد بين المبايِع من والمبايَع لَه من الولاة على السَّمْع والطاعة في العُسر واليسر، والمنشط والمَكْره، وتفويض الأُمُور إليه، وطاعته في المعروف، دون شِقاق ولا مُنازَعة.

وكانت بيعة النبي للنساء بيعة جماعية علي الإيمان بالله وحده لا شريك له، وفعل الطاعات وترك المنكرات والفواحش التى كانت منتشرة في الجاهلية .

وأحيانا كان يزيد علي مافي آية البيعة من أمور الجاهلية مثل النياحة ، وخمش الوجوه وشق الجيوب، ونشر الشعور والدعاء بالويل والثبور، وغش الأزواج.

---

١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٦٤/١).
٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، "مقدمة ابن خلدون" (ص٢٠٩). .

أحاديث بيعة النســـــاء :

١)رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَغَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ أَخَذَ فِي بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ أَسْفَلُ مِنْهُ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُبَلِّغُهُنَّ عَنْهُ ، وَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ مُتَقَنِّعَةٌ مُتَنَكِّرَةٌ خَوْفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْرِفَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : "أُبَايِعُكُنَّ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا "، فَرَفَعَتْ هِنْدُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَبَدْنَا الْأَصْنَامَ وَإِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا مَا رَأَيْنَاكَ أَخَذْتَهُ عَلَى الرِّجَالِ، تُبَايِعُ الرِّجَالَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ فَقَطْ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:" وَلَا تَسْرِقْنَ "، فَقَالَتْ هِنْدُ : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِهِ هَنَاةً فَمَا أَدْرِي أَتَحِلُّ لِي أَمْ لَا ؟ فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ مَا أَصَبْتِ مِنْ شَيْءٍ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا غَبَرَ فَهُوَ لَكِ حَلَالٌ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَعَرَفَهَا، فَقَالَ لَهَا:" وَإِنَّكِ لَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ "، قَالَتْ: نَعَمْ فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، فَقَالَ:" وَلَا تَزْنِينَ "، فَقَالَتْ: أَتَزْنِ الْحُرَّةُ، وَفِي رِوَايَةٍ مَا زَنَتْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ قَطُّ، فَقَالَ:" وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ"، فَقَالَتْ: رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا وَقَتَلْتَهُمْ كِبَارًا، فَأَنْتُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ، وَكَانَ ابْنُهَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَضَحِكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى اسْتَلْقَى، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ،وَهُوَ أَنْ تَقْذِفَ عَلَى زَوْجِهَا مَا لَيْسَ مِنْهُ "،

فَقَالَتْ هِنْدُ : وَاللَّهِ إِنَّ الْبُهْتَانَ لَأَمْرٌ قَبِيحٌ وَمَا تَأْمُرُنَا إِلَّا بِالرُّشْدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ:" وَلَا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ"، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا جَلَسْنَا مَجْلِسَنَا هَذَا وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ نَعْصِيَكَ فِي شَيْءٍ(١).

٢) وعن عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِ اللَّهِ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قَالَ: عُرْوَةُ قَالَت: عَائِشَةُ فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" قَدْ بَايَعْتُكِ كَلَامًا وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكِ ". رواه البخاري(٢).

٣)وعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ كَانَتْ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٣).

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ، وَكَانَ رَسُولُ

---

١) التفسير الكبير للإمام للرازي .

٢) صحيح البخاري _ كتاب تفسير القرآن _ سورة الممتحنة_ رقم ٤٦٠٩ .

٣) سورة الممتحنة؛ الآية: ١٠.

اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ " وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ، قَالَتْ عَائِشَةُ :وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ" قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا ". رواه مسلم [١].

٤)وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ قَالَتْ مَا مَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا فَأَعْطَتْهُ قَالَ:" اذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكِ " رواه مسلم [٢].

٥)عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ بَايَعْنَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَقُلْنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ "، قَالَتْ: فَقُلْنَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ

---

١) صحيح مسلم _ كتاب الإمارة _ باب كيفية بيعة النساء . رقم ١٨٦٦.

٢) المرجع السابق.

كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ مِثْلِ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ " . أخرجه مالك وصححه ابن حبان .. وأخرجه الترمذي وغيره مختصراً. (١).

٦)وفى رواية أخرى: عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : " جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُبَايِعَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى يَدَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا: " اذْهَبِي فَغَيِّرِي يَدَكِ "، قَالَتْ: فَذَهَبَتْ فَغَيَّرَتْهَا بِحِنَّاءٍ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: " أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقِي ، وَلا تَزْنِي "، قَالَتْ: أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ ؟ ! قَالَ: " وَلا تَقْتُلَنَّ أَوْلادَكُنَّ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ " ، قَالَتْ : وَهَلْ تَرَكْتَ لَنَا أَوْلادًا نَقْتُلُهُمْ ؟ ! قَالَ: فَبَايَعَتْهُ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ وَعَلَيْهَا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ: مَا تَقُولُ فِي هَذَيْنِ السِّوَارَيْنِ ؟، قَالَ: " جَمْرَتَانِ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ " (٢).

٧) وَقَالَ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَتْنِي غَبطَةُ أُمُّ عَمْرٍو ، عَجُوزٌ ، مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ ، حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي، عَنْ جَدَّتِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: " جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُبَايِعَهُ ، فَقَالَ: " اذْهَبِي فَغَيِّرِي يَدَكِ "، قَالَتْ :

---

١) موطأ مالك رواية يحيى الليثي» كِتَابُ الْبَيْعَةِ» بَابُ مَا جَاءَ فِي الْبَيْعَةِ(١٧٧٨)، مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مسند النساء(رقم الحديث: ٢٦٣٨٣)

٢) أخرجه الطبراني – والنسائي _ وابن ماجة – والأمام أحمد – وصححه الترمذي خرجه أبو يعلى في المسند ح ٤٦٨٤.

فَذَهَبَتْ، فَغَيَّرَتْهَا بِحِنَّاءَ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: " أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي، وَلَا تَزْنِي". قَالَتْ : أَوَتَزْنِي الْحُرَّةُ ! قَالَ: " وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ "، قَالَتْ: وَهَلْ تَرَكْتَ لَنَا أَوْلَادًا نَقْتُلَهُمْ ؟ قَالَتْ : فَبَايَعْتُهُ .

٨) والهيثمي من طريق أبي يعلى في المقصد العلي بزوائد أبي يعلى الموصلي ح ٣٨: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَتْنِي غِبْطَةُ أُمُّ عَمْرٍو – عَجُوزٌ مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ – حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي، عَنْ جَدَّتِي، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُبَايِعَهُ فَنَظَرَ إِلَى يَدَيْهَا فَقَالَ: «اذْهَبِي فَغَيِّرِي يَدَكِ» .قَالَتْ: فَذَهَبَتْ غَيَّرَتْهَا بِحِنَّاءٍ ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقِي، وَلا تَزْنِي» .قَالَتْ: أَوَتَزْنِي الْحُرَّةُ؟ قَالَ: «وَلا تَقْتُلُنَّ أَوْلادَكُنَّ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ» .قَالَتْ: وَهَلْ تَرَكْتَ لَنَا أَوْلادًا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ: فَبَايَعَتْهُ.ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: وَعَلَيْهِا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ: مَا تَقُولُ فِي هَذَيْنِ السِّوَارَيْنِ؟ قَالَ: «جَمْرٌ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ» .

٩)ورواه ابن عساكر من طريق أبي يعلى ح ٧٤٠٦٧: عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ . زَادَ ابْنُ حَمْدَانَ : ابْنِ رَبِيعَةَ . : إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتُبَايِعَهُ ، فَنَظَرَ ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ الْمُقْرِئِ ، قَالَتْ : فَنَظَرَ إِلَى يَدَيْهَا ، فَقَالَ : . زَادَ ابْنُ حَمْدَانَ : لَهَا ، وَقَالا : . " اذْهَبِي

فَغَيِّرِي يَدَكِ " ، قَالَتْ : فَذَهَبَتْ ، فَغَيَّرَتْهَا بِحِنَّاءٍ ، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ابْنُ حَمْدَانَ : إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقِي ، وَلا تَزْنِي " قَالَتْ : أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ ؟ قَالَ : " وَلا تَقْتُلْنَ أَوْلادَكُنَّ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ " ، قَالَتْ : وَهَلْ تَرَكْتَ لَنَا أَوْلادًا نَقْتُلُهُمْ ؟! قَالَ : فَبَايَعَتْهُ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ وَعَلَيْهَا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ : مَا تَقُولُ فِي هَذَيْنِ السِّوَارَيْنِ ؟ قَالَ : " جَمْرَتَانِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ " ، وَقَالَ ابْنُ حَمْدَانَ : " مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ " . وكما ترة وقع في إسناد ابن عساكر (عطية) وهذا تصحيف وصوابه (عبطة) تبعاً لمسند يعلى وغيره.

١٠) والمزي من طريق أبي يعلى في تهذيب الكمال ح ٣٩٩٨: عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِتُبَايِعَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى يَدَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : " اذْهَبِي فَغَيِّرِي يَدَيْكِ " ، قَالَتْ : فَذَهَبْتُ، فَغَيَّرْتُهَا بِحِنَّاءٍ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: " أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا ، ولا تَسْرِقِي ، ولا تَزْنِي " ، قَالَتْ: أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ ؟ ! " قال: " ولا تَقْتُلِي أَوْلادَكِ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ " ، قَالَتْ : " وهَلْ تَرَكْتَ لَنَا أَوْلادًا نَقْتُلُهُمْ ؟ ! " قَالَتْ : فَبَايَعْتُهُ.

١١) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُثْمَانَ الْكِلَابِيُّ أَبُو يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ عَطِيَّةَ

قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ فِي بَيْتٍ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَسَلَّمَ فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُنَّ قُلْنَا مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ وَرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ تُبَايِعْنَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَزْنِينَ وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلِكُنَّ وَلَا تَعْصِينَهُ فِي مَعْرُوفٍ قُلْنَا نَعَمْ فَمَدَدْنَا أَيْدِيَنَا مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ وَمَدَّ يَدَهُ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ وَأَمَرَنَا بِالْعِيدَيْنِ أَنْ نُخْرِجَ الْعُتَّقَ وَالْحُيَّضَ وَنَهَى عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَا جُمُعَةَ عَلَيْنَا وَسَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ قَالَتْ نُهِينَا عَنْ النِّيَاحَةِ (١).

١٢) عن أَسِيدُ بْنُ أَبِي أَسِيدٍ عَنْ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ قَالَتْ كَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْرُوفِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ أَنْ لَا نَخْمُشَ وَجْهًا وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا وَلَا نَشُقَّ جَيْبًا وَأَنْ لَا نَنْشُرَ شَعَرًا. (٢).

١٣) عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ أُمِّ سُلَيْمٍ

---

١) مسند أحمد» أول مسند البصريين» حديث أم عطية رضي الله عنها [رقم الحديث٢٠٢٧٣].
٢) سنن أبي داود» كتاب الجنائز» باب في النوح [رقم الحديث٣١٣١].

وَأُمِّ الْعَلَاءِ وَابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةِ مُعَاذٍ وَامْرَأَتَيْنِ أَوْ ابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ وَامْرَأَةِ مُعَاذٍ وَامْرَأَةٍ أُخْرَى. (١).

١٤) وعَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْنَا أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَنَهَانَا عَنْ النِّيَاحَةِ فَقَبَضَتْ امْرَأَةٌ يَدَهَا فَقَالَتْ أَسْعَدَتْنِي فُلَانَةُ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَانْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا. (٢)

١٥) عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ لا يَشْقُقْنَ جَيْبًا ، وَلا يَدْعِينَ وَيْلا ، وَلا يُخَمِّشْنَ وَجْهًا ، وَلا يَقُلْنَ هَجْرًا " . (٣)

١٦) وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي سَلِيطُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمٍ ، عَنْ أُمِّهِ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ – وَكَانَتْ إِحْدَى خَالَاتِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ الْقِبْلَتَيْنِ ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ – قَالَتْ : جِئْتُ

---

١) صحيح البخاري» كتاب الجنائز» باب ما ينهى من النوح والبكاء والزجر عن ذلك [رقم الحديث ١٢٤٤].

٢) صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن» سورة الممتحنة» باب إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ [رقم الحديث ٤٦١٠].

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ » ذِكْرُ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ...رقم الحديث: [٩٥٦١].

رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نُبَايِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا : أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ – قَالَ : " وَلَا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ " . قَالَتْ : فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَقُلْتُ لِامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ : ارْجِعِي فَسَلِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَا غِشُّ أَزْوَاجِنَا ؟ قَالَ : فَسَأَلَتْهُ فَقَالَ : " تَأْخُذُ مَالَهُ ، فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ "

١٧) وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أُمِّهِ عَائِشَةَ بِنْتِ قُدَامَةَ – يَعْنِي : ابْنَ مَظْعُونٍ – قَالَتْ : أَنَا مَعَ أُمِّي رَائِطَةَ بِنْتِ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيَّةِ ، وَالنَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُبَايِعُ النِّسْوَةَ وَيَقُولُ : " أُبَايِعُكُنَّ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقْنَ ، وَلَا تَزْنِينَ ، وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ ، وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلِكُنَّ ، وَلَا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ " . قَالَتْ : فَأَطْرَقْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قُلْنَ : نَعَمْ فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ ". فَكُنَّ يَقُلْنَ وَأَقُولُ مَعَهُنَّ ، وَأُمِّي تُلَقِّنِّي : قُولِي أَيْ بُنَيَّةُ ، نَعَمْ فِيمَا اسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ أَقُولُ كَمَا يَقُلْنَ.

١٨) وقالت أم عمارة(نسيبة بنت كعب) كانت الرجال تصفِّق على يدى رسول الله (ليلة العقبة، والعباس آخذ بيد النبي ﷺ ، فلما بقيتُ أنا وأم منيع أختي؛ نادى زوجى "غُزية بن عمرو": يا رسول الله هاتان امرأتان

حضرتا معنا يبايعانك، فقال النبي ﷺ: "قد بايعتُهما على ما بايعتُكم عليه، إنى لا أصافح النساء، قالت: فرجعنا إلى رجالنا فلقينا رجلين من قومنا سليط بن عمرو وأبا دواد المازني يريدان أن يحضرا البيعة فوجدا القوم قد بايعوا فلما كان بعد بايعا أسعد بن زراة وكان رأس النقباء في السبعين ليلة العقبة.

١٩) وعن السوداء قالت أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه فقال انطلقي فاختضبي ثم تعالي أبايعك.

٢٠) وعن عمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا بَايَعَ النِّسَاء دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاء ، فَغَمَسَ يَده فِيهِ ثُمَّ أَمَرَ النِّسَاء فَغَمَسْنَ أَيْدِيهنَّ فِيهِ .

٢١) وعنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ ، تَقُولُ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ ، فَقَالَ : " فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ " ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بَايِعْنَا ، فَقَالَ: " إِنِّي لا أُصَافِحُكُنَّ ، إِنَّمَا آخُذُ عَلَيْكُنَّ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " .

٢٢) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أُمَّ عَامِرٍ الأَشْهَلِيَّةَ ، تَقُولُ : جِئْتُ أَنَا ، وَلَيْلَى بِنْتُ الْخُطَيْمِ ، وَحَوَّاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ بْنِ كُرْزِ بْنِ زَعُورَاءَ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَنَحْنُ مُتَلَفِّفَاتٍ بِمُرُوطِنَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، فَسَلَّمْتُ ، وَنَسَبَنِي فَانْتَسَبْتُ ، وَنَسَبَ صَاحِبَتَيَّ فَانْتَسَبَتَا ، فَرَحَّبَ بِنَا ، ثُمَّ قَالَ : " مَا حَاجَتُكُنَّ ؟ " ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْنَا نُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلامِ ، فَإِنَّا قَدْ صَدَّقْنَا بِكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ

بِهِ حَقٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكُنَّ لِلإِسْلامِ " ، ثُمَّ قَالَ : " قَدْ بَايَعْتُكُنَّ " ، قَالَتْ أُمُّ عَامِرٍ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ ، قَوْلِي لأَلْفِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ " ، وَكَانَتْ أُمُّ عَامِرٍ ، تَقُولُ : إِنَّا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

٢٣) وعَنِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، قَالَ : " أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ كَبْشَةُ بِنْتُ رَافِعِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَأُمُّ عَامِرٍ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ ، وَحَوَّاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ ، وَمِنْ بَنِي ظُفَرَ : لَيْلَى بِنْتُ الْخُطَيْمِ ، وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : لَيْلَى ، وَمَرْيَمُ وَتَمِيمَةُ بَنَاتُ أَبِي سُفْيَانَ أَبِي الْبَنَاتِ ، قُتِلَ بِأُحُدٍ ، وَالشُّمُوسُ بِنْتُ أَبِي عَامِرٍ الرَّاهِبِ ، وَابْنَتُهَا جَمِيلَةُ بِنْتُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ ، وَطَيْبَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ " ..

المبايعات:

قد ذكر ابن سعد في الطبقات عددا كبيرا من النساء المبايعات للنبي ﷺ في الجز الثامن، فمن أرد أن يتعرف عليهن فليراجعه.

الفرق بين بيعة الرجل والمرأة:

أولاً: الأمور التي تتساوى فيها المرأة مع الرجل في أمر البيعة:

١) البيعة مشروعة للرجال والنساء.

٢) الاجتماع للبيعة، وتجوز البيعة فرادي.

٣) تكرار أمر البيعة: فقد تكرر أمر البيعة عند كل من الرجال والنساء فعند الرجال كانت في أكثر من موطن وهي البيعات الثلاث المعروفة بيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان.

وعند النساء تكررت البيعة ثلاث مرات كما ثبت ذلك في الروايات:

فالأولى: بيعة النساء المهاجرات: كما في حديث عائشة.

والثانيـة: بيعة نساء الأنصار كما في حديث أم عطية في قولها جمع نساء الأنصار.

والثالثة: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الفطر مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد. خرج النبي ﷺ كأني انظر إليه حين يجلس بيده، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء معه بلال فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]. ثم قال حين فرغ منها: آنتن على ذلك؟ قالت امرأة واحدة منهن _ لم يجبه غيرها_: نعم. لا يدري حسن من هي قال الثعالبي: أعاد الآية على من لم يبايعه من أهل مكة، لقرب عهدهم بالإسلام، والله أعلم.

ثانياً: الأمور التي اختلفت فيها المرأة عن الرجل في أمر البيعة:

١) اختلف مضمون بيعة النساء على بيعة الرجال، فقد كانت بيعة النساء كما بينتها الأحاديث السابقة أن هناك أمور اشترك فيها الرجال مع النساء وهناك أمور اختص بها الرجال دون النساء وهناك أمور اختص بها النساء دون الرجال.

---

١) سورة الممتحنة؛ الآية: ١٠.

٢) أن النساء أتى إليهن النبي ﷺ وفي الأخرى أرسل إليهن عمر وكذلك في البيعة الثالثة أتى إليهن في مكانهن في المسجد، بينما الرجال دعاهم كما في الحديث دعانا رسول الله فبايعناه.

٣) أن اجتماع النساء في بيت وفي المسجد كما في الحديث: جمع نساء الأنصار في بيت بينما الرجال لم يكن لهم مكان محدد.

واجتماعهن في البيت وفي المسجد يؤكدان علي عدم اختلاط النساء بالرجال.. وفي هذا الجهد المبارك يكون الحرص علي اجتماع النساء للبيان والخروج بهذا الترتيب.

ثالثاً: الأمور المشتركة بين الرجال والنساء في البيعة:

١- عدم الإشراك بالله.

٢- عدم السرقة.

٣ - عدم قتل الأولاد.

٤- عدم الاتيان ببهتان.

٥- عدم المعصية في المعروف .

البيعة على النصرة والمنعة: كما في حديث جابر «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة». فقمنا نبايعه فأخذ. وهذه الامور بويع عليها الرجال والنساء. والمرأة تستطيع ان تنصر دين الله بالدعوة إليه كما تستطيع نصرة دين الله بتربية أبنائها عليه.

رابعاً: أمور اختص بها الرجال عن النساء:

البيعة علي: الهجرة.. والجهاد.. والنصح لكل مسلم.. والسمع والطاعة في العسر واليسر.. بيعة علي أن لا يسألوا الناس شيئا.. بيعة علي ألا ينازعوا الأمر أهله..البيعة علي الموت.

مُحبات

للجهاد والخروج في سبيل الله ﷻ

كان رسول الله ﷺ إذا خرج للجهاد فكان يقرع بين نساءه، فمن وقع سهمها خرجت معه.. وتخرج معه نساء المؤمنين يسقين المرضى، ويداوين الجرحى.

ويقمن على خدمتهن .. فعن أم عطية الأنصارية (رضى الله عنها) قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى، وأقوم على الزمني .. أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجة (١) .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ القِرَبَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ " رواه البخاري (٢).

وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا(٣)**، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ ".**

---

١) حياة الصحابة – باب خدمة النساء فى الجهاد .

٢) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال حديث رقم [رقم الحديث ٢٧٢٤].

٣) علي ظهورهما .

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عِنْدَكَ، يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عُمَرُ: «أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ، وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، قَالَ عُمَرُ: «فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " تَزْفِرُ: تَخِيطُ "(١).

وعن أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ ، وَنِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى " قال الهيثمي (٥/٣٢٤): رجاله رجال الصحيح

وعَنْ رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ (٢)

وأخرج البخاري عَنْ ابْنِ شِهَابٍ وَقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ مِنْهَا مِرْطٌ جَيِّدٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَذَا بِنْتَ

---

١) صحيح البخاري٥٦ – كتاب الجهاد والسير باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو حديث رقم ٢٨٨١.

٢) صحيح البخاري _ باب مداواة النساء الجرحى في الغزو [رقم الحديث ٢٧٢٦] .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عِنْدَكَ يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ فَقَالَ عُمَرُ أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ بِهِ وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ فَإِنَّهَا كَانَتْ تُزْفِرُ لَنَا الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ (١).

وكانت النساء مع جهد الخدمة، والسقاية، ومداواة الجرحى، يقمن بالقتال من وراء الرجال إذا اشتدت الحاجة لذلك، كما روى عن أم سعد بنت سعد بن الربيع (رضى الله عنها) كانت تقول: دخلت على أم عمارة [٢] (رضى الله عنها) فقلت لها: يا خالة ! أخبريني خبرك ؟ فقالت: خرجت أول النهار انظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلي رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمى عنه القوس حتى خلصت الجراح إلىَّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت لها من أصابك بهذا ؟ قالت: ابن قمئة، أقمأه الله! لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ﷺ وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. كذا في البداية [٣].

وتقول : لقد رأيتني وقد انكشف الناس عن رسول الله وما بقي إلا نفر يتمون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين ورآني لا

---

١) صحيح البخاري» كتاب المغازي» باب ذكر أم سليط بَاب ذِكْرِ أُمِّ سَلِيطٍ (٣٨٤٣).
٢) نسيبة بنت كعب .
٣) حياة الصحابة – باب الجهاد – قتال النساء فى الجهاد ٥٧٩/١ .

ترس معي فرآى رجلاً مولياً معه ترس . فقال لصاحب الترس : ألقي ترسك لمن يقاتل ، فألقى ترسه فأخذته فجعلت أتترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رجل على فرس فضربني فتترست له فلم يصنع سيفه شيئاً فولى فأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح :" يا أم عمارة أمامك " قالت : فعاونني عليه حتى أوردته شعوب المنية.

وعن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :" ما التفت يوم أحد يميناً وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني ". كذا في الإصابة [١]

وكانت صفية[٢] في غزوة أحد بيدها رمح تضرب به فى وجوه المشركين.

وقتلت يومئذ رجل من اليهود [٣] .

أخبرنا أسامة حماد بن أسامة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لقتال عدوه من المدينة رفع أزواجه ونساءه في أطم حسان بن ثابت لأنه

---

١) المرجع السابق .

٢) صفية بِنْت عَبْد المُطَّلِب بن هاشم بن عَبْد مناف القُرَشِيَّة الهاشمية، عمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهي أم الزبير بن العوّام، وأمها هالة بِنْت وهيب بن عَبْد مناف بن زهرة، وهي شقيقة حمزة والمقوّم وحجْل بني عَبْد المُطَّلِب لم يختلف في إسلامها من عمّات النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم، واختلف في عاتِكَة وأَرْوَى، والصحيح أنه لم يسلم غيرها، كانت في الجاهلية قد تزوجها= =الحَارِث بن حرب بن أميَّة بن عَبْد شمس، أخو أبي سُفْيان بن حرب، فمات عنها، فتزوجها العوام بن خويلد، فولدت له الزبير وعَبْد الكعبة، وعاشت كثيراً، وتوفيت سنة عشرين في خلافة عُمر بن الخطاب، ولها ثلاث وسبعون سنة. ودفنت بالبقيع، وقيل: إن العوام تزوجها أولاً، وليس بشيء، قاله أبو عُمر. ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجداً شديداً، وصبرت صبراً عظيماً (أسد الغابة في معرفة الصحابة _ باب النساء _ ترجمة صفية بنت عبد المطلب).

٣) حياة الصحابة – باب الجهاد – قتال النساء فى الجهاد ٥٧٩/١.

كان من أحصن آطام المدينة، وخلف حسان يوم أحد فجاء يهودي فلصق بالأطم يستمع ويتخبر فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان: انزل إلى هذا اليهودي فاقتله، فكأنه هاب ذلك فأخذت عموداً فنزلت فختلته حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً ثم حملت عليه فضربته بالعمود فقتلته(١) .

وعن عَبْد الله بن الزبير، عن أبيه قال: كانت صفية بِنْت عَبْد المُطَّلِب في فارع حصن حسان بن ثابت، يعني في وقعة الخندق قالت: وكان حسان معنا في الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ، قالت صفية: فمرّ بنا رجلٌ يهوديٌ فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوِّهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آتٍ، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهوديّ يُطَوِّفُ بالحصن كما ترى، ولا أمنه أن يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود، فانزل إليه فاقتله. فقال: يغفر الله لكِ يا ابنة عَبْد المُطَّلِب! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا! قالت صفية: فلما قال ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت وأخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان، انزل فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنه رجل. فقالا: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عَبْد المُطَّلِب.

قال يونس: وحدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن صفية بِنْت عَبْد المُطَّلِب، مثله ونحوه، وزاد فيه: وهي أول امْرَأَة قتلت رجلاً من المشركين.(٢).

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد – الجزء الثامن.

٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الصاد _ صفية بنت عبد المطلب .

وكانت أم سليم في غزوة حنين تحمل خنجراً .. وتقول: إذا دنى أحد من المشركين بقرت به بطنه [١] .

وهذه أسماء بنت عم معاذ بن جبل (رضى الله عنهما)، قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود الفسطاط . رواه الطبرانى[٢] .

فكانت المرآة تقف بجوار الرجل جنباً لجنب لنصرة دين الله ﷻ وتتحمل مسؤولية الدين .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) حياة الصحابة – باب الجهاد – قتال النساء فى الجهاد ٥٧٩/١.
٢) المرجع السابق .

رغبة النساء

في الشهادة في سبيل الله

- أم حرام بنت ملحان (رضى الله عنها):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . رضى الله عنه . قَالَ حَدَّثَتْنِي أُمُّ حَرَامٍ[1]، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمًا فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُضْحِكُكَ قَالَ " عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ، كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ ". فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ .

---

١) أم حرام بنت ملحان بْن خالد بْن الوليد بْن حرام بْن جندب بْن عامر بْن غنم بْن عدي بْن النجار. زوج عبادة بْن الصامت ، وأخت أم سليم ، وخالة أنس بْن مالك ، لا أقف لَهَا عَلَى اسم صحيح ، وَكَانَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرمها ويزورها فِي بيتها ، ويقيل عندها ، ودعا لَهَا بالشهادة ، فخرجت مَعَ زوجها عبادة غازية فِي البحر ، فلما وصلوا إِلَى جزيرة قبرص خرجت من البحر فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت فِي موضعها ، وذلك فِي إمارة معاوية وخلافة عُثْمَان. ويقال : إن معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه ، ومعه أَيْضًا امرأته فاختة بنت قرظة من بني نوفل بْن عبد مناف(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر » كتاب كنى النساء» باب الحاء» أم حرام بنت ملحان).

وقال الإمام النووي رحمة الله: اتفق العلماء على أنها كانت محرم له ﷺ واختلفوا في كيفية ذلك ... فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة .. وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجده لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار (صحيح مسلم شرح النووي ٥٧/١٣) .

فَقَالَ " أَنْتِ مَعَهُمْ " . ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ يَضْحَكُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . فَيَقُولُ " أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ " فَتَزَوَّجَ بِهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الْغَزْوِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ قُرِّبَتْ دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَوَقَعَتْ فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا . البخاري(١).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ " .يَشُكُّ أَيَّهُمَا قَالَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ " .كَمَا قَالَ فِي الأُولَى قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ " أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ " .فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ .

---

١) صحيح البخاري _ كتاب الجهاد _ باب رُكُوبِ الْبَحْرِ (٢٩٣٢).

قَالَ فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بَعْدُ فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَهَا مَعَهُ فَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ قُرِّبَتْ لَهَا بَغْلَةٌ فَرَكِبَتْهَا فَصَرَعَتْهَا فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا البخاري(١).

أختي المؤمنة: كم بين الأرض التي ولدت فيها والأرض التي دفنت فيها، مسافات شاسعة ، وما كان أن يخطر ببالها يوما أن تذهب إلى قبرص ولكن نوت وصدقت ربها في نيتها أن تكون من شهداء البحر الذين رآهم النبي في رؤياه، ورؤيا الأنبياء وحي، فصدقها الله تعالى وأعطاها سؤلها.

فماذا نوينا ؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

- أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية:

كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً، قالت له: أتأذن لي أن أخرج معك ، أداوى جرحاكم، وأمرض مرضاكم، لعل الله يهدى لي الشهادة.

وكان رسول الله ﷺ يزورها في بينها، وجعل لها مؤذناً يؤذن لها في بيتها .. وأمرها أن تؤم أهل دارها .. فقتلها غلام وجارية لها غماً زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فصلبهما، وساق الله عز وجل لها الشهادة(٢).

---

١) صحيح مسلم _كتاب الجهاد _ باب رُكُوبِ الْبَحْرِ (٥٠٣٣).

٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وأبو يعلى والحاكم وابن سعد في الطبقات (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣١٥/١٢) .

مشاركة النساء

في بناء المساجد

وَعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَتِ امْرَأَتُهُ جَعَلَ يَقُولُ: احْمِلُوهَا وَارْغَبُوا فِي حَمْلِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ وَمَوَالِيهَا بِاللَّيْلِ حِجَارَةَ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَكُنَّا نَحْمِلُ بِالنَّهَارِ حَجَرَيْنِ حَجَرَيْنِ(١).

أين الملتقي ؟

بعث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، حبيب بن مسلمة الفهري، قائداً علي جيش من المسلمين لتأديب الروم، وكانت زوجته معه، وقبل أن تبدأ المعركة، قالت له زوجته: أين ألقاك إذا حمي الوطيس وماجت الصفوف؟ قال: في خيمة قائد الروم، أو في الجنة.. وما هي إلا ساعات قلائل، ونصرهم الله علي الروم، وأسرع حبيب إلي خيمة قائد الروم فإذا بزوجته داخل الخيمة.

انظروا إلي هذه الهمة العظيمة، والشجاعة القوية، والقلب الجرئ.. إنها قوة الإيمان واليقين .

---

١) رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَفِيهِ أَبُو مَالِكٍ النَّخَعِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » كتاب الصلاة » باب بناء المساجد(١٩٥٦).

مبشرات بالجنة

- **أم المؤمنين: خديجة بنت خويلد:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:أَتَاني جِبرِيلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَد أَتَتكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَو طَعَامٌ أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ قَد أَتَتكَ فَاقرَأْ عليها السلام مِن رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ)).رواه البخاري ومسلم .

- **أم المؤمنين: الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها:**

فعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَم قَالَ: " إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ"

- **الشهيدة : أم عمار بن ياسر (سمية بنت الخياط) :**

أَخْرَجَ أَبُو أحمد الْحَاكِم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن جَعْفَرٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وَأُمِّ عَمَّارٍ وَهُمْ يُؤْذَوْنَ فِي اللهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ: «صَبْرًا آل يَاسِرٍ صَبْرًا آل يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما نَحْوَهُ وَزَادَ: وَعَبْدِ اللهِ بْنِ يَاسِرٍ. وَزَادَ: وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمَيَّةِ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ وَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ وَرُمِيَ عَبْدُ اللهِ فَسَقَطَ.

- **الرميصاء : أم سليم زوجة أبي طلحة:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا ؟، فَقَالَ لِعُمَرَ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ " [1].

- **أم حرام بنت ملحان:** وقد مر ذكرها في باب رغبة النساء في الشهادة في سبيل الله عز وجل.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) صحيح البخاري _ رقم الحديث: ٣٤٢٦، مسند أحمد بن حنبل_ رقم الحديث:١٤٨٩٢ ، السنن الكبرى للنسائي _ رقم الحديث ٨٠٦٣، مسند أبي داود الطيالسي _ رقم الحديث: ١٨١٥، مسند أبي يعلى الموصلي_ رقم الحديث: ٢٠٣٧،شرح السنة للبغوي _ رقم الحديث: ٣٧٨٨ .

حرص النساء

على حصول أجـــر الخارج فى سبيل الله

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ بَعَثْتَ هَـذِهِ السَّـرِيَّةَ وَإِنَّ زَوْجِـي خَـرَجَ فِيهَـا، وَقَـدْ كُنْـتُ أَصُـومُ بِصِـيَامِهِ، وَأُصَـلِّي بِصَلَاتِهِ ، وَأَتَعَبَّدُ بِعِبَادَتِهِ ، فَدُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَبْلُغُ بِهِ عَمَلَهُ . قَالَ: " تُصَلِّينَ فَلَا تَقْعُدِينَ ، وَتَصُومِينَ فَلَا تُفْطِرِينَ، وَتَذْكُرِينَ فَلَا تَفْتُرِينَ " قَالَتْ: وَأُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " وَلَوْ طِقْتِ ذَلِكَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَلَغْتِ الْعُشَيْرَ مِنْ عَمَلِهِ " . هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ [١].

* * * * *

١) رواه الحاكم في المستدرك – كتاب الجهاد _ وقال صحيح ووافقه الذهبي ٢/٧٣.

ثواب

المرأة إذا خَلَفت زوجها بخير سلطان

المرأة الصالحة التي تعيين زوجها على التفرغ لعمل الدعوة إلى الله عز وجل والخروج في سبيل الله عز وجل ، وتخلفه في أولاده بخير(تحوط عليهم ، وتربيهم وتنفق عليهم إن كان بها سعة أو من مال زوجها)٠٠ فكأنما غزت فى سبيل الله ﷻ ، وقد تشاركه فى الأجر، وهذا ما صرحت به أحاديث النبي ﷺ ، **فعن زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا "** متفق علي [١]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لَحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَالَ لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا " رواه مسلم [٢]

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ بعث إلى بنى لحيان:

لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا ".وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ

---

١) صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير» بَاب فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ (٢٦٨٨)، صحيح مسلم شرح النووى ٤٠/١٣ .

٢) صحيح مسلم (١٨٩٦) .

رَجُلَيْنِ رَجُلٌ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ : وَأَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ ". **رواه مسلم** [١].

فأول من خلف الغازي في بيته وتحمل فراقه وأنسه وحنانه ورعايته هي زوجته، علاوة على نقص بعض الحاجات، وتحمل مسئولية البيت من خدمة ورعاية للأطفال، والقيام على أعمال النبوة في البيت.

فالنساء يريدون التضحية للدين مثل الرجال فما أعظمها وأشرفها وأجملها من حقوق.

ولذلك جعل الله لهن حرمة زائدة على غيرهن من النساء **عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ فَمَا ظَنُّكُمْ .**

وبإسناد آخر:" فَقَالَ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فَمَا ظَنُّكُمْ" ؟ رواه مسلم[٢] .

* * * * *

١) المرجع السابق.

٢) صحيح مسلم _ بَاب حُرْمَةِ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ وَإِثْمِ مَنْ خَانَهُمْ فِيهِنَّ ١٨٩٧، سنن أبي داود» كتاب الجهاد» بَاب فِي حُرْمَةِ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ(٢٤٩٦).

المـرأة والشـورى

لا بأس أن يستشير الرجل زوجته وأولاده ، فى كثير من الأمور، التى تحتاج إلى شورى ولكن يكون الفصل في الشورى للرجل ، فالاستئناس بآراء الآخرين أمر مهم ، فكثير من الرجال يفهم حديث النبي ﷺ أن المرأة ناقصة عقل ودين ، على غير معناه فيهمل امرأته في بيته ويفعل من أم رأسه ما يتراءى له ، فيستبد برأيه ، وهذا يورث الضغائن عند النساء لأزواجهن ، فكثير من النساء عقلها يزن ألف رجل ، مثل { **خديجة .. أم سلمة .. عائشة ..** إلخ } فنشاورهن، وإذا رأينا ما يخالف رأيهن نوضح لهن ذلك .

- **نماذج من الشورى مع النساء :**

١) مشاورة النبى ﷺ لأم سلمة (رضي الله عنها) يوم الحديبية :

لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا

ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا [١].

وفِي دلائل النبوة: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِتَابِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُومُوا فَانْحَرُوا ، وَحُلُّوا " ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ : " يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، أَلا تَرَيْنَ إِلَى النَّاسِ ، أَيْ آمُرُهُمْ بِالأَمْرِ لا يَفْعَلُونَهُ " ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لا تَلُمْهُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ دَخَلَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِمَّا رَأَوْكَ حَمَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي الصُّلْحِ ، وَرَجْعَتِكَ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْكَ ، فَاخْرُجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى تَأْتِيَ هَدْيَكَ فَتَنْحَرَ ، وَتَحُلَّ ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، فَعَلُوا كَالَّذِي فَعَلْتَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدَهَا ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا ، حَتَّى أَتَى هَدْيَهُ ، فَنَحَرَ ، وَحَلَقَ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ، قَامُوا فَفَعَلُوا ، وَنَحَرُوا ، وَحَلَقَ بَعْضُهُمْ ، وَقَصَّرَ بَعْضٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ " ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالْمُقَصِّرِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ

---

١) جزء من حديث طويل في قصة صلح الحديبية في صحيح البخاري» كتاب الشروط» بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٢٥٨٣).

لِلْمُحَلِّقِينَ " ثَلاثًا ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، فَقَالَ : " وَلِلْمُقَصِّرِينَ[١] . "

وفى رواية:..... فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن دخل قبة من أدم حمراء ، ودعا بخراش بن أميه بن الفضل الكعبي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة كانت جنبه من سمرة خضراء ، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه (يتقاسمونه) وأخذت أم عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً [٢].

وفى كلامه ﷺ لأم سلمة في توقف الناس عن امتثال أمره ، جواز مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ووفور عقلها .

٢) بنت شعيب عليه السلام :

حيث أشارت إلي أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام:(**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**) [٣].

---

١) دلائل النبوة للبيهقي» الْمَدْخَلُ إِلَى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ ... » جِمَاعُ أَبْوَابِ عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ١٥٢٠.

٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٩٢/٥ .

٣) سورة القصص _ الآية ٢٦ .

٣) آسية بنت مزاحم (رضي الله عنها) (١) :

حيث أشارت على فرعون عليه اللعنة ، في عدم قتل موسى عليه السلام فقالت : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٢).

والمشايخ يقولون: لا بد يومياً من الشورى علي: من يقوم بالتعليم .. ومن يقوم بنظافة البيت.. ومن يقوم بإعداد الطعام.. ومن يقوم باستقبال الضيوف.. ومن يقوم بصلة الأرحام.. ومن يقوم بالزيارات.. ومن يقوم بنصرة الجماعات الخارجة في سبيل الله .

فنشرك الرجال والنساء كل حسب استعداده.

ومن خلال الشورى نشرك النساء يوم الجولة بالجلوس من المغرب إلى العشاء في الدعا ، وقراءة القرآن، والدعاء لنزول الهداية .

ومن خلال التعليم في البيت نحرض الشباب علي التضحية والخروج في سبيل الله لمدة طويلة لإقامة الدين ونشر الدين في العالم ونحملهم المسؤولية ويأتي ذلك بذكر قصص الصحابة رضي الله عنهم وأبنائهم وحبهم للتضحية والخروج في سبيل الله .. وهكذا.

---

١) وكانت من خيار النساء المعدودات، ومن بنات الأنبياء، وكانت أما للمسلمين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها .

٢) سورة القصص _ الآية ٩.

النصرات
والتأييدات الغيبية للنساء

١) **المرأة التي أحي الله لها ولدها: وقد مر ذكرها.**

٢) **أم شريك** (رضي الله عنها) :

أخرج الْبَيْهَقِيّ عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ كَانَت امْرَأَة من دوس يُقَال لَهَا أم شريك أسلمت فَأَقْبَلت تطلب من يصحبها إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَلَقِيت رجلا من الْيَهُود فَقَالَ تعالي فَأَنا أصحبك قَالَت فانتظرني حَتَّى املأ سقاي مَاء قَالَ معي مَاء فَانْطَلَقت مَعَه فَسَارُوا حَتَّى أَمْسوا فَنزل الْيَهُودِيّ وَوضع سفرته فتعشى وَقَالَ يَا أم شريك تعالي إِلَى الْعشَاء قَالَت اسْقِنِي فَإِنِّي عطشى وَلَا أَسْتَطِيع أَن آكل حَتَّى أشْرب قَالَ لَا أسقيك قَطْرَة حَتَّى تهودي قَالَت وَالله لَا أتهود أبدا فَأَقْبَلت إِلَى بَعِيرهَا فعقلته وَوضعت رَأسهَا على ركبته قَالَت فَمَا أيقظني إِلَّا برد دلو قد وَقع على جبيني فَرفعت رَأْسِي فَنَظَرت إِلَى مَاء أَشد بَيَاضًا من اللَّبن وَأحلى من الْعَسَل فَشَرِبت حَتَّى رويت ثمَّ نضحت على سقاي حَتَّى ابتل ثمَّ ملأته ثمَّ رفع بَين يَدي وَأَنا أنظر حَتَّى توارى مني فِي السَّمَاء فَلَمَّا أَصبَحت جَاءَ الْيَهُودِيّ فَقَالَ يَا أم شريك قلت وَالله قد سقاني الله قَالَ من أَيْن أنزل عَلَيْك من السَّمَاء قلت وَالله لقد أنزل الله على من السَّمَاء ثمَّ رفع بَين يَدي حَتَّى توارى عني فِي السَّمَاء.

٣) المرأة التي رد الله لها عنزتها وصيصتها:

أخرج الإمام أحمد عن حُميد بن هلال قال: كان رجل من الطُّفاوة طريقه علينا يأتي على الحي فيحدثهم: قال: أتيت المدينة في عير لنا، فبعنا بضاعتنا، ثم قلت: لأنطلقن إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يريني بيتاً. قال: "إن امرأة كانت فيه، فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزة، وصيصتها (الصنارة) التي تنسج بها. قال: ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها. قالت: يا رب، قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإني أنشدك عنزي وصيصتي".قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر له شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فأصبحت عنزها ومثلها وصيصتها ومثلها، وهاتيك فأتها فاسألها إن شئت". قال قلت: بل أصدقك. قال الهيثمي (٢٧٧/٥) رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

نساء في طعامهن البركة

١) البركة في سمن أم سليم (رضي الله عنها):

أخرج أَبُو يعلى وَالطَّبَرَانِيّ وَأَبُو نعيم وَابْن عَسَاكِر عَن أنس أَن أمه أم سليم جمعت من شَاتِهَا سمنا فِي عكة وَأرْسلت بِهِ إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فأفرغها وردهَا فعلقت العكة على وتد فَجَاءَت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فَجَاءَت إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَأَخْبَرته فَقَالَ أَتَعْجَبِينَ إِن كَانَ الله أطعمك كَمَا أطعمت نبيه كلي وأطعمي فَجئْت فقسمت فِي قَعْب لنا كَذَا وَكَذَا وَتركت فِيهَا مَا ائتد منا بِهِ شهرا أَو شَهْرَيْن.

وفي رواية للحافظ أبو يعلى: حدثنا شيبان، ثنا محمد بن زيادة البرجمي عن أبي طلال، عن أنس، عن أمه قال: كانت لها شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسول الله يأتدم بها.

فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم، قال: « أفرغوا لها عكتها » ففرغت العكة فدفعت إليها، فانطلقت بها وجاءت وأم سليم ليست في البيت، فعلقت العكة على وتد، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت أم سليم: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله؟ فقالت: قد فعلت فإن لم تصدقيني

فانطلقي فسلي رسول الله، فانطلقت ومعها ربيبة فقالت: يا رسول الله! إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن.قال:" قد فعلت، قد جاءت ". قالت: والذي بعثك بالحق، ودين الحق، إنها لممتلئة تقطر سمنا.قال: فقال لها رسول الله:"يا أم سليم، أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه؟ كلي وأطعمي".قالت: فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا وكذا وكذا، تركت فيها ما ائتدمنا به شهرا أو شهرين.

٢) البركة في سمن أم أوس البهزية (رضي الله عنها) :

أخرج الطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ عَن أم أَوْس البهزية قَالَت سليت سمنا لي فَجَعَلته فِي عكة وأهديته ألى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقبله وَترك فِي العكة قَلِيلا وَنفخ فِيهِ ودعا بِالْبركَةِ ثمَّ قَالَ ردوا عَلَيْهَا عكتها فردوها عَلَيْهَا وَهِي مَمْلُوءَة سمنا فظنت أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لم يقبلهَا فَجَاءَت لَهَا صُرَاخ فَقَالَت يَا رَسُول الله إِنَّمَا سليته لَك لتأكله فَعلم أَنه قد أستجيب لَهُ فَقَالَ اذهبوا فَقولُوا لَهَا فلتأكل سمنها ولتدع بِالْبركَةِ فَأكلت بَقِيَّة عمر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وولايته أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان حَتَّى كَانَ من أَمر عَليّ وَمُعَاوِيَة مَا كَانَ.

٣) البركة في سمن أم شريك (رضي الله عنها) :

أخرج الْبَيْهَقِيّ عَن أبي هُرَيْرَة :بعد أن ذكر قصة هجرتها وصحبتها لليهودي كما مر ذكره،.....قال : ثمَّ أَقبلت حَتَّى دخلت على رَسُول

الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَوهبت لَهُ بضعهَا فَزَوجهَا زيدا وَأمر لَهَا بِثَلَاثِينَ صَاعا وَقَالَ كلوا وَلَا تكيلوا وَكَانَ مَعَه مَعهَا سمن هَدِيَّة لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَت لجارية لَهَا بلغي هَذِه العكة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَانْطَلَقت بهَا فَأَخَذُوهَا ففرغوها وَقَالَ لَهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم علقوها وَلَا توكوها فعلقوها فِي مَكَانهَا فَدخلت أم شريك فَنَظَرت إِلَيْهَا مَمْلُوءَة سمنا فَقَالَت يَا فُلَانَة أَلَيْسَ أَمرتك أَن تنطلقي بِهَذِهِ العكة إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَت قد وَالله انْطَلَقت بهَا كَمَا قلت ثمَّ قلت ثمَّ أَقبلت بهَا أصوبها مَا يقطر مِنْهَا شَيْء وَلكنه قَالَ علقوها وَلَا توكوها فعلقتها فِي مَكَانهَا فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى فنيت ثمَّ كالوا الشّعير فوجدوه ثَلَاثِينَ صَاعا لم ينقص مِنْهُ شَيْء

وَأخرج ابْن سعد : عَن جَابر عَن أم شريك أَنَّهَا كَانَت عِنْدهَا عكة تهدي فِيهَا سمنا لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَطلب مِنْهَا صبيانها ذَات يَوْم سمنا فَلم يكن فَقَامَتْ إِلَى العكة لتنظر فَإِذا هِيَ تسيل قَالَت فَصَبَبْت لَهُم فَأَكَلُوا مِنْهَا حينا ثمَّ ذهبت تنظر مَا بَقِي فصبته كُله ففني ثمَّ أَتَت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ لَهَا أصببته أما أَنَّك لَو لم تصببه لقام لَك زَمَانا.

٤) البركة في سمن أم مالك البهزية (رضي الله عنها):

أخرج مُسلم عَن جَابر أَن أم مَالك كَانَت تهدي للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من عكة لَهَا سمنا فيأتيها بنوها فَيسْأَلُونَ الْأدم وَلَيْسَ عِنْدهم شَيْء فتعمد ألى

العكة فتجد فِيهَا سمنا فَمَا زَالَ يُقيم لَهَا أَدَم بَيتهَا حَتَّى عصرته فَأَتَت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ أعصرتيها قَالَت نعم قَالَ لَو تركتيها مَا زَالَ قَائِما.

٥) صاحبة الرحى (رضي الله عنها):

وَأخرج الْبَيْهَقِيّ من طَرِيق ابْن سِيرِين عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ أَتَى رجل أَهله فَرَأى مَا بهم من الْحَاجة فَخرج إِلَى الْبريَّة فَقَالَ اللَّهُمَّ أرزقنا مَا نعتجن ونختبز فَإِذا الْجَفْنَة ملأى خبْزًا والرحى تطحن والتنور ملأى جنوب شواء فجَاء زَوجهَا فَقَالَ عنْدكُمْ شَيْء قَالَت نعم رزق الله فَرفع الرَّحَى فكنس مَا حولهَا فَذكر ذَلِك لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ (لَو تركتهَا لدارت إِلَى يَوْم الْقِيَامَة).

وَأخرج الْبَيْهَقِيّ من طَرِيق سعيد بن أبي سعيد عَن أبي هُرَيْرَة أَن رجلا من الْأَنْصَار كَانَ ذَا حَاجَة فَخرج يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْد أَهله شَيْء فَقَالَت امْرَأَته لَو أَنِّي حركت رحاي وَجعلت فِي تنوري سعفات فَسمع جيراني صَوت الرَّحَى وَرَأَوا الدُّخان فظنوا أَن عندنَا طَعَاما مَا بِنَا خصَاصَة فَقَامَتْ إِلَى تنورها فأوقدته وَقد تحرّك الرَّحَى فَأقبل زوجها وَسمع الرَّحَى فَقَالَ مَا تطحنين فَأَخْبَرته فَدخل وَإِن رحاها لتدور وتصب دَقِيقًا فَلم يبْقى فِي الْبَيْت وعَاء إِلَّا ملىء ثمَّ خرجت أَلى تنورها فَوَجَدته مملوءا خبْزًا فَأقبل زَوجهَا فَذكر ذَلِك لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ فَمَا فعلت الرَّحَى قَالَ رفعتها ونفضتها قَالَ (لَو تَرَكْتُمُوهَا مَا زَالَت كَمَا هِيَ لكم حَيَاتكُم) إِسْنَاده صَحِيح.

* * * * *

الحث

على التعليم فى البيت

أختي المسلمة تشغلين وقتك فى نظافة البيت والملابس وطهي الطعام ، فماذا تركت من الوقت لنظافة قلبك ؟

نظافة القلب لا تأتى إلا بسماع كلام الإيمان (كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ)، وذلك بالجلوس في حلقات تعليم البيت ليتحقق فينا قول ربنا: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنّ اللّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ (١).

بالجلوس في حلقات التعليم يتحقق فينا أيضا قول ربنا ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

وقيل: البيت الذي يذكر فيه الله يكثر خيره ويقل شره ويتسع علي أهله.

التعليم في البيت يملأه نورا :

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ مّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مّبِينٌ ﴾ (٣)

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٣٤.

٢) سورة التوبة – الآية ٧١.

١) سورة المائدة – الآية ١٥.

وقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: كنت أخيط الثوب فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع وجه رسول الله . رواه ابن عساكر (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يكن لرسول الله ﷺ ظل ولم يقيم مع شمس إلا غلب ضوءه، ضوء الشمس ، ولم يقيم مع سراج إلا غلب ضوءه ضوء السراج .

فهذا نور جسده الشريف، فكيف بنور كلامه، وهديه ﷺ ؟

فعائشة طغى نور بصيرتها، على نور عينيها، فرأت الإبرة في نور رسول الله ﷺ، فبنور الإيمان نري حقيقة الأشياء المادية، والحقائق الغيبية.

---

١) سورة الأحزاب – الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

٢) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد .

فلما نستقيم على حلقة التعليم فى البيت، فالذي عنده بصيرة عندما يدخل بيوتنا فيرى فيها نور كلام الله وكلام الرسول ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ من أحرص الناس علي تعليم زوجاته بنفسه ، فقد مرّ على زوجته جويرية بنت الحارث وقد كانت عابدة قانتة لله تعالى فقال لها : " ألا أعلمك كلمات تقوليهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته " **رواه مسلم.**

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان : أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية فلما تزوجها النبي ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

ومن أسباب الصلاح عند الأبناء: أن نذكر لهم دائماً قصص الأنبياء والصالحين والصالحات ، حتى ينشأ فى قلوبهم حب الصلاح ، وبقدر ما نسمعهم نربى فيهم الفضائل .... فكان الأمام أحمد كثيراُ ما يحدث أبناءه عن فضل الإمام الشافعي وعلمه وتقواه فدعاه الإمام أحمد لزيارته ، فلما تناول طعام العشاء ، توجه الشافعي في فراشه واستلقى عليه ونام . فقالت بنت الإمام أحمد : يا أبتاه أهذا هو الشافعي الذي تحدثنا عنه ؟ قال لها : نعم ، قالت : لقد لاحظت عليه ثلاث أمور انتقدته فيها : إنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيرا ..... وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلى قيام الليل والتهجد وقد صلى بنا الفجر من غير أن يتوضأ ! فذهب أحمد للشافعي وسأله عن هذه الأمور ... قال له الشافعي : يا أحمد ! لقد أكلت كثيرا لأنني أعلم أن طعامكم من الحلال ... وأنت كريم وطعام الكريم دواء ، وطعام

البخيل داء ، وما أكلت لأشبع ، وإنما أكلت لأتداوى بطعامك . وأما أنني لم أقم الليل، لأنني عندما وضعت رأسي لأنام، نظرت كأن كتاب الله وسنة نبيه أمام عيني، فاستنبطت اثنين وسبعين مسألة فقهية ينتفع بها المسلمون، فلم يكون هناك فرصة لقيام الليل. . وأما أنني صليت بكم الفجر من غير وضوء ما ذاقت عيني طعم النوم حتى أجدد الوضوء، فلقد بقيت طول الليل يقظاناً، فصليت الفجر بوضوء العشاء .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

تربيـة الأولاد

قال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاّ يَعْصُونَ اللّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١)

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ (ﷺ) ، يَقولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ. " . متفق عليه . (٢)

وفي وصايا النبي ﷺ العشر ، لمعاذ قال :"..... أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ "رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣).

---

١) سورة التحريم – الآية ٦ .

٢) صحيح البخاري _ كِتَاب الْحَجِّ _ أَبْوَابُ الْمُحْصَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ _ رقم ٢٥٦٠، صحيح مسلم _كِتَاب الْإِمَارَةِ _ بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ_ رقم ٣٤١٤ .

١) ونص الحديث: عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ ، قَالَ " : لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتُ ، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللَّهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ ، أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا

وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ : بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَيْ: مَنْ تَجِبُ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ شَرْعًا، وَمَحَلُّ بَسْطِهِ كُتُبُ الْفِقْهِ.

مِنْ طَوْلِكَ: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ أَيْ: فَضْلِ مَالِكَ ، وَفِي مَعْنَاهُ الْكَسْبُ بِقَدْرِ الْوُسْعِ، وَالطَّاقَةِ عَلَى طَرِيقِ الِاقْتِصَادِ، وَالْوَسَطِ فِي الْمُعْتَادِ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا : مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ: لِلتَّأْدِيبِ لَا لِلتَّعْذِيبِ، وَالْمَعْنَى إِذَا اسْتَحَقُّوا الْأَدَبَ بِالضَّرْبِ فَلَا تُسَامِحْهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:(**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**) .

(وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ) أَيْ: أَنْذِرْهُمْ فِي مُخَالَفَةِ أَوَامِرَ اللَّهِ، وَنَوَاهِيهِ بِالنَّصِيحَةِ ، وَالتَّعْلِيمِ ، وَبِالْحَمْلِ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ إِطْعَامِ الْفَقِيرِ وَإِحْسَانِ الْيَتِيمِ وَبِرِّ الْجِيرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ(١).

وقال رسول الله ﷺ: " مَا نَحَلَ والِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ"[٢].

وعن ابن عباس عن الرسول ﷺ قال : " عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ لَهُمْ " رواه الطبراني [٣] .

وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ . " رَوَاهُ أَحْمَدُ . (مشكاة المصابيح – كتاب الإيمان – باب الكبائر وعلامات النفاق ١/ ٢).

١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الكبائر وعلامات النفاق.

٢) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير"، والترمذي في "السنن" (١٩٥٢)، والبيهقي في "السنن الكبير" (٨٤/٣) وضعفوه، وكذا ضعفه الذهبي وهو الصواب، وصححه الحاكم في "المستدرك" (٤/ ٢٦٣)!، ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" رقم ٨١١٨.

٣) الطبراني في الكبير من حديث عيسى وعبد الصمد ابني علي بن عبيد اللَّه بن عباس عن أبيهما عن جدهما ابن عباس به ، ومن طريق داود بن علي عن أبيه به بدون ، فإنه أدب لهم ،

وعن عثمان الحاطبي قال: سمعت ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول لرجل: أدب ابنك؛ فإنك مسئول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته؟، وإنه مسئول عن برك وطواعيته لك[١].

وقال ابن الْمُقَفَّع: أَفْضَلُ مَا يُورِثُ الآبَاءُ الْأَبْنَاءَ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْأَدَبُ النَّافِعُ، وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ. [٢].

وقال المناوي :لأن يؤدب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين ويصونه عن مخالطة المفسدين ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب ويسمعه السنن وأقاويل السلف ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه ويهدده ثم يضربه على نحو الصلاة وغير ذلك: خير له من أن يتصدق بصاع ؛ لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها، وهذا يدوم بدوام والأدب غذاء النفوس وتربيتها للآخرة ﴿قوا أنفسكم وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ [٣].

زاد في رواية : كي يرهب عنه الخادم . وهو من حديث داود عن البزار بلفظ : ضع السوط حيث يراه الخادم ، وقال : لا نعلمه عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد من حديث ابن عباس ، وحديث ابن عباس عند البخاري في الأدب المفرد بلفظ : علق سوطك حيث يراه أهلك ، وفيه ابن أبي ليلى وفيه ضعف ، وفي الباب عن ابن عمر عند أبي نُعيم في ترجمة الحسن بن صالح من الحلية من روايته عن عبد اللَّه بن دينار عنه بلفظ الترجمة ، وعن جابر رفعه : رحم اللَّه رجلا علق في بيته سوطا يؤدب به أهله ، وفي سنده عباد بن كثير وهو ضعيف .

والحديث : حسّن إسنادَه الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨ / ١٠٦) .. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٢) .

١) أخرجه الإمام البيهقي في "السنن الكبير" ٨٤/٣.

٢) الأدب الصغير (ص٤٤ – ٤٥).

٣) سورة التحريم – الآية ٦ .

فوقايتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم أودهم بأنواع التأديب فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب والحبس والعطية والنوال والبر فتأديب النفس الذكية الكريمة غير تأديب النفس الكريهة اللئيمة . (١)

على العادة نجد الأولاد يقلدون آباءهم فى الخير والشر ، وفى ذلك يقول أحد الشعراء :

إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت الرقص

وقال أحدهم:

مشى الطاووس يوماً باعوجاج فقلد شكل مشيته بنوه
فقال : علام تختالون ؟ قالوا بدأت به ونحن مقلدوه
فغير سيرك المعوج واعدل فإن عدلت فنحن معدلوه
أما تعرف أبانا كل فرع يجارى في الخطى من أدبوه
وينشأ ناشئ الفتيان على ما كان عوده أبوه

وتبدأ التربية منذ نعومة الأظفار، فإذا كبر الطفل يفلت الزمام ، وفي ذلك يقول أحدهم :

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها ولا يلين إذا قومته الخشب

وأنا أقول وللمرأة دوراً كبير أكبر من دور الأب، في تربية الأولاد على الدين.. فهو منذ كان طفلا رضيعاً وهو ينظر إلى أمه ويشرب من سلوكها فتجده يقلدها في

---

١) فيض القدير (٥ / ٢٥٧) .

كثير مما تفعله، بل إن أفعالها تؤثر فيه حتى قبل ولادته.. فإذا خرجت المرأة من بيتها وهى حامل متبرجة لتبدى زينتها أمام الرجال.. فنجد هذا الجنين عندما يخرج إلى الحياة يتطلع إلى معصية الله ﷻ (الزنا).. وكذلك لو أكلت الحرام.. فيخرج جنينها إلى الدنيا وعينه تتطلع إلى السرقة وأكل الحرام.. والعكس إذا خرجت المرأة من بيتها محتشمة في ثيابها وغضت طرفها وأكلت الحلال فكل ذلك يؤثر في جنينها ، ولقد سمعنا قصة أحد ملوك المسلمين أرسل ابنه على رأس جيش يغزو في سبيل الله ﷻ، وبعد أيام جاءه الخبر أن ابنه قد فر من الزحف فجلس حزيناً.. فعندما رأته زوجته على هذا الحال سألته عن حاله ؟ فلم يخبرها.. فألحت عليه، فأخبرها: أن ابنها قد فر من الزحف.. والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر.. فقالت المرأة ما كان ابني ليفعل ذلك.. فلم يأبه الملك لقول زوجته، وبعد أيام قلائل جاءته البشرى بانتصار ولده فى الجهاد.. وعلم أن الخبر السابق لذلك كان كاذباً.. فأرسل إلى زوجته وأخبرها بانتصار ولدها.. وسألها عن قولها: ما كان ابني ليفعل ذلك، قالت: لأني ما أرضعته إلا وأنا على وضوء.. فأنى لهذا الجسد الذي غُذّىَ بلبن طاهر من جسد طاهر، أن يعصي الله عز وجل !!! .

ويـــــروى : أن الحسن البصري كانت أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى ﷺ ، تذهب لأم سلمة في الحاجة، فربما غابت فيبكى، وتشاغله أم سلمة بثديها تعلله به إلى أن تجئ أمه، فيدر عليه ثديها .. فيروي أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة التغذي بلبن أم المؤمنين. (١)

---

١) كتاب تاريخ الإسلام الذهبي . ترجمة الحسن البصري ٣/ ٢٣٤.

وذكر ابن الجوزى : عن أبى عبد الرحمن السلمي، قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال.. فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالا، لعلك أن توفقي لخدمة سيدك (الله جل جلاله) والرضا بقضائه [١].

أختي المسلمة :

اعلمي أن كل الصفات الطيبة، والأخلاق الحميدة، التي تتخلقين بها تنتقل إلى وليدك وهو في رحمك مع الدم الذي يصله من الحبل السري، وكذلك مع اللبن في الرضاعة.. فاحرصِي على طاعة ربك وامتثال أوامره .

واعلمي أنك على ثغرة عظيمة.. فاللهَ اللهَ ! أن تؤتى البيوت من قِبَلِك. واللهَ اللهَ ! أن يؤتى الإسلام من قِبَلِك.. واللهَ اللهَ ! أن يؤتى أبناء المسلمين من قبلك.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) صفة الصفوة – ١٩/٤ .

النيـــة في تربيـة الأولاد

نُصحح النية في تربية الأولاد.. فننوي أن يكون أولادنا أولياء الله، علماء عاملين.. دعاة إلي الله مخلصين.. مجاهدين في سبيل الله.

والنية تبدأ والجنين في بطن أمه مثل:

- **امرأة عمران (حنة بنت فاقوذ) :**

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

وهي حنة بنت فاقوذ.. وكانت لا تلد حتى شاخت.. وكانت يوما في ظل شجرة فرأت طائراً يُطعم فرخاً له، فاشتهت الولد ودعت الله تعالي أن يهبها ولداً.. فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها فحملت منه، فلما تحقق الحمل نذرت أن يكون محررا.. من أمر الدنيا إلي طاعة الله، مفرغا للعبادة ولخدمة بيت المقدس (المسجد الأقصى).. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ أي عندما وضعت مريم ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾، فخافت أن لا يقبل الله ﷻ نذرها حيث أن البنت كما قالت ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٢) أي في القوة والجلد في العبادة، وخدمة المسجد الأقصى وليس في مخالطته للناس في المسجد مفسدة كما تكون من النساء.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣٥.

٢) سورة آل عمران – الآية ٣٦.

ولكن الله ﷻ بسب نيتها الصالحة تقبل نيتها كما قال الله ﷻ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَمَرْيَمُ أَنّىَ لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

فالنية الحسنة كانت سببا لعناية الله ﷻ العظمي في تربية مريم عليها السلام (٢).

• والدة الشيخ / محمد عمر الباطبوري (رحمها الله) :

كانت امرأة مؤمنة تقية في قلبها معرفة الله جل وعلا، فعندما وضعت ابنها محمد عمر، نظرت إليه وإلي المصحف وقالت: يا رب ! ابني هذا يحفظ كتابك هذا.. وعندما كبر علمته القرآن.. وكانت تأتي له بكتاب قصص الأنبياء ليقرأ لها ثم تقول: يا بني! أنت الآن تقرأ لي وأنا عجوز، أسأل الله ﷻ أن يجعلك تقرأ أمام الملايين من الناس .. وقد حقق الله ﷻ لها نيتها.

وصدق من قال :

هي الأخـلاق تنبت كالنبات	**إذا سقيت بمـــاء المكرمات**
تقوم إذا تعهدها المربي على	**ساق الفضيلة مثمـــــرات**
ولم أرى للخـــلائق من محلِ	**يهذبها كحضـــن الأمهات**

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣٧.

٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير.

فحضن الأم مدرسة تسامت لتربيـــــة البنين أو البنات
وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة
وكانت أمنا في العلم بحـراً تحـــل لسائليها المشكلات
وعلمها النبي أجـــل علم فكانت من أجـــل العالمات
وليس ربيب عاليـــة المزايا كمثل ربيب سافلة الصفات

وأيضا:

فكيف نظن بالأبناء خيرا إذا نشئوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى للأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات؟؟؟
لأخلاق الصبي بك انعكاس كما انعكس الخيال على المرآة

وأيضا:

الأم روض إذا تعهده الحيا بالري أورق أيمـا إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى شغلت مآثرهن مدى الآفاق

فكل شئ مداره علي النية .. فربما الإنسان يُربي حيوان فيكون له أجر، وربما يُربي إنسان فلا يأخذ أجر كل حسب نيته، **فعن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ**

وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " رواه البخاري [١] .

ولتحقيق هذه النوايا .. نبدأ بتعليم الأولاد كتاب الله ﷻ .. ثم تجويده ثم نلحقهم بالمدارس الدينية (مثل المعاهد الأزهرية _ ومعاهد القراءات) ثم نزيد علي ذلك أن نحفظهم كُتب الحديث مثل .. رياض الصالحين – كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .. كتاب مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي .. فما تيسر من ذلك نحفظه لهم.

ثم ندرس لهم كتب الفقه.. والسيرة النبوية، وكتب التواريخ مثل البداية والنهاية.. وكتب النحو والصرف.. وندرس لهم فقه الواقع.. ولا ننقلهم من علم إلى آخر حتى يتقنوه .

ومع ذلك نخرجه في سبيل الله عز وجل ليخالط الدعاة إلى الله تعالى ليتربي على التربية الروحية فيمتزج العلم بالعلم، فيضفي عليه نور العلم ويكسى حلة البهاء.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير» بَاب مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ _ رقم الحديث ٢٦٩٨.

الصفات الإيمانية
التي يجب أن يربى عليها الطفل

تربية الأطفال علي التوحيد

- وصية لقمان لابنه : قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

- وصية نوح لابنه : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ ، مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ! قَالَ : يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ ! قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ ! " ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ(٢) آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

---

١) سورة لقمان – الآيتان ١٢ ، ١٣ .

٢) وفي رواية عند الإمام أحمدَ (٢/ ٢٢٥) وغيره: إن نوحًا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه، فقال:" إني قاصر عليكما الوصية: آمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين .. " فذكر نحوه.

فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ (١)، **فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ "، قَالَ: قُلْتُ ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ ، فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ ؟ قَالَ: " لَا " ، قَالَ : هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا ؟ ، قَالَ: " لَا " ، قَالَ : الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا ؟ ، قَالَ: " لَا " ، قَالَ : أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ: " لَا " ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ: " سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ "** (٢).

فأول ما نربى عليه أولادنا .. أن نعلمهم أول شعبة من شعب الإيمان وهي كلمة التوحيد ففي الحديث **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا**

---

١) أي: وآمرك بـ" سبحان الله وبحمده."

٢) مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ المُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ » مسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ...رقم الحديث: ٦٤٠٤، والبخاري في "الأدب المفرد" حديث رَقْم (٥٤٨)، والحاكم في "المستدرك على الصحيحين" (١/ ٤٩) وصحح إسنادَه العمادُ ابنُ كثير (رحمه الله) في " البداية والنهاية ".

اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ ". متفق عليه . [١].

وذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا آمَنَتْ بِرَسُولِ الله. قَالَتْ: فَجَاءَ أَبُو أَنَسٍ وَكَانَ غَائِبًا فَقَالَ: أَصَبَوْتِ؟ قَالَتْ: مَا صَبَوْتُ وَلَكِنِّي آمَنْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ. قَالَتْ: فَجَعَلَتْ تُلَقِّنُ أَنَسًا وَتُشِيرُ إِلَيْهِ قُلْ لا إِلَهَ إِلا الله. قُلْ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَيَقُولُ لَهَا أَبُوهُ: لا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي. فَتَقُولُ: إِنِّي لا أُفْسِدُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَالِكُ أبو أنس فلقيه عدو فقتله، فلما بَلَغَهَا قَتْلُهُ قَالَتْ: لا جَرَمَ لا أَفْطِمُ أَنَسًا حَتَّى يَدَعَ الثَّدْيَ حَيًّا وَلا أَتَزَوَّجُ حَتَّى يَأْمُرَنِي أَنَسٌ. فَيَقُولُ قَدْ قَضَتِ الَّذِي عَلَيْهَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ. فَخَطَبَهَا أَبُو طَلْحَةَ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَأَبَتْ. فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا فِيمَا تَقُولُ: أَرَأَيْتَ حَجَرًا تَعْبُدُهُ لا يَضُرُّكَ وَلا يَنْفَعُكَ أَوْ خَشَبَةً تَأْتِي بِهَا النَّجَّارَ فَيَنْجُرُهَا لَكَ هَلْ يَضُرُّكَ هَلْ يَنْفَعُكَ؟ قَالَ: فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ الَّذِي قَالَتْ.فَتَزَوجهَا.قَالَ: فَأَتَاهَا فَقَالَ: لَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي الَّذِي قُلْتِ. وَآمَنَت. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَزَوَّجُكَ وَلا آخُذُ مِنْكَ صَدَاقًا غَيْرَهُ،وولدت له عبد الله وأبا عمير .

---

١) صحيح البخاري» كتاب الإيمان » باب أمور الإيمان، صحيح مسلم » كتاب الإيمان» باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، واللفظ له.

وأسلمت أم سليم وبايعت رسول الله وشهدت يوم حنين وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة وَمَعَهَا خِنْجَرٌ. وشهدت قبل ذلك يوم أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى .وأبو طَلْحَةَ هو زيد بن سهل الْأَنْصَارِيّ .

فلما كبر أنس أتت به النبي ﷺ وقالت له: هذا أنس غلامك، فقبَّله النبيﷺ .

فكلما بدأ الطفل حياته بنطق لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وفقه الله بأن يختم بها حياته.

ونُعلمهم الإيمان واليقين والتوحيد ومعرفة الله رب العالمين، بذكر قصص الأنبياء والصديقين، فعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحنُ فتيان حزاوره فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا به إيماناً " رواه ابن ماجة .

تربية الأطفال على اليقين

- تربية ابن عباس رضي الله عنهما علي الإيمان واليقين :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كُنْت خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامِ! [1] إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك

---

١) صبيٌّ حين يولد إلى أن يَشبّ أو حين يقارب سنَّ البلوغ ، ويطلق على الرَّجُل مجازًا :- { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } – { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ } (قاموس المعاني).

بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ ."رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ" :احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامك، تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا." [1].

- **عبادة بن الصامت يعطي أبناءه درسا في اليقين:**

عن عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ ، أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي فَلَمَّا أَجْلَسُوه، قَالَ: يَا بُنَيَّ ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ : قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمَ ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ

---

١) رياض الصالحين _ باب المراقبة صـ٧٣.

بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "، يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلْتَ النَّارَ . (١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ الْوَفَاةُ ، قَالَ: " أَخْرِجُوا فِرَاشِي إِلَى الصَّحْنِ يَعْنِي إِلَى الدَّارِ، ثُمَّ قَالَ: اجْمَعُوا لِي مَوَالِيَّ، وَخَدَمِي، وَجِيرَانِي، وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ ، فَجَمَعُوا لَهُ . فَقَالَ : إِنَّ يَوْمِي لا أُرَاهُ إِلا آخِرَ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الآخِرَةِ ، وَإِنَّهُ لا أَدْرِي ، لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكُمْ بِيَدِي أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ ، وَهُوَ وَالذي نَفْسُ عُبَادَةَ بِيَدِهِ الْقِصَاصُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأُحَرِّجُ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلا اقْتَصَّ مِنِّي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي. فَقَالُوا: بَلْ كُنْتَ وَالِدًا، وَكُنْتَ مُؤَدِّبًا قَالَ: وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ قَطُّ سُوءًا. فَقَالَ: أَغَفَرْتُمْ لِي مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الآنَ فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي: أُحَرِّجُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَبْكِي، فَإِذَا خَرَجَتْ نَفْسِي فَتَوَضَّئُوا ، فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ، ثُمَّ لِيَدْخُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَسْجِدًا فَيُصَلِّيَ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ لِعُبَادَةَ وَلِنَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)[1]. ثُمَّ أَسْرِعُوا بِي إِلَى حُفْرَتِي ،

---

١) المسند" للإمام أحمد (٥/ ٣١٧)، وانظر "سنن أبي داود" (كتاب السنة- باب في القدر- حديث رَقْم (٤٧٠٠)، و"جامع الترمذي" كتاب تفسير القرآن-باب: ومن سورة ن - حديث رقم (٣٣١٩)، و"الشريعة" للإمام الآجُرِّي (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدًا- حديث رقم (٣٨٤)، و"السنة" لابن أبي عاصم (باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى وما جرى به القلم - أحاديث (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١١)، و"الحلية" لأبي نعيم - ترجمة إبراهيم بن أبي عبلة.

وَلا تُتْبِعُونِي نَارًا، وَلا تَصْبِغُوا عَلَيَّ أُرْجُوَانَ " . ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تتبعوني بنار[٢].

هكذا كانوا يهتمون بتربية أبنائهم ومواليهم وعبيدهم وجيرانهم علي الإيمان بالله واليوم الآخر حتي في أنفاسهم الأخيرة ليس أمامهم إلي ذلك.

- تربية أم الحارث بن أسد ا لمحاسبي لابنها علي الإيمان واليقين:

كانت أم الحارث بن أسد (رحمها الله) تريد أن تُربي ولدها " الحارث "علي اليقين بالله ﷻ.. فإذا أراد الطعام تقول له: صلي، واسأل الله أن يرزقك الطعام فيقوم إلي الصلاة فتضع له الطعام تحت زنبيل، فإذا صلي يكشف الزنبيل فيجد الطعام.. فذهبت يوما إلي السوق، فتأخرت، فتوجهت إلي الله ﷻ وقالت: يا رب ! الآن ابني لا يجد الطعام فيخرب يقينه وتوجهت إلي الله أن يرزقه.. وعاد الحارث من الكتاب، فلم يجد أمه، فقام إلي الصلاة كما يفعل كل يوم ، وبعد أن انتهي من الصلاة، كشف الزنبيل فإذا بالطعام فأكل وشبع.. ثم عادت أمه، فسألته عن الطعام، فقال لها: فعلت مثل ما أفعل كل يوم فوجدت الطعام تحت الزنبيل، ولكن يا أماه ! طعام اليوم لم أذق مثله قط .. فحمدت الله عز وجل .

---

١) سورة البقرة _ الآية ٤٥.

٢) كتاب الزهد للإمام هناد بن سري، تهذيب الكمال للمزي» عُبَادَة بن الصامت بن قَيْس بن أصرم بن فهر بن قَيْس ...رقم الحديث: ١٥٥٦، تاريخ دمشق لابن عساكر.

- ابن الشهيد:

دخل أحد الصالحين مسجداً ليصلي فرأى صبياً لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره قائماً يصلى فى خشوع تام .. تقدم الرجل الصالح وسأله: ابن من أنت ؟ فأجاب الصبى: ابن رجل مات شهيداً فى إحدى المعارك.

فقال الرجل الصالح: أترضى أن تكون لى ولداً وأكون لك أباً ؟.

قال الصبى: هل تطعمني إذا جعت

فقال الرجل الصالح : نعم. قال الصبى: هل تسقينى إذا عطشت ؟.

فقال الرجل الصالح: نعم.

فقال الصبي: هل تكسوني إذا عريت؟.

فقال الرجل الصالح: نعم .

فقال الصبي: هل تحييني إذا مت ؟.

فدهش الرجل الصالح ! وقال: هذا ما ليس إليه سبيل!.

فأشاح الصبي بوجهه وقال: فاتركني إذن للذي خلقني ثم يرزقني ثم يُميتني ثم يحييني.

فانصرف الرجل وهو يقول: لعمري من توكل على الله كفاه!!..

- تربية الإمام السلمي على المراقبة:

استأذنت أمي في الحج ، وخرجت سنة ٣٦٦ ، فقالت أمي: توجهت إلى بيت الله، فلا يكتبن عليك حافظاك شيئا تستحي منه غدا. (١).

---

١) سير أعلام النبلاء الذهبي» الطبقة الحادية والعشرون» السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم.

تربيـــــــــة الأطفـــــــــال

على التقوى سلطان

كتب عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤمنين، إلى ابنه عبد الله (رضي الله عنهما) فى غَيْبَةٍ غابها :أما بعد: فإنه مَن اتقى الله وَقَاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جَزَاه. فاجعل التقوى [١] جِلاءَ بصرك، وعِمَادَ ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نِيَّة له، ولا أَجْرَ لمن لا حسنة له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له[٢].

تربية الأطفال

على محبة الرسول (ﷺ)

عن علي ﷺ أن النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلّم: «أَدبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: حُب نَبِيكُمْ، وَحُب أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ» [٣].

---

١) أصل التقوى: وِقوى – بكسر أوله وقد يفتح – من الوقاية، أبدلت الواو تاء كـ"تراث"، و"تخمة". وهي: ما يستر الرأس، فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه، بحسب الطاقة، مَن فعل ذلك فهو من المتقين. ا. هـ من "دليل الفالحين.

٢) الأمالي" لأبي علي القالي، و"العِقد الفريد " لابن عبد ربه، و"مناقب عمر بن الخطاب " لابن الجوزي.

٣) الجامع الصغير للسيوطي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

فنغرس في قلوب أولادنا حب الله ورسوله ﷺ، وقد مر كيف كان حب الصبيان لرسول الله ﷺ، ونربيهم علي اتباع سنته ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، ونذكر لهم قصص الصحابة في ذلك.

تربية الأطفال

علي اتباع هديــه (ﷺ)

فعن أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ ، يَقُولُ : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ ". متفق عليه[١].

زجر الأطفال

عند مخالفة أمره ونهيه (ﷺ)

عن بلال بن عبدالله بن عمر ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنكم " فقال بلال : والله لنمنعهن ، فقال له عبدالله : أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقول أنت : لنمنعهن ! .

---

١) المرجع السابق.

وعنِ ابْنِ شِهَابٍ ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا "، قَالَ: فَقَالَ بِلالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَسَبَّهُ سَبًّا شَدِيدًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ .! . رواه مسلم (١).

عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلٌ أَهْلَهُ أَنْ يَأْتُوا الْمَسَاجِدَ فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَإِنَّا نَمْنَعُهُنَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ هَذَا قَالَ فَمَا كَلَّمَهُ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ. رواه أحمد وصححه الألبانى . (٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَذْفِ وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ وَلَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ وَيَكْسِرُ السِّنَّ. متفق عليه (٣).

---

١) مشكاة المصابيح – باب الجماعة وفضلها ٣٣٩/١ .

٢) المرجع السابق.

٣) صحيح البخاري» كتاب الأدب» بَاب النَّهْيِ عَنْ الْخَذْفِ (٥٨٦٦). صحيح مسلم» كِتَاب الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ ... » بَاب إِبَاحَةِ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى الِاصْطِيَادِ ...(٣٦٢٠).

وفي رواية : أَنَّ قريباً لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ ، فَنَهَاهُ وقال : إِنَّ رسولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم نَهَى عن الخَذْفِ وقَالَ : « إِنَّهَا لا تَصِيدُ صَيْداً » ثُمَّ عادَ فقالَ : أُحَدِّثُكَ أَن رسولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ، نَهَى عَنْهُ ، ثُمَّ عُدْتَ تَخْذِفُ ،؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبداً . (١).

تربية الأطفال

علي محبة أهل الإيمان

قال أنس بن مالك : كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن (٢).

قال صالح بن الإمام أحمد: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه، يحب أن أكون مثله (٣).

تربية الأطفال

علي امتثال أوامر الله عز وجل

وأهمها(الصلاة)

يأمرنا النبي ﷺ أن نربي أولادنا علي حب الصلاة ، منذ نعومة أظفارهما ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

---

١) رياض الصالحين – باب المحافظة علي السنة وآدابها صـ١١٦ .

٢) السنة للخلال.

٣) سير أعلام النبلاء للذهبي.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ " رواه أبو داود بإسناد حسن . (١)

وعن حَرْمَلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ رواه أبو داود والترمذي. ولفظ أبو داود : مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين . (٢).

وروي يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوما ، فقال صالح بن كيسان : ماشغلك ؟ فقال كانت مرجلتي تسكن شعري. فقال له: أقدمت ذلك علي الصلاة ؟ وكتب إلي أبيه، وهو علي مصر يعلمه بذلك.. فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتي حلق رأسه(٣).

فإذا كان الرجل في منزله وسمع الآذان، فعليه أن يذهب فورا إلي المسجد ويصطحب معه أولاده، وبذلك يربي فيهم حب الصلاة، ويعودهم علي الذهاب إلي المسجد، فالولد يراقب اهتمامات ولده.. وعلى الأم أن تحث أولادها على الصلاة ،

---

١) سنن أبي داود(٤١٧، ٤٩٥)،أبو داود السجستاني(٢٧٥)، مسند أحمد بن حنبل(٦٥١٤ ، ٦٥٧٩)، المستدرك على الصحيحين ٦٦٢ ١ : ١٩٧، سنن الدارقطني(٧٦٨ ، ٧٦٩)،السنن الكبرى للبيهقي (٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠ ، ٢٩٧١) ٢ : ٢٢٨، مصنف ابن أبي شيبة ٣٣٩٤ ، شعب الإيمان للبيهقي (٨١٣٠).

٢) أبو داود (٤٩٤)،سنن الترمذي » كتاب الصلاة » باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة _ بَاب مَا جَاءَ مَتَى يُؤْمَرُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ _ ٤٠٧.

٣) البداية والنهاية – باب ترجمة عمر بن عبد العزيز ٣٤١/٩

ففى الحديث: **عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" .....، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، ..... " متفق عليه** (١).

الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله):

تولت والدته القيام بشؤونه وتربيته بعد وفاة والده كما كانت أم الشافعي، وكانت تعاني الفقر، وهبها الله حسناً وجمالاً ، تقدم لخطبتها عدد لا يحصى من الراغبين لكن نفسها أبت وتمنعت، ونذرت نفسها لولدها وعاشت لتسعده وتتولى تعليمه، كانت هي له قدوة ومثالاً يحتذى في الطاعة، تقوم من الليل وتصلي ما شاء الله لها أن تصلي، ثم تسخن الماء وتوقظه، وتوضئه وتذهب به إلى المسجد، ثم تجلس عند الباب تنتظره إلى أن يخرج .

تربية الأطفال على حب القرآن

تقول إحدى المعلمات :

في يوم من الأيام طلبت من إحدى الصفوف الإبتدائيّة، أن يرسموا : منظر الربيع . فجاءت تلميذة وقد رسمت مصحف، فتعجبت من رسمها!!!!.

فقلت: ارسمي الربيع وليس مصحف ألا تفهمين!!! وكانت إجابتها البريئة كصفعة على وجهي، قالت :القرآن ربيع قلبي، هكذا علمتني أمي.

سبحان الله! أي تربيه تلك .. وأي أم تلك التي أتقنت التربية..(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) اللهم آمين.

---

١) رياض الصالحين.

تربية الأطفال على حب الصحابة

(رضى الله عنهم)

في إحدى المدارس سأل المعلم طلاب الصف الأول :كل واحد يقول ماذا يريد لما يكبر؟؟.

منهم من قال: .. طيار.. طبيب.. شرطي.. كلهم إجابتهم كانت تدور حول ذلك ..إلا واحد منهم قال شيئا غريبا.. ضحك منه التلاميذ. قال: أريد أن أكون صَحَابِيًّا.

تعجب المعلم من التلميذ. وقال لماذا صَحَابِيٌّ ؟ قال: ماما كل يوم قبل ما أنام تقول لِّي قِصَّةَ صَحَابِيٌّ.. الصَّحَابِيٌّ .. يُحِبُّ الله .. وبَطَلْ .. أريد أن أصبح مِثْلُهْ.

سكت المعلم وهو يحاول منع دمعته من هذه الإجابة، وَعَلِمَ أن خلف هذا الطفل أمَّاً عظيمة لذلك صار هدفه عظيماً.

تربية الأطفال علي حفظ السر

وهذه أم سليم رضي الله عنها تأمر ابنها أنس أن يحفظ سر رسول الله ﷺ، كما يروي ذلك لنا سيدنا أَنَسٍ ، قَالَ :" أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، قَالَ : فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي ، فَلَمَّا جِئْتُ ، قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ قُلْتُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ ، قَالَتْ : مَا حَاجَتُهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا

سِرٌّ ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا ، قَالَ أَنَسٌ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ. " . رواه مسلم [١].

تربية الأطفال على ترك الحرام

عن أَبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِخْ كِخْ ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ " متفق عليه . [٢]

وهكذا كان الصالحون يخافون علي أنفسهم وأولادهم من أكل الحرام .. فهذا والد الامام البخاري (رحمه الله) كان تاجرا ، فلما مرض ، قال له : يا بني ! لقد تركت لك خمسين الف درهم لا أجد فيها درهما فيه شبهة .

تربية الأطفال على الصدق

توجيه النبي ﷺ لأمته :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟».قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا،

---

١) صحيح مسلم » كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ » بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...رقم الحديث: ٤٥٣٩.

٣) صحيح البخاري _ رقم الحديث: ١٤٠٢ ، صحيح مسلم» كتاب الزكاة» بَاب تَحْرِيمِ الزَّكَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ دُونَ غَيْرِهِمْ (١٠٦٩).

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ ». (١).

فلو كذبت المرأة أولادها في الحديث معهم .. حتى ولو كان الحديث في التسلية أو الضحك.. لعلمتهم الكذب وهي لا تشعر.

فيجب علي المرأة أن تراعي الصدق مع أولادها، فلو طُرق الباب وفتح الولد الباب فسأله الطارق عن أبيه، نعوده أن يقول الصدق.

ويحكـي: أن أحد طلبة العلم، أراد أن يذهب إلي بغداد لطلب العلم وكان صغيراً، فأعطته أمه أربعين ديناراً ميراثه من أبيه وقالت له : ضع يدك في يدي وعاهدني علي التزام الصدق فلا تكذب أبداً ' فعاهدها علي ذلك .. وخرج مع قافلة يريد بغداد، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص ونهبوا كل ما في القافلة.. ورأوا هذا الصبي رث الثياب، فقالوا له: هل معك شئ ؟ فقال : معيَّ أربعون ديناراً ، فسخروا

---

١) رواه أبو داود (١٥٨٨ ح٤٩٩١) و ابن أبي شيبة (٢٣٦/٥) ، وأحمد (٤٤٧/٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (١١/٥) والبيهقي في السنن (١٩٨/١٠) وسَمّى مولى عبدالله بن عامر زيادًا، وله شاهدان :حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – : رواه أحمد (٤٥٢/٢) بسنده عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ قال لِصَبيٍّ: تعال هاك، ثَمّ لم يُعْطِهِ فهي كِذْبَة» و حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– رواه الحاكم مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم :« إِنَّ الكَذبَ لاَ يَصْلُح مِنْهُ جدّ ولاَ هَزْلٌ ولا أَنْ يَعدَ الرجُلُ ابنهُ ثُمّ لاَ يُنْجز له إنّ الصِّدْقَ يَهديْ إلى البرِّ وَإِنَّ البرَّ يَهديْ إلى الجنَّةِ .. » الحديث .وإسناد الحديث ضعيف لجهالة زياد مولى عبدالله بن عامر، وبقية رجاله ثقات غير محمد بن عجلان فهو صدوق وأما الشواهد : فما رواه أبو هريرة فَعِلَّتُه عدمُ سماعِ الزهريّ منه ، وما رواه ابن مسعود فقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص . وإنما تواترت هذه الروايات بتوقيف أكثر هذه الكلمات..

منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا إلي كهف كان به كبير اللصوص، ينتظر ما يأتون به فلما رآهم قال : هل أخذتكم كل ما في القافلة ؟ قالوا: نعم ، إلا صبيا سألناه عما معه، فقال: معيَّ أربعون ديناراً، فتركناه احتقاراً لشأنه، نظن أن به خبلا في عقله، فقال :عليَّ به ، فلما حضر بين يديه ، قال : هل معك شئ ؟ فقال : نعم ، معيَّ أربعون ديناراً ، قال: أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص: أمجنون أنت يا بني ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي علي الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي، فقال كبير اللصوص: لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله ؟ ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة .. وتاب علي يديه ومن معه جميعا .

تربية الأطفال علي الخوف من الله ﷻ

ففي وصايا النبي ﷺ العشر، لمعاذ قال : ..... أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ "رواه أحمد.[1]

فإذا ميز الصبي نبدأ أن نبين له قدرة الله عز وجل وعظمته، وشدة بطشه وانتقامه ممن عصاه، ونبين له قصص الأنبياء وحال من اتبعهم، وكيف بطش الله عز وجل بمن خالفهم.. ونبين لهم أحوال الدار الآخرة، الجنة وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب.

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب الإيمان – باب الكبائر وعلامات النفاق ٢/١ .

تربية الأطفال علي حب العلم وطلبه

تربية أم سفيان الثوري لسفيان:

قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان : يا بني ! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي.. وقالت له: يا بني ! إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل تري في نفسك زيادة في حلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك [١].

تربية أم ربيعة الرأي لربيعة:

هذه القصة العجيبة ذكرها غير واحد من أهل التاريخ والتراجم في حياة الإمام ربيعة بن فروخ (أبي عبد الرحمن) المدني المعروف بربيعة الرأي شيخ الإمام مالك بن أنس رحمهم الله.

ونحن ننقلها كما جاءت في تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر قال رحمه الله: روي عن مشيخة أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار؛ فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا في يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله ! أتهجم على منزلي ؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله ! أنت رجل دخلت على حرمتي ! فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي وكثر

---

١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٣/٩١ .

الضجيج. فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ ! لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هذه داري وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكيا. فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني ؟ ! قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به. فقالت امرأته: اخرج صلى في مسجد الرسول فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة فشك فيه أبو عبد الرحمن فقال: من هذا الرجل ؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني؛ فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيهما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه ؟ قال: لا والله ألا هذا، قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه قال: فوالله ما ضيعته.والله أعلم.

تربية الأطفال

علي الشجاعة ومجالسة الكبار للاستفادة

نحكي لهم قصص الأطفال الشجعان ، مثل:

١) **علي بن أبي طالب ونومه علي فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، والكفار محدقين بالدار.**

٢) **عبد الله بن الزبير: في يوم من الأيام كان سيدنا عمر يمشي في شوارع المدينة وإذا بصبية يلعبون ، وما إن رأو سيدنا عمر حتى فروا جميعهم ماعدا صبي واحد ، فابتسم سيدنا عمر وقال للصبي: لماذا لم تفر معهم ؟ فقال له الغلام : يا أمير المؤمنين لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك ، فأعجب به سيدنا عمر وقال: هذا الغلام ابن أبيه، الغلام هو عبد الله بن الزبير بن العوام.**

٣) قَالَ سِنَانُ بْنُ سَلَمَةَ: كُنَّا أُغَيْلِمَةً بِالْمَدِينَةِ فِي أُصُولِ النَّخْلِ نَلْتَقِطُ الْبَلَحَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْخَلالُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَثَبَتُّ مَكَانِي ، فَلَمَّا غَشِيَنِي، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا هَذَا مَا أَلْقَتِ الرِّيحُ ، قَالَ: " أَرِنِي أَنْظُرْ فَإِنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيَّ "، فَنَظَرَ فِي حِجْرِي ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ.

٤) **حينما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز، وفدت الوفود للتهنئة، فتقدم غلام حديث السن، فقال عمر: لينطق من هو أكبر منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من**

سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر: صدقت.

٥) ولا بد أن نترك للطفل فرصة في المزاح مع الكبار، وعدم زجره، حتى لا نجرح شعوره، ونكسر نفسه، ويتعود علي الانطواء والوحدة.. وعن هذا كله تحدثنا عَنْه أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ [١]سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَالَ مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ فَسَكَتَ الْقَوْمُ قَالَ ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ أَبْلِي وَأَخْلِقِي[٢] وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاهْ وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ " رواه البخاري [١].

---

١) (الْخَمِيصَةِ السَّوْدَاءِ) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْخَمَائِصُ ثِيَابُ خَزٍّ أَوْ صُوفٍ مُعَلَّمَةٍ وَهِيَ سُودٌ كَانَتْ مِنْ لِبَاسِ النَّاسِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ هُوَ كِسَاءٌ مُرَبَّعٌ لَهُ عَلَمَانِ ، وَقِيلَ : هِيَ كِسَاءٌ رَقِيقٌ مِنْ أَيِّ لَوْنٍ كَانَ ، وَقِيلَ : لَا تُسَمَّى خَمِيصَةً حَتَّى تَكُونَ سَوْدَاءَ مُعَلَّمَةً (فتح الباري شرح صحيح البخاري _أحمد بن علي بن حجر العسقلاني).

٢) قَوْلُهُ : (قَالَ أَبْلِي وَأَخْلِقِي) فِي رِوَايَةِ أَبِي الْوَلِيدِ " وَقَالَ " بِزِيَادَةِ وَاوٍ قَبْلَ قَالَ ، وَقَوْلُهُ : " أَبْلِي " بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ أَمْرٌ بِالْإِبْلَاءِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : " أَخْلِقِي " بِالْمُعْجَمَةِ وَالْقَافِ أَمْرٌ بِالْإِخْلَاقِ وَهُمَا بِمَعْنًى ، وَالْعَرَبُ تُطْلِقُ ذَلِكَ وَتُرِيدُ الدُّعَاءَ بِطُولِ الْبَقَاءِ لِلْمُخَاطَبِ بِذَلِكَ ، أَيْ أَنَّهَا تَطُولُ حَيَاتُهَا حَتَّى يَبْلَى الثَّوْبُ وَيَخْلَقَ ، قَالَ الْخَلِيلُ : أَبْلِ وَأَخْلِقْ مَعْنَاهُ عِشْ وَخَرِّقْ ثِيَابَكَ وَارْقَعْهَا ، وَأَخْلَقْتُ الثَّوْبَ أَخْرَجْتُ بَالِيَهُ وَلَفَّقْتُهُ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي زَيْدٍ الْمَرْوَزِيِّ عَنِ الْفَرَبْرِيِّ " وَأَخْلِفِي " بِالْفَاءِ وَهِيَ أَوْجَهُ مِنَ الَّتِي بِالْقَافِ لِأَنَّ الْأُولَى تَسْتَلْزِمُ التَّأْكِيدَ إِذِ الْإِبْلَاءُ وَالْإِخْلَاقُ بِمَعْنًى ، لَكِنْ جَازَ الْعَطْفُ لِتَغَايُرِ اللَّفْظَيْنِ ، وَالثَّانِيَةُ تُفِيدُ مَعْنًى زَائِدًا وَهُوَ أَنَّهَا إِذَا أَبْلَتْهُ أَخْلَفَتْ غَيْرَهُ ، وَعَلَى مَا قَالَ الْخَلِيلُ لَا تَكُونُ الَّتِي بِالْقَافِ لِلتَّأْكِيدِ ، لَكِنِ الَّتِي بِالْفَاءِ أَيْضًا أَوْلَى ، وَيُؤَيِّدُهَا مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ : " كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا

وأُمُّ خَالِدٍ بِنْتُ خَالِدٍ ابْنُ أَبِي أُحَيْحَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، الْقُرَشِيَّةُ الْأُمَوِيَّةُ الْمَكِّيَّةُ ، الْحَبَشِيَّةُ الْمَوْلِدِ . اسْمُهَا " أَمَةٌ " لَهَا صُحْبَةٌ ، وَرَوَتْ حَدِيثَيْنِ (٢).

وكان والدها خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ، وكان هو وامرأته من أوائل المهاجرين الى الحبشة، وهناك ولدت له امرأته " أمة " التي قضت شطرا من عهد طفولتها في الحبشة، ثم عادت مع أبويها إلى المدينة المنورة ، بعد أن هاجر إليها النبي ﷺ .. وروت أمة (رضى الله عنها)، كيف ودعهم النجاشي وهم يركبون السفينتين في طريقهم الى المدينة فقالَتْ : **" سَمِعْتُ النَّجَاشِيَّ يَوْمَ خَرَجْنَا ، يَقُولُ لأَصْحَابِ السَّفِينَتَيْنِ : أَقْرِئُوا جَمِيعًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي السَّلامَ ، قَالَتْ أَمَةُ : وَكُنْتُ فِيمَنْ أَقْرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيَّ السَّلامَ " ، وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ** (٣).

وَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فَوَلَدَتْ لَهُ ؛ عَمْرًا وَخَالِدًا ... وكان النبي ﷺ يكرمها(٤).

لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ : تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ " وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْوَلِيدِ " أَبْلِي وَأَخْلِقِي " مَرَّتَيْنِ (فتح الباري).

١) صحيح البخاري» كتاب اللباس» بَاب الْخَمِيصَةِ السَّوْدَاءِ (٥٤٨٥).

٢) سير أعلام النبلاء» ومن صغار الصحابة» أُمُّ خَالِدٍ بِنْتُ خَالِدٍ (خ ، د ، س).

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ» تَسْمِيَةُ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُبَايِعَاتِ ... » أُمُّ خَالِدٍ أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ... (رقم الحديث: ١٠٣٦٨).

٤) سير أعلام النبلاء» ومن صغار الصحابة» أُمُّ خَالِدٍ بِنْتُ خَالِدٍ (خ ، د ، س).

تربية الأطفال

علي حب الحياء والستر

أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رضى الله عنها) :

هذه البنت الصغيرة يتقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لخطبتها.. فَقَالَ علي: إِنَّهَا صَغِيرَةٌ ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ مَنْعَهَا، قَالَ : فَكَلِّمْهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ رَضِيتَ فَهِيَ امْرَأَتُكَ ، قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَذَهَبَ عُمَرُ فَكَشَفَ عَنْ سَاقِهَا ، فَقَالَتْ: أَرْسِلْ ، فَلَوْلا أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَصَكَكْتُ عُنُقَكَ(١) " (٢).

وقد رُوي أنَّ سيِّدنا عُمرَ خطَب أمَّ كُلثومٍ بنت سيِّدنا عليٍّ ورفَع ثوبَها ليَرى رُكبتَيها، فقالتْ أَرسِل؛ – أيْ: اترُكِ الثَّوب – ولَولا أنَّك شيخ كَبير للطَمتُ وجْهكَ، وقالتْ لأبيها: أرسَلْتني إلى شيخٍ سوء، فقال لها: هو زَوجُك يا أمَّ كُلثوم. وهذه الرواية تدل على أن علىَّ قد زوج عمر حين خطبها، وهذا تبرئة لعمر مما يلحقه به المغرضون.

---

١) وفي رواية عند عبد الرازق: فَقَالَتْ : لَوْلَا أَنَّك أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَصَكَكْت عَيْنَك.
وفي رواية سعيد بن منصور: فَقَالَتْ : لولا أنك أمير المؤمنين لَلَطَمْتُ عينيك.

٢) مصنف عبد الرزاق» كِتَابُ النِّكَاحِ» بَابُ نِكَاحِ الصَّغِيرَيْنِ (رقم الحديث: ١٠١٠٢) ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٢١).

فنرغب البنات في حب الحجاب والستر، وأن ذلك يستوجب محبة الله ومحبة الناس واحترامهم .

وعند ابن سعد: أن علي قال لعمر: إنما حبست بناتي علي بني جعفر فقال : زوجنيها فو الله ! ما علي ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما لأرصد ، قال : قد فعلت .. فجاء عمر إلي المهاجرين، فقال: زفوني ! فزفوه، فقالوا: بمن تزوجت ؟ قال : ابنة علي ، إن النبي ﷺ قال :" كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي " وكنت قد صاهرت ، فأحببت هذا أيضا . كذا في الإصابة [١].

" لَصَكَكْتُ عُنُقَكَ " ما معناها إلا أنه أمير المؤمنين ! جراءة .. عفة .. حياء .. لأنها تربت في بيت النبوة فأبوها علي وأمها فاطمة الزهراء وجدها محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين كان أشد حياءً من العذراء في خدرها وأمها فاطمة، كانت تستحي أن يراها الناس وهي ميتة علي السرير (النعش) بدون غطاء .. وأم كلثوم بضعة من فاطمة وعلي !!

أختي هل تحبين أن تكون بناتك مثلها ؟

ابدئي بنفسك وربيها علي ذلك .. ثم ربي في بناتك هذه الأخلاق واطلبي العون من الله .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

١) حياة الصحابة ٢/ ٦٧١ .

وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي". [١].

وتقول عائشة (رضي الله عنها) تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست ستين ودخل علي وأنا بنت تسع سنين.

وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : " كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَنْقَمِعْنَ مِنْهُ ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ ، فَيَلْعَبْنَ مَعِي."

وفي لفظ عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : " كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فَرُبَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي الْجَوَارِي ، فَإِذَا دَخَلَ خَرَجْنَ وَإِذَا خَرَجَ دَخَلْنَ " . "[٢] لماذا يستترن مع صغرهن ؟

ما هو إلا حياءً واحتجاباً منه !!.

---

١) صحيح البخاري_ رقم الحديث: ٥٦٩٢، الكتب » صحيح مسلم» كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى _ رقم الحديث: ٤٤٧٧.

٢) رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد بَابُ : مَسْحِ رَأْسِ الصَّبِيِّ _ رقم الحديث: ٣٦٣.. وأبو داود في كتاب الأدب (٤٢٨٥) ... والنسائي في كتاب النكاح (٣٣٤٤).

تربية الأطفال

على الزهد وحب الفضائل

بَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ فَصًّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَبِعِ الْخَاتَمَ . وَأَشْبِعْ بِهِ أَلْفَ بَطْنٍ . وَاتَّخِذْ خَاتَمًا بِدِرْهَمَيْنِ . وَاجْعَلْ فَصَّهُ حَدِيدًا صِينِيًّا . وَاكْتُبْ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ[1].

تربية الأطفال

على بر الآباء وطاعتهم

فنذكر لهم قصص البارين بالآباء مثل:

١) قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته على والده :

قال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ

---

١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » فصل في منازل إياك نعبد » فصل منزلة التواضع » فصل أقوال العلماء في التواضع.

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّا ﴾ (١) خطاب مليء بالشفقة والرحمة لأبيه الكافر خوفا عليه من عذاب الله عز وجل .

٢) نبي الله إسماعيل (عليه السلام) وطاعته لأبيه:

لما هاجر إبراهيم عليه السلام من بلاد قومه ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٢) سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣) ، فبشره الله بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (٤) فلما شب وصار يسعى في مصالحه ، رأي إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يأمر بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء وحي، فأخبره ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾(٥) فبادر الغلام الحليم ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(٦) غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد جل جلاله(٧).

---

١) سورة مريم الآيات من ٤١ : ٤٨ .
٢) سورة الصافات – الآية٩٩.
٣) سورة الصافات – الآية٩٩.
٤) سورة الصافات – الآية١٠٠.
٥) سورة الصافات – الآية١٠١.
٦) سورة الصافات – الآية١٠١.
٧) قصص الأنبياء لابن كثير.

٣) نبي الله ورسوله يحيي (عليه السلام):

ذكر الله بره بوالديه، وطاعته لهما أمراً ونهياً، وترك عقوقهما قولا وفعلا، قال تعالي﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[١]

٤) نبي الله ورسوله عيسي (عليه السلام):

أنطقه الله عز وجل، في المهد بما يستقبل به حياته، ويعيش عليه، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[٢].

٥) الرجل الذي دخل مع صاحبيه الغار وكان بارا بوالديه:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً ، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي ، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا

---

١) سورة مريم الآية ١٤ .

٢) سورة مريم الآيات من ٣٠ : ٣٢.

وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ ، وَقَالَ الثَّانِي : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إلا بحقه فَقُمْتُ عَنْهَا ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ فَخُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرَاعِيَهَا فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ ". (١).

وفي رواية أخرى: فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ

---

١) صحيح البخاري» كِتَاب الْأَدَبِ» باب إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ _ رقم الحديث: ٥٥٤٤، صحيح مسلم» كِتَاب الرِّقَاقِ» بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ _ رقم الحديث: ٤٩٣٢.

دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا" [١].

٦) قال محمد بن المنكدر:

بات عمر (يعني أخاه) يُصلي وبت أغمز رجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته.. وكان يضع خده بالأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك علي خدي(**تاريخ الإسلام**).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١) صحيح البخاري» كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ » بَاب حَدِيثُ الْغَارِ_ رقم الحديث: ٣٢٣٠.

تُربي في نفوس الأطفال علو الهمة

فمن العجز أن يزدري المرء بنفسه، فلا يقيم لها وزنا، وأن ينظر إلي من هو فوقه من الناس، نظر الحيوان الأعجم إلي الحيوان الناطق ، فإن الرجل إذا صغرت نفسه في عينه يأبي لها من أعماله إلا ما يشاكل منزلتها عنده، فتراه صغيراً في مروءته وهمته، صغيراً في ميوله وأهوائه.. صغيرا في في جميع شؤونه وأعماله، فإن عظمت نفسه عظم بجانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة.

أمثلة في علو الهمة:

١) **معاوية بن أبي سفيان:**

قال المدائني عن صالح بن كيسان قال: رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه.

وقال الشافعي: قال أبو هريرة: رأيت هندا بمكة كأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غلاما إن عاش ليسودن قومه. فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فأماته الله، وهو معاوية بن أبي سفيان.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال: نظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال لهند: إن ابني هذا

لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه. فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة. وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول:

إنّ بني معرقٍ كريمٌ محببٌ في أهله حليم

ليس بفاحشٍ ولا لئيمٌ ولا ضجورٌ ولا سؤوم

صخر بني فهرٍ به زعيمٌ لا يخلف الظن ولا يخيم

قال: فلما ولى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند: كيف رأيت صار ابنك تابعا لابني؟

فقالت: إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني.

فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزّى أبا سفيان في ابنه يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال: أخوه معاوية. قال: وصلت رحما يا أمير المؤمنين.

وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه: والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت.

وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك.

فلم يزل معاوية نائبا على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان.

وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها.

فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم.

فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت.

فعند ذلك خاف ملك الروم ، وبعث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم، فانعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا.

فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية.

والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو[١].

---

١) البداية والنهاية/الجزء الثامن/وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله.

وهكذا أخذت تبث فيه هذه الهمة والتطلع إلي ما يتطلع به أبناء الملوك والعظماء، حتي نال الشرف والرياسة، مع صلاحه وتقواه وحلمه.

٢) محمد الفاتح:

كانت والدته تخرج به إلى صلاة الفجر، وتريه اسوار القسطنطينية، وتقول: أنت يا محمد من سيفتح هذه الأسوار فاسمك محمد كما قال رسول الله ﷺ، ثم تعلوه الدهشة ويبادرها بالسؤال قائلاً: كيف سأفتح هذه الأسوار يا أمي ؟ فترد عليه رد الأم المؤمنة الواثقة بنصر الله لمن اتبع رضوانه العالمة بركائز القوة ومكامنها : بالقرآن، والسلطان، والسلاح، وحب الناس.

ربته والدته حتى بلغ مبلغ الرجال، وشب كما يشب الفتيان، وحين بلغ من العمر نيفاً وعشرين توفي والده السلطان مراد الثاني، وجلس محمد منزوياً ينتحب ويبكي أباه، فدخلت عليه وهالها ما رأت، ثم قالت: أنت تبكي، فماذا تفعل النساء.. ثم رفعت صوتها واحدت بصرها قائلة: قم للقسطنطينية، فهي بانتظارك، وأعداء أبيك في كل مكان.. فشمر الباكي عن ساعديه، وتولى عرش الدولة بعد أبيه، وبدأ بالسير قدماً خطوة تلو أخرى لتحقيق حلمه وحلم المسلمين .

علم محمد أن مضيق البسفور كان هو المعيل للقسطنطينية والمنفذ الرئيس للمساعدات من أوروبا، فأراد أن يبني قلعة هناك حتى يقطع تلك الامدادات، استغرق بناء القلعة شهوراً وسماها قلعة الروم، وبعد أن تم البناء أصبح من غير الممكن لأي سفينة أن تمر دون أن تأخذ الإذن من الدولة العثمانية.

تلا بناء القلعة، صناعة المدافع ومن ضمنها مدفع عملاق يسمى المدفع السلطاني، كان يزن (٧٠٠) طن، وتزن القذيفة الواحدة (١٥٠٠) كيلو جرام، وتسمع طلقاته من مسافات بعيدة ، ويجره مائة ثور يساعدها مائة من الرجال الأشداء.

ثم زحف بجيشه إلى القسطنطينية وحاصرها وتوالت قذائف المدافع على المدينة ليلاً ونهاراً حتى استسلم أهلها ، ودخلها محمد فاتحاً ، وسمي بعد دخولها بمحمد الفاتح ،

دخل محمد المدينة وصلى ركعتين شكراً لله ، ثم دخل كنيسة (ايا صوفيا) وأعطى أهلها الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم وحولها إلى جامع (ايا صوفيا) واذن فيه بالصلاة لأول مرة، واتخذ من القسطنطينية عاصمة لدولته ، وأطلق عليها (اسلام بول) وهي تعني دار الاسلام لكنها حرفت فيما بعد إلى استطنبول .

سلك محمد الفاتح سلوك القائد الرحيم مع أهالي القسطنطينية، فدى الأسرى بنفسه، وعاملهم برحمة، ووافق على عودة الذين فروا خلال الحصار إلى منازلهم فكان نعم الأمير.

لم يتوقف طموح محمد الفاتح عند هذا الحد ، بل اتسعت لشمل بلاد الصرب و"المورة" و"رومانيا" و"ألبانيا" وبلاد "البوسنة والهرسك.

ورغب في فتح إيطاليا ليكون إمبراطوراً لروما، فاستولى على قلعة بالقرب من مدينة أوترانت الإيطالية، وفي طريقه إلى روما عاصمة إيطاليا فاجأه الموت.

وفرحت أوروبا قاطبة بهذا النبأ، وأمر بابا روما أن تقام الصلاة في الكنائس ابتهاجاً بنبأ وفاته.

أنشأ محمد الفاتح ٣٠٠ مسجد، منها في العاصمة "إستانبول" وحدها (١٩٢) مسجدًا وجامعًا، بالإضافة إلى (٥٧) مدرسة، ومن أشهر آثاره المعمارية مسجد " السلطان محمد " ، وجامع " أبى أيوب الأنصاري"، وقصر " سراي طوب قبو ".

٣) لقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده، وكان نجيبا: أي غاية تطلب في حياتك يا بني! وأي رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون ؟.

فأجابه: أحب أن أكون مثلك فقال: ويحك يا بني ! لقد صغرت نفسك، وسقطت همتك، فلتبك علي عقلك البواكي ، لقد قدرت لنفسي يا بني في مبدأ نشأتي أن أكون كعلي أبى طالب فمازلت أكد وأكدح، حتى بلغت المنزلة التي تراها، وبيني وبين عليَّ (رضي الله عنه) ما تعلم من الشأو البعيد، والمدي الشاسع، فهل يسرك وقد طلبت منزلتي أن يكون ما بيني وبينك من المدي مثل ما بيني وبين عليَّ بن أبي طالب ؟!.

٤) واجتمع فى الحجر عبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن عمر ﷺ فقالوا تمنوا: فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة . وقال عروة بن الزبير: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عنى العلم . وقال مصعب بن الزبير: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. فنالوا ما تمنوا.. ولعل ابن عمر قد غفر له [١] .

---

١) تاريخ الإسلام – الذهبي – ٢ / ٦٢٢.

٥) وكان الإمام النووي يحضر في اليوم ١٢ درساً، وكان رحمه الله يمشي بالطريق يكرر ما حفظه من العلم ويراجعه.

٦) وقرأ ابن حجر معجم الطبراني في جلسة بين الظهر والعصر.

٧) وعبد الله بن محمد فقيه العراق طالع المغني، ثلاث وعشرين مرة.

٨) نعيْم المجمر جالس أبا هريرة ٢٠ سنة.

٩) عبد الله بن نافع جالس الإمام مالكاً ٣٥ سنة.

١٠) قال الشافعي : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سني، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

١١) قال ثعلبة: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس اللغة نحو خمسين عاما.

١٢) قال أبوزرعة: كان احمد يحفظ ألف ألف حديث، يعني مليوناً .

١٣) قال البخاري: كتبت عن ألف شيخ، وعن كل واحد منهم عشرة آلاف حديث وأكثر.

١٤) قال جرير: جلست إلى الحسن سبع سنين لم أخرم منها يوما واحدا.

١٥) وقرأ ابن حجر السنن لابن ماجة في أربعة مجالس وقرأ معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، وهذا الكتاب يشتمل على نحو ١٥٠٠ حديث.

١٦) قال أبو حاتم الرازي: مشيت على قدمي في الطلب ألف فرسخ.

١٧) قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم .

١٨) وعن ابن عباس قال : كنت آتي باب أبيّ بن كعب وهو نائم، فأقيل على بابه حتى يخرج فأطلب منه الحديث.

١٩) قيل للإمام أحمد بن حنبل: متى يجد العبد طعم الراحة ؟

قال :عند أول قدم يضعها في الجنة.

ورؤي يوما يحمل محبرة ويجري، فقيل له: مازلت مع المحبرة ؟

قال :مع المحبرة إلى المقبرة.

٢٠)وهذه قصة إيزابيلا بنت الملك خوان الثاني ملك قشتالة وإسبانيا:هذه المرأة أعجوبة من أعاجيب التاريخ فقد أفنت من عمرها اكثر من ثلاثين عاما في سبيل نصرة دينها النصراني ومذهبها الكاثوليكي. لقد نسيت أنها امرأة فأقسمت وقطعت على نفسها عهدا ألا تستبدل قميصها حتى تسقط غرناطة على يديها، و برت بقسمها فوحدت جهود ملوك النصارى ضد المسلمين، ورهنت مجوهراتها لدفع مرتبات الجنود، وكانت تشرف بنفسها على المعارك ضد المسلمين، وفعلا أسقطت ملك المسلمين بغرناطة والأندلس نهائيا في سنة ١٤٩٢ م.

وبقي قميصها الذي لم تنزعه مدة ٣٠ عاما شاهدا على علو همة هذه المرأة حتى أصبح يقال قميص إيزابيلا العتيق، كل هذه الهمة وهي تنصر دين باطل، فكيف بمن يقوم بنصرة دين الحق كيف تكون نصرته للحق؟.

أقوال في علو الهمة:

يقول ابن القيم الجوزية :

لا بُد للسالك من همة تُسيرهُ وترقيه وعلم يبصره ويهديه.

والهمة فِعْلَة من الهمّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهِمّة نهايتها .

فعلو همة المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه.

وجاء في رسائل الإصلاح للشيخ الخضر حسين :علو الهمّة: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.

وجاء في صيد الخاطر لإبن الجوزي: الهمة خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى):

في بعض الآثار الإليهة قول الله تعالى: إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همته.

قال: والعامة تقول: قيمة كلّ أمرىء ما يحسن.

والخاصة تقول " قيمة كل امرىء ما يطلب، يريد أن قيمة المرء همته ومطلبه.

قال الإمام الهروي (صاحب منازل السائرين):

الهمة: ما يملك الانبعاث للمقصود صِرفاً، ولا يتمالك صاحبها، ولا يلتفت عنها .

قوله: يملك الانبعاث للمقصود، أي: يستولي عليه كاستيلاء الملك على المملوك، و " صرفاً " أي: خالصاً صرفاً .

ويقول الشاعر محمد إقبال:

قلت للصقر وهو في الجو عال — إهبط الأرض فالهواء جديب

قال لي الصقر في جناحي وعزمي — وعنان السماء مرعى خصيب

ويقول الشاعر أبو فراس الحمداني :

ونحن قوم لا توسط بيننا — لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون في المعالي نفوسنا — ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

وقال ابن الجوزي في (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد):

وما تقفُ نفسٌ إلا لخساستها، وإلا فمتى علتْ الهمّة فلا تقنعُ بالدون، وقد عُرف بالدليل أن الهمّة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثتْ سارت ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسلْ المنعم، أو كسلاً فسلْ الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، فمن الذي أقبل عليه ولم يرَ كلّ مراد؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرض من أغراضه ؟.

وقال ابن الجوزي أيضا (رحمه الله):

الهمة خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل

وقال الإمام علي (رضي الله عنه):

همم الرجال تزيل الجبال .. لو تعلقت همة أحدكم بالثريا لنالها.

فنربي في الطفل علو الهمة، والنظر إلي العظماء ليكون عظيما مثلهم.. فطالب العلم أحوج الناس إلي علو الهمة، لأن حاجة الأمة إلي نبوغه أكثر من حاجتها إلي من سواه من الصانعين والمحترفين.. وهل الصانعون والمحترفون إلا حسنة من حسناته وأثر من آثاره ، فالطفل في بلوغه الغاية التي بلغها النابغون من قبله لا يحتاج إلي خلق غير خلقه ، وجو غير جوه ، وسماء غير سمائه، وأرض غير أرضه، وعقل غير عقله، وأداة غير أداته، ولكنه في حاجة إلي نفس عالية كنفوسهم ، وهمة عالية كهممهم[١] .

---

١) كتاب النظرات للمنفلوطي ١/٢٣٤(بتصرف).

تربية الأطفال على حب التضحية

نُربي في نفوس الأطفال حب التضحية وذلك بذكرتضحيات الصحابة ﷺ لدين الله ﷻ.. وهكذا كان يفعل الصحابة الكرام مع أبناءهم ، فعن زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي ﷺ، قال: كنا نُعَلَّمَ مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن.

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

وعن الزهري قال: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة. (١)

لأن علم المغازي هو علم التضحية، وعلم التضحية إذا تدارسناها يُربي في نفوسنا حُبِ التضحية وحب الشهادة في سبيل الله، ونذكر لهم شباب الصحابة الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله مثل :

عمير بن أبي وقاص :

ففي غزوة بدر عرض رسول الله ﷺ أصحابه ورد من استصغر منهم، فرد عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن حضير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعمير بن أبي وقاص، فقال: ارجع، فبكى فأجازه، فقتل ببدر هو ابن ست عشرة سنة (٢).

---

١) روى الآثار الثلاثة الخطيب البغدادي في الجامع وابن عساكر في تاريخه(سُبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٤/٢٠)

٢) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٤/٣٨.

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ بَدْرٍ ، اسْتَصْغَرَهُ ، فَبَكَى عُمَيْرٌ ، فَأَجَازَهُ ، فَعَقَدْتُ عَلَيْهِ حِمَالَةَ سَيْفِهِ ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَدْرًا وَمَا فِي وَجْهِي شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَمْسَحُهَا بِيَدِي . (١).

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " رَأَيْتُ أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ يَتَوَارَى ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ يَا أَخِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْتَصْغِرُنِي فَيَرُدُّنِي ، وَأَنَا أُحِبُّ الْخُرُوجَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ ، قَالَ : فَعُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَصْغَرَهُ ، فَقَالَ : " ارْجِعْ " ، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ سَعْدٌ : فَكُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ حَمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ فَقُتِلَ بِبَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً ، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ " (٢).

سعد بن خيثمة وأبيه (رضي الله عنهما) :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ ، أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبَانَ حَدَّثَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ أَرَادَ سَعْدَ بْنَ خَيْثَمَةَ وَأَبُوهُ جَمِيعًا

---

١) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ /١٨٨ ، حياة الصحابة باب الجهاد . خروج الصبيان وقتالهم في الجهاد في سبيل الله – ١/ ٥٨٤، سير أعلام النبلاء» الصحابة رضوان الله عليهم» سعد بن أبي وقاص.

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد» طَبَقَاتُ الْبَدْرِيِّينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ذكر ... » وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلابِ بْنِ مُرَّةَ (رقم الحديث: ٣١٤٢).

الْخُرُوجَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُهُمَا فَاسْتَهَمَا ، فَقَالَ خَيْثَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِهِ سَعْدٍ : إِنَّهُ لَا بُدَّ لِأَحَدِنَا مِنْ أَنْ يُقِيمَ فَأَقِمْ مَعَ نِسَائِكَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : لَوْ كَانَ غَيْرُ الْجَنَّةِ لَآثَرْتُكَ بِهِ أَنِّي أَرْجُو الشَّهَادَةَ فِي وَجْهِي هَذَا ، فَاسْتَهَمَا فَخَرَجَ سَهْمُ سَعْدٍ فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ ، فَقَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدّ.(١).

وَقَالَ خيثمة أبو سعد، وَكَانَ ابْنُهُ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ عَلَيْهَا حَرِيصًا ، حَتَّى سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الْخُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ ، فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ ابْنِي فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا ، وَيَقُولُ : الْحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الْجَنَّةِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي ، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي ، فَادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ ، وَمُرَافَقَةَ سعد فِي الْجَنَّةِ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا . (٢).

* * * * *

١) المستدرك على الصحيحين _ كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمِنْ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ (رقم الحديث: ٤٨٥٤) _ ٣ / ١٨٩.

٢) زاد المعاد في هدي خير العباد » فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل» فصل في سياق مغازيه وبعوثه على وجه الاختصار» فصل في غزوة أحد، سُبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ٤/.

التربيـــــة

علي الإيمان وأثرها الطيب

- **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ :**

تربي علي ﷺ في بيت النبوة (بمكة المكرمة).. هذه التربية أكسبته محبة النبي ﷺ فلما عَرض عليه الإسلام، مع صغر سنه فقبل الإسلام فكان أول من أسلم من الصبيان.. وظهرت هذه الشجاعة في المواقف مع النبي ﷺ، وقتل صناديد الكفر مثل: عمرو بن عبد ود في غزوة بدر.. ومرحب اليهودي في غزوة خيبر .. وأهلته لأن يتزوج خير نساء العالمين فاطمة بنت محمد ﷺ (رضي الله عنها) وأبا الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.. وكان من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى.. ورابع الخلفاء الراشدين.

فلا عجب فقد تربي علي يد امرأتين عظيمتين وهما أمه فاطمة بنت أسد ثم علي يد أمه وأم المؤمنين جميعا خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها).

- **أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ (وابن حبه) :**

تربى أسامة بن زيد ﷺ في حجر أمه " **أم أيمن** " وأبيه زيد بن حارثة واتصاله ببيت النبوة وأمهات المؤمنين، أهلته ليكون أهلا لحب النبي ﷺ له ، ولأن يوليه ﷺ أميراً علي جيش فيه كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وفيهم عمر بن الخطاب ﷺ وكان عمر ﷺ لا يلقي أسامة إلا قال له: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! توفي رسول الله ﷺ وأنت علي أمير . [١].

---

١) انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٠.

قال الذهبي: لما أمره النبي ﷺ علي جيش الشام كان عمره ثماني عشرة سنة.

- **التربية علي الإيمان جعلت البنات تخفن علي أبيهن :**

عن الهيثم بن خلف الدوري أن محمد بن سويد الطحان حدثه قال : كنا عند عاصم بن علي ومعنا أبو عبيد، وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يُضرب فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معيَّ فنأتي هذا الرجل، فنكلمه ؟ قال: فما يجيبه أحد ثم قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك يا أبا الحسين، فقال: يا غلام، خُفي ، فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين ! أبلغ إلي بناتي فأوصيهم، فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط ، ثم جاء فقال: إني ذهبت إليهن، فبكين، قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط: يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه علي أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله ! ولا تجبه فو الله ! لأن يأتينا نعيك أحبُ إلينا من أن يأتينا أنك أجبت.

- **التربية علي الإيمان: جعلت البنات يخفن من أكل الحرام:**

قالت بنات رجل لأبيهن: يا أبه ! لا تطعمنا إلا من حلال، فإن الصبر علي الجوع أيسر من الصبر علي النار. [١]

وكان ليحيي بن معاذ ابنة صغيرة السن، فطلبت من أبيها شيئا، فقال لها: يا بنيتي ! اطلبي ذاك من الله ! أو ما أستحي من الله أن أطلب منه شيئا يؤكل ؟!!!. [٢]

---

١) صفة الصفوة ٤/٠٢٦١

٢) المرجع لسابق ٤/٠٢٦٠

• التربية علي الإيمان: وأثرها في التضحية بالنفس من أجل هداية البشرية:

فنذكر لهم قصة الغلام والساحر، التي رواها الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ صُهَيْب ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي، قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ،

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ

فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ[١] فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ " رواه مسلم[٢]

وفي هذه القصة من الفوائد العظيمة منها :

١) نتعلم من هذه القصة أن نربي أولادنا بذكر القصص التي تشحذ الهمم.
٢) أهمية وعي التاريخ.
٣) أثر القصص في النفوس.
٤) أهل الطغيان والفساد لا يملكون الحجج العقلية والقدرة الإدارية على إدارة الناس فيلجئون إلى السحر والشعوذة.
٥) اهتمام أهل السوء والفساد بمن يخلفهم في أعمالهم.
٦) من هذه القصة يتبين لنا كيف نهتم بالنشء، ونعتني بأصحاب المواهب من الصغر، وتنمية مواهبهم وقدراتهم العقلية والفكرية والإرادية.
٧) أهمية تهيئة من يراد لأمر عظيم من الصغر، واستثمار جميع قدراته فيما يراد منه.

---

١) (فَأَحْمُوهُ) بِهَمْزَةِ قَطْعٍ بَعْدَهَا حَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَنَقَلَ الْقَاضِي اتِّفَاقَ النُّسَخِ عَلَى هَذَا . وَوَقَعَ فِي بَعْضِ نُسَخِ بِلَادِنَا : (فَأَقْحِمُوهُ) بِالْقَافِ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ ، وَمَعْنَاهُ اطْرَحُوا فِيهَا كُرْهًا . وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى ارْمُوهُ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ حَمَيْتُ الْحَدِيدَةَ وَغَيْرَهَا إِذَا أَدْخَلْتُهَا النَّارَ لِتُحْمَى .
٢) صحيح مسلم « كتاب الزهد والرقائق « باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام _ رقم ٣٠٠٥ .

٨) قوة تلبيس السحرة وأعوانهم على الناس، فلم يزل الشك عند الغلام رغم تعليم الراهب له حتى عرضت له الدابة وقال تلك المقالة.

٩) إن إرادة الله فوق كل إرادة، وقدرة الله فوق كل قدرة، وأمر الله فوق كل أمر لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه إذا قال للشيء: كن فيكون، يري العباد ضعفهم وعجزهم مهما تجبروا وطغوا وبغوا، لقد اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذي يثبت به دعائم ملكه، وأراد الله تعالى أن يكون الداعي الصالح الذي يدمر ملكه ويهدي الناس إلى الدين الحق، وفي ذلك آية للمعتبرين، فالله يهيئ لدينه رجالاً ينبتون من بيوت الطواغيت الكفرة ليكونوا الدعاة الهداة البررة. انظر: صحيح القصص النبوي للأشقر.

١٠) الكذب للمصلحة الشرعية وخوف الفتنة.

١١) تربية العالم لتلميذه وإعداده وتهيئته لتحمل أعباء الدعوة: ((وإنك ستبتلى)) استشرافاً للمستقبل من خلال التحديات وتهيئة النفس وترتيب الحسابات لذلك.

١٢) الأصل البلاء للمؤمنين: ﴿أَفَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (١) .

١٣) الحفاظ الأمني على شيخه: ((فإذا ابتليت فلا تدل علي)).

١٤) عدم تمني الراهب الفتنة أو التعرض لها مع قوة صبره وتحمله.

١٥) التواضع والاعتراف بالحق مهما كان صاحبه والتعالي على الحسد والكبر، فهذا الراهب مع أنه معلم الغلام ومربيه ومخرجه من الظلمات إلى النور، ومع ذلك لما علم أنه أفضل منه جهر بذلك أمام تلميذه الصغير: ((أنت اليوم أفضل مني)).

١٦) استغلال المهنة الطبية في الدعوة ، مع الحرص على نفع الناس وحل مشكلاتهم.

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٢ .

١٧) الدعوة إلى دين الله لا تعرف سناً معيَّناً وانظر فعل الغلام.

١٨) إجراء الآيات كرامة للعبد التقي النقي.

١٩) الطغيان ليس له حد، بل يصل بصاحبه الضعيف إلى ادعاء الربوبية.

٢٠) أصبحت سير أولئك الطغاة المجرمين أُضْحُوكةً يضحك منها اليوم الصغير والكبير.

٢١) قد يضعف الإنسان ويدل على أصحابه من جراء التعذيب، فلا يغض هذا من مكانته، كما فعل جليس الملك والغلام مع صبريهما وتقديم أنفسهما فداء لدين الله.

٢٢) الاعتراف بالفضل لأهله وبيان عجز الإنسان وفاقته إلى معونة ربه: ((إنما يشفي الله)).

٢٣) محاولة إطفاء عاطفة الغلام، واستمالته إلى الباطل وحرفه عن الصراط المستقيم: ((أي بني قد بلغ من سحرك ...)).

٢٤)ليس لدى أهل الطغيان القدرة على إفحام الخصم فيلجئون إلى القوة والتعذيب وهذا من سنتهم وسبيلهم.

٢٥) صبر العالم وتحمله للبلاء وتقديم دمه فداء لدينه.

٢٦) الإيمان لا يوازيه أي رتبة أو مكانة أو دنيا، ولهذا قدم جليس الملك دنياه فداء لدينه.

٢٧) الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب استخف صاحبه بكل عقوبة كما فعل الغلام، حين تفنن الملك في قتله.

٢٨) المحن تولد المنح، لقد مات الراهب والوزير والغلام كما مات الملك وأعوانه، لكن أين منازلهم؟! وأيهم ترك أسوة وسيرة يقتدي بها وينال أجرها؟!

٢٩) اهتمام الملك بأمر الغلام ليكون سنداً له نظراً لفرط ذكائه، ولكنه إذا خالف أمره ولم يرجع عن دينه فالقتل جزاؤه، ولا قيمة للطاقات البشرية والثروة الفكرية عند الطغاة.

٣٠) إرجاع الأمر في الأمن والخوف إلى الله تعالى: ((كفانيهم الله)) وذلك قمة اليقين.

٣١) دعاء الله في كل حال وطلب نصرته وعدم الاعتماد على النفس وإظهار الفقر والفاقة والحاجة إلى القوي العزيز: ((اللهمَّ اكفنيهم بما شئت)) وإيكال أمرهم إلى الله يفعل بهم ما يشاء وعدم اختيار العقوبة والاقتراح على الله.

٣٢) يلاحظ أن الغلام لم يفر بعد أن أنجاه الله تعالى كل مرة من عقوبة الملك، وذلك لأنه لم يكن ينشد السلامة لنفسه، بل كان يهدف إلى إظهار دين الله وإعلاء كلمته، ولعل الناس كانوا يتابعون قصته في مجالسهم وينتظرون النتيجة في معركة الغلام مع السلطان المتجبر مدعي الربوبية، وكيف يواجه الغلام الملك غير هياب ولا وجل، مع ما عرف عن السلطان من سفك الدماء (١).

٣٣) الاعتزاز بدين الله: ((حتى تفعل ما آمرك به)).

٣٤) أهمية الدعوة إلى توحيد الله حتى احتاجت إلى تقديم النفس فداء في دعوة الناس إلى الله جل وعلا.

٣٥) الاحتيال في الدعوة إلى توحيد الله.

٣٦) الصدق والإخلاص يحطم دم المؤمن أصول الوثنية في قلوب الناس.

٣٧) مهما بدا بنيان الكفر ضخماً عظيماً فإنه كانتفاخ البالون سرعان ما يتحطم بأول وخزة، ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) ، فبعد هذا التلبيس الطويل على المجتمع وتضليله وتربيته على الخنوع والخضوع لمدعي الربوبية سرعان ما انتهى كل ذلك بموقف واحد، كمثل ظلمة عظيمة انقشعت بشمعة صغيرة.

---

١) انظر: صحيح القصص النبوي للأشقر.

٢) سورة التوبة _ الآية ١٠٩.

٣٨) دم المؤمن ينبغي أن لا يضيع هدراً فحياته دعوة وموته دعوة وقطرات دمه دعوة.

٣٩) البطانة السيئة وأثرها السيئ على السلطان: ((أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس)).

٤٠) أهل الطغيان لا يعرفون الحوار ولا المناظرة ولا المجادلة، وإنما حججهم هي البطش والعقوبة، ولا بأس في إبادة الشعب إبقاء لمذهب السلطان، وتغطية لدعاويه الباطلة.

٤١) ماذا فعل هؤلاء حتى يعاقبوا تلك العقوبة النكراء، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد ﴾[1] فكان السبب أنهم اختاروا لأنفسهم عقيدة الإيمان والتوحيد، أين حرية الرأي والتفكير عندكم يا أهل الكفر والفساد؟.

٤٢) آية من آيات الله في نطق الغلام، ونصرة المؤمن وتأييد الله له وبعث من يثبته على الخير إذا علم منه الصدق والإخلاص: ((اصبري فإنك على الحق)).

٤٣) تقديم التضحيات لهذا الدين ولو وصلت لبذل النفوس لإحقاق الحق وإبطال الباطل ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

* * * * *

١) سورة: البروج – الآية: ٨.

٢) سورةآل عمران – الآية١٦٩.

الختام

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا وجميع المسلمين بقراءة هذه الحياة الطيبة التي عشها سلف هذه الأمة، وأن يحيينا علي ما أحياهم عليه، وأن يفيض علي أجسامنا وأرواحنا بما أفاض عليهم، من الإيمان والتقوى والسعادة والبركة والطمأنينة وانشراح الصدر، والإنابة إلي دار الخلود (الجنة)، والتجافي عن دار الغرور (الدنيا) ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتنا.

وما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.